الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1- الحاج لخضر-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م
(التصوف أنموذجا)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ
تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
- الأمير بوغداده

إشراف الأستاذ الدكتور:
- علي أجقو

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
السبتي غيلاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا رئيسا
علي أجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
محمد الشيخ برابح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا ممتحنا
سليمان قريري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة باتنة 1	عضوا ممتحنا
محمد الطاهر بنادي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	عضوا ممتحنا
علجية مقيدش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الجلفة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 1442/1441هـ الموافق لـ: 2021/2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ١٩ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل (الآية 19)

إهداء:

إلى روح **والدي** رحمه الله

إلى **والدتي** حفظها الله وأطال في عمرها

إلى **زوجتي** التي كانت لي عونا وسندا

إلى **أبنائي** (رامي، عبد الرؤوف، عبد الرحيم)

إلى **إبنتي** (فاطمة الزهراء)

إلى أفراد العائلة والأقارب كل باسمه

إلى كل من ضحى بالنفس والنفيس من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة

شكر وعرفان:

أتقدم بشكري الجزيل لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور " **علي أجقو** " ليس فقط على النصائح والتوجيهات والمجهودات التي بذلها من أجلي منذ بداية تحضيري لهذه الأطروحة وإلى غاية إنهائها، لكن لصبره وتفهمه وأمانته العلمية التي لم يبخل بها على أحد، ويجب أن أعترف أن هذا البحث هو ثمرة من ثمرات توجيهاته وعنايته واهتمامه، وعليه سأبقى أرفع آيات الشكر والثناء والتقدير والامتنان بما بذله من جهد نادر واهتمام بالغ في التوجيه والإشراف وتيسير سبل البحث ومسالكه الصعبة.

دمت لنا بحرا ننهل من ينابيع معارفك وخبراتك وتجاربك، وجزاك الله عنا خير الجزاء وأدامك في خدمة العلم والبحث العلمي.

ثبت بقائمة المختصرات الواردة في البحث:

المختصر	المصطلح
د.ب	دون بلد
د.ت	دون تاريخ
ط	طبعة
ط.خ	طبعه خاصه
ط.م.م	طبعة مزيدة ومنقحة
مج	مجلد
ج	جزء
ص	صفحه
هـ. ص	هامش صفحه
ع	علبة
و	وثيقة
أ.و.ج	الأرشيف الوطني الجزائري
و.م.ش	وثائق المحكمة الشرعية
و.م.ق	وثائق المكتبة القاسمية
P	Page
S.D	Sans Date
R.A	Revue Africaine
R.M.E	Revue Maroc Europe
B.S.G.A.A.N	Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de L'Afrique du Nord
A.O.M	Archives D’outre Mer
G.G.A	Gouvernement Général De L’Algérie

مقــدمة

يعتبر موضوع التيارات الدينية وتحديدًا التصوف، من الموضوعات الشائكة والمعقدة في تاريخ الجزائر، وذو أهمية كبرى في حياتنا المعاصرة، فهو أسال ومازال يسيل كثيرًا من الحبر ولم يفصل فيه برأي نهائي، فمعظم الباحثين مازالوا مترددين بين الإعلاء من قيمة هذا التيار الديني وبين الحط منه، وقد يعود ذلك إلى أنه مرتبط بميول النفس البشرية وأهوائها، ولم يستطع بعضهم التخلص من ذاتيته والحكم على الأشياء بعيدًا عن الأهواء والمنطلقات والخلفيات.

كما أن آراء هؤلاء الباحثين قد اختلفت في تصوف العصر الحديث حيث وجد فيه بعضهم عنصر ايجابيا في توجيه الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية، وخاصة في الدعوة إلى تحرير الشعوب من هيمنة السلطة المركزية وإلى الجهاد ضد القوى الاستعمارية الطاغية، وبث الحماسة في الجماهير التي انقادت لهم، مثلما كان الحال مع معظم الطرق الصوفية أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، في حين رأى بعضهم الآخر كثيرًا من السلبيات التي جنتها الطرقية الضحلة على الحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع.

إلا أننا نلاحظ في الآونة الأخيرة بدء انقشاع تلك الصورة القاتمة التي كانت تقدم لنا حول هذا التيار الديني، الذي عرفه العالم الإسلامي بصفة خاصة، طيلة عهود طويلة من الزمن، وبدء عودته بقوة إلى الواجهة بعد زوال المعوقات من أمامه، وفشل التيار السلفي في قيادة المجتمعات الإسلامية.

ونحسب أن هذه المسألة من أهم القضايا المحورية التي يدور حولها النقاش حاليا لا في الجزائر أو العالم الإسلامي فحسب، وإنما في العالم الغربي أيضا، حيث اعتنق كثير من الغربيين الإسلام عن طريق التصوف الإسلامي، وأصبح المظهر الرئيس للإسلام بالنسبة لهم، كما أن أكثر الدراسات حول العالم منصبة حصرًا على التيار الصوفي دون غيره، وأغلب المفكرين والفلاسفة مقروئية لدى الغربيين هما ابن عربي وجلال الدين الرومي، وهما من أقطاب التصوف الإسلامي.

وقد ورد عن المستشرق الفرنسي المسلم إريك جيوفروي Eric Geoffroy المختص في الصوفية، أن المستقبل في العالم الإسلامي- والجزائر جزء منه- سيكون حتما للتيار الصوفي، وأن الصوفية مارسوا السياسة في أحيان كثيرة كما مارسوا أدوارا ثقافية واجتماعية بالإضافة إلى أن كثيرا من الأجيال الجديدة للصوفية يعي الأبعاد الاجتماعية للصوفية.

من خلال هذه المنطلقات وددت أن أتطرق لهذا الموضوع من خلال اعدادي لأطروحة دكتوراه علوم بعنوان " **التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م- التصوف أنموذجا** " باعتباره من الموضوعات التي تحتاج إلى من يزيل عنها الغموض ويكشف عن بعض حقائقها، وأرى ما قدمه التصوف للمجتمع الجزائري في تلك الفترة التاريخية التي تميزت بانتقال الجزائر ومعها المجتمع الجزائري من حكم تركي عثماني إسلامي إلى حكم فرنسي مسيحي استعماري استيطاني استمر إلى غاية 1962/1376م.

وحتى يتسنى لي من جانب آخر الرد على أولئك المستشرقين الأوروبيين من مؤرخين وأنثروبولوجيين وسوسيولوجيين الذين اهتموا بهذا التيار في دراساتهم الحديثة الخاصة بالجزائر، اهتماما موجها لخدمة أغراضهم الاستعمارية على اعتبار أن زعماء المقاومة الوطنية المسلحة كان أغلبهم صوفية، فكانت الرغبة جامحة لدى هؤلاء الأوروبيين لفهم هذه الظاهرة بغية تفجيرها من الداخل أو تدجينها للحد من نشاط المقاومة وإبادتها.

التعريف بالموضوع:

الموضوع هو التيارات الدينية في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م، والدور الذي لعبته في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، وأيضا في الحياة السياسية، وتأثيرها وتأثرها بالسلطة المركزية وحتى المحلية، وكذا العلاقة القائمة بينها وبين مختلف شرائح المجتمع أو علاقتها فيما بينها أو بين بعض منها.

وبما أن هذه التيارات كثيرة ومتنوعة ومتشعبة أيضا، بحيث يصعب تناولها في بحث أطروحة دكتوراه علوم مرتبطة بمدة زمنية معينة، فإني أخذت أحد هذه التيارات أنموذجا عن البقية وهو التيار الصوفي.

دواعي اختيار الموضوع:

قد نال هذا الموضوع الحظ الوافر من الاهتمام والدراسة لدى الأوروبيين، فتعمقوا في دراسته بحثا لفهم الظاهرة داخل الإطار التاريخي في الجزائر قبل 1244هـ/1830م، وفي مرحلة الاستعمار الفرنسي، غير أنهم تناولوها بصورة عامة في سياق دراسة الحياة الفكرية للجزائر خلال العصر الحديث، واختزلوها في مشاهير الصوفية وأضفوا على كراماتهم طابعا خرافيا حجبوا به المستوى الذي وصل إليه الفكر الصوفي، فشوهوا حقيقة هذا التيار الديني وتجاهلوا دوره في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك كله من أجل خدمة أغراضهم الاستعمارية.

أما من جانبي فقد اخترت الموضوع للدواعي التالية:

1- دواعي ذاتية:

- الميول الشخصي لدراسة المواضيع التاريخية ذات الطابع الديني والاجتماعي.
- الرغبة في توضيح أهمية هذا التيار على المستوى المحلي والإقليمي.
- محاولة فهم فكر وسياسة هذا التيار من خلال التطرق لماضيه باعتباره أحد التيارات الدينية الوطنية التي لها مكانتها في الماضي والحاضر والمستقبل.

2- دواعي موضوعية:

- قلة الكتابات التاريخية الجزائرية المعالجة لموضوع التيارات الدينية بمختلف أنواعها، وبكل أبعادها، خاصة خلال الفترة الزمنية التي اتخذتها إطارا زمنيا لمحور دراستي.
- المغالطات الاستعمارية العالقة بكتابات ضباط ومؤرخي الاحتلال الفرنسي التي أبرزت خصوصية السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه التيار الصوفي، على أساس كونها مشروعا حضاريا فرنسيا يسعى إلى محاربة التشدد والتطرف الديني وتحرير الجزائريين ـ حسب زعمهم ـ من بوتقة الغلو والتخلف الحضاري الذي أوقعهم فيه هذا التيار.
- تعرض التيار الصوفي إلى موجات عاتية من النقد، وهجومات حادة من قبل كثير من الجهات، التي حملته مسؤولية التخلف والانحطاط والضعف الذي عرفه العالم الإسلامي، وحذرت منه المسلمين باعتباره رمز الخمول والكسل والتواكل الذي أصاب الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة، فضلا عن ذلك فهو بالنسبة إليها من العوامل الميسرة لدخول المحتل الأجنبي أراضي المسلمين، وقد غاب في هذا النقد الالتزام بقواعد المنهج العلمي، والنقد الموضوعي.

أسباب اختيار القرن 13هـ/19م إطارا تاريخيا للبحث:

يأتي اختياري للقرن 13هـ/19م إطارا تاريخيا للبحث بناءًا على جملة من الاعتبارات هي:

- أن هذا القرن حدثت فيه تحولات سياسية كبيرة، أهمها سقوط الحكم التركي العثماني في الجزائر بعد أزيد من ثلاثة قرون عن قيامه، ليحل محله الاستعمار الفرنسي.
- بينما كان التيار الصوفي قبل 1244هـ/1830م، ثائرا وناقما على السلطة القائمة آنذاك، إذ به يجد نفسه بعد هذا التاريخ في مواجهة سلطة أخرى استعمارية دخيلة تختلف عنه اختلافا كليا من حيث الدين والثقافة واللغة، احتلت الجزائر وقضت على طموحاته.

- عرف مطلع هذا القرن انتشار نشاط التيار الصوفي على نطاق أوسع، لم يسبق أن عرفه في تاريخه بالجزائر، وقبل هذا التاريخ كان التصوف فرديا.
- التيار الصوفي خلال هذه الفترة، كان له تأثير كبير ومباشر على الحكام والمحكومين معا، فالحكام يتجنبون الاصطدام به قدر الإماكن ويقدمون له كل ما يطلبه، خشية أن يسلط عليهم طبقة العامة التي تطيعه طاعة عمياء، وتنقاد له ولا تخالف أوامره أبدًا، والرعية تكن لهذا التيار وقادته نوعا من القداسة المستمدة من الدين الذي يعتبر ممثلا له، ولا ينبغي معارضته أو مخالفته، لأن ذلك يعني معارضة الدين حسب اعتقادها طبعا.
- في هذا القرن اتخذ عداء هذا التيار للسلطة المركزية سواء كانت عثمانية، أو استعمارية شكل ثورات، وانتفاضات شعبية، اشتهرت منها ثورة درقاوة في الغرب الجزائري سنة 1217هـ/1802م، وفي الشرق الجزائري سنة 1218هـ/1827م، وكذلك ثورة التجانية في الغرب والجنوب الجزائري ابتداءً من سنة 1242هـ/1927م، أما بعد سنة 1244هـ/1830م، فإن أشهر ثورات هذا التيار هي ثورة التيار القادري بقيادة الأمير عبد القادر ضد السلطة الاستعمارية من سنة 1247هـ/1832م إلى سنة 1363هـ/1847م.
- التيار الصوفي لهذه الفترة التاريخية اتسم بالايجابية في النشاط الاجتماعي والثقافي والديني وحتى الاقتصادي، حيث لعب دورًا بارزًا في إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، وعمل على إزالة الفوارق بينها، فقرب الأغنياء والفقراء والعلماء والأميين، وشرفاء الأصل وغيرهم، وصهرهم في بوتقة واحدة، كما احتضن اللغة والثقافة العربية الإسلامية، ونشرهما بشكل واسع وكثيف، وفتح أبواب زواياه لطلاب العلم والمعرفة، وأنفق عليهم بسخاء، وكان ذلك شكل من أشكال مقاومة سياسة التجهيل التي كانت الإدارة الاستعمارية تتبعها ضد الأهالي، كما اعتنى بالفقراء وآوى المساكين وقدم لهم العون والمساعدة المجانية.
- يعتبر هذا القرن؛ الفترة التاريخية الوحيدة التي وجد فيها هذا التيار الديني نفسه وجها لوجه في مواجهة النشاط التبشيري التنصيري في الجزائر، بقيادة الكاردينال لافيجري Lavigerie غير أنه استطاع أن يصد هذا النشاط، ويقلل من خطره، وبذلك يكون قد ساهم في حماية الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية.

- شهد هذا القرن ولأول مرة في تاريخ الجزائر، تقارب وتعاون بين بعض طرق هذا التيار الديني الصوفي، وبين السلطة الاستعمارية، التي تختلف عنه في المعتقد والفكر والثقافة واللغة، وتتحين الفرصة المواتية والمناسبة لتنقض عليه نهائيا.
- تمكن هذا التيار الديني أواخر القرن 13هـ/19م من تخريج أجيال مثقفين، ارتبط بعضهم بحركة النهضة الفكرية الإصلاحية، وبالحركة الوطنية في القرن الموالي (14هـ/20م).
- عدم وجود بحوث تاريخية أكاديمية تعالج ظاهرة التيارات الدينية بصفة عامة، والتيار الصوفي بصفة خاصة في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م، بالصيغة التي أود أن أعالج بها هذا الموضوع، رغم كل الاعتبارات التي سبق وأن ذكرتها، فارتأيت الخوض في غماره.

أهداف الدراسة:

أسعى من وراء البحث في هذا الموضوع إلى تحقيق عدة أهداف وهي:

- محاولة إيجاد إجابة للإشكالية التي سيأتي طرحها فيما بعد.
- إعطاء صورة واضحة للقراء والباحثين عن هذا التيار الديني خلال القرن 13هـ/19م.
- محاولة جمع مادة علمية كبيرة متناثرة في مذكرات شخصيات جزائرية وأجنبية، وكذا في كتب المؤرخين الجزائريين والغربيين وفي مكتبات زوايا الطرق الصوفية وتقريبها للباحثين.
- المساهمة في إعادة كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بأقلام ونظرة جزائرية موضوعية غير منحازة ولا موجهة لخدمة أهداف وأغراض شخصية ذاتية أو سياسية.
- بناء معلومات دالة للاستمرار في البحث والتخصص في التاريخ الديني والاجتماعي للجزائر.

إشكالية الموضوع:

شكل القرن 13هـ/19م على المستوى السياسي الفترة الأخيرة للدولة الجزائرية الحديثة التي أسسها الأخوين بربروس، ثم كانت السيطرة الأجنبية الفرنسية سنة 1244هـ/1830م، وفي ظل فترتيّ حكم مختلفتين أشد الاختلاف، فإن موضوع التيار الديني الصوفي بقي نفسه ولكنه تأثر بهذه التطورات، وعليه يمكن طرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى تفاعل التيار الصوفي مع قضايا عصره في ظل التحولات التي عرفتها الجزائر خلال القرن 13هـ/19م ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، وجب علينا طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية لمعرفة ملامح الموضوع والمتمثلة في:

- لماذا عرف التيار الصوفي انتشارا واسعًا في الجزائر خلال الربع الأول من القرن 13هـ/19م ؟
- كيف عبر هذا التيار عن موقفه من السلطة ؟ وهل كان في خدمتها أم متمردا عليها ؟
- ما مدى تأثيره في الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ؟
- ما مدى مساهمته في مواجهة التبشير التنصيري الذي قاده الكاردينال لافيجري Lavigerie ؟
- هل اقترن هذا التيار بالمبادئ الدينية السمحاء أم كان مقرونا بالدروشة والإيمان بالقوى الخارقة ؟
- هل كان للتصوف خلال هذا القرن فترة انتعاش وفترة اضمحلال ؟ ولماذا ؟

عرض الموضوع:

للإجابة على التساؤلات المطروحة، استهللت البحث بمقدمة استعرضت فيها التعريف بالموضوع ودواعي اختياري له، والأهداف المتوخاة منه وإشكاليته والمنهج الذي اتبعته، واتبعت ذلك بعرض لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها، ثم قسمت البحث إلى أربعة فصول متبوعة بخاتمة وملاحق توظيفية.

- **الفصل الأول:** وهو بمثابة مدخل للدراسة لذا جاء موجزا بالمقارنة مع الفصول الثلاثة الموالية، وقد عنونته بـ: " **التصوف في الجزائر تاريخ الظهور وعوامل الانتشار**"؛ وخصصته لتحديد مفهوم التصوف من حيث أصل الكلمة واشتقاقها اللغوي، والمرادفات الدالة على معناها، ثم نشأته وتطوره ومميزاته، كما أبرزت بداية ظهوره في الجزائر واهم العوامل التي ساعدت على انتشاره قبل 1244هـ/1830م، والمتمثلة بالدرجة الأولى في العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية.
- **الفصل الثاني:** وهو بعنوان "**الطرق الصوفية والزوايا والأضرحة في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م**"؛ وخصصته للحديث عن الطرق الصوفية وعن أنواعها وأقسامها حيث قسمتها إلى قسمين طرق رئيسة، وطرق غير رئيسة أو ثانوية وذلك حسب أهميتها ودورها في الحياة العامة في تلك الفترة وبعدها انتقلت إلى الحديث عن الزوايا والأضرحة وذلك لارتباتهما ارتباطا وثيقا بالتصوف وبالطرق الصوفية، ولكونهما أبرز المؤسسات الصوفية، وقد تحدثت عن أنواع وأقسام هذه الزوايا وحاولت أن أستعرض أهمها وأشهرها وكذا أهم وأشهر الأضرحة في ذلك القرن، ثم انتقلت للحديث عن مصادر تمويلهما وأسباب انتشارهما في الجزائر قبل 1244هـ/1830م.
- **الفصل الثالث:** وهو بعنوان " **علاقة التيار الصوفي بالسلطة الحاكمة في الجزائر**"؛ وقد ركزت الاهتمام فيه على علاقة هذا التيار بالسلطة التركية العثمانية الحاكمة قبل 1244هـ/1830م،

وبالسلطة الاستعمارية الفرنسية بعد هذا التاريخ، فبينت مواقفه من السلطتين ومن سياستهما اتجاهه واتجاه الأهالي، والأسباب التي أدت به إلى اتخاذ تلك المواقف.

- **الفصل الرابع:** وهو بعنوان " **التيار الصوفي بين الفاعلية والمفعولية** "؛ وقد خصصته للحديث عن مواقفه من بعض قضايا عصره كموقفه من السانسيمونية والماسونية ومشروع الجامعة الإسلامية، وكذا موقفه من التيار السلفي الوهابي، ثم تطرقت إلى دوره في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية، وإلى أهم المظاهر والعلامات الدالة على بوادر ضعفه وترجعه أواخر القرن 13هـ/19م، محاولا في الوقت ذاته تحددي الأسباب المفسرة لذلك سواء تلك التي تعلقت بالتيار الصوفي ذاته أو تلك التي خرجت عن نطاقه.
- **الخاتمة:** وقد استجليت فيها أهم الاستنتاجات التي أمكنني الخروج بها من هذا البحث.
- **الملاحق التوظيفية:** والغرض منها توضيح بعض الأفكار وتعزيز الطروحات التي جاء بها البحث.

منهج الدراسة:

إن البحث في هذا الموضوع يستوجب على الباحث اعتماد أكثر من منهج واحد نظرًا لخصوصيته، وهذا ما جعلني اعتمد المناهج التالية:

- **المنهج التاريخي:** بما أنني أُأرخ لأحد التيارات الدينية الجزائرية الذي عايش القرن 13هـ/19م، وشهد أحداثه وتفاعل معها من خلال التأثير فيها والتأثر بها، فقد اعتمدت هذا المنهج لوصف هذه الأحداث وسردها وفق ما استجليناه من مختلف المصادر والمراجع التاريخية التي أمكننا الاطلاع عليها ودراستها برؤية علمية بعيدة عن التأويل غير المبرر والسرد المخل بطبيعة الواقعة التاريخية.
- **المنهج التحليلي:** بما أن هذا البحث لا يكتمل بسرد الأحداث ووصفها بل يتطلب أيضا تحليلها وتفسيرها، فقد وظفت المنهج التحليلي الذي ساعدني على تحليل هذه الأحداث واستجلاء أبعادها وفهم أسرارها وتفكيك خباياها، لاسيما وأن الأمر يتعلق بالتيار الصوفي الذي هو أبرز تيار ديني في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م، نظرًا لمكانته في قلوب ونفوس أغلب الجزائريين، ونظرًا لدوره البارز في مختلف نواحي الحياة.
- **المنهج المقارن:** وحاولت من خلاله أن أقارن بين مواقف التيار الصوفي من السلطة التركية العثمانية الحاكمة قبل 1244هـ/1830م، ومواقفه من السلطة الاستعمارية الفرنسية الحاكمة بعد هذا التاريخ، كما حاولت أن أقارن بين حالته وأوضاعه في هاتين الفترتين.

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث:

1- الوثائق الأرشيفية:

إن المادة الأرشيفية المعتمدة في البحث مستخلصة من مركز أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس (مارسيليا) Archives D'outre Mer, Aix En Provence.

وتعد هذه المادة التي هي عبارة عن وثائق من المصادر الأساسية في بحثي هذا، حيث قدمت لي المعلومات اللازمة والمساعدة للوصول إلى الحقائق التاريخية، حسب ما تقتضيه النظرة الموضوعية للتاريخ، وتوجد جل المعلومات التي تتعلق بموضوعنا في السلسلة (H) التي تشمل كل الطرق الصوفية بالجزائر من حيث تنظيمها ومواردها وعلاقتها بالسلطة الفرنسية وكذا مواقفها من بعض القضايا التي يدور حولها موضوع البحث.

هذا بالإضافة إلى بعض المعلومات والمعطيات التي استقيتها من السلسلة (F) والسلسلة (KK)، والتي بالرغم من قلتها إلا أنها أثرت البحث ووضحت بعض المسائل الغامضة والشائكة.

2- الكتب والدراسات المطبوعة:

2-1- الكتب:

توجد عدة مؤلفات تتعلق بجل الطرق الصوفية من حيث تاريخها واهم مراحل تطورها ومختلف مواقف بعضها من الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ومن هذه المؤلفات نذكر:

- إدوارد دونوفو Edward Deneuve، **الإخوان (دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر).**

Les Khouan, Ordres religieux chez les musulmans de l'Algérie.

وقد صدر هذا الكتاب لأول مرة عام 1262هـ/1845م باللغة الفرنسية، مؤلفه هو أحد أعضاء اللجنة الاستكشافية العسكرية، وضابط فعال في صفوف الجيش الاستعماري، حمل رتبة لواء في نهاية دربه العسكري، لذلك نلاحظ عليه عند قراءتنا لكتابه ميوله الاستعماري، والطرق الميكافيليه التي كان يطرحها في معالجة هذه القضايا الاجتماعية، علاوة على نظرته العنصرية إزاء السكان المحليين وشوفينيته لأبناء جلدته، كما أنه قام بتفسير الظواهر حسب المتطلبات والظروف السياسية الراهنة ومثلما تقتضيه المصلحة الاستعمارية.

- لويس رين Louis Rinn، **المرابطون والإخوان Marabouts et khouan**.

أخرجه سنة 1298هـ/1884م، ورين من الخبراء البارزين في الإدارة الأهلية الفرنسية، فهو ضابط تقلب في مختلف الوظائف في الجزائر فعرف القبيلة والمسجد والزاوية وسكان المدن وسكان الأرياف، وعرف نبلاء السيف ونبلاء السبحة والعلم، وقد ألف في مختلف الموضوعات التي تهم الحياة الجزائرية القبلية والدينية والاجتماعية والثورات، ولكي يؤلف كتابه عن المرابطين والإخوان لجأ إلى التقارير الرسمية التي تصل إلى الإدارة المركزية تبعا من المكاتب العربية والولايات، سواء منها التقارير السرية أو العادية، ثم استعمل نفوذه كضابط مسؤول في الإدارة العامة فطلب تقارير من مختلف الشيوخ والمقدمين عن حالتهم وإحصاء أتباعهم وأصولهم النسبية والدينية وعلاقاتهم، وأضاف إلى ذلك مراسلاتهم مع شيوخ المغرب وتونس وتقارير القناصل الفرنسيين في مختلف البلاد الإسلامية وقد خرج من ذلك بآراء.

- ديبون وكبولاني Depont et Coppolani، **الطرق الدينية الإسلامية بالجزائر Les Confréries religieuses musulmanes en Algérie.**

صدر هذا الكتاب سنة 1311هـ/1897م، وتضمن 567 صفحة بالإضافة إلى العديد من الخرائط والصور التوضيحية، وقد عالج في بعض فصوله مختلف التشكيلات الطرقية المنتشرة في الجزائر وتصنيفها، وكيفية تمويلها بالاضافة إلى تأثيرها السياسي وعلاقتها بالإدارة الاستعمارية.

غير أن هذا الكتاب أهمل جوانب كثيرة من هذا الموضوع رغم أهميته العلمية وقيمته التاريخية ، كما أنه أضفى على التيار الصوفي طابعا خرافيا، حجب به المستوى الذي وصل إليه الفكر الصوفي، فشوه بذلك حقيقته وتجاهل دوره في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

- أحمد الشريف الزهار، **مذكرات**، حققه أحمد توفيق المدني ونشره سنة (1394هـ/1980م)، ويعد أهم مصدر للفترة المتأخرة للعهد العثماني في الجزائر، غير أن ما وصلنا من هذا الكتاب هو قسمه الأول فقط، الذي هو مقسم إلى أحد عشر فصلا تُعادل عدد الولاة الذين أرخ لهم ابتداءً من علي بوصبع (1168هـ/1754م-1171هـ/1766م) إلى آخر الولاة العثمانيين حسين باشا (1233هـ/1818م-1244هـ/1830م)، وقد اتبع المؤلف في كتابه منهجا موحدا في جميع الفصول فيبدأ باسم الوالي الذي يؤرخ له ثم تاريخ توليه الحكم وبعد ذلك الأحداث التي وقعت في عهده بالتسلسل واضعا كل حدث هام أو مجموعة من الأحداث المتشابهة تحت عنوان بارز خاص بها مما جعل الكتاب أكثر سهولة.

وقد أفادني هذا المصدر كثيرا فيما يتعلق بعلاقة الدرقاويين بالسلطة التركية العثمانية الحاكمة في الجزائر قبل 1244هـ/1830م لاسيما وأنه كان قريبا من الأحداث التي كنت في أمس الحاجة إلى وقائعها.

– الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م**، وقد حققه يحي بوعزيز ونشره سنة 1404هـ/1990م، ويعد مصدرا مهما في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وقد أفادني كثيرا لاسيما فيما يتعلق بموقف التجانيين والدرقاويين من السلطة التركية العثمانية الحاكمة في الجزائر قبل 1244هـ/1830م، كما أفادني أيضا في إبراز موقف شيوخ الطريقة التجانية بعين ماضي من مقاومة الأمير عبد القادر وكذا موقف هذا الأخير من السلطة الفرنسية رغم بعض التحفظات التي سجلتها على هذا المصدر لكونه يحتوي أخطاء لغوية كثيرة، كما أنه يفتقد إلى الموضوعية حينما يتعلق الأمر بمقاومة الأمير عبد القادر والسبب في ذلك يعود حسب اعتقادي إلى العلاقة المتوترة بين عائلة المؤلف والأمير عبد القادر، رغم أن والد المؤلف وعمه تولى كل منهما في وقت من الأوقات وظيفة للأمير عبد القادر قبل أن ينضما إلى الفرنسيين في حدود عام 1249هـ/1835م.

– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ويعد موسوعة في تاريخ الجزائر الثقافي حيث لا يمكن لأي باحث في هذا المجال أن يستغني عنه، وقد طبع عام 1419هـ/1998م في عشرة أجزاء كبيرة عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، بعد أن استغرق تأليفه حوالي ربع قرن من الزمن، وقد قسمه أبو القاسم سعد الله إلى مراحل تاريخية بدءًا من 906هـ/1500م إلى 1376هـ/1962م، وغطى هذا الكتاب مختلف المعارف والعلوم كالأدب والفنون والتعليم والدين والتصوف والمؤسسات الثقافية.

أما عن الأجزاء التي اعتمدت عليها بدرجة كبيرة في بحثي هذا فهي الجزء الأول والجزء الرابع، وقد أفاداني كثيرًا لدرجة يمكن القول أنهما كانا بمثابة المرجع الأساسي في البحث برمته نظرا لما وفراه لي من معلومات قيمة عن التصوف، لاسيما فيما يتعلق بأصل وأنواع الطرق المنتشرة في الجزائر وعددها وفروعها وكذا أماكن انتشارها، وأهم مؤسساتها وعلاقتها ببعضها البعض وبالسلطة الحاكمة في الجزائر قبل سنة 1244هـ/1830م وبعدها، بالإضافة إلى دورها الاجتماعي والثقافي والديني، وكذا موقفها من بعض القضايا كموقفها من مشروع الجامعة الإسلامية.

– عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، رغم أن كل ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب من معلومات ومعطيات عن الزوايا والصوفية وموقفها من الاحتلال الفرنسي، وموقف هذا الأخير منها، قد سبقه إليها أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، وكذلك في كتابه الحركة الوطنية، إلا أن أهمية هذا المرجع تكمن في كون المعلومات الواردة فيه كانت ملخصة

ومرتبة، ومقدمة بصورة مختصرة تسهل على الباحث الاستفادة منها دون الوقوع في فخ إهمال بعضها نتيجة الإسهاب في الحديث عنها ونتيجة تشتتها عبر مختلف الأجزاء أو الصفحات.

2-2- الدوريات:

وأهم هذه الدوريات على الإطلاق المجلة الإفريقية التي تعتبر من أهم المجلات الأكاديمية الناطقة باللغة الفرنسية التي أصدرتها السلطات الفرنسية في الجزائر من خلال " الجمعية التاريخية الجزائرية "، صدر العدد الأول منها سنة 1270هـ/1856م، واستمرت في الصدور إلى غاية 1376هـ/1962م. ولم تتوقف عن الصدور إلا في أثناء الحرب العالمية الأولى، أما موضوعاتها لم تخص الجزائر فقط بل شملت كل الدول الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي، وقد شملت مجالات البحث فيها أكثر من عشرين مجال ويعتبر مجال التاريخ أبرز جوانبها المختلفة وفيه نجد معلومات عديدة ومتنوعة وذات قيمة كبيرة عن الطرق الصوفية وعن مشائخها وعن زعمائها وموقفهم من السلطة الحاكمة في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م، لاسيما سلطة الاحتلال الفرنسي.

<u>الصعوبات:</u>

لا أريد الخوض في الصعوبات والمشاق التي واجهتني طيلة فترة جمع المادة العلمية من دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة داخل الوطن وخارجه، لأن ذلك من مقتضيات البحث العلمي ومن عزم الأمور، إنما أردت لفت الانتباه إلى الصعوبات التي واجهتني أثناء عملية التحرير والمتمثلة في ندرة المادة العلمية المتعلقة بموقف التيار الصوفي من مختلف قضايا عصره، فكل ما عثرت عليه عبارة عن شُذُورات من المعلومات استقيتها من بعض المراجع التي لم تفصل فيها تفصيلا كافيًا، وافيًا، شافيًا، وتتفاقم الصعوبات عندما يتعلق الأمر بإبراز موقف مختلف مكونات هذا التيار من السلطة الاستعمارية الفرنسية، نظرًا للصبغة الدينية الحساسة لهذا الموضوع، لكون الأمر يتعلق بسير وممارسات ومواقف أشخاص نافذين لما يتمتعون به من صبغة دينية، وما يحضون به من تقدير واحترام في الذاكرة الجماعية للجزائريين، ولم ينقذني من هذا المأزق سوى نتف المعلومات التي جادت بها بعض الوثائق الأرشيفية وبعض الكتب التاريخية التي تعد على الأصابع، وهذا ما تطلب مني جهدا كبيرًا وأخذ مني وقتا طويلاً زاد من عمر انجاز هذا البحث العلمي.

لا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بالشكر الخالص والجزيل لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه وذلك لقبولهم مناقشة هذا البحث العلمي، وتكبدهم عناء قراءته من أجل تصويب ما قد يكون ورد فيه من أخطاء وقعت فيها سهوا دون قصد أو نتيجة جهلي بها.

كما أتوجه بجزيل الشكر لكل من قدم لي يد المساعدة سواء من قريب أو بعيد وأخص بالذكر الدكتور لخميسي فريح لما أسداه لي من جليل خدمات وعظيم مساعدات، وكذلك الدكتور ميسوم بلقاسم والمرحوم الدكتور نصر الدين مصمودي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه، كما أشكر أيضا رئيس الجمعية الخلدونية في بسكرة الأستاذ حمود عبد الملك عتيق، وأستاذ التعليم المتوسط بمدينة سيدي عقبة أنس مهدي.

الفصل الأول:

التصوف في الجزائر

(تاريخ الظهور وعوامل الانتشار)

أولا- لمحة عن التصوف في الإسلام

1- مفهوم التصوف ونشأته

2- مصادره ومنابعه وتطوره

ثانيا- تاريخ ظهوره وعوامل انتشاره في الجزائر قبل 1244هـ/1830م

1- تاريخ ظهوره

2- عوامل انتشاره

أولا- لمحة عن التصوف في الإسلام:

1- مفهوم التصوف ونشأته:

1-1- مفهوم التصوف:

ينقسم علم الشريعة عند المسلمين إلى قسمين:

القسم الأول يختص بأعمال الجوارح الظاهرة من عبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج، ومن معاملات كالبيوع والنكاح وغيرها، ويعرف هذا القسم بعلم الظاهر أو الفقه[1]، والمختص فيه يعرف بالفقيه[2].

أما القسم الثاني يهتم بعلم الباطن الذي يبحث في معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال القلوب، مثل التصديق واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والرضا والشكر والإنابة والخشية والتقوى والمراقبة والتفكير والاعتبار والخوف والصبر والرجاء والقناعة والتسليم والتفويض والشوق والوجد والإحلال[3]، ويعرف هذا القسم بفقه القلوب، أو علم الآخرة، أو التصوف، والمهتم به وبممارسته يعرف بالصوفي[4]. فما هو التصوف ؟

للتصوف مدلول لغوي واصطلاحي:

1-1-1- المدلول اللغوي:

فإن كان الهجويري قد سلك مسلك القشيري في اعتبار المصطلح الصوفي، كمصطلح القلب الذي لا اشتقاق لغوي له[5]، إذ يقول: (واشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه)[6]، إلا أن هناك من رأى غير ذلك وأعطى لكلمة التصوف

---

(1) أبو النصر السّراج الطوسي، **اللمع**، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتاب الحديثة، القاهرة- مصر، 1380هـ/1960م، ص.43.

(2) عبد الرحمان بن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، نشره الأب غناطيوس عبده، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، د.ت، ص.27.

(3) أبو النصر السّراج الطوسي، **المصدر السابق**، ص.43.

(4) عبد الرحمان بن خلدون، **المصدر السابق**، ص.27.

(5) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، شرح هوامشها زكريا الأنصاري، مطبعة محمد علي صبحي وأولاده، القاهرة- مصر، 1367هـ/1957م، ص.126.

(6) أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، **كشف المحجوب**، دراسة وتحقيق وترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1980، ص.230.

اشتقاقات لغوية عديدة وكثيرة، فقيل أن أصل المصطلح يعود إلى لباس الصوف[1]، وقيل أنه مشتق من الصفة أو صفة المسجد، وهو مكان في مؤخرة مسجد المدينة المنورة كان يجلس فيه المتعبدون الزهاد من فقراء المسلمين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، وهناك من أرجع اشتقاقه إلى الصف الأول، لكون هؤلاء المتصوفة يقفون في هذا الصف بين يدي الله ويقبلون عليه، وهممهم مرتفعة إليه[3]، وقيل مشتق من صفاء القلوب[4].

وذهب بعضهم إلى القول أن أصل المصطلح يوناني، وهو مشتق من الكلمة اليونانية (Theosophy) التي تعني إله الحكمة، واستعملها العرب في لغتهم خلال العصر العباسي أين ترجمت الكتب اليونانية إلى اللغة العربية[5].

وهناك من يرى أن اللفظ دخيل على اللغة العربية، وقد يكون عرض له شيء من التصرّفِ اللساني لصقله تخفيفا، كما عرض لكثير من الألفاظ العجمية الوافدة على العربية مع المعاني والآراء والمذهب والأفكار خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ولم يعرف أن أطلق هذا اللفظ على طائفة من الناس بعينها في الإسلام قبل هذا القرن[6].

وقد فند ابن تيمية معظم الاشتقاقات اللغوية التي أوردناها هنا مبينا عدم صحتها، فهو يرى أن التصوف لو كان مشتقا من الصفة لقيل صُفِّي، ولو كان مشتقا من الصف الأول لقيل صَفِّي، أما لو كان مشتقا من الصفاء لقيل صفاني[7].

---

(1) عبد القاهر بن عبد الله السهرودي، **عوارف المعارف**، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط.1، 1966، ص.60 ؛ أبو العباس أحمد بن أحمد بن زروق، **قواعد التصوف**، تحقيق محمد زهري البحار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة- مصر، ط.3، 1396هـ/1976، ص.6.

(2) أبو فرج عبد الرحمان بن الجوزي، **تلبيس إبليس**، تحقيق الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط.3، 1409هـ/1989م، ص.201.

(3) أبو بكر محمد الكلاباذي، **التعريف لمذهب أهل التصوف**، تحقيق محمود أمين النواري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة- مصر، ط.2، 1980، ص.28 ؛ السهرودي، **المصدر السابق**، ص.61.

(4) إبراهيم بسيوني، **نشأة التصوف الإسلامي**، دار المعارف، مصر، 1969، ص.09.

(5) أحميده عميراوي، **فواصل من الفكر والتاريخ**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 2002، ص.109.

(6) محمد الصادق إبراهيم عرجون، **التصوف في الإسلام منابعه وأطواره**، عني به حسن السماحي سويدان، دار وحي القلم، بيروت- لبنان، ط.1، 142هـ/2004م، ص.76.

(7) ابن تيمية، الفتاوى، في: ساعد خميسي، **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2002، ص.23.

كما فندها أيضا القشيري، حيث قال في رسالته: (فأما قول من قال: إنه من الصوف، ولهذا يقال تصوف إذا لبس الصوف.

كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف.

ومن قال: أنهم منسبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي.

ومن قال: أنه مشتق من الصفا، فاشتقاق الصوفي من الصفا بعيد في مقتضى اللغة.

ومن قال: أنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف)[1].

أما نحن فنرجح أن يكون قول القائلين بأن الصوفي نسبة إلى الصوف، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضا، هو الأصح والأقرب إلى حقيقة التصوف بالمقارنة مع غيره من الأقوال الأخرى، لكون مصطلح التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوف، ومن ثم أطلق لقب الصوفي في الإسلام على المتفرغ لحياة الصوفية وأصبح يسمى عند عامة الناس صوفيا. وما أوردناه هنا هو الأقرب إلى التحليل العلمي والعقلي.

1-1-2 - المدلول الاصطلاحي:

فكما اختلف في المدلول اللغوي لمصطلح التصوف، فقد اختلف أيضا في مدلوله الاصطلاحي اختلافا بعيد المدى، واسع الصدى إلى درجة أن أحصى بعض الباحثين المحدثين أنه درس خمسة وستين تعريفا للتصوف، فلم يجد معنى عامًا مشتركًا بينها اشتراكًا يجمع خصائصها ويوحد حقيقتها، لأن كل تعريف مستقل عن التعريف الآخر، وحتى التعريفات العديدة التي صدرت عن شخص واحد تباعد بعضها عن بعض كل البعد، وهذا التباعد ظاهر جلي لكل من نظر فيها وقرأها وتأملها وتدبرها.

غير أن الشيء الذي يلاحظ على هذه التعريفات، أنها تتمحور حول تحديد جملة من السلوكات ومن العلاقات بين الصوفي وذاته وبينه وبين خالقه ومع كل هذا بينه وبين بقية الخلق، كما تتحدث عن السعادة القصوى والوسائل المعرفية الكفيلة بتحقيقها لذلك الصوفي الذي يصل إليها عن طريق المعرفة اليقينية.

---

(1) القشيري، <u>المصدر السابق</u>، ص.126.

يقول الجرجاني: (التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال)[1].

أما أبو بكر محمد الكلاباذي فيعرف التصوف على أنه عزوف النفس عن الدنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل الناس من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[2].

بينما يرى الحارث بن أسد المحاسبي في التصوف محاسبة النفس واحتقار الدنيا ومقاومة الشيطان، والتعلق بالله ليلاً ونهارًا والحرص على عدم الإعجاب بالنفس والكبر[3].

ويعرفه عبد الهادي ابن رضوان نجا الأبياري قائلا: (التصوف في اصطلاح أهل الحقيقة كما في " الحدائق " التخلق بأخلاق الصوفية والتوسل بأوصافهم إلى الانتظام في سلوكهم)[4].

وهناك من يرى في معنى التصوف الحضور المستمر للحب واستحضار معية الربّ، وذلك حسب تعريف نبيل طعمه الذي يقول عنه: (الحب الذي يبدأ من الأعلى ويهوي إلى القلب كالنجم إذا هوى لا من الأسفل الذي ينظر إلى عالم الشهوة والانغماس حيث عالم الخفاء والجفاء والعجلة)[5].

---

(1) الشريف علي بن محمد الجرجاني، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1983، ص.59

(2) أبو بكر محمد الكلاباذي، **المصدر السابق**، ص–ص.24–25

ونشير هنا إلى أن التعريف الذي أورده أبو بكر محمد الكلاباذي للتصوف يتطابق مع التعريف الذي جاء به ابن خلدون في كتابه المقدمة. للمزيد من المعلومات يراجع: عبد الرحمان بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة– مصر، ط.1، 1425هـ/2004م، ص.577

(3) الحارث بن أسد المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، القاهرة– مصر، ط.2، 1970، ص–ص.52–105

(4) عبد الهادي ابن رضوان نجا الأبياري، **فن التصوف**، عربي– فرنسي، الترجمة الفرنسية للسيد أرنو، منشورات الجزائر للكتاب، الجزائر، 2012، ص.03

(5) يورد نبيل طعمه تعاريفًا عديدة للتصوف منها قوله: « معنى التصوف الدقيق (الخشية) وجوهرها أعلى درجات الحبّ، فحينما ينظر المحب إلى المحبوب في داخله يراه جوهره، فيحبه ويتعلق به ويخشى عليه ليعود فيض جوهره على مظهره، فنرى به وحدة الوجود، يعمل ويبني لا غاية له إلا العلم القادم من التأمل بما يريد أن يصل إليه كي يفيد، فلا حياة للمتصوف الحقيقي إلا بالعمل من أجل نصرة المخلوق الذي يسكنه الخالق...».

وفي موضع آخر يقول: « التصوف يعني الوسط أو الوسطية أو المتوسط بين الجمع، يؤمن بعلم العلم وتعلّم العلم كي يصل به إلى الخشية، يرفض الخوف إلا من القوة البشرية، شعاره الهيبة والتهيّب والمهابة مثلثه التعلق بالآخر والتداخل معه من أجل حدوث الإبداع، يعترف بالكل لا يستثني أحدًا، بكون الكلّ دون الأحد غير القابل للتثنية، ويعتبر أن التسلسل امتداد ومد، يحتاج المداد من المظلة التي يحمل عمودها بعموديته التي تظلّه يؤمن بها، وبالوصول إليها كي يحدث المسير». يراجع: نبيل طعمه، **جدلية التصوف مع هو**، مركز الناقد الثقافي، دمشق– الجمهورية العربية السورية، د.ت، ص–ص.11–18

أما ساعد خميسي فيعرف التصوف على أنه: (أخلاق مقتدية بالشرع في ظاهرها، هدفها صفاء باطن المتصف بها ليدرك الحقائق، لهذا سمي المتصوفة بأهل الباطن، وأرباب الحق)[1].

و بدورنا إذا أردنا أن نعرفه، فإننا سنختصر كل التعريفات ونقول ما قاله أغلب المتصوفة وأجمعوا عليه من أن التصوف هو إعراض العبد المخلوق عن الخلق، والانقطاع لعبادة خالق الخلق دون المساس بحقوق المخلوقات.

1-2- نشأته:

لقد حاول كبار المتصوفة أن يرجعوا التصوف إلى ما قبل الإسلام أين كان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح[2]، كما حاول بعضهم أن يربط نشأته ببدء اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل بعثته، فخلال خمسة عشرة سنة الموالية لزواجه من خديجة رضي الله عنها، أي من سن الخامسة والعشرون حتى سن الأربعين كان صلى الله عليه وسلم يختلي في غار حراء من فترة لأخرى ليتعبد ويفكر في الدين المقبل، ويتأمل في الكون وفي ملكوت الله عز وجل محاولا إصلاح الدين والأخلاق بين قومه وأهل زمانه، وكان لا يهتم بطعامه ولا يأكل إلا قليلا، وهذا هو عين التصوف حسب اعتقاد هؤلاء المتصوفة[3].

وبعد بعثته أخذ عنه أصحابه هذا السلوك الصوفي كما ورثوه عنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فقد أوردوا في أفعالهم وأقوالهم ملامح السلوك الصوفي بما لا يدع مجالا للشك من أن القوم قد اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتقدمهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يربط كل خلق من أخلاقه وكل سلوك من سلوكاته بأحد تعريفات التصوف، وينتقل من خلق إلى خلق حتى يتيقن أهل العلم والمعرفة من أن التصوف ليس بالأمر المستحدث أو المبتدع في الشريعة الإسلامية[4].

فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتواصل بعز الوفاء إلى أسمى مواقف الصفا وكان من أحواله العزوف عن العاجلة والأزوف من الآجلة، وكان رضي الله عنه لا يفارق الجد ولا يجاوز الحد ويقدم على المضار لما يؤمل فيه من المسار، ويقدم على الحقير مفتادا للخطير، كما كان في المصافاة

---

[1] ساعد خميسي، **المرجع السابق**، ص.25.

[2] أبو النصر السراج الطوسي، **المصدر السابق**، ص.43.

[3] ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.3، 1987، ص–ص.367-368

[4] سعيد مراد، **التصوف الإسلامي رياضة روحية خالصة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط.1 2007، ص–ص.22-27

صافيا وفي المؤاخاة وافيا، وقيد قيل أن التصوف كل هذا، فالتصوف تفرد العبد بالصمد ألفرد وتطليق الدنيا بتاتا والإعراض عن منالها ثباتا، وأن التصوف الجد في السلوك إلى ملك الملوك والسكون إلى اللهيب في الحنين إلى الحبيب، كما هو وقف الهمم على مولى النعم واستنفاذ الطوق في معاناة الشوق وتزجية الأمور على تصفية الصدور[1].

فمقام أبو بكر رضي الله عنه من أشرف المقامات بين مقامات الصوفية، وحاله من أصدق الأحوال بين أحوال الصوفية، فلم يترك خلقا من خلقهم ولا سلوكا أو وصفا من سلوكاتهم وأوصافهم إلا كان سبّاقا إليه وينطبق عليه[2].

والحال نفسها مع أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف عنه معارضته للمبطلين وموافقة أحكام قضائه لأحكام رب العالمين، وللدين معلنا ولأعمال البر مبطنا وللمشقات ملازمًا، وللشهوات مفارقا، كما كان رضي الله عنه مخصصا بالسكينة في الإنطاق، ومحرزًا من القطيعة والفراق، ولفناء الملاذ منتهيا ولباقي المعاد مبتغيا، وقد قيل عن التصوف ركوب الصعب في جلال الكرب، والوصول بما علن إلى ظهور ما بطن، وهو موافقة الحق ومفارقة الخلق وحمل النفس على الشدائد الذي هو من أشرف الموارد، وبذلك يكون سلوك وفعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه موافقا ومطابقا لسلوكات وأفعال الصوفية[3].

أما ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه فكان ممن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه، غالب أحواله الكرم والحياء والحذر والرجاء، حظه من النهار الجود والصيام ومن الليل السجود والقيام، وكان بالمال إلى رضا الله متوصلا ويبذله لعباد الله متنقلا، ولحظ نفسه منه متقلّلا وفي لباسه وطعامه متعللا، وقد قيل في التصوف أنه الإنكباب على العمل تطلعا إلى بلوغ الأمل وابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة[4].

وبالنسبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فيرى هؤلاء المتصوفة أنه جسد التصوف خلقا وقولاً، فبالنسبة للخلق فمعروف عنه أنه للأوراد مواظبا وللأزواد مناحبا، وإذا لزمه في العيش الضيق والجهد

---

(1) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مطبعة السعادة، القاهرة– مصر، 1971، مجـ.1، جـ.1، ص–ص.25-30

(2) سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص.28

(3) أبو نعيم الأصبهاني، **المصدر السابق**، مجـ.1، جـ.1، ص–ص.31-35

(4) أبو نعيم الأصبهاني، **المصدر نفسه**، مجـ.1، جـ.1، ص–ص.36-38

أعرض عن الخلق فأقبل على الكسب والكد، والتصوف هو الرغبة إلى المحبوب في درك المطلوب، والارتقاء في الأساليب إلى المقدرات من الأبواب[1].

أما بالنسبة للقول فقد ورد عنه أنه قال في إحدى خطبه: (أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق غنيا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء، كالذي نزلت في الرخاء... فحلماء علماء أبرار أتقياء...)[2].

إذن فأمر التصوف وأحوال الصوفية ـ حسب رأي كبار المتصوفة ـ ليس أمرًا مبتدعًا، وإنما هو إتباع للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الأعلام الكرام أدبًا وسلوكًا[3]، فأقوال أهل الطريقة وأخلاقهم ومراتبهم وآدابهم مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذها عنه أصحابه ثم من أصحابه التابعين وتابعي التابعين والزهاد والعباد، كل هؤلاء عرفوا التصرف سلوكًا وإن لم يتسموا بهذا الاسم[4].

إلا أن الحقيقة غير ذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلم وخلال الفترة التي كان يختلي فيها بغار حراء لم يكن يقطع صلته بالعالم المحيط به لاسيما زوجته وأقاربه، حيث كان يعود إليهم كثيرًا ليتفقدهم ويتفقد أحوالهم، ولم يقسو على نفسه ولا على أهله حتى بعد بعثته صلى الله عليه وسلم، وكان المثل الأعلى للصحابة وللمؤمنين جميعًا في الأخلاق وفي القوة على الحياة، فكان يحيا حياة الزهد والورع، غير أن زهده في الدنيا وفي متاعها لا يعني أنه كان منعزلا عن العالم المحيط به، أو عن ما يدور حوله[5].

---

(1) أبو نعيم الأصبهاني، **المصدر السابق**، مج.1، جـ.1، ص–ص.39–41

(2) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، 1965، جـ.1، ص–ص.132–133.

(3) أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الثقافة، القاهرة– مصر، 1979، ص–ص.20–21 ؛ محمد مصطفى حلمي، **الحياة الروحية في الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة– مصر، ط.2، 1945، ص–ص.83–89

(4) سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص.30

(5) وفي هذا الشأن يقول المستشرق لويس ماسينيون عن الرسول صلى الله عليه وسلم: « هذا الرجل، شأنه شأن الزعماء الصادقين، كان قاسيا على نفسه وأحيانا على أزواجه... ولنبرز ما تشهد عليه حياته العامة: إرادة صلبة، ضبط للنفس، اعتدال وفطنة، رحمة ولطف، صبر وتدبر، وكلها صفات مفيدة لقائد الحرب ورئيس الدولة يسيطر عليها إيمان عميق، ولا يخلطن بها دون دليل، كما يفعل بعض المسلمين المجددين في الهند، ممارسة عملية لدرجة بطولية– لما ورد في موعظة الجبل، وللرحمة المقدسة المسيحية ». لويس ماسينيون نقلا عن: ألفرد بل، **المرجع السابق**، ص.368

فقد كان صلى الله عليه وسلم يحيا حياة البسطاء يأكل الطعام ويشرب الماء، ويتزوج النساء، ويمشي في الأسواق، ويلهو مع الأطفال، ويرقع الثياب ويعقل البعير، كما كان يتطيّب ويتجمل ويلبس أحسن ما عنده من الثياب لاسيما في الأعياد، وكان يجلس مع الصحابة في مجالس الذكر ويناقش معهم أمور دينهم ودنيّاهم ويستشيرهم في الحرب وفي السلم، وكان يَعِيد المريض ويعين الفقير والمحتاج، ويساعد زوجاته في أعمالهن المنزلية، كما كان يكثر من الصلاة ومن الصيام، ويداوم على ذكر الله عز وجل ويزهد فيما يملك ويأخذ نفسه بالعزلة، وكان يقول لأصحابه:(الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[1].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بكل ما يقوم به من أعمال دينية ودنيوية لأجل أن يعلم أصحابه الكرام أن الدين لا يتعارض مع الحياة الدنيا، وعلى المؤمن أن يبتغي نصيبه من الدنيا كما يبتغي نصيبه من الآخرة، ويعمل لدنياه وكأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا، فكان صلى الله عليه وسلم بذلك أسوة لأصحابه وللمؤمنين جميعًا مصدقًا لقوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا** ﴾[2].

وقد سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعًا على سيرة نبيهم الكريم، فأخذوا من الدنيا نصيبهم دون أن يفرطوا في الآخرة، أخذوا ما أباح الله لهم أخذه، واجتنبوا منها ما نهى الله عنه، سالكين بذلك مسلك الاعتدال، منتهجين منهج المقتصد، غير باغين ولا عادين مفرطين ولا متطرفين، فلم يكونوا يجعلون أكبر همهم إلا ابتغاء مرضاة الله، يرجون لقاءه وثوابه، ويخافون غضبه وعقابه، وتبعهم في ذلك التابعون بإحسان وأتباع التابعين[3].

والمعروف عن غالبية الصوفية أنهم يقتدون بشيوخهم أكثر مما يقتدون بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويلتزمون بتلاوة أذكار وأوراد يضعها لهم هؤلاء الشيوخ، بل أكثر من ذلك أنهم يتعبدون بها، وقد يفضلون تلاوتها على تلاوة القرآن الكريم، ويسمونها ذكر الخاصة، وأما الذكر الوارد في الكتاب والسنة

---

[1] رواه مسلم نقلا عن: ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط.3، 1417هـ/1996م، ص.51.

[2] سورة الأحزاب، الآية 21

[3] إحسان إلهي ظهير، **التصوف المنشأ والمصادر**، إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان، د.ت، ص.27.

يسمونه ذكر العامة، فقول لا إله إلا الله عندهم ذكر العامة، وأما ذر الخاصة فهو الاسم المفرد لله، وذكر خاصة الخاصة هو، أي الاسم المضمر[1].

وعليه يمكن القول أن التصوف واسم الصوفية لم يكن معروفا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما لم يكن معروفا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين ولا تابعي التابعين، فالسلف الصالح لم يعرفوه ولم يمارسوه لا اسمًا ولا منهجًا، إذ أنهم لم يعرفوا إلا القرآن والسنة وهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

أما التصوف كمذهب وفكر وعقيدة فقد تأسس على أيدي مجموعة من الرجال وضعوا له أسسه وقواعده ومراتبه، وانتقلوا به من حالة إلى أخرى ومن درجة إلى أخرى حتى تبلور في شكل طرق اختلفت فيما بينها باختلاف واضعي كل طريقة، فبالإضافة إلى اختلافها في العبادات والسلوكيات والوسائل التربوية، فقد اختلفت في العقائد بحسب التأثر بالنزاعات الفلسفية عند أئمتها[2].

وقد بدأ التصوف في الظهور منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ثم اشتهر كمصطلح ولقب في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، فما بعده[3]، ولا نستبعد أن يكون للأحداث السياسية التي عرفتها الدولة الإسلامية الفتية وبدأت أحداثها بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أين طرحت مشكلة الخلافة كقضية سياسية ذات أبعاد عقائدية خلفت مقتل عثمان ثم علي، وتطورت بعد ذلك ولم تطفأ نيرانها[4]، وكذلك الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمذهبية التي رافقت عملية الفتوحات الإسلامية فيما بعد، وحولت المجتمع الإسلامي عن وجهته الأولى في الجري مع طبيعة الدعوة الإسلامية على منهاج الفطرة الإنسانية بعيدة عن التفلسف والتعقيدات الفكرية، أثر كبير في تلقيب الفرق وتسمياتها، فهي أدت إلى ظهور فئة من العباد الزهاد الذين حاولوا أن يبتعدوا ويتجنبوا كل هذا الترف والخلافات

---

(1) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، **حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين**، www.Islamway.com، يوم 2017/07/07، الساعة 21.00

(2) علاء بكر، **مختصر تاريخ التصوف**، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر، ط.1، 2012، ص.24

(3) علاء بكر، **المرجع نفسه**، ص.24

(4) ساعد خميسي، **المرجع السابق**، ص.26

السياسية والمذهبية، فزهدت زهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وبالغت في ذلك فاختصت بهذه التسمية أي التصوف[1].

ويعتبر عالم الكيمياء الشيعي جابر بن حيان- وهو من أهل الكوفة- أول من لقب بالصوفي في التاريخ، وذلك في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، ولهذا العالم المشهور مذهب خاص في الزهد[2].

أما لقب الصوفية بصيغة الجمع التي تدل على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي الذي نشأ في الكوفة، فقد ظهر عام 199هـ/814م في خبر فتنة قامت بالإسكندرية، ويعتبر عبدك الصوفي آخر أئمة هذا المذهب وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين، وكان لا يأكل اللحم وتوفي ببغداد حوالي عام 210هـ/825م، ومن ثم فيمكن القول أن كلمة صوفي كانت في بداية أمرها مقصورة على الكوفة[3].

2- مصادره ومنابعه وتطوره:

2-1- مصادره ومنابعه:

لقد اختلف الباحثون في مصادر التصوف ومنابعه، فمنهم من رأى أن منبعه إسلامي بحت في أشكاله وصوره ومبادئه ومناهجه وقواعده، بل حتى في مصطلحاته ومدلولاته وفلسفته وتعاليمه، وهذا هو رأي الصوفية ومن سار في فلكهم وناصرهم ودافع عنهم[4]، وهناك من ربطه بأصول غير إسلامية كالمسيحية واليهودية والهندية والفارسية والفلسفة اليونانية، ورأى أن جذوره وأصوله تمتد في أي فكر ديني

---

[1] الحارث بن أسد المحاسبي، **العقل وفهم القرآن**، قدم له وحقق نصوصه حسين القوتلي، دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط.3، 1982م، ص-ص21-22 ؛ علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط.9، 1995، جـ.1، ص.53 ؛ أجناس جولد تسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة وتعليق محمد يوسف وآخرون، دار الكتاب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ط.2، د.ت، ص.147 ؛ محمد جواد مغنية، **معالم الفلسفة الإسلامية (نظرات في التصوف والكرامات)**، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط.5، 1986، ص.212.

[2] ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، **التصوف**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، ط.1، 1984، ص.26.

[3] ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، **المرجع نفسه**، ص.27.

[4] لنا في رأي الشيخ حسن العكريمي أبلغ مثال عن أراء هؤلاء المتصوفين القائلين بأن التصوف مصادره ومنابعه الإسلام. يراجع: حسن العكريمي، **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2008، ص78

عمومًا، ومن ثم فلا يمكن أن نرده إلى أصول إسلامية، ولا يمكن أن نقول أن منابعه الأولى هي القرآن والسنة[1].

وبدورنا لا نستبعد أن يكون جزء كبير من التصوف مصدره معتقدات وأفكار الثقافات الأجنبية كالفلسفة اليونانية، والديانة المسيحية واليهودية، والفارسية والهندية التي امتزجت بالفكر العربي عن طريق الفتوحات الإسلامية وازدهار حركة الترجمة خلال العصر العباسي، لاسيما وأن كثيرًا من المتصوفة لم يكونوا عرب فحملوا معهم إلى الإسلام عادات وتقاليد وحركات شاذة وغريبة، جعلوا منها فيما بعد جزءًا من تصوفهم.

وعلى رأي أحميدة عميراوي (التصوف حياة روحية تتعايش وقواعد النفس الطبيعية عبر العصور بغض النظر عن مواطن الأجناس وفترات وجودهم وانتماءاتهم)[2].

وعلى الرغم من ذلك فإننا نقر أن تلك المعتقدات وأفكار الثقافات الأجنبية لم تكن الأساس الذي قام عليه التصوف الإسلامي، ولا أن أولئك الذين أدخلوها إلى هذا الأخير، أدخلوها دفعة واحدة، ولكن قاموا بتسريبها شيئا فشيئا خلال مراحل زمنية مختلفة ومتعاقبة حتى تجمعت.

ولكن مهما قلنا أو كتبنا، أو قال غيرنا وكتب في التصوف، فإنه ليس بإمكان أحد أن يقدم جوابا شاملا كاملاً في السؤال عن مصادره ومنابعه، إلا أننا قد نقترب من الجواب إذا حددنا المؤثرات الأجنبية التي ساهمت في صياغة التصوف، وحددت الاتجاه الذي صار إليه في عهود نموه الباكرة، وأهم هذه المؤثرات الخارجية الأجنبية تتمثل في:

2-1-1- الديانة المسيحية:

مما لاشك فيه أن للديانة المسيحية تأثيرا كبيرًا على الفكر الصوفي الذي ظهر في العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، إذ أن كثيرًا من أئمة الصوفية الأوائل كانوا من أصل نصراني، كما أنهم اجتمعوا برهبان النصارى وأخذوا عنهم وتأثروا بهم وبمعتقداتهم[3]، وقلدوهم في حياة الزهد والتأمل والتبتل كاعتزال الناس، والعزوف عن الدنيا وشهواتها وقهر

---

(1) فاطمة داود، « التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله »، **حوليات التراث**، العدد01، مستغانم- الجزائر، 2004، ص.59؛ أحميدة عميراوي، **المرجع السابق**، ص.109.

(2) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، ط.2، 2006، ص.73.

(3) سميح عاطف الزين، **الصوفية في نظر الإسلام (دراسة وتحليل)**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط.3، د.ت، ص-ص.49-53

الجسد بالتقشف والفقر[1]، وجعلوا من زواياهم وأماكن تجمعهم ـ الخانقات ـ شبيهة بأديرة وصوامع رهبان النصارى، بل إن أول خانقاه أسست في البلاد الإسلامية وترأسها أحد شيوخ الصوفية، كانت على يد نصراني في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، بالرملة من بلاد فلسطين[2].

ليس هذا فحسب بل إن المتصوفة قلدوا رهبان النصارى في ملبسهم وتشبهوا بهم في لبس الخشن من الصوف، فلا غرابة في ذلك إذ أن هؤلاء الرهبان كثيرا ما تنقلوا وتجولوا في البلاد الإسلامية ممتطين جواد العلم والتعليم، جاعلين من أنفسهم معلمين يسدون النصح والتسديد لزهاد المسلمين[3].

غير أن أكبر وأخطر تأثير للديانة المسيحية المحرفة في الفكر الصوفي يتجلى فيما يعرف بتصوف الحلول والاتحاد، وهو المبني عند القائلين به على الإيمان بثنائية الطبيعة الإلهية، باللاهوت والناسوت، وبحلول اللاهوت في الناسوت، فللخالق عندهم طبيعة إلهية – اللاهوت– وطبيعة بشرية– الناسوت– وبمقتضاها يحل اللاهوت في الناسوت فيتحدان معا[4].

ولا يخفى عنا أن رهبان وغلاة المسيحية زعموا أن للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام طبيعتان، وأن الله عز وجل حل في المسيح، وأن ابنه حل فيه، وأن الأب سيمنح سلطة الحساب للابن يوم الحساب[5].

---

(1) عمر فروخ، **<u>التصوف في الإسلام</u>**، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، 1401هـ/1981م، ص.30.

(2) سميح عاطف الزين، **<u>المرجع السابق</u>**، ص–ص.49–53.

(3) ر.أ. نيكلسون، **<u>الصوفية في الإسلام</u>**، ترجمه وعلق عليه نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط.2، 1422هـ/2002م، ص.19.

(4) الحلوليون يؤمنون بوجود خالق ومخلوق، وأن الخالق يحل بالمخلوق، فيقرون بالثنائية وتعدد الموجودات وكثرتها. يراجع: علاء بكر، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.190.

(5) نشير هنا إلى أن النصارى على ثلاثة طوائف:

- **الطائفة الأولى اليعاقبة:** ويرون أن اللاهوت والناسوت يؤلفان طبيعة واحدة في المسيح عيسى عليه السلام، وأن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا فصار الإله هو المسيح فإرادة الله وفعله هما إرادة المسيح وفعله.
- **الطائفة الثانية الملكانيون:** يميزون بين الطبيعتين اللاهوت والناسوت في المسيح، فيزعمون أن مريم ولدت إلها أزليا وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت وأطلقوا اسم الأبوة على الله والنبوة على المسيح.
- **الطائفة الثالثة النسطورية:** زادوا في التميز بين الطبيعتين فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان في الوجود والإرادة والفعل مميزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتي زاعمين أن الله سبحانه وتعالى علوا كبيرًا عن ما يقولون، ذو ثلاثة أقانيم: الوجود والعلم والحياة، وأن هذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، فالكلمة اتحدت بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كالملكانية ولا الظهورية كاليعاقبة ولكن كإشراق الشمس على بلور أو كالنقش في الخاتم.

فالمسيح عليه السلام عند النصارى هو الله أو ابنه أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا. يراجع: علاء بكر، **<u>المرجع السابق</u>**، هـ. ص.191.

وأشهر من قال من المتصوفة الأوائل بالحلول والاتحاد، الحسين بن منصور المعروف بالحلاج الذي قتل عام 309هـ/921م مصلوبًا، بعد أن أفتى علماء المسلمين بكفره وبعدم جواز قبول توبته، لكونه زعم أنه الحق وادعى الإلهية وقال بحلول الله في ذاته، وكذلك ابن أبي الغراقيد محمد بن علي أبو جعفر الشلمغاني الذي صلب وقتل هو الآخر عام 312هـ/924م، بعد أن زعم أنه إله الآلهة، وأن الله عز وجل يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل، فتظهر على من حلت به ذات الله المقدرة والمعجزة مما يدل على أنه هو الله، كما حرف وزيف حقيقة الأنبياء والرسل بعد أن زعم أن موسى مرسل من قبل هارون، وأن محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من قبل علي، ولكن كلاً من موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خانا الأمانة بعد أن نسبا النبوة لنفسيهما[1].

وقد لا نكون على خطأ إن قلنا أن أولئك المتصوفة الذين قلدوا رهبان النصارى، أقنعوا أنفسهم وأتباعهم بجواز هذا التقليد من خلال تفسيرهم الخاطئ للآية الكريمة التي يقول فيها المولى عز وجل: **﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾**[2].

لكن الشيء المؤكد هو أن أفكار الرهبنة والزهد قد انتقلت من الديانة المسيحية المحرفة إلى العرب عن طريق الحركة التجارية بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، إذ يقول المستشرق ماركس في هذا الشأن: (إن التصوف الإسلامي مأخوذ من رهبانية الشام خاضع للروحانية المسيحية)[3].

2-1-2- الديانة اليهودية:

يميل بعض الباحثين إلى أن الصوفية تأثرت بالديانة اليهودية، وذلك بسبب اعتناق بعض اليهود للإسلام ووضعهم لكثير من الأحاديث النبوية ـ الإسرائيليات ـ كما أن نظرية التشبيه والتجسيم عندهم تشبه نظرية الاتحاد والحلول لدى القائلين بتصوف الاتحاد والحلول[4].

فكما أن التوراة المحرفة مليئة بتشبيه الله تعالى بالمخلوقين في الصورة والانتقال والتحول[5]، فهناك أيضا من المتصوفة، من زعم أن الله تعالى علوًا كبيرًا عما يقول هؤلاء، تجلى في هيئة وصورة

---

[1] علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.190.

[2] سورة المائدة، الآية 84.

[3] نقلا عن: محمد عبد المنعم خفاجي، **الأدب في التراث الصوفي**، دار غريب، القاهرة- مصر، 1938، ص-ص.35-36

[4] عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، 1989-1991م، ص-ص.32-33

[5] علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.206.

النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه خلق كل المخلوقات من نور محمد صلى الله عليه وسلم، وبإمكان هذا الأخير صلى الله عليه وسلم أن يكون حاضرًا بجسده وروحه في كل زمان ومكان من هذه المعمورة، فالكون مستمد من وجوده، وهو أول مخلوق خلق، وأول موجود وجد وعليه تدور أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وقد أقر بذلك القاشاني والدمرداش والشعراني والبيطار والكشخانلي وعلي حرازم والجيلي والفوتي[1].

بل ذهب هؤلاء المتصوفة إلى القول بأن للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ظاهرًا وباطنا، وأن باطن هذه النصوص لا يمكن لأحد أيًا كان سواهم أن يدركه أو يعرفه، لأنه شيء خصوا به بعلم لدني دون غيرهم، وهم بهذا خالفوا ما عليه الأمة الإسلامية وما أجمع عليه علماؤها المقتفين لأثر السنة النبوية، ويكونون بذلك قد تشبهوا ببعض الفرق اليهودية كاليوذعانية وغيرها التي اعتقدت أن للتوراة ظاهرًا وباطنًا، وأن بإمكانها أن تدرك هذا الباطن وتظهره لليهود دون نقص أو زيادة أو نسيان شيء منه[2].

2-1-3- الديانة الفارسية:

من الباحثين من يرد التصوف إلى أصول الديانة الفارسية التي ظهرت بخرسان حيث تلاقت الديانات والثقافات الشرقية[3]، وقد كان للفرس قبل الفتح الإسلامي لبلادهم أفكار وآراء فلسفية، غير أن معظم هذه الأفكار والآراء كان مأخوذا أو متأثرا بشكل أو بآخر بالعقائد الهندية القديمة كعقيدة البراهمة والعقيدة البوذية، ومما أدى إلى ظهور المانونية والزرادشتّية إلى جانب المجوسية الفارسية[4].

والزرادشتية ديانة فارسية جمعت تعاليمها في كتاب يعرف بـ: أبستاق ولها رجال دين هم طبقة الكهنة، وتؤمن بوجود إله أعظم عالم للماضي والحاضر وهو خالق الخلق ويخاطب زرادشت الإله كصديق حميم ويمدحه حتى الموت، كما تعتقد هذه الديانة أن الخلاص من القيود المادية إلى الحياة

---

[1] في هذا الشأن يقول البوصيري:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم

ويقول ابن نباتة المصري:

لولاه ما كان أرض ولا أفق   ولا زمان ولا خلق ولا جبل

يراجع: علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.199 ؛ عبد الرحمن الوكيل، **هذه هي الصوفية**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.4، 1984، ص-ص.73-92

[2] سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص-ص.47-49

[3] فاطمة داود، **المرجع السابق**، ص.61

[4] سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص-ص.42-47

الروحية لا يكون إلا بالطهارة الخالصة عن طريق التحرر النهائي من الجسد وقيوده، وقد انتشرت في إيران والمدن المجاورة لها(1).

ومن أئمة الصوفية المسلمين منهم من أصل من فارسي كمعروف الكرخي(2)، وأبو زيد البسطامي(3)، بما يوحي بنقلهم لكثير من تعاليم الديانة الفارسية التي لم يستطيعوا التخلص منها وخلطها ومزجها بالعقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد(4).

وهناك من يرجع تأثر التصوف الإسلامي بالديانة الفارسية إلى دور الفرس في الدولة العباسية، وتولي بعضهم لمناصب سامية في هذه الدولة واشتغال بعضهم الآخر في الدواوين والوزارات مما ساعدهم على نقل بعض أفكارهم وآرائهم التي هي في الأصل أفكار وآراء موروثة من الديانة الفارسية إلى المسلمين الذين تأثر بعضهم بها وترجموها إلى أفعال وأقوال تجسدت في تصرفات بعض الصوفية فيما بعد(5).

إلا أن هذا الرأي ليس بدليل قطعي عند بعض الباحثين لاسيما المتعاطفين مع الصوفية، إذ يرون أن الدول المغلوبة تتأثر بالدولة الغالبة، وأن المنبع الأصلي للتصوف هو الإسلام.

2-1-4- الديانات الهندية:

مما لاشك فيه أن التصوف الإسلامي قد تأثر بالديانات الهندية، لاسيما وأن بعض هذه الديانات كالبوذية كان لها أثر ملحوظ في بلاد فارس الشرقية قبل الفتح الإسلامي للهند في القرن الرابع الهجري،

---

(1) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المرجع السابق**، ص-ص.28-37

(2) معروف الكرخي من أصل صابئ فارسي، واسم أبيه فيروزان، اعتنق الإسلام وعاش في بغداد في حي الكرخ في عصر هارون الرشيد، وقد قال يومًا لتلميذه سري السقطي: (إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي)، ويقول تلميذه سري السقطي الصوفي: (رأيت معروف الكرخي في النوم كأنه تحت العرش، فيقول الله عز وجل لملائكته: من هذا ؟ فيقولون: أنت أعلم يا رب، فيقول: هذا معروف الكرخي سكر في حبي فلا يفيق إلا بلقائي)، وقد توفي سنة 200هـ/813م. للمزيد من المعلومات يراجع: عبد المجيد محمد عبد المجيد، **الصوفية في ضوء الكتاب والسنة المحمدية**، مراجعة يوسف البدري، دار الاعتصام، القاهرة- مصر، د.ت، ص-ص.26-27

(3) البسطامي من الشخصيات الصوفية المشهورة في الثالث الهجري، ممن ساروا على طريق الزهد والتقشف ونادى بالعشق الإلهي، وتبدو عليه نزعات التأثر بالديانات الهندية القديمة التي انتشرت ببلاد فارس مع ظهور الإسلام، وقد ولد بمدينة بسطام بفارس ونسب لها، كان جده مجوسيًا ثم اعتنق الإسلام، ولعل بقايا المجوسية لعبت دورها في خلط إسلامه بعقائد غير إسلامية، وظهور شطحاته الفلسفية. عاش حوالي سبعين عامًا واستوطن بغداد وتوفي سنة 261هـ/874م. للمزيد من المعلومات يراجع: علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.68

(4) علاء بكر، **المرجع نفسه**، ص.205

(5) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المرجع السابق**، ص-ص.28-37

العاشر الميلادي، فعلى سبيل المثال لا الحصر مدينة بلخ[1]، كان بها صوامع بوذية وقد اشتهرت بعد الفتح الإسلامي لها بكونها مركزًا لكثير من أئمة الصوفية، الذين اتخذوا منها مقامًا لهم كالزاهد الصوفي إبراهيم بن أدهم[2] الذي هو في الأصل أمير من أمراء بلخ إلا أنه تخلى عن منصبه وعن مكانته الاجتماعية والسياسية وتحول إلى حياة الزهد والتصوف، وأصبح ناسكًا زاهدًا متصوفا متنقلا بين المدن، مما جعل بعض الباحثين يعتقدون أنه استوحى قصة حياته، من قصة حياة مؤسس الديانة البوذية[3].

كما أن الصوفية مدينة كثيرا للبوذية من ناحية كونها تثقيفا خلقيا للنفس، وتأملاً زهديًا، وتحررًا عقليا، وقد تعلم الصوفية من أحبار البوذيين استعمال المسابح[4]، ولم تكن هذه العادة معروفة عند المسلمين الأوائل.

وبما أن قد سادت خراسان قبل الفتح الإسلامي بألف عام، كما سادت في بلاد فارس الشرقية عموما، فكان من البديهي أن يكون لها تأثير بشكل أو بآخر في نمو وتطور الحركة الصوفية في هذه المناطق[5].

إلا أن هناك من يخالف هذا الرأي، ويعتقد أن التصوف الإسلامي لم يتأثر بفلسفة الحياة البوذية حتى وإن أشبهها في بعض مراحلها في الفناء، وفي مجاهدة النفس بالرياضة والزهد، واللجوء إلى العزلة والاعتكاف بحثا عن الحقيقة التي لا يمكن معرفتها والوصول إليها عن طريق التقليد أي التعلم والتلقن[6].

---

(1) بلخ مدينة بخراسان، وهي من أشهر وأجمل مدنها، تقع على الشاطئ الجنوبي لنهر جيحون، وقد كانت عاصمة سياسية لولاية خراسان القديمة، ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان. ر.أ. نيكلسون، **<u>المرجع السابق</u>**، هـ.ص.27

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كورة بلخ، والده كان من ملوك خراسان، غير أن إبراهيم عكس والده واعتزل الملك والسياسة وتفرغ للعبادة والزهد وحياة التصوف، إلى أن أصبح أحد مشاهير العبادة وأكابر الزهاد وإمام من أئمة الصوفية، وهو أول من طبق قواعد المجاهدة الصوفية على نفسه كما جاء في كتب الصوفية، ومن مجاهداته أنه كان يأكل التراب إذا لم يجد طعامًا، وأنه قد مكث شهرًا كاملاً يأكل الطين، وقد نقل عنه أنه رأى جبريل عليه السلام وأنه كتب اسمه مع المحبين. للمزيد من المعلومات حول قصة حياته يراجع: علاء بكر، **<u>المرجع السابق</u>**، ص-ص.35-38

(3) ر.أ. نيكلسون، **<u>المرجع السابق</u>**، ص-ص.27-28

نشأت الديانة البوذية على يد بوذا الذي كان ابنا لأحد الملوك ووريث عرشه، إلا أنه تنازل عن عرشه واعتزل الدنيا ليتفرغ للعبادة عن طريق إجهاد النفس في التفكير حتى تحقق له الفناء المطلق أو النيرفانا التي تعني الخروج من الوجود وشقائه إلى نعيم نفساني يعتبر خيرًا من كل وجوده، لينتقل بعد موته إلى النيرفانا الكبرى التي لا يعود بعدها للحياة مطلقا. ومن شروط الانخراط في البوذية التخلي عن الدنيا وإتباع حياة الفقر وحلق الرأس، ولبس الخرقة الصفراء. يراجع: علاء بكر، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.203.

(4) ر.أ. نيكلسون، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.28.

(5) ر.أ. نيكلسون، **<u>المرجع نفسه</u>**، ص.29.

(6) عمر فروخ، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.41.

لكن هؤلاء يقرون أن هذا التصوف قد تأثر بعقيدة البراهمة التي هي إحدى الديانات الهندية، وجوهرها ضرورة مجاهدة الإنسان لنفسه حتى يخلصها من استبعاد الجسد لها، ثم يرتقي بها لكي يتحد بالروح الكلي أو الإله المعبود، الذي يجسده ـ حسب اعتقادهم ـ براهما، وأن الهداية لا تدرك بالمنطق العقلي ولكن بمحض البصيرة، كما أن الوجود عندهم شيء واحد، ويبدأ إعداد المريدين عند البراهمة بتعلم علم الكلام والشريعة في سن معينة مع معلم يخدمه ويلازمه ولا يخرج عن طوعه، ويتبع تعاليمه ويجثو بين يديه حتى يعينه في مجاهدته وترقيته[1].

والملاحظ هنا أن فلسفة هذه العقيدة تتشابه إلى حد كبير وتعاليم الصوفية، وهو ما دفع ببعضهم إلى القول أن التصوف الإسلامي تأثر تأثرا مباشرًا، أو غير مباشر بهذه العقيدة الهندية دون غيرها من العقائد الأخرى، لاسيما وإن علمنا أن الكاهن الأكبر لهذه الديانة يقول: أنا براهما أي الله، وقد قال الحلاج[2] أنا الحق أي الله[3].

2-1-5- الديانة الصينية:

من غير المستبعد أن تكون الديانة الصينية أحد مصادر ومآخذ التصوف عند بعض المسلمين، وذلك راجع لعدة اعتبارات أهمها الصلات التجارية بين بلاد العرب وبلاد الصين، والتي ازدهرت بين الطرفين في صدر الإسلام رغم كونها تعود إلى بضعة قرون قبل الميلاد وتوثقت أكثر وأكثر في القرون الأولى بعد الميلاد[4]، وكثيرًا ما كانت التجارة أحد العوامل أو الأسباب الرئيسية في انتقال الأفكار والمعتقدات بين مختلف الأمم والشعوب.

---

(1) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.201.

(2) هو أبو الغيث الحسين بن منصور، ولد ببلاد فارس وكان جده مجوسيا، وقد اشتغل في شبابه عند حانوتي للقطن في واسط حلاجًا لذا سمي بالحلاج، ثم تحول بعد ذلك إلى حياة التصوف فبدأ من المجاهدة الرياضية الشديدة، ومرورًا بالعشق الإلهي وانتهاءً بعقيدة الحلول والاتحاد، أجمع العلماء ببغداد على كفر الحلاج وزندقته، وأفتوا بضرورة قتله وصلبه، فقتل حدًا ببغداد سنة 306هـ/919م. يراجع: أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، د.ت، جـ.1، ص–ص.183–190 ؛ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مطبعة السعادة، القاهرة– مصر، 1349هـ، جـ.8، ص–ص.126–128

(3) عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.39.

(4) عمر فروخ، **المرجع نفسه**، ص.42.

أما الاعتبار الثاني فيتمثل في وجه الشبه بين التآوي عند الصينيين القدماء، وبين مبادئ الصوفية عند المسلمين، فالتآوي قوة غيبية لا تدرك بالحواس ولا توصف بالتشبيه، وللاتصال بها لابد من اجتياز ثلاث مراحل وهي:[1]

أ. مرحلة تزكية النفس بتحريرها من شهوات الدنيا.

ب. مرحلة الإشراق وفيها يصير هذا الاستغناء عن الشهوات سجية لا تكلف.

جـ. مرحلة الاتصال بالتآوي والاتحاد بها، وعندها يصبح للإنسان نفس صفات التآوي ونفس إدراكها، ويتحرر من القوانين الطبيعية كلها.

والصوفية يقولون بذلك، ويقولون أن الله علة الوجود وإليه يتوق الوجود وأنه يتجلى للمتصوف في ما خلق، كما أن السالك عند الطرفين لا يقلد أحدًا وإنما يرتقي بنفسه في مقامات المجاهدة حتى يصل إلى الكشف والإشراف بالاتصال والاتحاد[2].

وإذا كان لاؤتسة[3] وهو واضع تعاليم التآوي يرى أن بإمكان الإنسان أن يستشعر ويعلم كل ما يدور حوله، بل وفي العالم بأسره دون أن يحتاج إلى من يطلعه على ذلك من البشر أو يخرج من داره[4]، فإن القائلين بالحلول والاتحاد من الصوفية يقرون بذلك لمن تعينت ذات الله فيه ككبارهم وزعمائهم الذين أدركوا هذه المنزلة والدرجة، وأصبح بإمكانهم الاطلاع على عالم الغيب دون الحاجة إلى واسطة كالإلهام أو الوحي الإلهي.

---

(1) سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص-ص.34-36

(2) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص-ص.200-201

(3) لاؤ معناه الشيخ أو الرجل القديم، وتسه علامة الرفع، وقد كان لاؤتسه من أحياء القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد، وكان ذا اتجاه صوفي، يرفض كل ما له علاقة بالمتع البشرية لذا أنكر على قومه سلوكاتهم وعدّها رذائل ونفاقا، فأراد إصلاح هذه السلوكات لكن لما يئس من إصلاح قومه وتهذيب سلوكاتهم ارتحل عنهم واعتزل العالم كله، فقابله رجل أثناء رحلته تلك كتب له كتابا أودع فيه تعاليمه وذلك في حدود 500 ق.م، وهذا الكتاب في قسمين يتضمن تعاليم صوفية تقوم على ترك الحياة والعمل والتخلي عن الشهوات وحاجات الجسم، حتى يرتقي إلى الاتصال بالتآوي أي القدرة الغيبية. للمزيد من المعلومات يراجع: عمر فروخ، **المرجع السابق**، هـ.ص.43، ص.44

(4) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.200

2-1-6- الفلسفة اليونانية:

رغم أن الفلسفة اليونانية ليست المصدر الوحيد ولا المصدر الأشد بروزًا في تطوير الفكر الصوفي عند المسلمين، كما أنها وثنية يؤمن أصحابها بتعدد الآلهة والتناسخ، والاتصال عندهم سلبي غير شخصي عكس الفكر الصوفي الإسلامي الذي لا يؤمن أصحابه بتعدد الآلهة ولا بالتناسخ، بل هم يقبحون ويحرمون كل ذلك، والاتصال ايجابي شخصي عندهم(1)، إلا أنه من غير المستبعد أن يكون هذا الأخير قد تأثر نوعًا ما بالاتجاه الفلسفي الذي ساد الفكر اليوناني، لاسيما بعد التطور الذي شهده التصوف الإسلامي الذي بدأ دينيا فكان إسلاميا محضًا، ثم أصبح أتباعه يطلبون اطمئنانا عقليا وتأويلا فلسفيا لما يعتريهم من مسائل في حياتهم الدينية والدنيوية، فوجدوا ما أرادوه في الفلسفة اليونانية التي تسربت إليهم من طرق مختلفة(2)، وبفعل حركات الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي فنقلوا منها ما يحتاجون إليه، وحاولوا التوفيق بين ما هو منقول من الفلسفة اليونانية، وبين ما هو موجود في العقيدة الإسلامية مما جعلهم يبتكرون نظريات عديدة مخالفة لتعاليم الإسلام وليست منه في شيء بل هي أقرب إلى الفكر اليوناني منه إلى شيء آخر(3).

وكمثال عن هذه النظريات، نظرية الفنا التي يقول أصحابها بفناء الإنسان عن نفسه وفقدانه الشعور بذاته مع الله، وهي لا تتحقق عند بعضهم إلا بتصفية النفس عن طريق المجاهدة النفسية، حينها يصبح الصوفي لا يرى إلا الله ولا يشعر إلا به، وفي هذه الحالة تتلاشى رؤية هذا الصوفي لكل شيء ماعدا رؤيته لله، فتصدر منه عبارات وإشارات تسمى بالشطحات، كقول أحدهم (لا إله إلا أنا فأعبدوني سبحاني ما أعظم شأني) وعندما يستفيق من غيبته وسكره هذا يستغفر الله عن ما بدا منه(4).

---

(1) عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.36.

(2) عمر فروخ، **المرجع نفسه**، ص.33.

(3) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.205.

(4) توفيق الطويل، « في رحاب التصوف الإسلامي »، **مجلة عالم المعرفة**، العدد 87، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الآخرة 1405هـ/مارس آذار 1985م، ص-ص.189-190

ومعلوم أن فلاسفة الصوفية كابن عربي[1] وابن الفارض[2] وغيرهما ممن تغنى بالحب الإلهي، والسكر الروحي، ووحدة الوجود والإشراق، قد تأثروا بالمبادئ الأفلاطونية، فالحب الإلهي عند هؤلاء حب فلسفي يهيم بالجمال ليسموا إلى معاينه الروحية، وهو بذلك تأثر بالحب والجمال عند أفلاطون[3].

ويدور مذهب أفلاطون حول الله والنفس والعقل، فالله القديم الذي لا يتغير هو المحبوب المبدع جوهر المذهب الذي تشتاق إليه الصور العليا، وأن الجواهر العقلية قد فاضت وتفاضلت مراتبها نتيجة اختلافها قربا أو بعدا من النور الأول الذي فاضت منه، والعقل جزء يهيم باشتياق إلى الله والنور الأول، في حين أن النفس نقطة تدور حول العقل وهي بمثابة اللؤلؤ الثمين، وكل من يتطلع إلى الحكمة تشوقت نفسه إلى صانعها الحكيم ومن هنا قيل إن الله هو المعشوق الأول ذو جمال مطلق[4].

---

(1) هو أبو بكر محمد بن علي محي الدين الملقب بالشيخ كاتب متصوف عربي ولد في 17 رمضان 560هـ الموافق لـ 28 جويلية 1165م في مرسية بالأندلس ونشأ بها ثم انتقل إلى إشبيليا، وبعدها ارتحل إلى بلاد الشام والمشرق، حج عدة مرات وكان غزير الإنتاج، فقد وصلت كتبه إلى 150 مصنفا، وقد ضاع منها زهاء 100 مصنف آخر. واصطلح أهل المشرق على تسمية ابن عربي بدون آل تميزًا له عن أبي بكر بن العربي القاضي الفقيه الحنبلي، وقد هاجم الفقهاء ابن عربي بضراوة لأنهم رأوا في واحديته الوجودية مذهبًا حلوليًا، وله ديوانًا في الحب بعنوان ترجمان الأشواق ترجم إلى الإنجليزية، كما له تفسيرًا للقرآن الكريم، وكتاب الفتوحات المكية وهو كتاب يعبر في موسوعته عن العلوم الباطنية، كما له فصوص الحكم، وقد توفي في 28 ربيع الثاني 638هـ/1243م بدمشق. يراجع: جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط.1، 1987، ص.29 ؛ عبد السلام محمد البكاري، **العقيدة– الشريعة– التصوف عند الإمام الجنيد**، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط.1، 1429هـ/2008م، ص–ص.84–85

(2) هو أبو القاسم شرف الدين عمر بن الفارض، ولد في القاهرة عام 576هـ/1182م وقد مال إلى معاشرة الصوفيين من أول أمره، وكان يذهب إلى الاعتكاف والتعبد في جبل المقطم شرق القاهرة فيمكث بضعة أيام ثم يعود إلى بيته قبل أن ينتقل إلى مكة المكرمة أين مكث مدة من الزمن، ولما عاد منها عظم اعتقاد الناس فيه إلى درجة أنهم كانوا يزدحمون عليه كلما شاهدوه في المدينة، ويلتمسون منه البركة والدعاء، كما ارتفعت منزلته أيضا عند أكابر الدولة. ويلقب عند الصوفية بسلطان العاشقين لتائيته المسماة نظم السلوك الداعي لوحدة الوجود ووحدة الأديان، وقد توفي بالقاهرة يوم الثلاثاء في الثاني من جمادى الأولى سنة 632هـ الموافق لـ 23 أو 24 كانون الأول 1235م. يراجع: عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص–ص.135–161 ؛ آنا ماري شيمل، **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمَل، كولونيا (ألمانيا)– بغداد، ط.1، 2006، ص.308

(3) أفلاطون فيلسوف يوناني ولد في حدود 428 ق.م، وتوفي في حدود 347 أو 348 ق.م. يراجع: هيفر ديركي ومحمد علي، **فهرست أعلام الفلاسفة والمتصوفة**، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق– سوريا، ط.1، 2010، ص.13

(4) أبو الفيض المنوفي، **المدخل إلى التصوف الإسلامي**، الدار القومية، القاهرة– مصر، د.ت، ص–ص.30–44

ويعتبر أفلوطين[1] أكثر الفلاسفة اليونانيين تأثيرا في الفكر الصوفي عند المسلمين من خلال نظريته، المعروفة بنظرية الفيض، وفحواها أن أول فيض من الله كان العقل الفعال، ومنه استمدت جميع الموجودات وجودها وعنه تصدر الفيوضات الأخرى، فإذا تأهلت النفس بالمجاهدة استقبلت هذه الفيوضات وتحققت لها به المعرفة الحقيقية[2].

ويتفق أفلوطين مع المتصوفة المسلمين في رياضة النفس والاتصال بالله، مع اشتراط الذهول لحدوث ذلك بمداومة التأمل ليتم الاتصال بالله وتخسر وجودها الجزئي وتشعر بالسعادة لأنها أصبحت شيئا واحدًا مع الله[3]، وقد أخذ فلاسفة المتصوفة كالحلاج وابن عربي وابن الفارض الأفكار الأفلاطونية الحديثة واعتنقوها باسم وحدة الوجود ووحدة الشهود، والحقيقة المحمدية التي هي في الأصل مستنبطة من نظرية الفيض[4]. فالحب الإلهي عند الحلاج انقلب إلى مذهب الحلول إذ يقول[5]:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصـــرتنـي أبصــــرته   وإذا أبصرته أبصــرتنا

ويقول أيضا:

والله ما طلعت شمس ولا غربت   إلا وحبك مقرون بأنفاســـــي
ولا خلـوت إلـى قـوم أحدثـــهم   إلا وأنت حديثي بين جلاســـي
ولا ذكرتـــك محـــزونا ولا فرحـــًا   إلا وأنت بقلبي بين وسواســـــي
ولا هممتُ بشرب الماء من عطش   إلا رأيتُ خيالاً منك في كاسي

---

(1) أفلوطين (204-269م) مؤسس المذهب الإسكندراني- الأفلاطونية الحديثة- الذي يرى أن الله صدر وفيض كل شيء وهو الأول والآخر والعلة الأولى التي لا علة لها، وأن الاتصال به والفناء فيه هو الهدف الأسمى لجهود الإنسان وسعيه، والله واحد يشمل كل شيء فهو غير متناه، وأن النفس البشرية خلقت أولا في الملأ الأعلى ثم نزلت إلى الأرض لتخضع للتناسخ في البشر والحيوانات والنباتات. للمزيد من المعلومات يراجع: عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص-ص.34-35

(2) سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص-ص.40-42

(3) عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.32

(4) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.205

(5) نقلا عن: علاء بكر، **المرجع نفسه**، ص.75

وقد تحول الحب الإلهي عند ابن عربي إلى فكرة وحدة الوجود، فكل حركة شهدها أو يشهدها الكون إلا وهي حبية[1]، فالوجود كله واحد، ووجود المخلوقات لا متناهية بين المخلوق والخالق وبها يدرك بعده اللا متناهي، الإلهي[2].

وقد أراد ابن عربي أن يثبت وجود الشخصية البشرية في الذات الإلهية بأسلوب وجداني رمزي، إذ يقول:[3]

إذا أبصرت عني جمال وجوده ... أكون به في الحال صاحب أنوار
وإن لم أكن أبصر سواي فإنني ... لعالم وقتي بي وصاحب أسرار

أما الحب الإلهي عند ابن الفارض هو ذلك الحب الذي يصل بصاحبه إلى درجة الحلول والاتحاد، فيفنى في الله فناءًا يصبح معه وهو يرى في ذاته، ذاته وهذا الاتحاد ما بين سكر وصحو ومحو حيث تتجرد النفس وتسعد بسموها[4]، وفي هذا الشأن يقول:[5]

وها أنا أبدي في اتحـــادي مبدئــــي ... وأنهـي انتهائـــي في تواضع رفعي
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... ذاتي بذاتـــي إذا تجــلتْ تجــلتِ
وبي موقفـــي لا بل إلـــيَّ توجهي ... كذلك صـلاتي لي ومنـــي كعــــبي
وروحـــي للأرواح روح وكـــــل ما ... ترى حَسَنًا في الكون من فيض طينتي

وبالاطلاع على مقالات الفلاسفة اليونانيين القدماء يظهر وجه الشبه بين السوفسطائية[6] ومتصوفة وحدة الوجود عند المسلمين، فكلاهما يدين بأن الحقائق اعتبارية، ومصدر المعرفة ومقياسها عند السوفسطائيين الإحساس الفردي، بينما هو عامة الذوق الفردي عند المتصوفة[7].

---

[1] ابن عربي، **ديوان ابن عربي**، شرح وتقديم نواف الجراح، دار صادر، بيروت– لبنان، 1999، ص.190

[2] فاطمة داود، **المرجع السابق**، ص.64

[3] ابن عربي، **المصدر السابق**، ص231

[4] علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.66

[5] نقلا عن: سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص–ص.373–377

[6] السوفسطائيون مصطلح يوناني يعني الحكماء وهم مؤسسي مدرسة تقوم على التشكيك والمغالطة، ومن أهم أفكار أصحاب هذه المدرسة إنكار الحقيقة المطلقة، والجزم والقطع باستحالة الحكم العام، فالحقائق عندهم اعتبارية كلها، ومقياس الحقيقة عندهم هو إحساس الفرد، فما رآه شخص ما حقًا فهو كذلك حتى وإن رآه غيره غير ذلك، أي باطلاً ومن جنس هؤلاء السوفسطائية، طائفة اللاأدرية الذين لا يثبتون وجود الآلهة ولا ينفونها، ويرون أن هذا الإله إن وجد بفرض إثبات وجوده فلا تدخل منه في الكون، ولا حاجة للعباد له في تصريف أمورهم وأحوالهم، فالكون يتفاعل بنفسه.

أما من أشهر السوفسطائيين بروتاجوراس ومن أشهر أقواله: « لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين ». يراجع: علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.165

[7] علاء بكر، **المرجع نفسه**، ص–ص.165–166

2-2- تطوره:

لقد مرّ التصوف الإسلامي في تطوره بعدة مراحل أساسية، وسوف نفصل الحديث عنها فيمايلي:

2-2-1- مرحلة صدر الإسلام:

تمثل فترة صدر الإسلام المرحلة الأولى من مراحل التصوف، بل هي أهم مراحله عند بعض الباحثين الذين اعتبروها بمثابة منبت بذرة هذا التصوف الذي ظهر في هذا الوقت عمليا لا اسميا على أيدي مجموعة من المسلمين الذين كانوا أهل دين وزهد، وأهل ورع وتقوى[1]، وكان زهدهم عملي ومعتدل، يهتمون بأمور دينهم ودنياهم معًا، فيقومون بواجباتهم الدينية والدنيوية ويجتهدون في حل مختلف المعضلات والمشكلات الاجتماعية التي تطرأ على الأمة الإسلامية[2].

وقد كان من هؤلاء خلفاء وأمراء يحكمون بلادًا مترامية الأطراف وهم يرتدون لباس الورع والزهد تاركين الدنيا ومتاعها، وكانوا أثناء صلاتهم يرسمون الخطط لفتح بلاد الفرس والروم ورّد كيد الأعداء مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان مثلاً لسائر المسلمين من خلال أعماله وأسلوب حياته وسياسة حكمه[3].

وبما أن أغلب المسلمين في هذه الفترة كانوا أهل دين وزهد، فلم يكونوا في حاجة إلى وصف أو اسم خاص يمتازون به عن الآخرين، سوى اسم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أطلق على أفاضلهم في الجيل الأول ممن حضوا بصحبته صلى الله عليه وسلم، ولما أدركهم الجيل الثاني أي أولئك الذين نالوا صحبة الصحابة أطلق عليهم اسم التابعين[4].

وليس من السهل في هذه الفترة أن نميز بين الشخص الصوفي والمسلم المتعبد إذ لا يوجد اختلاف كبير بينهما، فكل منهما مرتبط ارتباط وثيقا بالزهد والتقشف في الدنيا والعمل والعبادة على حد سواء من أجل الآخرة، وعليه فإن التصوف في هذه المرحلة كان طريقة عملية وليس مذهبا نظريا، ولم يكن معروفا باسمه وصفاته وهيئته التي عرف بها فيما بعد أي خلال القرون الموالية[5].

---

(1) محمد الصادق إبراهيم عرجون، **المرجع السابق**، ص.109.

(2) قاسم غني، **تاريخ التصوف في الإسلام**، ترجمة عن الفارسية صادق نشأت، جامعة الدول العربية (الإدارة الثقافية)، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1970، ص.518.

(3) قاسم غني، **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

(4) أحمد محمود إسماعيل الجزار، **الفكر المصري المعاصر والتصوف**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، 1428هـ/2008م، ص-ص.54-55

(5) قاسم غني، **المرجع السابق**، ص.518.

لكن مهما حاول هؤلاء الباحثون أن يعللوا ويبرروا ليجعلوا من فترة صدر الإسلام إحدى مراحل التصوف، فإننا نخالفهم الرأي ونرى غير ذلك، إذ أن كثيرًا منهم خلط بين الزهد الإسلامي الأصيل المنصوص عليه شرعًا وبين التصوف المنحرف عن الكتاب والسنة رغم أننا نقر أن التصوف ارتبط في مراحله المبكرة ارتباط وثيقا بغاية عظيمة من غايات هذا الدين الحنيف، وهو الزهد في هذه الدنيا ومتاعها، إلا أن ذلك لا يعني أن جعل طبقة الزهاد الذين كانوا على السنّة والصراط المستقيم من أوائل المتصوفين، الذين اشتهر عنهم بعض الأقوال المنحرفة التي تخالف السنّة الشريفة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

وفي هذا الشأن يقول فلاح بن إسماعيل بن أحمد:(تستر المتصوفون وراء الرجال المخلصين الذين كانوا ينشدون الكمال الديني، والخلقي بزهدهم وعبادتهم لله تعالى، بإخلاص النيّة وإتباع لآيات الكتاب، واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. تستر المتصوفون بهؤلاء، وتظاهروا بأخلاقهم وصفاته، وأضافوا إلى ذلك الكمال الديني والخلقي إضافات غريبة عن الإسلام)[1].

كما أنه من غير المعقول أن نعتبر كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأبي عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب، والحسن والحسين وسواهم من أوائل المتصوفين، بل لا يمكن حتى أن نقول عن التابعين كأويس القرني وزين العابدين علي بن الحسين، والخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسن البصري وغيرهم أنّهم أسسوا للتصوف الإسلامي بزهدهم.

فهؤلاء لم يكونوا صوفيين ولا زاهدين بالمعنى المتعارف عليه، ولم ينصرفوا عن الدنيا إلا لأنهم شغلوا عنها بما هو أعظم منها من القيام على الناس بأمر دينهم ودنياهم، كما أن هؤلاء لما أدانت لهم الدنيا بفضل عملهم وملكهم، وعظم شأنهم في بناء الدولة الإسلامية هانت عندهم الماديات، فعثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان أحد أثرياء قريش في الجاهلية وفي الإسلام، لم ينصرف عن الدنيا إلا لما أصبح خليفة على المسلمين، فانشغل بأمور دينهم ودولتهم[2].

كما أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي لقب بخامس الخلفاء الراشدين، كان من أحسن الناس لِبسًا وأطيبهم ريحًا وأخْيَلهم في مشيته، وكان يشتري الثوب بأربعمائة درهم ويقول عنه ما أخشنه

---

(1) فلاح بن إسماعيل بن أحمد، **العلاقة بين التشيع والتصوف**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، شعبة العقيدة، قسم الدراسات العليا، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية، 1411هـ، ص.93

(2) عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.60

وأغلظه، وذلك قبل أن يتولى الخلافة وبالضبط حينما كان واليا على المدينة المنورة، لكن لما تولى الخلافة تغير حاله وأضحى أزهد المسلمين في المطعم والملبس[1].

وعلى رأي عمر فروخ: (فزهد عمر بن عبد العزيز، إذن لم يكن شيئا وقر في نفسه منذ الصبا، ولكن كان تساميا عن أغراض الدنيا المادية وأعراضها البخسة والتفاتًا ـــ بعد أن ولى الخلافة ـــ إلى ما هو أليف بنفوس الكبار)[2].

كما أن الزاهد يزهد في الدنيا ويخشى منها لأنها قد تكون سببا في دخوله النار، وحرمانه من الجنة، بينما الصوفي يخاف من الدنيا ويزهد فيها لأنها قد تصرفه وتشغله عن الله عز وجل بغضّ النظر إن كان في الآخرة سيفوز بالجنة، أو قد يقذف في النار. فغاية الزاهد هي الاستمتاع بالآخرة أي السلامة والنجاة من العقاب، وغاية الصوفي هي صفاء النفس لتتصل بالله أي الوصول.

وعليه فيمكن أن نقول أن الزهد يختلف عن التصوف، والزهاد يختلفون عن المتصوفون، ومن ثم فإن الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ثم التابعين من بعدهم كانوا زهادا ولم يكونوا متصوفين.

2-2-2- المرحلة الثانية (القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي):

شهدت هذه المرحلة في نصفها الثاني، أي النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ظهور ونشوء جماعة من المتشددين الذين كانت لهم حياة وسلوكات خاصة، تميزت عن عامة الناس من المسلمين[3]، وأوغلوا في الزهد والتقشف قاصدين الانصراف عن الدنيا وملذاتها[4]، إلى درجة أنهم خالفوا كل ما هو مألوف وتركوا كثير من المباحات، وحرموا على أنفسهم أنواع كثيرة من الأطعمة والألبسة والمساكن، وقرروا الانغماس في حياة العزلة والاعتزال وعدم مخالطة الناس، تجنبا للوقوع في المحظور من الشهوات والملذات، وآثروا الخلوة ومفارقة الأحباب والأوطان، واشتهروا بالإكثار من العبادات كالصلاة والصيام، ومداومة الأذكار، وإلى غير ذلك من أقصى درجات الصبر والخضوع ورياضة النفس والانقطاع عما سوى الله[5]، كما اشتهروا بلبسهم لملابس صوفية قروية خشنة[6].

---

(1) محمد بن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، المطبعة الرحمانية، مصر، 1346هـ/1927م، ص-ص.21-22

(2) عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.60.

(3) قاسم غني، **المرجع السابق**، ص.533.

(4) عمر فورخ، **المرجع السابق**، ص.63.

(5) فلاح بن إسماعيل بن أحمد، **المرجع السابق**، ص.99.

(6) قاسم غني، **المرجع السابق**، ص.533.

لكن في مقابل أعمالهم التعبدية تلك التي اجتهدوا فيها وصبروا عليها، وهي في الأصل مستحبة ومحمودة لأنها لا تعارض نصا شرعيا، ولا عمل السلف الصالح، وقعوا فيما لا يحمد عقباه من أعمال وأقوال لا سند شرعي لها، وذلك عن قصد منهم أو غير قصد، أي استحسانًا منهم لما في ظاهرها من الخير والصلاح، أو جهلاً منهم بالسنن والآثار، فكانت هذه الأعمال منطلقا لمتصوفة المراحل التالية فأوقعتهم في المحظورات كالبدع والشرك[1].

ومن أهم هذه الأعمال تشييد بعضهم لصوامع بعيدة عن المجتمع للعيش فيها، واعتكاف بعضهم في المغارات أو جوب الصحاري وهم في أقصى درجات الحزن والغم والرضا والتسليم في كل حال بالشكر، وانتحال أنواع البلايا في معيشتهم[2]، ونبذ أئمتهم للعلم الشرعي وعلمائه، وتحذير أتباعهم ومريديهم من مخالطتهم أو مجالسهم[3].

كما بدأ هؤلاء يتحدثون عن المراقبة والإحسان، والإخلاص والتقوى، ومحاسبة النفس ورعاية حقوق الله والصدق في معاملته، وأصبح لكلامهم هذا أثر عميق في نفوس وعقول بعض المسلمين الذين رأوا فيهم جيلا جديدا من أولياء الله الصالحين، وأصبحت لهم ألفاظ ومفردات خاصة تتردد في مجالات معارفهم وعلومهم، عرفت بهم وعرفوا بها، وقام بعض أتباعهم ومريدهم بتقييد أقوالهم إلى جانب القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة، وجعلوا منها تفسيرًا لكلام الله وسنة نبيه باعتبارها من وارداتهم المستقاة من صفاء باطنهم، ومن هنا نبع عندهم ما اصطلح عليه بعلم الباطن[4]، وأصبحوا يلقبون بلقب لم يكن معروفا عند المسلمين من قبل، وهو لقب الصوفية، وأصبحت طريقتهم تعرف بالتصوف[5].

وعليه يعتبر النصف الثاني من هذه المرحلة بمثابة دور حضانة للصوفية والتصوف[6]، الذي هو في الأصل استمرار لحياة وسلوك زهاد القرن الأول، والنصف الأول من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، بطريقة فيها كثير من التشدد في الزهد والتقشف والاعتكاف، واعتزال الدنيا وتحمل المشاق والتوكل والرياضة والقناعة[7].

---

[1] فلاح بن إسماعيل بن أحمد، **المرجع السابق**، ص.99
[2] قاسم غني، **المرجع السابق**، ص-ص.533-534
[3] فلاح بن إسماعيل بن أحمد، **المرجع السابق**، ص.99
[4] محمد الصادق إبراهيم عرجون، **المرجع السابق**، ص-ص.109-110
[5] قاسم غني، **المرجع السابق**، ص.536
[6] محمد الصادق إبراهيم عرجون، **المرجع السابق**، ص.110
[7] قاسم غني، **المرجع السابق**، ص-ص.533-536

وقد كان تصوف هذه المرحلة هادئا بسيطا لا يتجاوز ظهور شخص هنا أو هناك بين الفينة والأخرى، يدفعه عدم رضاه عن الأوضاع القائمة إلى اعتزال الناس، والاعتكاف من أجل التفرغ لعبادة الله عز وجل وكسب رضاه عن طريق إتباع حياة الزهد والتقشف، ثم لا يلبث أن يلفت أنظار الناس إليه بأعماله تلك، فيحوز ثقتهم ويلتفون حوله وينظرون إليه نظرة خاصة باعتباره من أولياء الله عز وجل، فيقصدونه للتبرك أو أملا في قضاء حوائجهم، وسرعان ما يتحول الإعجاب به إلى إيمان به، وبقدراته وكراماته التي لا تعدو أن تكون سوى شائعات يروج لها من قبل المنتفعين، فيتحول بذلك هذا الشخص إلى أستاذ أو شيخ يهتدى بهداه، ويقتدي به للوصول إلى سبيل الله عز وجل[1].

ومن أبرز شخصيات هذه المرحلة معروف الكرخي المتوفي ببغداد سنة 200هـ/816م، وكان يقول: (لو كان من حب الدنيا ذرة واحدة في قلوب العارفين ما صحت لهم سجدة واحدة)[2].

2-2-3- المرحلة الثالثة (القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين):

يمثل القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، منطلق التصوف الحقيقي[3]، فقد أصبحت خلاله الصوفية طائفة قائمة بذاتها بين الطوائف الإسلامية، لها ميزاتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها وتعرف بها، كما أن لها معالمها التي يستدل بها، ولها أصولها ومعارفها، ومصطلحاتها في تلك العلوم والمعارف، وأصبح أئمتها يعقدون حلقات دراسية لأتباعهم ومريديهم في أماكن خاصة، كما انخرط هؤلاء المتصوفة في حركة التدوين والتأليف التي تعتبر إحدى ميزات هذه المرحلة[4].

وفي هذه المرحلة أخذ الصوفيون ينظمون أنفسهم على شكل طرق تدل على أحوالهم وسلوكاتهم، ويخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد يسلكهم ويبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم والعمل معًا[5].

ويمكن القول أن التصوف قد بلغ خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، مرحلة النضج والكمال، لأن الصوفية أخذت تهتم خلال هذه الفترة بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك[6]، وكان أخص ما يتحدث فيه أئمتهم أسرار التوحيد ودلائل الربوبية، ولم تخرج أحاديثهم

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، **السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة**، دار الكتاب المصري، مصر، 1968، ص.182.

(2) نقلا عن: عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.63.

(3) قاسم غني، **المرجع السابق**، ص-ص.548-561

(4) محمد الصادق إبراهيم عرجون، **المرجع السابق**، ص.110.

(5) محمد مصطفى حلمي، **المرجع السابق**، ص.112.

(6) أبو الوفا التفتازاني، **المرجع السابق**، ص.17.

قط عن السنن والأقوال المعتمدة على الأصول الشرعية[1]، وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في عملهم وعلمهم، فصار التصوف على أيديهم علمًا للأخلاق الدينية ومعاني العبادة[2]، الشيء الذي يعني أن نشأة علم الأخلاق الإسلامي، يعتبر أولى خطوات التصوف الإسلامي في سبيل التكوين العلمي[3].

وقد اعتمد أئمة الصوفية في حديثهم مع الناس خلال هذه المرحلة على أسلوب، أقل ما يقال عنه أنه أسلوب منفرد بخصائصه، على غير ما عهده العلماء في الجدل المنطقي الذي كان يسود الحياة العلمية في البلاد الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[4]، كما أنهم حاولوا أن يخرجوا بأفكار جديدة وإصلاحات بعيدة نوعًا ما عن مظاهر التقشف والزهد، كالاعتناء بالمرقع من الملبس، ومظهر الدروشة والتصوف الذي كان يميزهم عن غيرهم قبل هذه المرحلة، لكن كل ذلك لم يثنيهم عن القول بعقيدة وحدة الوجود، التي لم يروا شيئا سواها، مما لفت أنظار الفقهاء إلى أفكارهم وأقوالهم التي اعتبروها خطرًا على العقيدة والأمة الإسلامية، فاتهموهم بالبدع وأحيانا بالكفر والإلحاد، وهو ما دفع بكبار أئمتهم إلى الاعتماد على القرآن والسنّة والتفاسير والأدلة العقلية في الاستدلال على أقوالهم أكثر من ذي قبل[5]، وعليه رأى بعض الباحثين أن هذه المرحلة تمثل (دور الخروج من الإغراق في الزهد والتقشف إلى الكلام وإلى التحرر من التكليف في العبادة وادعاء الخيالات الصوفية)[6].

---

(1) محمد الصادق إبراهيم عرجون، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.110

(2) أبو الوفا التفتازاني، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.17

(3) أحمد محمود إسماعيل الجزار، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.57

(4) محمد الصادق إبراهيم عرجون، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.111

(5) قاسم غني، **<u>المرجع السابق</u>**، ص-ص.548-561

(6) عمر فروخ، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.67

ومن أعلام الصوفية في هذه المرحلة نذكر: أبو نصر بشر بن الحارث الحافي[1]، السري السقطي[2]، الحارث بن أسد المحاسبي البصري[3]، أبو زيد البسطامي، أبو القاسم الجنيد الخزار[4]، ذو النون المصري[5]، الحلاج محمد بن موسى الواسطي[6]، الشلبي[7].

---

[1] قيل سمي الحافي لأن إحدى نعليه تقطعت فحملها في يده وجَاء بها إلى إسكافي يطلب منه خيطا ليربطها به، ثم ينتعلها مرة أخرى، فقال له الإسكافي « ما أكثر كلفتكم على الناس »، فألقى بشر النعل من يده، كما قام بخلع الأخرى من رجله وحلف منذ ذلك اليوم أن لا يلبس بعدها نعلا أبدًا، وقد توفي ببغداد في 10 محرم 227هـ الموافق لـ 30 تشرين الأول 840م. للمزيد من المعلومات يراجع: عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.64

[2] هو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي، قيل أنه خال الجنيد وأستاذه، كان أوحد أهل زمانه في الورع والزّهد والأحوال السنّية، صحب معروف الكرخي، ويعتبر أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، ونقل عنه كلام نفيس في التوحيد وقد ترجم له العلماء وجعلوه في المكانة العليا والمرتبة العلمية، وقد توفي ببغداد عام 251هـ/865م. يراجع: سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص–ص.202–203

[3] هو الحارث بن أسد المحاسبي البصري يلقب بأبي عبد الله، سمي بالمحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه، سكن بغداد وعاصر الإمام أحمد بن حنبل، تكلم عن أصل حب العبد للرب، معتبرًا أن هذا الحب منة إلهية يودعها الله في قلوب محبيه، وتطرق إلى إتحاد المحب بالمحبوب، وما يترتب عنه من كشف أسرار الوجود، وقد لقي هجومًا قاسيًا من مشايخ الفقه. توفي سنة 243هـ/857م. يراجع: عبد السلام محمد البكاري، **المرجع السابق**، ص.90

[4] هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزار نسبة إلى نسج الثياب، ولد حوالي 215هـ/830م في بغداد ونشأ بها، صحب خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي، يمثل الجنيد أعمق صوفية القرن الثالث الهجري روحانية، فقد وصل التصوف على يديه إلى ذروته، فمدرسته هي قلب التصوف ولسانه وبيانه، ويلجأ إليه في الفتوى والفيصل والسير على مناهجه وقواعده وسلوكه ومعارجه، وقد توفي وهو يصلي سنة 297هـ/909م أو 298هـ/910م. للمزيد من المعلومات يراجع: عبد السلام محمد البكاري، **المرجع نفسه**، ص–ص.17–23 ؛ علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.81

[5] هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بـ: ذي النون المصري، أصله من النوبة جنوب مصر كان شديد الحث على الفقر والتواضع، فهاجم أهل عصره لإفراطهم في الإقبال على الدنيا، وكان يقول: « من علامة المحب لله عزّ وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه ». وشي به إلى الخليفة العباسي المتوكل، فاستدعاه إلى بغداد وسجنه على الزندقة، ثم عفى عنه بعد مدة، وأرجعه إلى مصر مكرمًا. كانت وفاته بالجيزة بمصر سنة 245هـ/859م. يراجع، عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.65 ؛ هيفر ديركي ومحمد علي، **المرجع السابق**، ص.70

[6] هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، من أشهر أقواله « الذاكر لله في ذكره أشد غفلة من الناسي لذكره، لأن ذكره سواه »، ويقصد بكلامه أن الإنسان يجب عليه أن يتأمل الله وحده لا أن يذكره، ذلك لأن ذكر الله غيّر الله. توفي في مرو سنة 331هـ/942م. يراجع: عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص.69

[7] هو دلق حجدر، وقيل ابن جعفر الشلبي نسبة إلى قرية من قرى أسروشنة بلدة من بلاد ما وراء النهر– وراء سمرقند– وكنيته أبو بكر الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ، صحب الجنيد، ومن أقواله « قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة، ومستبشرة إليه بموالاة المحبة ». توفي سنة 334هـ/945م. للمزيد من المعلومات يراجع: عبد السلام محمد البكاري، **المرجع السابق**، ص–ص.77–78 ؛ علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.88 ؛ هيفر ديركي ومحمد علي، **المرجع السابق**، ص.77

2-2-4- المرحلة الرابعة (القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين):

يمكن أن نقول عن هذه المرحلة، أنها مرحلة تراجع التيار الصوفي شبه الفلسفي، المتأثر بالنزعات الفلسفية، صاحب الدعاوي والشطحات المخالفة لعقائد الأمة، أمام التيار الصوفي السلوكي العملي الموافق لعامة الأمة في العقائد، المخالف لها في منهج التربية والسلوك، وذلك بسبب غلبة المذاهب الكلامية المؤيدة لعقائد أهل السنة والجماعة، ورفضها لكل ما يتعارض مع الكتاب والسنة(1).

وقد حاول أئمة الصوفية في هذه المرحلة أن يتحملوا مسؤولية إصلاح التصوف، وتنقيته مما شابه من أقوال تتناقض في ظاهرها مع نصوص الشريعة الإسلامية، لذلك حاربوا مذاهب أصحاب الغلو الصوفي المظهرين للشطحات والانحرافات العقائدية كالبسطامي والحلاج، وخطوا بذلك خطوة إصلاحية كبيرة اتجاه ربط التصوف من جديد بما عليه أهل السنة والجماعة(2).

ولذلك بادروا إلى تدوين المدونات وتأليف الكتب، معتمدين على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لإثبات كل قاعدة عرفانية، وإبرازها في صورة موافقة للكتاب والسنة(3)، رغم أن هذا المنهج الإصلاحي الذي اتبعوه لم يسلم هو الآخر من شطحات وانحرافات غلاة الصوفية، ولكن بدرجة أقل مما بلغه أصحاب نظريات الاتحاد ووحدة الوجود(4).

ويعتبر التعصب والجمود ومتابعة ظواهر النصوص الشرعية، أكثر شيء تميز به صوفية هذه المرحلة، لدرجة أن قال بعضهم بكفر الفلاسفة وتحريم الفلسفة، ورأى بعضهم في العمل بظواهر المذهب الحنبلي، السبيل الوحيد للوصول إلى الحق، لذلك تشددوا في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تشددًا فاقوا به كل محتسب وفقيه بمراحل، كما أنهم خاصموا أهل الحال وأصحاب الذوق، ورموا كل من خالفهم في ظواهر النصوص الشرعية، وخالفهم في إتباع المذهب الحنبلي بالفسق والكفر(5).

---

(1) أبو الوفا التفتازاني، **المرجع السابق**، ص.174

(2) سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص.203

(3) عبد الحكيم خليل سيد أحمد، **المعتقدات الشعبية في الطقوس والشعائر الصوفية- دراسة ميدانية للطريقة الجازولية الحسينية الشاذلية-**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2012، ص.41

(4) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.84

(5) قاسم غني، **المرجع السابق**، ص-ص.655-668

وخلال هذه المرحلة بدأ يزداد اهتمام الصوفية بالشعر، فظهرت جماعة منهم استعملوا في قصائدهم الشعرية معاني مجازية تمثيلية واستعارات وكنايات كانت معروفة في القرن الرابع الهجري لكن بطابع جديد في التعبير[1].

ومن أبرز صوفية هذه المرحلة القشيري[2]، الهروي[3]، أبو حامد الغزالي[4]، وعبد القادر الجيلاني[5]، وقد حاول هؤلاء جميعا أن يوفقوا بين المذهب الصوفي الذي يمثلونه، وبين مذهب أهل السنة، وعملوا بذلك على تحسين صورة التصوف عند عامة الناس فازداد أتباعه جيلا بعد جيل خلال هذه المرحلة وخلال المراحل الموالية، وانتشر انتشارًا واسعًا في العالم الإسلامي[6].

2-2-5- المرحلة الخامسة (القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين):

تعد الفترة الممتدة من بداية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي إلى غاية نهاية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، مرحلة تنظيم التصوف وتبلور الطرق الصوفية، بسبب انتشار الزوايا والخوانق التي كانت بمثابة أماكن استقرار وإقامة للمتنقلين من الصوفية، وانتشرت معها مبادئ

---

(1) عبد الحكيم خليل سيد أحمد، **المرجع السابق**، ص.41

(2) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري الملقب زين الإسلام والمكنى أيضا بـ: أبا القاسم، صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما، ولد سنة 376هـ/986م، وهو من العرب الذين أقدموا خرسان، توفي أبوه وهو صغير وقرأ الأدب في صباه، حضر إلى نيسابور لتعلم الحساب وقد وفق في مسعاه، أخذ الفقه عن أبي بكر محمد بن بكر الطوسي، وعلم الكلام عن أبي بكر بن فورك، وأخذ التصوف عن أبي علي الدقاق، توفي عام 465هـ/1072م. يراجع: سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص-ص.204-206 ؛ عبد السلام محمد البكاري، **المرجع السابق**، ص.78

(3) عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري، من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ولد سنة 395هـ/1005م، اعتنى بعلم اللغة العربية فأتقنها، كما درس وأهتم بعلوم الحديث والأنساب وعلم التاريخ فتفوق في جميعها، وهو من أبرز علماء المسلمين الذين جمعوا بين مذهب أهل السنة ومذهب الصوفية، لذلك احتل مكانا بارزًا بين الصوفية، وقد توفي سنة 481هـ/1140م. يراجع: هيفر ديركي ومحمد علي، **المرجع السابق**، ص.101 ؛ سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص-ص.606-207

(4) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، ولد في مدينة طوس من أعمال خرسان سنة 450هـ/1058م، كان أبوه فقيرا يمتهن حرفة غزل الصوف وبيعه، ويلزم طريقة المتصوفة، ويأخذ بالزهد والتقشف، فلما توفي والده تولى كفالته جار لهم بناء على وصية أبيه، وقد ألحقه بالمدرسة النظامية بنيسابور فدرس على أيدي أشهر معلمي عصره كالإمام الجويني، فبرع في علوم الفقه والجدل والمنطق والفلسفة، لذا تم اختياره للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة 484هـ/1092م. يرى الغزالي أن الصوفية علم وعمل، فعلم الصوفية يؤخذ من الكتب أما أخص خواصهم فهو في عملهم، توفي سنة 505هـ/1111م. يراجع: عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص-ص.73-75 ؛ علاء بكر، **المرجع السابق**، ص-ص.90-91

(5) سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني عند التطرق للطريقة القادرية.

(6) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص-ص.84-85

التصوف في أطراف الصحراء وأعالي الجبال وغيرها من مناطق العالم الإسلامي آنذاك، وساهمت بشكل كبير وفعال في نشر الإسلام بين شعوب آسيا الوسطى وشمال إفريقيا[1].

كما يعود الفضل في تبلور الطرق الصوفية خلال هذه المرحلة إلى بعض الشيوخ من أئمة الصوفية، الذين قرر كل فرد منهم أن يتخذ له مكانا في خلوة نائية، أو في زاوية صغيرة من ركن بيته يتبع فيه أسلوبا جديدًا في التربية الروحية ومجاهدة النفس، وممارسة نظام معين وخاص به في الرياضات الصوفية فينتشر بذلك خبره بين الناس، ويزداد عدد المعجبين به فيلتفون حوله مشكلين مركزًا من مراكز التربية الروحية، ومدرسة من مدارس الصوفية، ثم يتطور الأمر شيئا فشيئا ليتحول إلى طريقة جديدة تتبنى أسلوب الشيخ وتتخذ اسمه علمًا لها.

وفي هذا الشأن يقول أبو الوفا التفتازاني: (وأصبحت لفظة طريقة عند الصوفية المتأخرين تطلق على مجموعة أفراد من الصوفية، ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية في الزوايا والربط والخانقاوات، أو يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام)[2].

لكن وإن كانت بداية هذه المرحلة لم تشهد تطورًا كبيرًا في تعاليم تلك الجماعات أو المجموعات، التي لم تكن بدورها ناضجة بالقدر الكافي الذي يجعل منها طرقا صوفية كاملة ترتبط بسلسلة روحية ونظام معين[3]، فإن الثلث الأخير من هذه المرحلة شهد تطورًا جديدًا وفريدًا من نوعه عند أتباع هذه المجموعات إذ أصبح هؤلاء الأتباع يقومون بتحديد إسناد متصل، أو سلسة من الشيوخ تبدأ من الشيخ المرشد إلى شيخه المباشر وتتدرج صعدًا لترقى إلى بعض كبار الشيوخ من أمثال الجنيد ومن فوقه أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم[4].

وعليه فقد تطورت فيما بعد العلاقة بين الأتباع داخل الطرق الصوفية الصحيحة ذات الأسانيد الموثوقة، من علاقة الأستاذ بالتلميذ، إلى علاقة أكبر وأوسع وأشمل، وهي علاقة المرشد بالمريد، كما تطور الأمر من مجموعات تبحث عن التربية الروحية والانقطاع للذكر والعبادة، إلى مجموعات منظمة

---

(1) حسن الشافعي، أبو اليزيد العجمي، **<u>في التصوف الإسلامي</u>**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة– مصر، ط.1، 1284هـ/2007م، ص.72.

(2) أبو الوفا التفتازاني، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.286.

(3) حسن الشافعي، أبو اليزيد العجمي، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.72.

(4) حسن الشافعي، أبو اليزيد العجمي، **<u>المرجع نفسه</u>**، ص.73.

من المريدين، الذين ينسبون أنفسهم إلى من أعطاهم العهد وإلى شيخه الكبير، ماداموا مقتنعين بطريقته وبضرورة نقلها إلى من يليهم من المريدين[1].

كما شهدت بداية هذه المرحلة أو بالأحرى القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، نمو وتزايد النزعة الفلسفية في التصوف، إذ توجهت اهتمامات أئمة الصوفية في هذه الفترة إلى الكلام في حقائق الموجودات العلوية والسفلية على وجه لا يفهمه إلا من سار على دربهم ونهجهم، ومزجوا بين الفلسفة والتصوف مزجًا معقدًا يصعب على الباحث الفصل بينهما من جراء غموض ألفاظهم وإشاراتهم وما توهمه ظواهرها من الظلال والزيغ[2]، وكل ذلك حدث بسبب اعتمادهم واستعمالهم لمصطلحات فلسفية بعيدة كل البعد عن الثقافة العربية الإسلامية، بل تعود في أصولها لحضارات وديانات قديمة، كالفلسفة اليونانية والديانة الفارسية والهندية والنصرانية[3].

وفي هذه المرحلة اكتمل مذهب وحدة الوجود، وظهر في صورته النهائية بالأندلس على يد محي الدين بن عربي الذي عمل على نقله إلى المشرق العربي، ثم جاء من بعده ابن سبعين[4] وواصل ما بدأه محي الدين بن عربي[5].

وقد تأثر غلاة الصوفية بغلاة الشيعة الباطنية خلال هذه المرحلة، وأرجع الباحثون السبب في ذلك إلى أن هذه الفترة تلت سقوط الدولة الفاطمية، مما يعني أن هناك علاقة ما خفية بين الطرفين، في محاولة منهما لإعادة إحياء الدولة الفاطمية، أو على الأقل المحافظة على ما تبقى من المذهب الباطني،

---

(1) حسن الشافعي، أبو اليزيد العجمي، **المرجع السابق**، ص.74

(2) أحمد محمود إسماعيل الخزار، **المرجع السابق**، ص-ص.63-64

(3) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.101

(4) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد، كنيته أبو محمد، لقبه قطب الدين، أشتهر باسم ابن سبعين، ولد سنة 614هـ/1217م في مرسية بالأندلس وعاش فيها، عرف منذ صباه بالذكاء والنباهة، والإيثار والجود، تعمق في دراسة الفلسفة الإغريقية، ثم ارتحل إلى بلاد المغرب العربي، وأقام لفترة بتونس، وأظهر تصوفه ومذهبه في الوحدة المطلقة، فعاداه فقهاء المغرب العربي، فارتحل إلى المشرق، لكنه لقي المصير نفسه من فقهاء مصر، فاضطر للانتقال إلى مكة المكرمة وأقام بها بعد أن استمال واليها إليه، وجاور غار حراء راجيا أن ينزل عليه الوحي كما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يعتقد أن النبوة مكتسبة، وأنّها فيض يفيض على العقل إذا صفا، وقد عرف بمعتقداته الصوفية وأقوالها الكفرية المنسوبة إليه، مما جعله يعاني في السنتين الأخيرتين من عمره من معاداة الفقهاء له بسبب معتقداته. توفي سنة 669هـ/1270م. يراجع: علاء بكر، **المرجع نفسه**، ص.110 ؛ هيفر ديركي ومحمد علي، **المرجع السابق**، ص.74

(5) عمر فروخ، **المرجع السابق**، ص-ص.163-186 ؛ محمد عبد المجيد، **المرجع السابق**، ص-ص.30-31

والعمل على تفعيله من خلال الدعوة إليه سرًا تحت دعاوي التصوف والولاء لأهل البيت، لاسيما مع رواج التأويل للنصوص الشرعية لنصرة المذهب كمنهج لدى الفريقين(1).

2-2-6- المرحلة السادسة(القرنين التاسع والعاشر الهجريين، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين):

شهد الربع الأول من هذه المرحلة ـ النصف الأول من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي ــ عداوة كبيرة بين التيار السلفي الذي يمثل أهل السنة والجماعة وبين التيار الصوفي، وقد اشتد الصراع بينهما بعد أن أدركا أنه لا مجال للتلاقي في بؤرة واحدة للبون الشاسع بينهما في المجال الفكري المتعلق بالعقائد والعبادات والسلوكيات، ولاختلافهما أيضا في المنهج والغاية والوسيلة.

وقد دفع هذا الصراع بمجوعة من أعلام التيار السلفي الذين تتلمذوا على مدرسة ابن تيمية ومصنفاته، وجمعوا بين الفقه والقضاء والتاريخ مع الإنكار على الصوفية والاتحاديين إلى التنبيه لخطر انتشار التصوف الفلسفي بين المسلمين، وأثر ذلك في طمس معالم مذهب أهل السنة والجماعة، الذي كان عليه أوائل هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ومن سار على نهجهم من أئمة أهل السلف الصالح، والتنبيه أيضا إلى ظلال متفلسفة الصوفية وغلاتهم كابن عربي وغيره، وكشف فضائحهم وإظهارها للعيان كما فعل المقريزي 845هـ/1441م، الذي صنف رسالة في دحض مذهب الإتحاد خلص فيها إلى أن أتباع ابن عربي ليسوا بمسلمين، وهاجم صوفية عصره كلهم، وكذلك فعل ابن حجر 852هـ/1449م الذي عبر عن كراهيته لأتباع ابن عربي في تراجمه(2).

لكن الأحوال تغيرت في الربع الثاني من هذه المرحلة ـ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي ـ بموت أغلب أعلام التيار السلفي، فتحمس أصحاب التيار الصوفي لاسيما أولئك الذين مازالوا يحتفظون بولائهم لأقطاب التصوف من متفلسفة الصوفية، فازدادوا كثرة وقوة، وقدموا صورة مشوهة تمامًا للتصوف، أفقدته صورته النقية التي ينبغي أن يكون عليها، وذلك جراء ممارساتهم الخاطئة التي جعلت من طريقة الإخلاص والزهد والعرفان والخير أداة غش ومطامع وجهل وفساد، وجراء ما أدخلوه من شركيات وخرافات وجهالات وخزعبلات في الجانب العملي التعبدي ومحاولة إظهار أقطابهم

(1) علاء بكر، **المرجع السابق**، ص-ص101-102

(2) أحمد صبحي منصور، **تاريخ المصريين- العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف-**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت، ص-ص.141-145

بأنهم أولياء صالحين وأئمة مقدمين، والتغاضي عن ضلالاتهم العقائدية الفلسفية، أو محاولة تأويلها لتوافق الشرع[1].

وقد شهدت هذه المرحلة التي برز فيها الإمام الشعراني[2] كأحد أقطاب الصوفية ارتفاع مكانة شيوخ الطرق بين الناس، وذلك بما يمتلكونه من قدرة لا تعلوها إلا قدرة المولى عز وجل على اجتذاب العوام من الناس والتأثير فيهم، حتى صار لهم نفوذ وجاه يفوق نفوذ ملوك وسلاطين تلك الفترة، وصار لأتباعهم زوايا كثيرة وعديدة رصدت لها الأوقاف والإعانات، وقد أنشأها أهل اليسر والغنى لهؤلاء الشيوخ ومريديهم ليقيموا فيها جماعات، منقطعين لعبادة الله، متجردين لذكره معرضين عن الدنيا مقبلين على الآخرة، زاهدين في الملذات، منصرفين إلى التفقه في الدين والعلم بأحكامه، لكن فساد الجو وضنك العيش وشيوع الجهل أغرى بعض محترفي التصوف الذين اتخذوه أداة للكسب، ليلتحقوا بهذه الزوايا ويجعلوا منها أداة للثراء، واكتساب السمعة والجاه، لذا انتشرت هذه الزوايا بكثرة واجتذبت الألوف من المريدين فازدادت مداخيلها مما استدعى وجود نقباء عديدين في الزاوية الواحدة، يتولون توزيع الطعام والغذاء والكساء وحصر الصدقات والتبرعات، إلى جانب ترتيب مجالس الذكر في غياب الشيخ، ولكل نقيب عمل يخصه، والى جانب النقباء كان القراء والمحدثون، ووجد مؤدبو الأطفال، وكانت خزائن الكتب، إلى جانب الحمامات والمراحيض، والمدافن، والمطاهر والخلوات[3]، وأخذ نفوذ شيوخ الطرق الصوفية يزداد ويقوى ويتسع خلال هذه المرحلة لدرجة أن سيطرتهم لم تعد تقتصر على العامة وبعض الخاصة، بل تجاوزتهم لتشمل الحكام والسلاطين والأمراء، الذين أصبحوا يحسبون لهؤلاء الشيوخ ألف حساب قبل أن يقدموا على أي فعل أو قول ذو صلة بهم أو بمريديهم[4].

وعليه زاد أثر التصوف في المجتمعات الإسلامية أثناء هذه المرحلة وبعدها، لاسيما إبان الحكم التركي العثماني أين بث الصوفية روح التواكل والتقليد والخمول بين الناس، وانتشر بذلك الجهل في الأوساط الاجتماعية، وازداد تعلق ضعفاء الإيمان بالخرافات والخزعبلات مما تسبب في الانحطاط الفكري، الذي أدى بدوره إلى تقهقر الأمة الإسلامية وتراجع مكانتها بين الأمم[5].

---

[1] أحمد محمود إسماعيل الخزار، **المرجع السابق**، ص-ص.66-88

[2] ولد عام 898هـ/1493م، وتوفي عام 973هـ/1568م، يزعم أتباعه أنه مغربي الأصل، من أحفاد علي بن أبي طالب- رضي الله عنه. له مؤلفات كثيرة ساهمت في نشر مذهب الصوفية في الأجيال التي جاءت من بعده. يرجع: علاء بكر، **المرجع السابق**، ص-ص.125-136.

[3] علاء بكر، **المرجع نفسه**، ص-ص.133-134؛ أحمد صبحي منصور، **المرجع السابق**، ص-ص.141-145

[4] سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص.210

[5] علاء بكر، **المرجع السابق**، ص.134

ثانيا- تاريخ ظهوره وعوامل انتشاره في الجزائر قبل 1244هـ/1830م:

1- تاريخ ظهوره:

يمكن أن يؤرخ لبدايات الميل إلى الحياة الروحية الصوفية في بلاد المغرب العربي، بالمواجهة التي حدثت في أواخر القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، بين الحكام الأغالبة[1] من جهة، والفقهاء والعلماء من جهة أخرى، والتي جعلت هؤلاء الفقهاء يرتقون إلى مقام الأولياء في نظر عامة الناس الذين ارتبط في أذهانهم معنى الوالي بصورة الزعيم، وذلك لوقوف الفقهاء في وجه الظلم الذي كان الحكام يسلطونه على الرعية، ولأن الولاية ارتبطت في أذهانهم بمعنى الدفاع عن حق المستضعفين وحمايتهم من جور الحكام الأجانب[2].

وبعد إعلان الشيعة العبيديين[3] عن قيام دولتهم، انتظم الفقهاء والعباد والنساك في شكل جماعات اتخذت من المساجد أو الربط منابر تدعو من خلالها إلى التمرد عن مذهب الدولة الجديدة، ومما ساعد هؤلاء الزهاد والنساك على نشر آرائهم، ظهور الربط وانتشارها بسواحل المغرب العربي، تلك الربط والحصون التي كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى الدفاع عن السواحل المغاربية المعرضة للهجمات الصليبية، كما كانت تقام في تلك الربط حلقات للذكر، بالإضافة إلى كونها مزارا على مدار السنة يختلف إليه العلماء والفقهاء ويجتمعون بطلبة العلم لإلقاء المحاضرات والدروس عليهم، ومن هنا كان أهل

---

[1] مؤسس الدولة الأغلبية هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خافجة التميمي، ولد سنة 138هـ/755م وقضى صباه في تحصيل العلم بمدينة الفسطاط، وعندما بلغ سن الرشد انخرط في جند مصر وسار معه إلى إفريقية- تونس حاليا- وقد أثبت شجاعة كبيرة في كل المعارك التي خاضها، بالإضافة إلى كونه عالمًا وخطيبا، فشاع ذكره بين الناس ووقع عليه اختيار هارون الرشيد فولاه ولاية إفريقية. توفي في أواخر شوال سنة 196هـ أوائل جويلية 812م، عن عمر ناهز 56 سنة بعد ولاية استمرت أكثر من 12 سنة. للمزيد من المعلومات يراجع: سعد زغلول، **تاريخ المغرب**، مطبعة أطلس، القاهرة- مصر، 1979، ص-ص.27-29

[2] حميدي خميسي، **نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الأوسط (اتجاهاته، مدارسه، أعلامه)**، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط.1، 2011، ص.21.

[3] نسبه إلى عبيد الله أبو محمد المهدي مؤسس الدولة العبيدية- الفاطمية، وهو من أصل عراقي ولد بالكوفة سنة 260هـ/873م، جاء إلى بلاد المغرب العربي بطلب من بعض أهلها الذين التقى بهم في مكة ما بين سنتي 288هـ/891م-289هـ/892م من أجل تعليم الصبيان القرآن الكريم، لكن حين وصل إلى بلاد المغرب بدأ في الدعوة إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي مما أدخله في صراع مع علماء أهل السنة والجماعة، وقد بويع بالإمارة في القيروان عام 297هـ/910م، ودامت ولايته عشر سنوات. للمزيد من المعلومات يراجع: علي محمد الصلابي، **صفحات من التاريخ الإسلامي**، دار ابن حزم، القاهرة- مصر، ط.1، 2009، جـ.2، ص-ص.11-71

المغرب العربي يعدون المرابطة في الثغور واجبا دينيا مقدسا، وجهادًا في سبيل الله يتفرغ فيه المرابط إلى العبادة والتبتل وإشغال الذهن والنفس عن ملذات الدنيا[1].

وبهذا الشكل أصبح الزهد والنسك يمثل ظاهرة اجتماعية وسياسية تحارب وتصد المذاهب المتطرفة ودعاتها، وذلك بعد أن كانت ظاهرة دينية تتميز بخاصية التفرد للعبادة واعتزال الناس ونبذ الدنيا وملذاتها[2].

وقد كان لصوفية المشرق العربي دور كبير في زرع روح الزهد والتصوف في نفوس المغاربة، الذين كانوا يتطلعون بشغف كبير إلى كل ما يأتيهم من ثقافة مشرقية[3]، إذ يقول الفريد بل: (...كان سيكون مثارًا للدهشة لو لم ينجح التصوف في النفوذ في الإسلام المغربي والتغلغل فيه. ذلك أن كل الحركات التي ظهرت في الشرق الإسلامي منذ بداية الإسلام وجدت لها أصداء في الشمال الإفريقي)[4].

لكن إذا أخذنا برواية عبد المجيد بن حمدة الذي أرخ لبدايات الميل إلى الحياة الروحية الصوفية في بلاد المغرب العربي بسلوكيات البهلول بن راشد التونسي المولد والمنشأ، والمتوفي عام 182هـ/798م إذ يقول: (وللبهلول دور كبير في المدرسة السنيّة، إذ نحا بها منحى التصوف المبكر،...فكان الناس يتبركون بدعائه)[5]، فإننا سنضع نصب أعيننا احتمال أن يكون التصوف في هذا الجزء الغربي من العالم العربي، قد نشأ متزامنا مع نظيره في المشرق العربي، وذلك بسبب المؤثرات الثقافية والاجتماعية الجديدة التي اكتسب منها الإسلام بعده العالمي والإنساني الجديد المتمثل في ظهور الفلسفة الإسلامية والتصوف.

إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة، أننا نستبعد كليا أن يكون التصوف في المغرب العربي، قد نشأ من فراغ أو بمعزل عن التأثر بنظيره في المشرق العربي، إذ توجد بعض المؤشرات التي تشير إلى أن أبي حامد الغزالي وبتجربته الفلسفية والصوفية، قد أثر تأثيرا كبيرا وواضحا في جل من ظهر من متصوفة المسلمين في المغرب العربي، وهذه التجربة سنية أشعرية يعتقد أنها وصلت إلى المغاربة عن طريق أبي بكر العربي المتوفي عام 543هـ/1148م، الذي تشبع بفكر حجة الإسلام الإمام الغزالي وسلك مسلكه حتى حاز على الخرقة منه شخصيًا[6].

---

(1) ألفرد بل، **المرجع السابق**، ص.99

(2) ألفرد بل، **المرجع نفسه**، ص.379

(3) حميدي خميسي، **المرجع السابق**، ص.19

(4) ألفرد بل، **المرجع السابق**، ص.379

(5) عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية**، مطبعة دار العرب، تونس، ط.1، 1986، ص.37

(6) ألفرد بل، **المرجع السابق**، ص.378

ويمكن أن نلمس هذا الأثر العميق للغزالي ولتجربته الصوفية على متصوفة المغرب العربي، من خلال اهتمام المغاربة بمؤلفاته، ومن خلال سيرهم الذاتية أيضا، إذ أن جل الحكام الذين تعاقبوا على عرش بلاد المغرب بعد سقوط الدولة المرابطية، جعلوا من فكره المرجع الأقوى لهم في سياساتهم الدينية والدنيوية[(1)]، واعتبره بعض المتصوفة حلقة مهمة في توارث المشيخة الصوفية وفي سلسلة تمتد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كابن قنفد القسنطيني المعروف بـ: ابن الخطيب والمتوفي عام 810هـ/1407م، الذي ادعى أنه توارث الخرقة الصوفية عن مشايخ يتسلسلون إلى أبي مدين الذي ورثها بدوره عن ابن حزم عن أبي بكر بن العربي عن أبي حامد الغزالي عن أبي المعالي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داوود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم[(2)].

لكن سواء كان التصوف في بلاد المغرب العربي قد نشأ متزامنا مع نظيره في المشرق العربي، أو متأثرا بهذا الأخير، فإن المؤكد لدى أغلب الباحثين هو أن الجزائر انتشر فيها الفكر الروحي الصوفي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، من خلال إسهامات كبار المتصوفين الذين أقاموا بها، أو الذين مروا منها أمثال ابن عربي الذي زارها أواخر القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وأبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري[(3)]، الذي يعتبر من أوائل أوتاد المتصوفة العمليين الشعبيين في الجزائر، وقد عرفت طريقته المدنية شهرة واسعة بين الأوساط الشعبية الجزائرية بصفة خاصة والمغاربة بصفة عامة لدرجة أن انتسب لها كثير من العائلات، بل وتسمت باسمها سواء بلقب مديني أو مدني ثم ازدادت شهرة وانتشارا ونشاطا على يد أبو الحسن الشاذلي تلميذ ابن

---

(1) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص-ص.98-99

(2) أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفد القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط- المغرب، 1996، ص.93

(3) ولد عام 500هـ/1104م بإشبيليا وعاش فيها ثم انتقل إلى فاس وتردد على مجالس الذكر والفقه لعلماء أكفاء ومنهم أبي الحسين علي بن خلف المتوفي عام 561هـ/1165م، وبعدها رحل إلى مكة وتزود بالعلم الديني والمعرفة الربانية وسلوكات الصوفية من شيوخ كبار أمثال عبد القادر الجيلاني، ثم عاد إلى بلاد المغرب العربي واستقر بتلمسان حيث توفي عام 594هـ/1198م ودفن بالعباد. ومن أقواله في التوحيد: « هو الحق ومنور القلب ومحرك الظواهر وعلام الغيوب... التوحيد أصل في الوجود وعليه أخذت المواثيق والعهود وهو دليل على كل مفقود فمن بقى على أصله فقد وفى ومن عدل عن رسمه فقد أخطأ الطريق وجفا ». للمزيد من المعلومات يراجع: بن أحمد الغبريني، **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ؛ مجاني بوبة، « أبو مدين شعيب وشيخه أبو يعزى »، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، عدد08، الجزائر، 2001، ص-ص.172-180 ؛ عبد الوهاب فرحات، « أبو مدين شعيب ومكانته في التصوف المغربي »، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، عدد13، الجزائر، 2003، ص-ص84-95

مشيش، وصارت تعرف بالطريقة الشاذلية، وكان لتعليم الشاذلي أثر كبير في نفوس الجزائريين لدرجة جعلت من بعض الدارسين لتاريخ التصوف يجزمون أن معظم الطرق التي ظهرت بعده تصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية(1).

ومن أئمة التصوف الذين زاروا الجزائر خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي التيجيني(2)، وأبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي.

2- عوامل انتشاره:

من يتبع بالدرس والبحث الأطوار التي تلاحقت على الحياة العامة في الجزائر قبل 1244هـ/1830م، وخصوصا الحياة الدينية والفكرية وما لحقها من ظهور وانتشار للحركة الصوفية بمختلف طرقها وانتماءاتها، سيتبادر إلى ذهنه سؤال يعنينا بوجه خاص لأنه أحد وجوه البحث ألا وهو:

كيف تمكنت الحركة الصوفية من تحقيق هذا الانتشار؟ وفيما تتمثل أهم العوامل التي ساعدتها على ذلك ؟

والجواب هو أن الحركة الصوفية التي ظهرت في الجزائر وبدأت في الانتشار منذ القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، كانت نتاج عوامل عدة مختلفة تخمرت قبل هذا التاريخ واستمرت في التفاعل إلى غاية قدوم الاحتلال الفرنسي، وتتمثل في:

2-1- العوامل الدينية:

وتأتي على رأسها حركة الزهد، إذ لا يخفى عنا نحن الباحثين أن الجزائر كانت بمثابة مركز عبور لكثير من الزهاد والنساك، ومقاما ومستقرًا لبعضهم الآخر، وقد حفظت لنا الكتب الأدبية والتراجم أسماء أغلب هؤلاء الزهاد والعباد الذين التزموا حياة الكفاف والعزوف عن الدنيا والاكتفاء بالخلوة والرباط في الثغور الجزائرية طلبا للاستشهاد، وكانت حياتهم تتميز بالصلاح والتقوى واستشعار الخوف من الله

---

(1) سهيل الخالدي، « مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان أنموذجا »، **مجلة أفكار وآفاق**، جامعة الجزائر02، عدد03، الجزائر، 2012، ص.96.

(2) تبنى أفكار مدرسة التصوف الإشراقي، وتأثر بكبار أعلامها كشهاب الدين بن حبش السهروردي المتوفي عام 580هـ/1183م، وأبي الحسن بن عبد الله بن سينا المتوفي عام 428هـ/1037م، فهو يعتبر أن الموجودات المادية والروحية في العالم أصلها من نور الله الذي هو الإشراق وأن مرتبة مشاهدة الله والاطلاع على أسراره، والانتفاع بملذاته ومعارفه لا يتم التوصل إليها بواسطة العقل، وإنما بالمجاهدات وأنواع الرياضة الشاقة، وهذه المجاهدات وأنواع الرياضة لخصها في مراحل هي نفس المراتب والمراحل التي وضعها ابن سينا في كتابه الإشارات. توفي الحرالي التيجيني عام 637 أو 638هـ/1239 أو 1240م. يراجع: بن أحمد الغبريني، **المصدر السابق**، ص-ص.145-156 ؛ هيفر ديركي ومحمد علي، **المرجع السابق**، ص.64.

وعقابه، مما رفعهم إلى مرتبة الأولياء الصالحين في نظر بعض العامة الذين حاولوا بدورهم الاقتداء بهم والسير على خطاهم، بل وتقديس أسمائهم وقبورهم بعد وفاتهم.

ولنا في الزاهد وهب بن منية ـ أحد كبار التابعين والصالحين ـ خير مثال على ذلك، حيث كان محل إعجاب التلمسانيين الذين استقر بمدينتهم ودفن بها بعد وفاته، فأطلقوا اسمه على أحد أبوابها وهو باب وهب، كما أصبح قبره مزارا للكثير منهم[1].

والشيء نفسه حدث مع الزاهد سيدي هيدور الذي اتخذ من الجبل الذي يطل على وهران غربًا مكانًا للزهد والعبادة فنسب إليه بعد وفاته، وظل يحتفظ بهذا الاسم إلى غاية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، حيث أصبح يعرف باسم مرجابو، ثم تحول اسمه بعد ذلك إلى جبل المائدة أو جبل سيدي عبد القادر، وهو الاسم الذي يعرف به إلى غاية يومنا هذا[2].

لكن إن كان هؤلاء الزهاد الذين ذكرنا مثالين عنهم، كانوا يسعون من خلال ممارساتهم الزهدية إلى النجاة بأنفسهم من حياة دنيوية مليئة بالشرور والآثام إلى حياة النعيم الأبدي، أو هروبا من واقع يرفضونه ولا يستطيعون تغييره فغاص في أعماق نفوسهم طالبين الانطواء والاعتزال، فإن هذا الزهد كان عند آخرين بمثابة رسالة اجتماعية وخلقية ودينية، سعوا من خلالها إلى الإصلاح والتغيير والدعوة إلى يقظة النفس من سباتها العميق، فتجمع حولهم كثير من المعجبين والمريدين.

وفي هذا الشأن نذكر الزاهد الفقيه أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي المتوفي عام 404هـ/1048م، الذي نزل ببونة- عنابة حاليا- أوائل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وأسس بها رباطه الذي يعتبر بمثابة مدرسة لتكوين الزهاد تخرج منها عدد كبير من الزهاد والفقهاء أشهرهم

---

(1) أبو زكرياء يحي بن محمد بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، جـ1، ص.117 ؛

George marçais, **Telemcen**, liberairie renouard holourens, Paris, 1950, P.17

(2) محمد بن أحمد أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار**، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم1632، ورقة34 ؛ محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1389هـ/1978م، ص.46

على الإطلاق الزاهد الفقيه أبو محمد عبد الحميد المغربي الملقب بابن الصانع والمتوفي سنة 455هـ/1063م[1].

لم يكن الزهد العامل الديني الوحيد الذي ساهم في انتشار التصوف بالجزائر، بل كان للمذهبية الدينية دور أيضا في تغذية وتفعيل النشاط الصوفي بهذا البلد، وذلك من خلال الفقهاء والعبّاد والنسّاك الذين انتظموا في شكل جماعات حملت على عاتقها لواء التصدي للمذهب الشيعي الباطني الذي حاول الحكام العبيديون أن يفرضوه بالقوة لا على المجتمع الجزائري فحسب بل على المغاربة بصفة عامة، ولكم أن تتصوروا عمق الانطباع الذي أحدثه هذا التصرف من العبيديين في نفوس الأهالي الذين تداعوا فرادى وجماعات، للانخراط في دعوة الفقهاء والعبّاد والنسّاك الذين اتخذوا من المساجد والربط منابر لدعايتهم الرامية إلى التمرد على المذهب الشيعي[2].

ومن هنا يتضح لنا دور هذه الرباطات في حركة الجهاد ضد الغزو الصليبي للسواحل المغاربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وقد اعتبر ليفي بروفنسال Lévi Provençal حركة الجهاد، أحد العوامل الدينية المساعدة على انتشار التصوف[3].

وكانت المرابطة في الثغور واجبا دينيا مقدسا في نظر المسلمين، إذ كان المجاهدون جنودًا وطلبة وعلماء في نفس الوقت يجتمعون بها، وينطلقون منها ويأوون إليها للزاد والسكن، والتفرغ للعبادة والتبتل وإفراغ الذهن من شؤون الدنيا، وكانت تقام فيها حلقات للذكر، إذ أن تأسيسها كان يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا.

والشيء الملاحظ أن الرباطات كانت منتشرة على السواحل الجزائرية قبل قدوم الأتراك العثمانيين وخلال العهد الأول من تواجدهم بالجزائر، وذلك بسبب تهديد الأعداء لهذه السواحل، لكن ما لبثت أن أخذت تنحصر شيئا فشيئا حتى اقتصرت على السواحل الغربية حيث ظل التواجد الاسباني في وهران في المرسى الكبير مما جعل الخطر يظل قائمًا[4].

---

(1) أحمد بن يحي الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس (علمائها وذوي النباهة فيمن دخل إليها وخرج)**، مطبعة روجس، مدريد- إسبانيا، 1884م، ج.1، ص.447 ؛ برهان الدين إبراهيم بن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، مطبعة السعادة، مصر، ط.1، 1329هـ، ص.345 ؛ أبو حسن علي بن محمد بن أبي القاسم الهواري، **مناقب الشيخ أبي سعيد بن خلف بن يحي الباجي**، مخطوط ضمن مجموع، دار الكتب التونسية، تونس، رقم4520، ورقة130.

(2) حميدي خميسي، **المرجع السابق**، ص.19.

(3) Lévi Provençal, « Religion culte des saints et confréries dans le nord marocain », **Bulletins de L'enseignement public du Maroc**, Librairie Emile rose, Paris, 1926, P, P.2,3

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، ط.6، 2009، ج.1، ص.272.

2-2- العوامل الفكرية:

لقد انتشر الفكر الروحي الصوفي في الجزائر سواء في الريف أو المدينة بفضل أفكار وإسهامات كبار المتصوفين، وعلى رأسهم أبو حامد الغزالي الذي تغلغل في نفوس وعقول الجزائريين بفضل ابن العريف صاحب محاسن المجالس، الذي شرح وأذاع بينهم أفكاره ومؤلفاته[1].

كما انتشر هذا الفكر بفضل أولئك المتصوفين الذين مروا أو أقاموا بمدينة بجاية، فنقلوا إليها حركة فكرية روحية عميقة ساعدت على نشر التصوف لا بين البجاويين فحسب، بل بين جلّ الجزائريين، ونذكر بين هؤلاء المتصوفين ابن عربي الذي زار بجاية أواخر القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وكذلك أبو مدين شعيب الأنصاري الأندلسي، الذي انتقل إلى تلمسان وعاش فيها وتوفي ودفن بها[2].

ويعتبر أبو مدين شعيب (من أبرز الشخصيات التي حملت لواء التصوف كتجربة عملية تتداولها الألسنة وتحار فيها العقول وكأفكار فلسفية كشفية مغايرة للنظر الفلسفي العقلي، وكذلك كحقائق دينية أرادت الاهتمام بالباطن وبالروح وتجاوز الجوانب العملية الفرعية [الفقهية] التي يختص بها أهل الظاهر كما هو في اصطلاح الصوفية)[3]، وإليه يعود الفضل في تكوين وتخريج مشايخ في التصوف بلغت شهرة بعضهم أقطاب الدنيا كالإمام الصوفي أحمد أبو القاسم التادلي[4].

وكانت معظم المناطق الجزائرية مأوى وملجأ لكثير من شيوخ الصوفية الذي حملوا إليها أفكارهم وأورادهم ونشروها بين سكانها، وهو ما يفسر كثرة الزوايا وانتشارها على نطاق أوسع قبيل قدوم الاحتلال الفرنسي.

2-3- العوامل السياسية:

فإن كان بعض الباحثين في تاريخ التصوف، وعلى رأسهم الطاهر بونابي[5]، يروّن في الأوضاع السياسية التي كانت قائمة في كل من الدولة الحمادية، والدولة المرابطية أنها تشكل أحد العوامل الرئيسة

---

(1) ألفرد بل، **المرجع السابق**، ص.380 ؛

Jaques Carret, Le **maraboutisme et les confréries religieuses musulman en Algérie**, Imprimerie officielle, Alger, 1950, P.6

(2) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.100.

(3) ساعد خميسي، **المرجع السابق**، ص.40.

(4) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.100.

(5) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين**، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2004، ص.85.

التي أدت إلى ظهور ونشأة الحركة الصوفية في المغرب الأوسط ـ الجزائر ـ فإننا نعتقد أن السياسة التي انتهجها الموحدون في المجال الديني ببلاد المغرب العربي والأندلس، هي التي أدت إلى تطور وانتشار التصوف بالجزائر.

فالموحدون وبتفضيلهم لمذهب الأشاعرة الذي يعد أحد المذاهب التي تقر وتعترف بكرامات الأولياء والصوفية لكونها تمنح المصداقية لمعجزات الأنبياء وتؤكدها[1]، يكونوا قد منحوا لهؤلاء الصوفية ولمشايخهم تأشيرة الجهر بأفكارهم، وتبرير سلوكاتهم وتصرفاتهم دون أن يعترض طريقهم أحد حتى وإن كان من كبار العلماء أو من أتباع السلطة[2]، وكل ذلك ساعدهم بالتأكيد في التغلغل بين عامة الناس وسلب عقولهم مما زاد من عدد أتباعهم ومريديهم.

وبهذا الشكل أخذ شيوخ المتصوفة يتصدرون جُلْ الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر خلال القرون الموالية حتى بعد استيلاء الفرنسيين عليها، ففي عهد الزيانيين والحفصيين تولوا قيادة المقاومة ضد الأعداء بأنفسهم، أو وجهوها روحيا من خلال حث الأهالي على الجهاد دفاعًا عن أنفسهم، مثلما فعل عبد الرحمان الثعالبي حين بعث لسكان بجاية يحثهم على الاستعداد لمواجهة العدو، ويحذرهم من مغبة التهاون في أمر الجهاد، وكذلك حين خرج مناديا بين أهل مدينة الجزائر وما حولها يدعوهم للجهاد والإنفاق في سبيله بكل ما يملكون[3].

ويُروى أيضا أن أحد شيوخ الصوفية وهو محمد التواتي كانت له زاوية بمدينة بجاية يلجأ إليها المجاهدون وغزاة البحر، وأنه كان يقود الجهاد ضد الغزاة الإسبان بنفسه إلى أن توفي فسقطت المدينة في أيدي العدو، وفر منها الأمير الحفصي[4].

وفي العهد العثماني، كان للحكام بالجزائر علاقات قوية ومتينة بمعظم شيوخ الطرق الصوفية، فكثيرا ما كانوا يلجئون ويطمئنون إليهم ويتبركون بهم، ويطلعونهم على خططهم، مما جعل سكان الجزائر يعتقدون أن هناك تحالف بين الطرفين، وسياسة عامة منتهجة تهدف إلى نشر الفكر الروحي الصوفي، فكثرت الأضرحة والقباب، ودخلت الطرق الصوفية من المشرق، ومن المغرب وجاء الدعاة ينشرون

---

(1) أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت– لبنان، د.ت، ص.102.

(2) الطاهر بونابي، **المرجع السابق**، ص.89.

(3) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.4، 1426هـ/2005م، ج.1، ص–ص.208–211

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص–ص.460–461

أفكارهم وأورادهم بين الناس وأصبحت المدن والأرياف الجزائرية تعج بالزوايا والأضرحة، وعند كل زاوية أو ضريح أناس يتبركون ويدعون ويتقربون، ويزورون ويقيمون الحضرة، ويقدمون الهدايا ويذبحون الذبائح، آتين من كل فج[1].

والسبب في وجود مثل هذه العلاقة القوية بين الطرفين يعود بالدرجة الأولى إلى المبرر الرئيس الذي من أجله ظهر الأتراك العثمانيون في المشرق والمغرب، ألا وهو الدين، كما يعود أيضا إلى التكوين الديني والنفسي والحربي للحكام الأتراك الذين هم في الأصل من أتباع الطرق الصوفية، وفي مقدمتها الطريقة البكداشية التي كانت تقودهم وتدفع بهم إلى الجهاد، وتبارك انتصاراتهم وتدعي أنها تحميهم من كل مكروه، فكانوا يدينون لها ولمشايخها بالولاء، ويتبركون بهم وينظرون إليهم نظرة المريد لشيخه والسيد لسيده[2].

2-4- العوامل الثقافية:

فبعد أن كانت الجزائر خلال العهد الزيري والحمادي وبداية العهد الحفصي والزياني، تعج بمؤسسات عملية ذات شهرة عالمية منتشرة في مدن تشع منها الثقافة والعلم والفكر وهي مدن تلمسان، قسنطينة، بجاية ومازونة، ووهران، الجزائر، عنابة وبسكرة، حيث كانت تقطن بهذه المدن عائلات اشتهرت بالعلم والتأليف نذكر منها عائلة ابن باديس وابن القنفد في قسنطينة، وعائلة ابن السكات بمدينة الجزائر، وعائلة المقري والعقابي في تلمسان، وعائلة المنجلاني والمشدالي في بجاية، كما اشتهرت مازونة بكثرة فقهائها الأجلاء الذين نذكر منهم موسى بن عيسى مؤلف ديباجة الافتخار، وحلية المسافر[3]، أصبحت الجزائر خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، تعاني من جمود فكري بسبب تراجع عدد المؤسسات العلمية الرسمية، التي تأثرت بالاضطرابات السياسية الناتجة عن ضعف الدولتين الحفصية والزيانية، ووقوع معظم السواحل الجزائرية كدلس ووهران، والجزائر وبجاية، جيجل، عنابة، تحت السيطرة الأجنبية، كما تأثرت أيضا بتدهور الحالة الاقتصادية، مما دفع ببعض العلماء إلى الهجرة خارج الجزائر، كالعالم أحمد بن يحي الونشريسي الذي هاجر إلى فاس، والعالم الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي هاجر من تلمسان إلى السودان القديم[4].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص-ص.464-467

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص-ص.459-460

(3) عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، ط.1، 2011، ص.425

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص-ص.40-44

وأمام هذا التراجع الحاد للحالة العلمية والثقافية، وجدت الحركة الصوفية المناخ الملائم لتولي مهمة نشر العلم بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وعبر مختلف المناطق الجغرافية لاسيما الريفية منها، وذلك من خلال الزوايا التي أخذت تنتشر وبدأ أعداد مريديها يزداد شيئا فشيئا، وكانت تعقد بها حلّق للدروس يلقيها مشايخها، وأصبحت بذلك المنبع الوحيد الذي ينهل منه تلاميذ وطلاب تلك المناطق وغيرها، حتى وإن كان التعليم الذي تقدمه لهم تغلب عليه الروح النظرية ولا يتعدى علوم الدين وعلوم اللغة العربية[1].

وخلال العهد العثماني وبما أن السلطة الحاكمة في الجزائر لم تولي أي اهتمام بالتعليم مثلما أولته لبقية المؤسسات الأخرى، وفي مقدمتها المؤسسة العسكرية، وهذا تماشيا مع ظروف العصر التي كانت تتطلب رد الغزو الصليبي على السواحل الجزائرية، والدفاع عن الحدود إلى جانب المحافظة على الاستقرار السياسي فإن التعليم قد وجد في المساجد والزوايا الصوفية حاضنة له[2]، فازداد اهتمام الجزائريين بهذه الزوايا، وأغدقوا عليها بالتبرعات والهدايا فتعددت وظائفها، وازداد عددها وتوسع نطاق انتشارها حيث شملت المدينة والريف معًا، وكثر عدد المعجبين بها، فتنامى عدد مريديها وأتباعها، وأضحت في نظر البعض مؤسسة كاملة متعددة الوظائف جاءت لتملأ الفراغ الهائل الذي أحدثته ظروف الفشل المتراكم منذ القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي.

2-5- العوامل الاجتماعية:

إذا أردنا أن نتبع حركة ظهور وانتشار التصوف في الجزائر، سنجد أنفسنا مضطرين كثيرًا للعودة إلى الوراء، وبالضبط إلى عهد الدولتين الحمادية والمرابطية أين كان لتدني القيم الأخلاقية بسبب ظهور وتفشي الآفات الاجتماعية بمختلف أنواعها خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، دور كبير في هذا الانتشار[3].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.45.

(2) أحميدة عميراوي، **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، ط.2، 1425هـ/2004م، ص.37.

(3) يضيف الفرد بل إلى الآفات الاجتماعية التي كانت من بين العوامل التي ساعدت على ظهور وانتشار التصوف لا في المغرب الأوسط- الجزائر- فحسب، بل في بلاد المغرب العربي بأسره، حياة الترف والبذخ التي كان يعيشها فقهاء المرابطين المقربين من البلاط، الذين احتلوا مكانة خاصة لدى الملوك والأمراء، ونالوا مناصب رفيعة في الدولة جعلتهم يعيشون عيشة المتبذخين المترفين. ألفرد بل، **المرجع السابق**، ص.378.

فقد أحدث تفشي المنكرات من تعاطي الخمر وشيوع الفاحشة، وكثرة السرقات والاعتداء على الآخرين لاسيما في مدينتي بجاية وتلمسان، أثر عميق في نفوس أولئك المتدينين الذين رأوا في تلك الأفعال القبيحة مساس بجوهر العقيدة الإسلامية، التي جاءت لتهذيب النفس والسلوك البشري، فقرروا أن يسلكوا مسلك التصوف الذي يقوم على العفة والزهد في ملذات النفس والبطن والفرج، ويرقى بالإنسان من الخطايا والمعاصي والذنوب إلى الأخلاق الفاضلة، كما أخذوا على عاتقهم مسؤولية تطهير المجتمع من تلك الآفات والحد منها[(1)]، فأعجب المتعففون من عامة الناس بأخلاقهم وسلوكاتهم فاقتدوا بهم وقلدوهم في أفعالهم، فكثرت بذلك شريحة المتصوفة.

وبهذا الشكل يكون انتشار التصوف قد تزامن وتلازم مع تفشي الآفات الاجتماعية بين أغلب طبقات المجتمع[(2)]، وقد ظل هذا التلازم بينهما قائما حتى في عهد الموحدين الذين سعوا جاهدين ليخلصوا المجتمع من هذه الآفات ويحدوا من تفشيها بينهم، مستعينين في ذلك بالحسبة التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر لكنهم لم يوفقوا في ذلك[(3)]، وظل الأمر على ما كان عليه في الدولتين الحمادية والمرابطية وإن بصورة أخف.

وخلال عهد الزيانيين تصدت شريحة المتصوفة لمختلف الآفات الاجتماعية التي ظهرت بمدينة تلمسان، والمتمثلة في الزنا والإجهاض والاغتصاب والمساحقة وشرب الخمر، وقد ساعدهم في ذلك فئة المتدينين من عامة الناس الذين يستنكرون مثل هذه الأفعال القبيحة، ويتطلعون بشوق كبير إلى من يقودهم للتخلص منها[(4)].

وبما أن مثل هذه الأفعال القبيحة، والآفات الاجتماعية الذميمة كانت منتشرة بكثرة خلال العهد العثماني في أكبر وأهم المدن الجزائرية، كالجزائر العاصمة وقسنطينة والمدية، بدليل أن السلطة المركزية استحدثت منصب المزوار الذي يتولى صاحبه مراقبة بيوت الدعارة[(5)]، فمن المحتمل جدًا أن تكون شريحة

---

(1) الطاهر بوناني، **المرجع السابق**، ص-ص.100-101

(2) الطاهر بوناني، **المرجع نفسه**، ص.101

(3) عبد الملك بن صاحب الصلاة، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للنشر، بيروت، ط.1، 1383ه/1964م، ص.174

(4) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية)**، أطروحة دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، جـ.1، الجزائر، ص.227

(5) عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 (مقاربة اجتماعية- اقتصادية)**، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روبية- الجزائر، 2012، ص.72؛ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.19

المتصوفة قد وجدت في ذلك مبررًا لنشر أفكارها وزيادة عدد مريديها من خلال الدعوة إلى ضرورة محاربة مثل هذه الأفعال، وهو ما يفسره ازدياد وانتشار التصوف بصورة مذهلة خلال هذا العهد.

الفصل الثاني:

الطرق الصوفية والزوايا والأضرحة في الجزائر خلال القرن 13هـ/19م

أولا- الطرق الصوفية

1- تعريف الطريقة

2- أنواع الطرق الصوفية

3- أهم الطرق الصوفية

4- هيكلة الطرق الصوفية

ثانيا- الزوايا والأضرحة

1- الزوايا

2- الأضرحة

3- أسباب انتشار الزوايا والأضرحة في بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي

4- مصادر تمويل الزوايا والأضرحة

أولا- الطرق الصوفية:

1- تعريف الطريقة:

1-1- لغة: جمعها طرق وطرائق، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا** ﴾[1]، وتأتي في اللغة العربية بعدة معاني منها الوسيلة والأسلوب، أي وسيلة تستخدم أو أسلوب يلجأ إليه لاكتشاف الحقيقة وبلوغ النجاح[2].

1-2- إصطلاحا: هي المذهب أو الملّة التي يتقيد المؤمنون بمنهاجها ويسيرون عليه وفقا لما أمر به الشارع الحكيم، وتكون معنوية[3]، تأسست على صغتي انقطاع القلب عن الأغيار وخلو اليد من الدنيا الغادرة[4].

وعند الصوفية (تعني السيـرة المختصة بالمتصوفة السالكيـن إلى الله، فهي سفر إلى الله تعالى)[5]، يقول علي سالم عمار: (والسالك أو المريد هو المسافر، فعلى المسافر أن يسلك طريق القوم وأن يجتازها مرحلة بعد مرحلة، أما من أدركته عناية الله فجذبته العناية إلى الله جذبا فهذا ما يسمونه المجذوب الذي طويت له الطريقة طيا في سفر خاطف بفضل الله ومنته)[6].

2- أنواع الطرق الصوفية:

الطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، نوعان، النوع الأول غير خلواتي، والنوع الثاني خلواتي، ولكل منهما خصائصه ومميزاته وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل كالآتي:

---

(1) سورة الجن، الآية 11

(2) صبحي حمودي وأخرون، **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، المراجعة مأمون الحموي وأخرون، دار المشرق، بيوت- لبنان، ط.2، 2001، ص.908

(3) حسن العكريمي، **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام**، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2008، ص.22

(4) أحميدة عميراوي، « الطرق الصوفية والسياسة »، **مجلة المجلس الإسلامي الأعلى**، العدد01، الجزائر، 1998، ص-ص.207-222

(5) عامر النجار، **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها (الرفاعي- الجيلاني- البدوي- الشاذلي- الدسوقي)**، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط.5، 1992، ص.18

(6) علي سامي عمار، **أبو الحسن الشاذلي**، دار التأليف، القاهرة- مصر، ط.1، 1961، جـ.2، ص.24

2-1- طرق غير خلواتية:

لا يدعي شيوخها وقادتها المعرفة بأسرار الغيب، ولا معرفة أسرار دينية معينة يمكن لهم أن يُلقِنوها لأتباعهم، غير أنهم يتخذون أورادًا وأذكارًا خاصة ومعينة يتلونها عقب كل صلاة من الصلوات الخمس، ويقومون بتلقينها لأتباعهم ومريديهم، كما يقومون بأنفسهم أو بواسطة بعض المثقفين من أتباعهم بتحفيظ القرآن الكريم وتلقين بعض العلوم الإسلامية والأدبية لكل من يتردد على مجالسهم وكتاتيبهم، سواء من عامة الناس، أو من خاصتهم[1].

2-2- طرق خلواتية[2]:

يعتقد أتباع هذه الطرق والذين يعرفون بالمريدين أو الإخوان أو الفقراء حسب اختلاف الجهات والمناطق، أن لشيوخهم القدرة على معرفة علم الغيب، كما أن لهم أسرارا دينية غيبية خاصة بهم دون غيرهم، يمكن لهم أن يلقنوها لمن يشاءوا من أتباعهم[3].

وقد وضع شيوخ هذه الطرق لأتباعهم أذكارًا وأورادًا تختلف فيها الصيغ والأعداد من فرع إلى آخر، حسب اجتهادات هؤلاء الشيوخ[4]، يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة محدودة، حتى يفتح الله عليهم، ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين، وبعد ذلك يفرضون عليهم أذكارًا وأورادًا عامة

---

(1) كمال دحومان الهاشمي، **أشراف الجزائر (دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري)**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة- الجزائر، ط. مـ. مـ، 1434هـ/2013م، ص.129

(2) تعرف بهذا الاسم لكونها تعود إلى أصل واحد وهو الطريقة الخلوتية التي اختلف الباحثون والدارسون في نسبها وأصلها، فمنهم من نسبها إلى صاحبها الشيخ أبي الفيض محمد بن نور كريم الدين الخلوتي الخوارزمي المتوفي عام 1066هـ/1655م. يراجع: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم عن طبعة بولاق، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط.1، 1998، جـ.1، ص.341، وهناك من أرجعها إلى إبراهيم الزاهد المتوفي سنة 653هـ/1255م. يراجع: سبنسر درمنجهام، **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة، بيروت- لبنان، ط.1، 1997، ص.129. أما نوريس صاحب كتاب الإسلام في البلقان، نجده ينسبها إلى عمر الخلوتي الذي توفي بقيصرية الشام عام 800هـ/1397م. يراجع: نوريس، **الإسلام في البلقان**، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ط.1، 1998، ص.67، أما أتباع الخلوتية فيعتبرون التسمية جاءت في الخلوة التي إلتزمها محمد نور الخلوتي واضع أسس وقواعد هذه الطريقة، وهو خال وشيخ عمر الخلوتي. يراجع:
Rachida Chih, **Le soufisme au quotidien**, sindbad, Actes sud, 2000, P.54
بينما يرجع عبد المنعم القاسمي الحسني أصولها الأولى إلى الطريقة السهروردية التي تنسب إلى الشيخ عبد القاهر السهروردي المتوفي عام 563هـ/1168م، الذي يتصل نسبه الصوفي بالجنيد. يراجع: عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1434هـ/2013م، ص.75

(3) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2009، جـ.1، ص.215

(4) عبد المنعم القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص.182

يتلونها يوميا بصورة جماعية[1]، غالبا ما تكون بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب، لأن المريد يكون متفرغا في هذه الأوقات، فهو يقرؤها قبل ذهابه إلى العمل، وكذلك في المساء بعد عودته[2].

وبما أن لكل واحد من شيوخ هذه الطرق، طريقة خاصة به تقوم على تقاليد وأشكال وأذكار وأوراد معينة، يلزم بها نفسه ويفرضها على أتباعه من الفقراء والإخوان والمريدين، استوجب الأمر تسميتهم بالطرقيين[3]، مع أن مدار جميع أذكارهم وأورادهم مقتبس من القرآن الكريم والأذكار النبوية، أو مستنبط منها، وتتشكل في مجملها من تلاوة القرآن الكريم واستغفار الله وابتهالات وأدعية وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وتسبيح الله وحمده، وهي مرتبة على النحو التالي:[4]

- ورد السبحة بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب يوميا.
- يقرأ ورد القرآن الكريم كل ليلة من ليالي الأسبوع بعد صلاة العشاء.
- يقرأ المسبعات والصلوات الدرديرية ومنظومة أسماء الله الحسنى ليلتي الجمعة والاثنين من كل أسبوع بعد صلاة المغرب.
- يقرأ ورد الدرة الشريفة بكاملها مع تكرار قول « حسبنا الله ونعم الوكيل » سبع وسبعون مرة، ثم حزب السيف، ثم حزب الهمزة صباح الاثنين والجمعة بعد صلاة الفجر.
- يقرأ ورد السحر قبيل الفجر بساعة يوميا في الليالي الطوال من السنة على أن يقل ذلك عن ستة أشهر، وهو ورد اختياري.

أما الشيء الذي يميز معظم الزوايا التابعة لهذا النوع من الطرق هو إيوائها للتلاميذ والطلبة، والإنفاق عليهم أثناء إقامتهم بها بغرض حفظ القرآن الكريم، وتعلم مختلف العلوم الدينية خاصة الفقه والحديث والعقيدة، بالإضافة إلى تعلمهم العلوم اللغوية والأدبية التي يتولى شيخ الزاوية بنفسه تلقينهم إياها إن كان مثقفا، أما إن لم يكن كذلك فإنه يكلف أحد المثقفين التابعين له لينوب عنه ويقوم بالمهمة بدله، ويلقب هذا النائب بالمقدم والوكيل والنقيب والرقيب والخليفة وذلك حسب الجهة والمنطقة التي يتواجد بها[5].

---

(1) يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص.215.

(2) لم يلزم شيوخ هذه الطرق أتباعهم بأوراد خلال النهار، لأن الأتباع في هذه الفترة يكونون في أعمالهم اليومية، فيتعسر عليهم أداء واجباتهم الطرقية على الوجه المطلوب. يراجع: عبد المنعم القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص.183.

(3) يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص.215.

(4) عبد المنعم القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص-ص.182-183

(5) يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص.215.

وقد استفادت هذه الزوايا كثيرًا من هؤلاء المثقفين الذين ينضمون إلى صفوفها، في إثراء مكتباتها بما يؤلفونه ويدونونه من كتب في مختلف العلوم لاسيما الشرعية والأدبية، كما تمكنت هذه الزوايا من إيجاد فروع كثيرة لها داخل الوطن وخارجه[1].

غير أن الشيء الذي يثير العجب ويطرح السؤال هنا هو كيف ولماذا رضخ هؤلاء المثقفون لنفوذ وسيطرة وهيمنة شيوخ الزوايا، وقبلوا أن يرددوا ما فرضوه عليهم من أوراد وأذكار وتسابيح، ويتقيدوا بتقاليدهم في كل شيء، رغم علمهم اليقين أن بعض هؤلاء الشيوخ أميون بأتم معنى الكلمة !؟

3- أهم الطرق الصوفية[2]:

قمنا بتقسيم هذه الطرق إلى قسمين، طرق رئيسة وطرق غير رئيسة أو ثانوية، وقد اعتمدنا في تقسيمنا هذا على نقطتين أساسيتين، الأولى تتمثل في الأهمية التي كانت عليها هذه الطرق خلال القرن

---

(1) يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص.216.

(2) قد ارتأينا هنا أن نستعمل مصطلح أهم، لأننا نعتقد أن ما سنذكره من طرق في هذا المطلب، لا يمثل كل الطرق الموجودة في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وذلك لعدة أسباب أهمها أننا اعتمدنا في بحثنا هذا على ما هو متاح وموجود من دراسات وأبحاث تعود في مجملها لضباط وباحثين فرنسيين نذكر منهم إدوارد دونوفو Edward Deneveu، ولويس رين Louis Rinn، وكذلك كلاً من ديبون Dupont وكبولاني Coppolani، وقد اعتمدوا بدورهم في إعدادها على التقارير الرسمية والاستخباراتية التي كانت ترد إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر من قبل الضباط العسكريين والإداريين المكلفين بتسيير المقاطعات والدوائر العسكرية والمدنية، باستثناء دراسة إدوارد دونوفو Edward Deneveu التي هي دراسة ميدانية قام بها شخصيًا حينما كان نقيبا في صفوف فرقة الفرسان الثالثة بقسنطينة، وتلك التقارير ليست دقيقة مائة بالمائة بدليل أن هناك اختلاف بين هؤلاء الباحثين في تحديد عدد الطرق وأنواعها، حيث حددها دونوفو Deneveu بستة (06) طرق. يراجع: إدوارد دونوفو، **الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2003، ص.25، بينما حدد لويس رين Louis Rinn عددها بستة عشر (16) طريقة. يراجع:

Louis Rinn, **Marabouts et khouan étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p.519

في حين نجد كل من ديبون Dupont وكبولاني Coppolani يُحددانها بثلاثة وعشرون طريقة. يراجع:

Octave Depont et Xavier Coppolani, **Les Confréries religieuses musulmanes en Algérie**, Adolphe Jourdan, Alger, 1897 .

وهذا الاختلاف جعلنا نرجح أن يكون عددها أكثر مما ذكر هنا، إذ يحتمل أن تكون هناك بعض الطرق التي لم يكن لها حضور سياسي ولا عددي بالقدر الذي يلفت إليها انتباه سلطات الاحتلال الفرنسي، مما جعل تلك التقارير تهملها ولا تتطرق لها، كما قد تكون هذه الطرق التزمت السرية في نشاطها بالقدر الذي صعب على المخابرات الفرنسية الوصول إليها، ومما يقوي لدينا هذا الاعتقاد هو ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله بتحديده لعدد الطرق الصوفية بستة وعشرون (26) طريقة. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.28.

الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، والدور الذي لعبته إيجابا وسلبًا خلال هذه الفترة التي تمثل المجال الزمني لموضوع بحثنا.

أما النقطة الثانية التي أخذناها بعين الاعتبار في هذا التقسيم فهي عدد الأتباع والمجال الجغرافي لكل طريقة، إذ أن هناك طرق كبيرة ذات آلاف من الأتباع الذين تشملهم خريطة البلاد كلها، وطرق صغيرة ومحدودة الأتباع والمكان، كما خطر لنا أن نرتب علاجنا للطرق الصوفية في كل قسم من القسمين حسب ظهورها زمنيًا في المجتمع الجزائري، إذ لاشك أن هناك طرق قديمة الظهور وأخرى حديثة، كما أن بعضها متفرع عن بعض في كثير من الأحيان.

3-1- طرق رئيسة:

نقصد بها تلك الطرق التي لها عدد كبير من الأتباع، الذين يعدون بالآلاف وتشملهم خريطة البلاد كلها، أو هم موزعون على أغلب مناطق الوطن، وهذه الطرق كان لها حضور ودور كبير في جل الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وهي مرتبة كالآتي:

3-1-1- الطريقة القادرية(1):

تعتبر من بين الطرق الصوفية المهمة في بحثنا نظرا لمواقفها وممارساتها المناهضة لسياسة السلطة الحاكمة في الجزائر، سواء خلال العهد العثماني، أو خلال العهد الاستعماري، كما أنها من أقدم الطرق الصوفية في الجزائر إذ يرجع تاريخ دخولها إليها إلى أبي مدين شعيب دفين تلمسان، الذي التقى بشيخها عبد القادر الجيلاني في البقاع المقدسة بعد أدائه لفريضة الحج، فتتلمذ على يده وأخذ عنه التصوف وألبسه الخرقة كما هو متعارف عليه ومعمول به عند الصوفية(2).

---

(1) تعرف بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني الذي ولد عام 470هـ/1077م على رأي معظم الذين أرخوا لحياته، وكانت ولادته في جيلان أوكيلان من بلاد فارس فعرف بالجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي، وعندما بلغ الثامنة عشر من عمره انتقل إلى بغداد حيث تفقه في الدين وأخذ العلوم الشرعية عن عدة علماء، ثم تصدر للتدريس والفتوى، وصار يقصد بالزيارة حيث أخذ عنه العديدون الطريقة، كما أنه صنف عدة مؤلفات في الأصول والفروع، وله عدة أوراد وأدعية في التوسل، وقد توفي عن عمر ناهز التسعين في بغداد سنة 561هـ/1167م . للمزيد من المعلومات يراجع: محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط.3، د.ت، مجـ.3، ص.281 ؛ محمد أحمد درنيقة، **الطريقة القادرية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، 2009، ص-ص.17-25

(2) صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، الجزائر، ط.خ، 2009، ص-ص.96-97

كما كان لقدوم محمد بن ابراهيم بن موسى ــ وهو أحد أحفاد عبد القادر الجيلاني ــ من الأندلس إلى المغرب الأقصى، ثم انتقاله إلى الجزائر دور كبير في نشر الطريقة شرقا وغربًا بعد أن استقر ببلدة منعة الواقعة بجبال الأوراس، حيث أسس له أول زاوية قادرية بالمنطقة أصبحت مقصدًا ومزارًا لأتباع الطريقة ومريديها بتلك الناحية[1].

هناك من يعتقد أن مصطفى بن مختار الغريسي هو أول من أسس فرعا للقادرية في الجزائر وذلك سنة 1200هـ/1785م، غير أن الواقع وجل الأبحاث التاريخية تشير إلى أن فروع هذه الطريقة كانت موجودة قبل هذا التاريخ، وكل فرع مستقل عن الآخر، وأصحاب هذه الفروع يتصلون مباشرة بالأصل في بغداد، إذ أن الإجازة[2]، والسلسلة تَرِدان من هناك، كما أن لها زوايا وعلى كل زاوية مقدم، وكانت لها أيضا أضرحة وقباب ومساجد في الجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة، وبجاية وغيرها، ولها أوقاف كثيرة وعديدة ترسل عائداتها إلى الزاوية الأم ببغداد[3].

وسواء اتفق الباحثون حول تاريخ دخول هذه الطريقة إلى الجزائر، أو لم يتفقوا فمن المؤكد أنه لا أحد منهم يعارض الرأي القائل بأن الطريقة القادرية كانت موجودة في الجزائر قبل قدوم الأتراك العثمانيين إليها، غير أنها ازدهرت وانتشرت على عهدهم[4]، رغم الكيفية الصارمة في طريقة الانتساب إليها، والتي تمر بمرحلتين لابد على سالك الطريقة أن يجتازهما بنجاح، وهاتين المرحلتين هما:

أ. مرحلة الابتداء[5]: العمل فيها يكون جديًا وفي جلسة واحدة لا تتعدى نصف ساعة على أكثر تقدير، ولهذه المرحلة مراتب نتطرق إليها كالآتي:

---

(1) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.1، 2009، ص.288. يعتقد بعض الباحثين أن إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني هو الذي قدِم من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقل إلى الجزائر ليستقر بجبال الأوراس، ويؤسس زاوية منعة القادرية، وأن ضريح سيدي إبراهيم الموجود وسط مدينة أريس الواقعة وسط هذه الجبال يعود له شخصيا. يراجع: صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص، ص.97، 277. إلا أننا نعتقد أن هؤلاء الباحثون وقع لهم خلط بين إبراهيم الابن، وإبراهيم الحفيد، إذ من المرجح أن يكون إبراهيم بن موسى- الحفيد- هو الذي قدم إلى منطقة الأوراس برفقة ابنه محمد وتوفى بتلك المنطقة، فأقيم له هذا الضريح الذي يعرف باسمه، لاسيما وأن زاوية منعة القادرية وهي قريبة جدًا من مدينة أريس- موقع الضريح- كانت من تأسيس محمد بن إبراهيم بن موسى كما تشير إلى ذلك أغلب المصادر التاريخية. كما أن إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني- الابن- توفي سنة 592هـ/1198م بواسط ودفن بها كما جاء في قلائد الجواهر لـ: التادفي نقلاً عن: عبد الباقي مفتاح، **المرجع السابق**، ص.248

(2) للاطلاع على الإجازة القادرية ينظر: **ملحق رقم (01).**

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.43

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.494

(5) عامر النجار، **المرجع السابق**، ص-ص.78-79

- **اللقاء الأول:** يكون بين المريد وبين شيخ معترف له بالمشيخة، ومجاز بالتربية الصوفية، ويتضمن هذا اللقاء العهد الذي هو من الأمور المهمة في الطريقة القادرية، ثم الاستغفار والتوبة، والطاعة والذكر الذي هو التوحيد " لا إله إلا الله "، ويقوم الشيخ بتلقينه للمريد ثلاث مرات وهو مغمض العينين.
- **اللقاء الثاني:** وفي هذا اللقاء يومئ الشيخ لمريده بجملة من الأشياء مطالبًا إياه اتباعها، والعمل بمضمونها المتمثل في ترك الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان وبذل الكف وسخاء النفس، وترك الحقد والحسد، والكذب والنميمة والفحش في الكلام، وضرورة الاستقامة على الوضوء والاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من غير تعيين عدد.
- **اللقاء الثالث:** وهو لقاء المبايعة والقبول، إذ يقول الشيخ للمريد القابل: (وأنا قبلتك ولدًا وبايعتك على هذا المنوال) وكذلك بالنسبة للمريد.
- **اللقاء الرابع:** لقاء الدعاء، وفي هذا اللقاء يدعو الشيخ للمريد وبحضور هذا الأخير، بدعاء يكون على صورتين، الصورة الأولى يكون عامًا شاملاً، أما الصورة الثانية يكون الدعاء فيها خاصًا بالمريد.
- **اللقاء الخامس:** لقاء الكأس حيث يناول الشيخ للمريد كأسًا تحتوي على ماء قراح، وقد يكون ممزوجًا بسكر ليشربه بعد أن يكون هذا الشيخ قد قرأ عليه قوله تعالى: ﴿ **سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾[1]، وأيضا قوله عزّ وجل: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

ب. مرحلة الرحلة إلى الله عز وجل[3]: وهي تختلف كل الاختلاف عن المرحلة الأولى إذ أنها قد تمتد لسنين طويلة عكس مرحلة الابتداء التي تكون في جلسة واحدة، وفيها يصاحب الشيخ المريد مجتازًا جميع المسالك، ويتلقى خلالها هذا الأخير علم الحقيقة عن شيخه، ويتأدب به ممتثلا لأوامره، ومنهيا لنواهيه، أخذا نفسه بالمجاهدة وأشد الرياضات حتى يفتح الله عز وجل عليه فتوح الأنبياء والأولياء، فيستغني بربه عن غيره أي عن شيخه، إذ يتولاه بعد ذلك الله تبارك وتعالى بتربيته وتهذيبه، وعندها يمنح المريد إجازة المشيخة التي تكون خطية[4]، فيصبح بذلك شيخًا في عداد الشيوخ.

---

(1) سورة يس، الآية 57.

(2) سورة الإسراء، الآية 82.

(3) عامر النجار، **المرجع السابق**، ص-ص.79-80

(4) من شروط الإجازة أن تكون موقعة من قبل المجيز، مبينا فيها تلقينه كلمة التوحيد للمريد مما تلقاها هو، بالتلقين بالسند عن شيخه، وشيخه عن شيخه، مستمرًا بذكر سلسلة الشيوخ، حتى يصل إلى الشيخ منشئ الطريقة، ومنه حتى يصل إلى الحسن البصري، عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، عن الله سبحانه وتعالى. ويختم الشيخ الإجازة بدعاء هو: (فنسأل الله أن يوفقنا ويعفو بنا وبرضانا هو حسبنا ونعم الوكيل المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ينظر: **ملحق رقم (01).**

رغم هذه المراحل التي تبدو صارمة نوعًا ما، إلا أن الصفة الغالبة على الطريقة القادرية هي المرونة، فهي لا تمنع أتباعها من أن يجمعوا بينها وبين طريقة أخرى[1]، كما أن مؤسس الطريقة لا يقول بوجوب بقاء المريد تحت سلطة شيخه بعد أن يكون قد بلغ هو الآخر مرتبة الشيخ، بل يرى بضرورة إبراز المريد لشخصيته واثبات استقلاله عن الشيخ المربي الذي يكون دوره قد انتهى عند إحساسه باستقلال ذات مريده[2].

نعتقد أن المرونة التي امتازت بها الطريقة القادرية كانت من بين العوامل التي ساعدتها على الانتشار في الجزائر خلال العهد العثماني، كما ساعدتها على كسب المزيد من الأتباع والأنصار مما جعل منها إحدى أهم الطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وذلك بالنظر إلى مناطق الانتشار، وانتماء كثير من شيوخ العلم ورجال المقاومة في الجزائر إليها، فضلاً عن إنشاءها للعديد من الزوايا ومراكز العلم، كما كان لزعمائها دور بارز في جل الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، وخلال الفترة الاستعماري.

وقد كان تأثير الطريقة في نفوس الجزائريين ـ حتى أولئك الذين ليسوا من أتباعها ـ كبير جدا، إذ أن المرء إذا أصابه مكروه وأراد أن يرفعه الله عز وجل عنه، كان يستنجد باسم مؤسس الطريقة الذي يرى فيه أنه سيده، فيقول (يا سيدي عبد القادر) أو (يا مولاي عبد القادر)، فالمرأة في مخاض ولادتها تستغيث به، والمتسول عند طلبه للصدقة كان يترجى الناس أن يتصدقوا عليه إكرامًا لوجه عبد القادر الجيلاني فيقول: (تعطيني على وجه سيدي عبد القادر) أو (على خاطره)، ليس هذا فحسب بل إن الشخص الذي يعثر في الطريق كان يستنجد به فيقول (يا سيدي عبد القادر)، والناس من حوله يدعون له (يا سيدي عبد القادر أنجده) فهو في نظرهم أعظم أوليائهم وأتقاهم، وهو سلطان الصالحين كما يلقبونه[3].

---

(1) Louis Rinn, **Op.cit**, P-P.179-180

(2) عامر النجار، **المرجع السابق**، ص.80.

(3) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.29.

إذا فلا غرابة إن قلنا أن أتباع الطريقة القادرية في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كانوا يعتقدون أن الأمير عبد القادر الجزائري قد بشره سيدي عبد القادر الجيلاني بالإمارة قبل أن يعتليها، وقد جاءه في صورة ولي صالح زنجي، وبيده ثلاث برتقالات سائلا محي الدين[1] (أين أمير العرب ؟ هاته البرتقالات من نصيبه)، فأجابه الرجل (ليس من بيننا أمير)، فخرج الزنجي على الملأ ليعلن أن حكم الأتراك العثمانيين للجزائر على وشك الانتهاء، وأن الحاج عبد القادر بن محي الدين سيبايع أميرًا على الجزائر، وقد حدثت هذه الواقعة سنة 1242هـ/1828م، بينما كان الشاب عبد القادر برفقة والده عبد القادر في زيارة لهما للقبة المذهبة لسيدي عبد القادر الجيلاني ببغداد[2].

وفي أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، كان مقدم الطريقة القادرية في الجزائر هو الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، وبعد وفاته خلفه على رأس الطريقة ابنه الأكبر محمد السعيد[3]، غير أن هذا الأخير ما لبث أن سافر إلى المشرق العربي برفقة أخيه الأمير عبد القادر بعد هزيمته أمام قوات الاحتلال الفرنسي، وهناك توفي محمد السعيد فخلفه ابنه محمد المرتضى الذي أصبح خليفة للطريقة القادرية في بيروت، فعكف على نشر العلم وأوراد الطريقة وله نظم في المديح النبوي، كما أن له دروس في الوعظ والإرشاد، وكان الجزائريون يقصدونه للبركة، ويستقبل منهم الزيارات والأموال، وقد قام بشؤون الطريقة القادرية إلى غاية وفاته عام 1316هـ/1902م[4].

ورغم أن الأموال كانت ترسل من الجزائر إلى بيروت بطريق الحوالات البريدية ونحوها، إلا أن السلطات الفرنسية لم تكتشف ذلك إلا خلال العقدين الأخيرين من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فشكل الأمر لها هاجسًا كبيرًا مما جعلها تعيش في حالة من الرّعب والهلع، لاسيما وأن

---

(1) هو محي الدين بن مصطفى والد الأمير عبد القادر الجزائري، ولد عام 1190هـ/1776م بوادي الحمام، ودرس على أبيه، وورث عنه مشيّخة الزاوية القادرية، اشتهر بالصلاح وسداد الرأي وغزارة العلم والمعرفة ونظرًا لمقاومته لسياسة الظلم والقسوة التي كان يمارسها الأتراك العثمانيين ضد الرّعية وضعه باي وهران حسين بن موسى تحت الإقامة الجبرية مع ابنه عبد القادر وذلك عام 1236هـ/1821م، وبقي على هذا الحال حتى عام 1241هـ/1825م أين رفع عنه الباي الرقابة، فرحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج صحبة ابنه عبد القادر، وعند عودته عرج على بغداد وجدّد أخذ الطريقة القادرية ولبس الخرقة مع مقدم الضريح، وعندما احتل الفرنسيون الجزائر سنة 1244هـ/1830م، ومدينة وهران سنة 1245هـ/1831م تزعم المقاومة قبل أن ينقل هذه الزعامة لابنه عبد القادر سنة 1246هـ/1832م، وقد توفي محي الدين عام 1247هـ/1833م. للمزيد يراجع: يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، جـ.1، ص-ص.471-472

(2) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص-ص30-31.

(3) عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، د.ت، ص.102.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.45.

من بين أولئك الذين يرسلون هذه الأموال موظفون رسميون عندها، وبما أن الطريقة القادرية تعتبر جسرًا للدعاية العثمانية وحركة الجامعة الإسلامية– حسب اعتقاد السلطات الفرنسية– فالأمر يعني بالضرورة انخراط هؤلاء الموظفون بشكل مباشر أو غير مباشر في المشروع الإسلامي المناهض والمعادي للمد المسيحي الاستعماري بقيادة فرنسا وبريطانيا[1].

أما ما يتعلق بعدد أتباع الطريقة القادرية خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فإن المصادر التاريخية التي هي بحوزتنا أو اطلعنا عليها وهي أُرخت وكتبت عن طريق الصوفية خلال هذه الفترة لم تشير سواء عن قريب أو بعيد إلى أعدادهم، لاسيما فيما يتعلق بالنصف الأول من هذا القرن أي أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، وحتى أولئك الضباط والكتاب الفرنسيين الذين كتبوا عن هذا الموضوع في تلك الفترة لم يشيروا في تقاريرهم ومؤلفاتهم إلى عدد أتباع كل طريقة بما فيها الطريقة القادرية[2]، نذكر من بين هؤلاء الكتاب إدوارد دونوفو Edward Deneveu الذي نشر كتابه الإخوان سنة 1262هـ/1845م، وتحدث فيه عن الجماعات الدينية في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، لكنه لم يذكر عدد أتباع كل طريقة من الطرق الصوفية التي تحدث عنها خلال تلك الفترة.

وتبقى الإحصائيات التي هي بحوزتنا تعود إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وبالضبط إلى سنة 1298هـ/1884م، وسنة 1311هـ/1897م. فقد أشار لويس رين Louis Rinn سنة 1301هـ/1884م في كتابه مرابطون وإخوان، أن عدد أتباع الطريقة القادرية في الجزائر يقدر بـ: 14,842 تابع وهم مقسمون على النحو التالي: 14,574 إخوانيا و268 مقدمًا، و29 زاوية وموزعون على مختلف المناطق بالشكل الآتي: منطقة الشرق ممثلة بقسنطينة 5,425 إخوانيا و52 مقدمًا و15

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.58.

[2] قد يعود السبب في عدم إشارة هؤلاء الكتاب والمؤلفين إلى عدد أتباع الطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، إلى اعتمادهم على الكتب والمؤلفات التي صدرت خلال العهد العثماني، ومعظم هذه الكتب– كما يعلم جل الباحثين في هذا الميدان– اهتمت بالجانب العسكري والسياسي والاقتصادي للأيالة أكثر مما اهتمت بالجانب الديني والاجتماعي، وما تطرق منها لموضوع الطرق الصوفية اكتفى بسرد الأحداث التاريخية لهذه الطرق، والإشارة إلى أصولها ومبادئها وأشهر أئمتها وعلمائها دون التحليل والإحصاء.

كما أن الأعمال الإثنولوجية الميدانية الأولى التي قام بها الضباط الفرنسيون لمعرفة التيارات الدينية من أجل تسهيل عملية اختراق المجتمع الجزائري، اعتمدوا في إعدادها على الذاكرة الشعبية التي اتخذت من الرواية الشفهية التي تناقلتها الأسر أبا عن جد وتوارثتها القبائل الجزائرية من عهد لعهد منهجًا في جمع التراث التاريخي، والذاكرة الشعبية قد لا تحفظ الإحصائيات، أو أن إحصائياتها غير دقيقة لذلك لم يأخذها هؤلاء الضباط والكتاب بعين الاعتبار.

زاوية، منطقة الوسط ممثلة بمدينة الجزائر العاصمة 2,228 إخوانيا و31 مقدمًا و07 زوايا، منطقة الغرب ممثلة بوهران 1,921 إخوانيا و185 مقدمًا و07 زوايا[1].

إلا أننا نعتقد أن هذه الإحصائيات غير واقعية، كما أنها ليست دقيقة، فهي لا تشمل كل القطر الجزائري، إذ أن لويس رين حينما قدمها سنة 1278هـ/1884م كان جزء كبير من الصحراء الجزائرية خارج السيطرة الفرنسية.

كما أن مجموع عدد الإخوان بين المناطق الثلاثة (الشرق، الوسط، الغرب) هو 9,574 إخوانيا وإذا أضفنا لهذا الرقم مجموع عدد المقدمين الذي هو 268 مقدم فإن مجموع عدد الأتباع بين المناطق الثلاثة السالفة الذكر سيصبح هو 9,842 تابع وليس 14,842 تابع كما ورد ذلك عن المؤلف.

حتى لو افترضنا جدلاً أن الأرقام التي قدمها لويس رين Louis Rinn صحيحة وسليمة رياضيا، فإننا حينما نقارنها مع تلك التي قدمها كلاً من ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani سنة 1311هـ/1897م، والمتمثلة في 14,578 إخوانيا و558 مقدمًا، و33 زاوية[2]، أي بمجموع 25,169 تابع، سنجد أن أرقام لويس رين Louis Rinn قد تضاعفت بأكثر من النصف خلال ثلاث سنوات وهي المدة الفاصلة بين السنة التي ظهرت فيها إحصائياته أي 1298هـ/1884م، والسنة التي ظهرت فيها إحصائيات ديبون Dupont وكبولاني Coppolani أي 1311هـ/1897م، وهذا ليس بالشيء المعقول في تلك الفترة أي أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، أين كان من المفروض أن يتراجع عدد أتباع الطرق الصوفية، أو إن زاد فيزداد بنسبة طفيفة لا تؤثر في الأرقام، وذلك راجع لعدة أسباب سنتطرق إليها في الفصل الرابع من هذا البحث.

ومما يعزز لدينا هذا الاعتقاد، تلك المقارنة التي أجريناها بين إحصائيات ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani من جهة، وإحصائيات هنري قارو Henri Garrot التي قدمها في بداية القرن العشرين وبالضبط في سنة 1320هـ/1906م من جهة أخرى، أين لاحظنا وجود فارق ضئيل جدًا يكاد لا يذكر بين الإحصائيتين، ففي الوقت الذي قدر فيه كلاً من ديبون Duppont وكوبولاني Coppolani عدد إخوان الطريقة القادرية سنة 1311هـ/1897م بـ: 24,578 إخوانيا منهم 2,695 إمرأة أو خونية،

---

[1] Louis Rinn, **Op.cit**, P-P.179-180

[2] O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P-P.213-215

كما يشير هذا المصدر إلى وجود وكيل واحد، و521 من الطلبة، وأربعة شيوخ.

وعدد الزوايا بـ: 33 زاوية قد أحصى هنري قارو Henri Garrot عدد هؤلاء الإخوان سنة 1320هـ/1906م بـ: 25,000 إخوانيا منهم 2,800 إمرأة، وعدد الزوايا قدرها بـ: 33 زاوية(1).

وهذه الأرقام الأخيرة مشابهة تمامًا للأولى ــ أرقام ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani ــ إذ أن الفارق بينهما لا يكمن إلا في عدد الإخوان وهو لا يتجاوز 422 إخوانيا يمثلون المنتمين الجدد إلى الطريقة القادرية بعد سنة 1311هـ/1897م، وخلال تسع سنوات، وهي المدة الفاصلة بين إحصائيات ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani من جهة، وإحصائيات هنري قارو Henri Garrot من جهة أخرى.

وهنا نتساءل فإن كان عدد الإخوان لم يتضاعف خلال تسع سنوات فكيف له أن يتضاعف إلى أكثر من النصف خلال ثلاث سنوات التي تمثل المدة الفاصلة بين إحصائيات لويس رين Louis Rinn وإحصائيات ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani !؟

وعليه نرجح أن تكون إحصائيات عام 1311هـ/1897م، وإحصائيات عام 1320هـ/1906م أقرب إلى الواقع من إحصائيات عام 1298هـ/1884م.

لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو: لماذا اكتفى الباحثون والمؤرخون بنقل وتقديم هذه الإحصائيات والأرقام جافة دون فحصها وتحليلها ومقارنتها ببعضها البعض، والتأكد من صحتها ؟

3-1-2- الطريقة الرحمانية:

نعتقد أنها أهم الطرق الصوفية على الإطلاق في تاريخ الجزائر، فبالرغم من كونها حديثة النشأة، إذ تأسست أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، إلا أنها أدت دورًا بارزًا دينيا وسياسيا، وانتشرت انتشارًا واسعًا في أنحاء الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

---

(1) Henri Garrot, « Le mouvement islamique », **B.S.G.A.A.N**, Imprimerie Typographique et Lithographique S.Léon, Alger, 1906, P.162

كما أنها طريقة صوفية جزائرية خالصة، فقد تأسست على أرض الجزائر، من قبل شيخ جزائري وهو محمد بن عبد الرحمان الأزهري[1]، المولود بين 1026-1133هـ/1715-1722م[2] بقرية بوعلاوة الواقعة بجبال جرجرة، وينتمي إلى قبيلة آيت إسماعيل من عرش قشطولة[3].

نشأ عبد الرحمان الأزهري في بيئة اشتهرت بالتقوى، وترعرع في أحضان أسرة معروفة بحبها للعلم والفقه، حيث كان والده من شيوخ العلم وهو الذي ألحقه بزاوية الشيخ الحسين بن آعراب بآيت إيراثن ببلاد القبائل، أين حفظ القرآن الكريم وزاول تعليمه الأول[4]، قبل أن ينتقل إلى الجزائر العاصمة للدراسة بها[5].

---

(1) اسمه الكامل هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم، وينتهي نسبه إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ويلقب بالأزهري لمجاورته الأزهر الشريف مدة عشرين عامًا، ويلقب أيضا بالقشطولي نسبة إلى عرش قشطولة، كما يلقب بالزواوي نسبة إلى بلاد زواوة، والجرجري نسبة إلى جبال جرجرة. يراجع: أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، دراسة وتحقيق خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1433هـ/2012م، جـ.2، ص.445 ؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.506 ؛ عبد المنعم القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص-ص.304-305

(2) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.382

أبي القاسم محمد الحفناوي، **المصدر السابق**، جـ.2، ص.446

وقد اختلف الباحثون في تاريخ مولده اختلافا كبيرا فهناك من ذهب إلى القول أن مولده كان عام 1123هـ/1712م. يراجع: محمد بن محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة- مصر، 1930، ص.374، وهناك من رأى أن مولده كان بين 1127 و1142هـ/1716 و1731م. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.506، بينما رجحت ماجدة القاسمي الحسني أن يكون قد ولد سنة 1133هـ/1722م، لكونه سافر صغيرًا إلى بلاد المشرق العربي. يراجع: ماجدة القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية (أركانها وأصولها)**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 1421هـ/2000م، ص.31

(3) أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص.37، وقد انفرد أحد الضباط الفرنسيين وهو العقيد كوماي ترميليه (Comeille Trurmelet) برواية مفادها أن مولده كان في مدينة الجزائر العاصمة. يراجع:

Comeille Trumelet, **L'Algérie l'légendaire: en pèlerinage ça et la aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'Islam - tell et Sahara**, Jourdan, Alger, 1892, P.341

(4) عبد المنعم القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص-ص.307-308

(5) Louis Rinn, **Op.cit**, P.460

وفي حدود سنة 1152هـ/1738م شدّ محمد بن عبد الرحمان الأزهري الرحال إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وأثناء عودته استقر به المقام في القاهرة أين واصل تعليمه بالجامع الأزهر بما يقارب العشرين سنة، تدرج خلالها في معرفة مختلف العلوم الشرعية على أيدي علماء أجلاء منهم محمد بن عبد الله التلمساني المعروف بالمنور، وأحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير، وعلي بن أحمد الصعيدي، وعلي العمروسي، ثم انصب اهتمامه على العلوم الصوفية فوجد في الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الخلوتي[1]، ضالته، وقد كان هذا الأخير بمثابة المربي والمرشد والموجه بالنسبة للأزهري[2].

---

[1] ولد بقرية حفنا إحدى قرى صعيد مصر سنة 1100هـ/1686م، واليها ينسب وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه الأول، وحينما بلغ سن الرابعة عشر انتقل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف حيث واصل دراسته على يد أشهر مشائخ هذا الجامع في ذلك العصر، كالشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، ويوسف الملوي ومحمد البديري وغيرهم، واستطاع بفضل ذكائه واجتهاده أن يصبح من أشهر الأساتذة والشيوخ قبل أن يتولى مشيخة الأزهر الشريف بعد ذلك.

ويعتبر محمد بن سالم الحفناوي من أشهر وأبرز شيوخ الطريقة الخلوتية التي أخذها على يد الشيخ مصطفى البكري، وله تصانيف كثيرة نذكر منها: حاشية على شرح رسالة العضد للسعد، حاشية على شرح الهمزية لابن حجر، حاشية على شرح السمرقندي في الجبر والمقابلة، وقد توفي سنة 1181هـ/1767م. للمزيد يراجع: محمد بن عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المشيخات والمسلسلات**، المطبعة الجديدة، فاس- المغرب، 1347هـ، ج.1، ص.262 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1992، ج.2، ص.337.

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية)**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1427هـ، ص.315.

بعد أن تم محمد بن عبد الرحمان الأزهري تحصيل العلوم الصوفية بصفة عامة، وتلقى مبادئ الطريقة الخلوتية بصفة خاصة، انتقل وبأمر من شيخه محمد بن سالم الحفناوي إلى بلاد السودان لنشر الأوراد والطريقة الخلوتية وتربية الإخوان[1]، وقد مكث في دارفور[2]، ستُ سنوات يقرئ السلطان ثم استدعاه شيخه إليه، فعاد إلى مصر وألبسه الخرقة، وطلب منه أن يتوجه إلى مسقط رأسه بجبال جرجرة ليؤسس زاوية هناك، وينشر الطريقة الخلوتية بين سكان الجزائر[3].

وبعد غياب دام ربع قرن على رأي بعض الباحثين[4]، ودام عشرين سنة على رأي تلميذه عبد الرحمان باش تارزي الذي قال: (جال في الأوطان نحو العشرين سنة، وتغرب لهذا الشأن توفيقا له من الملك المنان)[5]، عاد محمد بن عبد الرحمان الأزهري إلى أرض الجزائر وأسس زاوية بقرية آيت إسماعيل الواقعة بجبال جرجرة وشرع في الوعظ والإرشاد وتقديم الدروس للطلبة الذين توافدوا عليه بكثرة[6]، وكان منهم من غادر الزوايا المجاورة ليلتحق بهذه الزاوية التي بدأت تكسب شهرة كبيرة شأنها في ذلك، شأن شيخها الذي غطت شهرته المنطقة بأسرها ووصلت إلى الجزائر العاصمة مما جعله عرضة

---

(1) محمد الجعدي، **مناقب الشيخ بن عبد الرحمان الأزهري**، مخطوط، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 945، ورقة02.

(2) دارفور تقع في أقصى الجزء الغربي من السودان وتبلغ مساحتها حوالي 510888 كلم^2، وقد كانت في الماضي دولة مستقلة عن السودان تعرف بدويلة دارفور الإسلامية، أسسها أحد زعماء قبيلة الفور، يعرف باسم سليمان سلونق– سليمان العربي– عام 959هـ/1445م، واستمر الفور في حكمها ما يقارب 430 عامًا أي إلى غاية سنة 1289هـ/1875م أين فقدوا حكمها، ثم استعادوا عرشها سنة 1312هـ/1898م عن طريق السلطان علي دينار الذي بقي في سدة الحكم حتى سنة 1330هـ/1916م، حيث ضمت بعد هذا التاريخ إلى السودان. للمزيد من المعلومات يراجع: أحمد عبد القادر أرباب، **تاريخ دارفور عبر العصور**، الخرطوم– السودان، 1998.

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص–ص.315–316.

يبدو أن محمد بن عبد الرحمان الأزهري استغرب أمر شيخه– محمد بن سالم الحفناوي– له بالتوجه إلى موطنه بلاد الزواوة لتأسيس زاوية ونشر الطريقة، إذ أن هناك من الشيوخ من لهم شهرة بين الناس تتجاوز حتى حدود الجزائر، وفي هذا الشأن يقول مؤسس زاوية الهامل محمد بن أبي القاسم الهاملي (140–1315هـ/1824–1897م): « فقال له سيدي محمد بن عبد الرحمان يا سيدي أنت آذنتني أن أرشد الخلق، ونجعل زاوية ببلاد زواوة، ولتعلم سيدي أن أولياء الله تعالى في مغربنا مثل النجوم، فكيف يصح ويسهل لي الإرشاد؟ فقال له الشيخ سيدي محمد بن سالم الحفناوي إن كان الأولياء في بلاد مغربّكم مثل النجوم في السماء فتضيء أنت عليهم مثل القمر ليلة استكماله ». يراجع: **رسالة محمد بن أبي القاسم الهاملي**، و. م. ق، زاوية الهامل، بوسعادة– الجزائر.

(4) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة، الجزائر، 2009، ج.4، ص.268 ؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.507.

(5) عبد الرحمان باش تارزي، **رسالة في الدفاع عن الطريقة الرحمانية**، و. م. ق، زاوية الهامل، بوسعادة– الجزائر.

(6) عباس كحول، **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة ــ الجزائر، ط.1، 2013، ص.61.

لأحقاد ودسائس علماء قريته[1]، فغادرها متوجها إلى مدينة الجزائر التي استقر فيها وتصدى للتعليم ولنشر الطريقة الخلوتية، والتف حوله الناس والمريدين، فعلا صيته وذاعت شهرته، وأهدى له أفراد عائلة بني عيسى قطعة أرض بمنطقة الحامة، فبنى عليها زاويته التي اتخذها مركزًا لنشر الطريقة وملتقى للإخوان والمريدين[2].

وعلى غير عادة أغلب شيوخ الصوفية، فقد كان محمد بن عبد الرحمان الأزهري يحب أن يظهر في مظهر المستكفي المستغني عن صدقات الناس، حتى يحافظ على شرف الطريقة التي تدعوا إلى ترك ما في يد العباد لإرضاء رب العباد، فكان يظهر على نفسه آثار النعمة الإلهية عليه، فيلبس الملابس الفاخرة إذا أراد الخروج والطواف في البلاد لإرشاد العباد[3].

ورغم الشهرة الكبيرة التي كان يتمتع بها محمد بن عبد الرحمان الأزهري في مدينة الجزائر وضواحيها، إلا أنه لم يكن مطمئنا لمستقبله في قرية الحامة، لاسيما وأنه كان عرضة لانتقادات رجال الدين والعلماء في العاصمة الذين اتهموه بالابتداع والخروج عن مذهب أهل السنة والجماعة، فأقبل عائدًا إلى مسقط رأسه بآيت إسماعيل، وأسس هناك زاوية جديدة تفرغ فيها للتعليم والتدريس، وإعطاء ورد الطريقة التي أسسها، وقدر لها أن تكون أكثر الطرق الصوفية مجابهة ومحاربة للاستعمار الفرنسي على أرض الجزائر خلال القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين[4].

بلغ عدد تلامذته على عهده أكثر من 580 تلميذ، عشرهم بلغ درجة التربية والذوق، جلهم من مدينة الجزائر وضواحيها كمنطقة بني موسى، كما أن الحضر منهم أكثر فتحًا وذوقا من البدو[5].

---

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.320.

(2) يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، 2009، ج.1، ص.300.

(3) محمد المكي بن عزوز، **رسائل بن عزوز**، جمع وتحقيق علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية، دمشق- سوريا، ط.1، 1984، ص.122.

(4) يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة** ، ج.1، ص-ص.300-301

(5) محمد بن عبد الرحمان الأزهري، **دفتر الدفاتر**، مخطوط، المكتبة القاسمية، زاوية الهامل، بوسعادة- الجزائر، ورقة10.

وقد توفي محمد بن عبد الرحمان الأزهري في مسقط رأسه عام 1208هـ/1793م، ودفن بزاويته الموجودة بآيت إسماعيل[1]، وخلف من ورائه 24 مقدمًا وخليفة موزعين على مناطق مختلفة من القطر الجزائري خاصة الشرق والوسط[2].

وقبل وفاته عيّن خليفته على الزاوية، وهو تلميذه علي بن عيسى المغربي[3]، وترك له جميع كتبه وأرضه وأوقاف الزاوية وغير ذلك، واشهد على ذلك أهل آيت إسماعيل، وقد ظل علي بن عيسى يدير الزاوية وينشر الطريقة من تاريخ توليته 1208هـ/1793م إلى غاية وفاته سنة 1347هـ/1936م[4].

والطريقة الرحمانية تتشابه من حيث الشكل العام مع بقية الطرق الصوفية الأخرى، فهناك المعلم أي الشيخ، وهناك المقدم الذي ينوب عن الشيخ في بعض المهام والوظائف، وهناك المريد الذي يُكِّنُ كل الطاعة للشيخ، وهو محمور العملية التربوية في الطريقة، ولابد عليه أن يتحلى بآداب معينة مع نفسه ومع شيخه[5].

---

(1) ورد في بعض المصادر والمراجع أن الداي حسين باشا (1205هـ/1790م-1212هـ/1797م) حينما بلغه نبأ وفاة محمد بن عبد الرحمان الأزهري ودفنه بمسقط رأسه، أمر أربعة أفراد من أحباء ومريدي الأزهري بالعاصمة ليتنقلوا إلى قرية آيت إسماعيل خفية، ويقومون بنبش قبره، ثم يحملون جثمانه إلى العاصمة ليدفنوه في زاويته الكائنة بالحامة للتبرك به، وليكون أيضا الزائر له تحت سمع وبصر الداي، وقد نجح هؤلاء الأشخاص في فعل ما طلب منهم، وتم نقل جثمانه ليدفن بالحامة، وعندما فطن أهله، وأهل قريته للأمر عقدوا العزم على رده إليهم، وآل الأمر إلى النزاع، لكن النازلة انفصلت بوجوده في قبره عندهم أيضا فسمي من يومئذ بأبي قبرين. يراجع: أبي القاسم محمد الحفناوي، **المصدر السابق**، ج.2، ص.448؛ إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص-ص.69-71 ؛ عبد الرحمان الجيلالي، **المرجع السابق**، ج.4، ص-ص.271-272

أما حمدان بن عثمان خوجة يرى أن الحادثة وقعت بالعكس، أي أنه دفن أولاً بالحامة، ثم وقع نقله ليلاً من طرف أهل قريته إلى جبل جرجرة ليدفن بقرية فرومة قرب فليسة. يراجع: **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على أيالة الجزائر)**، عربه وقدم له وعلق عليه وفهرسه محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1972، ص.33

(2) يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة** ، ج.1، ص.301

(3) أصله من المغرب الأقصى، لكن المصادر لا تفيدنا بمكان ميلاده ولا تاريخه، ولا نشأته الأولى، وكل ما أفادتنا به أنه كان من مريدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، والقائم بشؤون الطلبة والمريدين في حياة شيخه، وقد تفانى في خدمة هذا الأخير إلى درجة أنه كان يقوم بتنظيف إسطبله، ويحمل القاذورات التي يجمعها فيضعها ببرنسه ليلقي بها بعيدًا، فكان بذلك أقرب المقربين إليه مما سمح له أن يرقى إلى منصب الخليفة. يراجع: إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.69

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.509

(5) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.340

آداب المريد مع نفسه ومع شيخه كثيرة وعديدة ومتنوعة، وللاطلاع عليها يراجع: مصطفى باش تارزي، **المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية**، تقديم محمد سي يوسف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو- الجزائر، 2011، ص-ص.131-174

وعلى ما يذكر أتباع هذه الطريقة فهي تهدف إلى جمع بين المنهجين المعروفين في الفكر الإسلامي، وهما منهج العلماء الذي يقوم على أحكام الشريعة الإسلامية، ومنهج الصوفية الذي يعتمد على التجربة الدينية، أي أنها تدعوا إلى الصفا والعودة إلى المنابع الأولى للإسلام، وذلك عن طريق تطهير النفس، وتخليصها من الشوائب والرعونات التي تمنعها من الوصول إلى جناب الحق، ويجب عليها قطع سبع مراحل أو أنفس بواسطة سبع أسماء وهي[1]:

- الأول: " لا إله إلا الله " وتسمى النفس فيه أمارة.
- الثاني: " الله " وتسمى النفس فيه لوامة.
- الثالث: " هو " وتسمى النفس فيه ملهمة.
- الرابعة: " حق " وهو أول قدم يحله المريد من الولاية وتسمى النفس فيه مطمئنة.
- الخامسة: " حي " وتسمى فيه النفس الراضية.
- السادسة: " قيوم " وتسمى النفس فيه مرضية.
- السابع: " قهار " وتسمى النفس كاملة وهو غاية التلقين.

والطريقة الرحمانية مشروحة ومفصلة في كثير من الرسائل التي كان يبعث بها مؤسسها إلى أتباعه ومريديه، ويأمرهم بتوزيعها على غيرهم لكي تعم الفائدة، ثم تعود إليه هذه الرسائل التي توحي أن محمد بن عبد الرحمن الأزهري كان متأثرا بشيخه محمد بن سالم الحفناوي، إذ كثيرًا ما يستشهد بأقواله فيها[2]، وهو ما جعلنا نعتقد أن هذه الطريقة هي في الأصل، طريقة حفناوية خلوتية.

وقد سعى علي بن عيسى جاهدًا أن يتقفى آثار شيخه محمد بن عبد الرحمان ويسير على خطاه في إدارة الطريقة، بعد أن انتقلت مشيختها إليه، فكان يرسل الرسائل إلى الإخوان الرحمانيين يشرح لهم فيها الطريقة، ويدعوهم إلى ضرورة التمسك بمبادئها وأورادها، وكان يختم هذه الرسائل بختم نقش عليه اسم شيخه " بن عبد الرحمان "[3]، مما يعني أن علي بن عيسى لم يتخذ خاتما خاصا به على الأقل خلال السنوات الأولى من خلافته وقد يعود السبب في ذلك إلى ثلاثة أمور وهي:

---

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص-ص.339-342

(2) للاطلاع على إحدى هذه الرسائل يراجع: محمد فؤاد، **وثائق تاريخية من المكتبة القاسمية**، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1434هـ/2013م، ص-ص، 19-20

(3) ينظر: **ملحق رقم (33)**

- **أولهما:** أنه كان وفيًا ومخلصًا لشيخه لدرجة يستحيل معها أن يتخلص من كل ما له علاقة بعهده، كما أن في ذلك تقدير وعرفان منه لمعلمه لما لهذا الأخير من فضل كبير عليه.
- **ثانيها:** أراد أن يوحي للإخوان أن عهده هو استمرار لعهد شيخه، وأن نهجه في تسيير الطريقة، وهو نهج سالفه ومعلمه.
- **ثالثهما:** الوفاء والإخلاص لمؤسس الطريقة من خلال الإبقاء على ختمه واستعماله أثناء تحرير الرسائل ومختلف العقود سيزيد من تعلق وتمسك الأتباع والمريدين بشخص الخليفة علي بن عيسى.

وقد ساهم هذا الأخير بشكل كبير في جعل الطريقة الرحمانية تحقق نجاحًا باهرًا بين أتباعها، الذين طبقوها بالحرف الواحد، مما ساهم في سرعة انتشارها بين السكان لاسيما قاطني الريف، فأضحت بذلك أوسع الطرق انتشارا في القطر الجزائري خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

ففي سنة 1265هـ/1851م بلغ عدد أتباعها في مقاطعة الجزائر لوحدها حوالي 225,299 مريد من بين 718,691 إخوان ينتمون إلى الطرق الصوفية المنتشرة في تلك الفترة، وهو ما يعادل نسبة 32%[1]، وفي الإحصاء الذي نشره لويس رين Louis Rinn سنة 1298هـ/1884م، نجد أن مجموع أتباعها بين المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية في تلك الفترة هو 96,915 تابع، منهم 96,161 إخواني، و754 مقدم، بالإضافة إلى وجود 220 زاوية رحمانية، وهم موزعون على النحو التالي:[2]

- منطقة الوسط ممثلة بمقاطعة الجزائر عدد الزوايا 92 وعدد المقدمين 239، أما عدد الإخوان فهو 36,660.
- منطقة الغرب ممثلة بمقاطعة وهران فعدد الزوايا فيها هو 10، وعدد المقدمين 93، وعدد الإخوان 3,198.
- منطقة الشرق ممثلة بمقاطعة قسنطينة، وعدد الزوايا فيها 118، أما عدد المقدمين فهو 422، بينما يصل عدد الإخوان إلى 56,303.

لكن إذا أجرينا مقارنة بين الإحصاء الأول والإحصاء الثاني، سنجد أن عدد أتباع الطريقة الرحمانية قد تراجع بأضعاف مضاعفة في مقاطعة الجزائر خلال ثلاثة وثلاثين سنة التي تمثل المدة الفاصلة بين إحصاء عام 1265هـ/1851م وإحصاء عام 1298هـ/1884م، وحسب اعتقادنا فإن هذا التراجع لم يكن مقتصرًا على مقاطعة الجزائر فحسب، بل شمل كل المقاطعات أو كامل القطر الجزائري،

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.340.

(2) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

ذلك لأن الطريقة الرحمانية خلال هذه الفترة قد تراجع نشاطها الدعوي لصالح النشاط الثوري، إذ نجدها انخرطت بشكل مباشر أو غير مباشر في كل الثورات والمقاومات التي اندلعت هنا في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ضد المحتل الفرنسي، وهو ما أثر سلبًا على إمكانياتها البشرية والمالية لاسيما وأنها كانت عرضة للانتقام الوحشي الذي قاده ضدها هذا المحتل.

فبالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من أتباعها الذين استشهدوا في ساحات الوغى، فقد أعدم آخرون وحكم بالسجن المؤبد أو النفي على بعضهم الآخر وكان من بينهم شيوخ ومقدمون، وتعرضت معظم زواياها للحرق والهدم، وهو ما يفسر لدينا هذا التراجع الرهيب في أعداد أتباعها مع أواخر ذلك القرن، حتى وإن كنا نشك في دقة الأرقام التي استقيناها أو استقاها غيرنا من مصادر فرنسية، وتبقى تحتاج إلى كثير من التحليل والشرح المفصل، وهو ما يتعذر علينا تقديمه في هذا البحث لعدم وجود أرقام أخرى تكون مستقاة من أرشيف الطريقة ذاتها فنقوم بمقارنتها ببعضها البعض ونعلق عليها.

وقد أعطى كلا من ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani في سنة 1311هـ/1897م، إحصاء آخر للطريقة الرحمانية ذكرا فيه أن مجموع الإخوان الرحمانيين في الزوايا التي درست هو 160,000[1]، غير أن أبو القاسم سعد الله يرى أن هذا الرقم مبالغ فيه من قبلهما، والسبب وراء هذه المبالغة هو رغبتهما في إثارة انتباه السلطات الفرنسية إلى خطورة هؤلاء الرحمانيين على الأمن العام، وعلى الأوروبيين بصفة خاصة هنا في الجزائر[2].

لكن حتى وإن كان هذا الرقم مبالغ فيه، وهذا ما نعتقده نحن أيضًا، لكونه يفوق بكثير الرقم الذي قدمه لويس رين Louis Rinn في إحصاء عام 1298هـ/1884م، بل ويفوق حتى الرقم الذي قدمه هنري قارو Henri Garrot في إحصائه لعام 1320هـ/1906م، والذي هو 133,500 إخواني[3]، إلا أنه يعزز اعتقادنا في كون الطريقة الرحمانية أكبر الطرق الصوفية من حيث العدد والانتشار في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

---

(1) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P-P.479-480

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، هـ.ص. 178

(3) Henri Garrot, **Op.cit**, P.171

3-1-3- الطريقة التجانية:

رغم كونها أحدث الطرق الصوفية في الجزائر[1]، إلا أنها استطاعت أن توجد لنفسها مكانة بين الطرق الرئيسة، فهي لا تقل أهمية عن سابقتيها ــ القادرية والرحمانية ــ إذ كان لها هي الأخرى دور بارز في جل الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كما أنها ساهمت خلال هذه الفترة في تفعيل النشاط الديني والثقافي، وعملت على بعث روح التعاون والتكافل الاجتماعي في أوساط الجزائريين الذين أنهكهم الفقر وتفشت بينهم الأمية، ونال منهم الجهل، بسبب التهميش وسياسة التغريم والتشريد التي فرضت عليهم من قبل السلطة العثمانية، ومن بعدها السلطة الاستعمارية.

والتجانية أسسها أحمد بن محمد التجاني الذي تحمل اسمه، وهو من مواليد عام 1150هـ/1737م[2]، بعين ماضي[3]، مقر أسلافه المتأخرين، باعتبار أن جده الرابع محمد بن سالم من أصول مغربية، وكان يقطن بمدينة أسفي بالمغرب الأقصى قبل أن ينتقل رفقة أسرته إلى بني توجين في المغرب الأوسط ــ الجزائر ــ ويتزوج منهم ويصبح أولاده وأحفاده ينسبون إليهم ويعرفون بالتجانيين[4].

وقد نشأ وترعرع أحمد التجاني في أسرة فاضلة ذات أخلاق كريمة، وجُلّ أفرادها على مستوى رفيع من العلم، فأبوه محمد بن المختار كان شيخ زاوية وهو الذي اختار لابنه أحمد أستاذه محمد بن حمو

---

(1) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.77.

(2) علي حرازم برادة، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، وبهامش كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعد الفوتي الكدوي، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1988، جـ.1، ص.2.

(3) تقع هذه المدينة جنوب جبال عمور على بعد 70 كلم، غرب الأغواط بالمغرب الأوسط. يراجع:

A. Gouilly, **L'Islam dans L'Afrique occidentale Française**, Paris, 1952, P.110

وعين ماضي بنيت في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، من طرف ماضي بن يعقوب الذي حملت اسمه، يراجع:

J.M. Abun- Nasr, **The Tijaniyya: Asufi ordre in the modern - 1 World**, Oxford université press, London, New Yourk, Toronto, 1965, P.16

وهناك باحثون آخرون أفادوا في دراساتهم أن مؤسس مدينة عين ماضي شخص يدعى المهدي، ومن كثرة تداول هذا الاسم تحول بمرور الزمن إلى ماضي! يراجع:

M. Awad, « Un Fondateur de confrérie religieuse Maghrébine: Sidi Ahmed Al-Tijani (1737-1815) », **R.M.E**, n°2, Editions La Porte , 1992, P.258 ; Marcel Semian, **Les Confréries Islamiques en Algérie (Rahmanya – Tijanya)**, thése de Doctorat en sciences politique et économique, Faculté de droit, Université de Paris, France, 1910, P-P.69-70

(4) أحمد الأزمي، **الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، 1421هـ/2000م، جـ.1، ص-ص.45-46

التجاني الماضوي الذي حفظ على يديه القرآن الكريم برواية ورش وهو ابن سبع سنوات من عمره[1]، وأخذ عنه مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري، كما تتلمذ أيضا على يد الشيخ المبروك بوعافية التجاني، واستمر في طلب العلم حتى بلغ نحو العشرين سنة فتوجه إلى فاس بالمغرب الأقصى سنة 1171هـ/1758م[2].

ويبدو أن أحمد التجاني حينما كان متواجدًا بمدينة فاس انصب اهتمامه على تلقي الأوراد والأذكار، أكثر مما كان يهتم ببقية العلوم الأخرى، فقد التقى هناك بكثير من أقطاب الصوفية والأولياء وتبرك بهم وأخذ عن بعضهم، فقد أخذ أوراد الطريقة الطيبية عن الشيخ الطيب الوزاني، وأخذ مبادئ الطريقة الناصرية عن الشيخ محمد بن عبد الله التزاني[3].

وحتى يتلقى الفتح فقد أشار عليه شيخه محمد بن الحسن الوانجلي بالرجوع إلى بلاده ــ الجزائر ــ لأن مبتغاه لا يتحقق إلا هناك[4]، لذلك شد الرحال قاصدًا بلدة الأبيض سيدي الشيخ بالصحراء الجزائرية حيث توجد زاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ القطب الصديقي الشهير، فمكث عند ضريح هذا الأخير مدة خمس سنوات يتعبد ويتبرك، وقد زار خلال هذه المدة مسقط رأسه عين ماضي لكنه لم يمكث فيها طويلا[5]، بعدها توجه إلى تلمسان التي مكث فيها هي الأخرى خمس سنوات من 1181هـ/1766م إلى 1186هـ/1772م، ثم غادرها قاصدًا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وفي طريقه التقى ببعض الأولياء وأقطاب التصوف نذكر من بينهم محمد بن عبد الرحمان الأزهري الذي أخذ عنه الطريقة الخلوتية، ومحمد الكردي المصري الذي التقى به في القاهرة، ثم الشيخ بن عبد الكريم السمان قطب المدينة المنورة الذي أذن له في جميع الأسماء وأخبره بأنه القطب الجامع، وبشره بنيل المرام والحصول على الإذن المطلق العام[6].

وبعد حوالي سنتين في المشرق عاد أحمد التجاني إلى بلده الجزائر، ووصل إلى تلمسان سنة 1188هـ/1774م، وأقام فيها مجتهدًا في العبادة وتلقين الطريقة الخلوتية لبعض أصحابه[7]، وفي مقدمتهم

---

(1) أحمد الأزمي، **المرجع السابق**، جـ.1، ص-ص.51-53

(2) محمد العربي بن السايح الشرقي العمري، **بغية المستفيد لشرح منية المريد**، دار الفكر، د.ب، 1973، ص.145

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.510

(4) محمد العربي بن السايح الشرقي العمري، **المصدر السابق**، ص.161

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.510

(6) علي حرازم برادة، **المصدر السابق**، جـ.1، ص-ص.38-39

(7) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.1، 2009، ص.96

محمد بن المشري[1]، الذي منحه إجازة عامة مطلقة ـ حسب ما ورد في نصها ـ وقربه منه بأن جعله كاتبه وخازن أسراره وإمامه في الصلاة حتى سنة 1208هـ/1794م، أين بدأ فيها أحمد التجاني يقوم بالإمامة بنفسه[2].

وقد مكث أحمد التجاني في تلمسان نحو الثمانية أعوام، سافر في أثنائها إلى مدينة فاس سنة 1191هـ/1777م[3]، قبل أن يغادرها إلى قصر الشلالة[4]، وذلك في حدود سنة 1196هـ/1781م، وهناك دامت إقامته ثلاث سنوات، توجه بعدها إلى إحدى القرى القريبة من مسقط رأسه ـ عين ماضي ـ تعرف باسم أبي سمغون التي حصل له فيها الفتح الأكبر[5]، والولاية العظمى[6].

---

[1] يعتبره أتباع الطريقة التجانية خازن سر شيخهم أحمد التجاني وحافظ عهده ومحل وده وخليل أنسه، وذلك نظرا للمكانة الخاصة والمتميزة التي كان يحتلها في قلبه، كما أنه شكل أحد المنارات المشعة في تاريخ الطريقة التجانية بما قدمه لها ولشيخها من خدمة ساهمت في زيادة عدد مريديها واتساع رقعة انتشارها. وقد كان أول لقاء بينه وبين شيخه أحمد التجاني عام 1188هـ/1774م بتلمسان، واتخذ منه هذا الأخير إماما في صلاته منذ 1208هـ/1794م، بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم، وكاتبا له يحرر تارة الرسائل والأجوبة التي يبعث بها إلى جهات مختلفة ولأغراض متنوعة باسم شيخ الطريقة، وتارة أخرى يحرر له ما يمليه عليه أو يسمعه اياه. أصبح خليفة لشيخه سنة 1218هـ/1804م، وظل على عهده حتى توفي سنة 1224هـ/1810م بعين ماضي. يراجع: سيدي عبيدة ابن أنبوجة الشنقيطي التيشيتي، **ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية**، مصر، د.ت، ص.14 ؛ أحمد سكيرج، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، المكتبة الشعبية، بيروت- لبنان، 1988، ص.151 ؛ محمد بن محمد الحجوجي الحسني، **تيسير الأماني لقراء شهدة الجاني**، المطبعة البلدية الفاسية بالمكينة، المغرب، 1338هـ، ص.147.

[2] أحمد سكيرج، **المصدر السابق**، ص-ص.149-150

[3] عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، ص.96

[4] مدينة جزائرية تبعد عن ولاية البيض بـ 120 كلم.

[5] يعتقد أتباع الطريقة التجانية أن إرهاصات الفتح الأصغر أحس بها شيخهم أحمد التجاني قبل توجهه إلى المشرق العربي لزيارة بيت الله الحرام، أي عندما كان في تلمسان، يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.511

[6] أحمد الأزمي، **المرجع السابق**، ص-ص.69-71

ويعتقد أتباع الطريقة التجانية أن الفتح الكبير، أي رؤية أحمد التجاني للرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وتلقيه منه الإذن في تلقين الخلق بعد أن كان فارا من ملاقاتهم[1]، قد جاءه منذ السنة الأولى التي حل فيها بأبي سمغون بعد رحيله من تلمسان عام 1190هـ/1781م، وعمره آنذاك حوالي خمسة وأربعين عاما[2]، وتعيين الورد من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أتى على مرحلتين:[3]

- المرحلة الأولى: في سنة 1196هـ/1781م كلفه بالاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي الكريم مائة مرة، وأذِن له بتلقينه لأتباعه بعد تحديد الشروط والالتزام بها من قبل المريدين.
- المرحلة الثانية: كانت عام 1200هـ/1785م حيث زادهُ الرسول صلى الله عليه وسلم في الورد اللازم مائة من قول " لا إله إلا الله ".

وبعد ما تحقق لأحمد التجاني مبتغاه في أبي سمغون، أسس طريقته التي تنسب إليه وتعرف بالتيجانية والتي هي في الأصل سلسلة واحدة تصل مؤسسها بالإمام علي بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام، مرورًا بالحسن البصري وحبيب العجمي وأبي القاسم الجنيد،

---

(1) أحمد الأزمي، **المرجع السابق**، ص.72.

نتساءل لماذا ادعى أحمد التجاني أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة، ولم يدعي أنه رآه مناما مع علمه أن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة أمر غير معقول، وغير قابل للتصديق، بينما رؤيته في المنام معقولة وقد تحدث لأولياء الله الصالحين كما صح ذلك في بعض الأحاديث النبوية ؟

كما أن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته لم يثبت أنها حدثت من قبل مع أيا كان ولو مع آل البيت الذين هم من نسل فاطمة وعلي، أو مع كبار الصحابة المقربين منه صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا، بل لم تحدث حتى مع أقطاب التصوف المشهورين، ولم يرد عن أحد منهم أنه حدث له ذلك.

وقد أنكر أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه عودة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وذلك حينما قام خطيبا في المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أصيب بهول فاجعة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فتحدث بما لا يعي قائلا: « إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات »، فأجابه أبو بكر رضي الله عنه: « أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ». يراجع: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ضبط وتحقيق محمد علي القطب ومحمد الدالي بلطة، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1424هـ/2004، جـ.1، ص-ص.270-271

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.511.

(3) علي حرازم برادة، **المصدر السابق**، جـ.1، ص.43.

والحفصي المصري ثم محمود الكردي، أي أن هذه السلسلة تبدأ من الخلوتية عن طريق الشيخ محمود الكردي كما ورد عن أحمد التيجاني نفسه[1].

غير أن أتباع الطريقة التجانية يزعمون أن شيخهم قد تخلى عن كل الطرق امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي طلب منه ذلك، وأخبره أنه سيقوده ويتوسط له عند الله ويكون المساعد الاحتياطي له[2].

وعليه فرضت التجانية على أتباعها شرطا لم يكن معهودًا في الطرق الأخرى من قبل، وهو عدم الانخراط في أية طريقة أخرى، ومن يخالف هذا الشرط ينالهُ الطرد من حضرة الله واللعنة منه[3].

ورغم هذا الشرط الذي يبدو قاسيا نوعًا ما إلا أنّ أحمد التجاني ذاع صيته، واشتهر بعد أن جاءه الفتح الكبير وبدأ في نشر طريقته، فقد عرف إقبالا كبيرًا من الطلبة والمريدين، مما جعل السلطة التركية العثمانية في الجزائر تتوجس خِيْفَةً من نشاطه، فبدأت في التضييق عليه مما اضطره إلى الرحيل إلى فاس سنة 1212هـ/1798م أين حظي برعاية سلطان المغرب مولاي سليمان[4].

وتجدد نشاط الطريقة التجانية في الجزائر بداية من منتصف العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بعد وفاة مؤسسها في فاس سنة 1229هـ/1815م، ورجوع خلفه إلى عين ماضي[5]، فعرفت انتشاراً في التل وفي الجنوب، وكثر مقدموها وأتباعها وزواياها، وأصبحت من أغنى الطرق الصوفية في الجزائر بالمال عن طريق التجارة وعمارة الأسواق، بالإضافة إلى كونها المحرك لشبكة القوافل التجارية التي تحمل الذهب والعبيد والتبر ومختلف البضائع المتبادلة بين المغرب العربي

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.193.

[2] لقد خلد أحد أتباع الطريقة التجانية وهو ابن بابا الشنقيطي العلوي التجاني هذا الفتح الكبير، وتخلي أحمد التجاني عن جميع الطرق الأخرى في منظومة شعرية اخترنا منها الأبيات التالية:

وفتـــح الله بهــذا العــام فتحا لشيخي الكامل الإمام
بأن رأى بالعين عين الرحمة يقظة فصّار عين الأمة
وقال دع كــل شيـوخك وذر وأنا مربيك وشيخك الأبر
وأذن النّبــي للشيـــخ بأن يلقن الأنام ورده الحسن
فجل النّـــاس من الأقطــار يأتونـــه محبة الأســرار

يراجع: ابن بابا الشنقيطي العلوي التجاني، **منية المريد في الطريقة التجانية**، مكتبة السعادة، تونس، د.ت، ص.5.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.193.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000، ص.147.

[5] عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.277.

وإفريقيا في تلك الفترة، كما أن عين ماضي مركز الطريقة كانت معبرًا لمختلف هذه القوافل المتوجهة شمالاً وجنوبًا وشرقا وغربًا، نحو فاس وتلمسان وتوات والهقار وفوتا والسنغال، وقد أضحت قوة ينشد تحالفها العدو قبل الصديق[1]، وأصبح لها فرعان رئيسيان هنا في الجزائر وهما فرع عين ماضي، وفرع تماسين، وبداية من 1311هـ/1897م أصبح لها شيخان بعد ما كانت المشيخة واحدة إما في تماسين وإما في عين ماضي[2].

أما فيما يتعلق بعدد أتباعها فإن الأرقام التي بحوزتنا استقيناها من الإحصائيات الفرنسية، وهي كالآتي:

إحصاء إدوارد دونوفو Edward Deneveu لعام 1259هـ/1845م، يشير إلى وجود 500 عضو بمدينة قسنطينة، بالإضافة إلى عدد كبير من قبائل الصحراء وكل سكان تماسين الذين ينتمون لهذه الطريقة التي يوجد لها مسجدان في قسنطينة وآخران في الجزائر العاصمة وواحد في بونة (عنابة)[3].

ونشير هنا إلى أن هذا الإحصاء قام به صاحبه أثناء تربصه وهو لا يزال نقيبا في صفوف فرقة الفرسان الثلاثة بقسنطينة، كما أنه أول بحث من نوعه تقوم به السلطات الفرنسية بعد احتلالها للجزائر سنة 1244هـ/1830م، ويتطرق إلى الطرق الصوفية، لذلك كان من البديهي أن يفتقد للدقة ويعتريه نقص كبير ويبقى يطرح عدة تساؤلات ويضع علامات استفهام ؟ لاسيما فيما يتعلق بقبائل الصحراء وسكان تماسين الذين ذكرهم الباحث هنا ولم يشير إلى أعدادهم بالأرقام، وهو ما يجعلنا نتساءل عن أعدادهم الحقيقية في تلك الفترة ؟

إحصاء لويس رين Louis Rinn عام 1298هـ/1884م، يشير إلى أن مجموع عدد أتباع الطريقة التجانية بين المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية آنذاك هو 11,182 تابع، منهم إحدى عشر ألف واثنان وثمانون إخواني (حبيب) و100 مقدم، بالإضافة إلى وجود 17 زاوية تجانية، وهؤلاء الأتباع موزعون على ثلاثة مناطق بالشكل التالي:[4]

- منطقة الوسط ممثلة بمقاطعة الجزائر عدد الزوايا 03 وعدد المقدمين 26، أما عدد الإخوان أو الأحباب ــ كما يعرفون في الطريقة التجانية ــ فهو 4,348.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.194-195

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.294

[3] إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.84

[4] Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

- منطقة الغرب ممثلة بمقاطعة وهران فعدد الزوايا فيها هو 02، وعدد المقدمين 20، أما عدد الإخوان فهو 588.
- منطقة الشرق ممثلة بمقاطعة قسنطينة، فعدد الزوايا فيها هو 12، عدد المقدمين 54 وعدد الإخوان 6,146.

والشيء الذي نلاحظه عند تحليلنا لهذه الإحصائيات هو ضعف عدد أتباع هذه الطريقة في منطقة الغرب، ولعل السبب في ذلك ــ على رأي أبو القاسم سعد الله[1] ــ يكمن في نفوذ الطيبية والكرزازية والزيانية والشيخية بهذه المنطقة.

كما أن العدد الإجمالي للأتباع بين المناطق الثلاثة ليس ضخْمًا إذا ما قيس بأعداد الأتباع عند بعض الطرق الفرعية كالطيبية، وهو لا يتناسب مع الحجم السياسي للطريقة ولا مع الدور الذي لعبته في جل ومختلف الأحداث التي عرفتها الجزائر طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

ومن المفروض أن يكون عدد أتباع الطريقة التجانية في هذه الفترة التي أجرى فيها هذا الإحصاء، وهي فترة أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، أكبر بكثير مما قدم هنا نظرًا للمساندة المعنوية والمادية التي كانت تتلقاها الطريقة من قبل السلطات الفرنسية التي كانت تربطها بها علاقة وِدّ ومجاملة ومصاهرة، كما أن التجانية وطيلة العهد الاستعماري لم تتعرض لتلك الضربات القوية والموجعة، والتصفية الجسدية والبنيوية التي تعرضت لها بقية الطرق الأخرى وفي مقدمتها القادرية والرحمانية.

لكن نبقى نقول أن الفترة التي أجرى فيها لويس رين Louis Rinn إحصاءه هذا كان جزء كبير من الصحراء الجزائرية لم يدخل بعد تحت السيطرة الفرنسية، وهو ما أثر سلبًا على دقة أرقامه وأعداده لكونه لم يأخذ بعين الاعتبار عدد الأتباع في هذه المناطق الصحراوية التي ينتشر فيها أحباب التجانية بكثرة، ويبدو أن إحصاء ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani لسنة 1311هـ/1897م، هو الأقرب لحقيقة وواقع الطريقة التجانية، فهو يعطي لهذه الأخيرة عددًا مضاعفا لما أعطاه لها لويس رين Louis Rinn وزيادة، فيشير إلى وجود 25,323 تابع، من بينهم 165 مقدم و09 وكلاء، و02 من الشواش، بالإضافة إلى الخونيات أو التابعات من النساء، كما يوجد للتجانية 32 زاوية عبر كامل القطر الجزائري[2].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.242.

[2] O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.438

ويتضح جليا من خلال هذه الأرقام أن التجانية جَنَتْ خلال أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ثمار مهادنتها للسلطة الفرنسية فهي كسبت مريدين جدد، وضاعفت من عدد أتباعها بعد أن تمكنت من الانتشار والتوسع نحو الصحراء بفضل جهود شيخيها في زاويتي تماسين وقمار، لكن ذلك لا يعني أنها لم تتأثر أيضا سلبا بسبب مهادنتها وتعاونها مع هذه السلطة، إذ نرجح أن يكون عدد أتباعها قد تراجع وأن وتيرة الانخراط فيها أو الإنتماء إليها قد تعطلت، أو على الأقل قد تباطأت في مناطق أخرى لاسيما تلك التي كانت مسرحا للأحداث القتالية بين جيش الاحتلال ورجال المقاومة الوطنية، وإلا لكان عدد أتباعها أكثر بكثير مما قدمه هذا الإحصاء.

وهناك إحصاء آخر ورد في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله يشير إلى وجود 32 فرعًا للطريقة التجانية منتشرين في الصحراء والتل والهضاب العليا، ولها أيضا 165 مقدمًا و162 شاوشا، كما لها 19,812 من الإخوان (الأحباب)، و5,164 إمرأة[1].

لكن المؤلف لا يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا الإحصاء ولا السنة التي أجري فيه، وإن كنا نعتقد أن تاريخه قريب جدًا من إحصاء 1311هـ/1897م، وذلك لتقارب الأرقام وتشابه بعضها في الإحصائين.

3-2- طرق غير رئيسة (ثانوية):

وهذه الطرق لم تكن ذات حضور سياسي فعال خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ولم تساهم بشكل مباشر في تفعيل مختلف الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال هذا القرن، عدا طريقة واحدة وهي الدرقاوية التي برزت كإحدى المكونات الدينية السياسية الفعالة أواخر العهد العثماني، لكنها ما لبثت أن اختفت عن الساحة السياسية هي الأخرى مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وهو ما يجعلنا نتساءل أكان ذلك غياب لهذه الطرق أم تغييب لها ؟ ولماذا ؟ رغم أن بعضها ـ كالطيبية ـ أكثر عددًا من حيث الأتباع والمريدين من بعض الطرق الرئيسة ذات الحضور الايجابي والفعال.

وللإجابة عن هذا السؤال نحتاج إلى معطيات ومعلومات تاريخية دقيقة وهو ما أهملته تلك المصادر والمراجع التي هي بحوزتنا أو تمكنا من الاطلاع عليها في أماكن أخرى، مما يعني أن السؤال سيظل مطروحًا إلى أن تتوفر هذه المعطيات والمعلومات.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.294.

لكن سواء غابت أو غيبت هذه الطرق، فبما أنها لم تكن فعالة خلال هذه الفترة التي هي موضوع بحثنا، فهي ليست بالأهمية التي تجعلنا نسهب في الحديث عنها كما فعلنا مع بقية الطرق الأخرى ذات الحضور الفعال خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وعليه فإننا سنتطرق إليها بإيجاز على النحو التالي:

3-2-1- الطريقة العمارية القادرية:

تنسب هذه الطريقة زورًا وبهتانًا إلى الشيخ عمار بوسنة الذي توفي سنة 1123هـ/1712م، وكان من بين أتباع الطريقة القادرية، بينما كل الدلائل توحي أن الفرنسيين هم الذين أوجدوا هذه الطريقة ولفقوها لهذا الشيخ الصالح بغية منهم في السيطرة على الزوايا والطرق الصوفية، بل واحتلال قسنطينة، ثم احتلال تونس لذلك وظفوا لها شخصية غريبة الأطوار نصف درويش ونصف سياسي، وهو رجل من أصول مغربية لا يقرأ ولا يكتب لكنه تمكن من إحياء الماضي ونشط الحاضر وساعد على أداء الخدمات اللازمة في وقتها، وقام بالمهمة المنوطة إليه على أكمل وجه[1].

وهذا الرجل زنجي يسمى مبارك بن يوسف جاء من مراكش إلى الجزائر سنة 1229هـ/1815م، تمكن من كسب عدد من الأتباع عن طريق الشعوذة والدجل والتظاهر بخدمته لضريح الشيخ عمار بوسنة، شيئا فشيئا أصبح شيخًا لا منازع له واشتهر بأنه فاعل خير وكثير الحج ومن ناشري الطريقة القادرية، كما أصبح يعطي الأوراد ويمنح الإجازات رغم جهله[2].

أما عن عدد أتباع هذه الطريقة المستحدثة فيشير إحصاء لويس رين Louis Rinn لعام 1298هـ/1884م، إلى وجود 1,062 إخوانيا، و15 زاوية، وكلهم في إقليم قسنطينة[3]، غير أن هذا العدد زاد زيادة معتبرة خلال خمسة عشر عامًا الموالية حسب إحصاء ديبون Dupont وكوبولاني Coppolani لعام 1311هـ/1897م، الذي يذكر أن لهذه الطريقة 6,435 من الإخوان و46 مقدمًا، وشيخ 01، و03 وكلاء، و36 خليفة، إضافة إلى الشواش والطلبة، وعدد من الفقراء يقدرون بحوالي 5,774 فقير، ومن بين أتباعها مجموعة من النسوة يقدر عددهن بـ: 22 إمرأة، كما تملك 26 زاوية[4].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.60.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.ص.60-62

(3) Louis Rinn, **Op.cit**, P-P.118-119

(4) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P-P.356-366

وإذا ما أجرينا مقارنة بين إحصاء 1298هـ/1884م، وإحصاء 1311هـ/1897م، سنجد أن عدد المنتمين إلى هذه الطريقة وعدد زواياها في تزايد مستمر، وبوتيرة متسارعة، مما يوحي أن سلطات الاحتلال الفرنسي أولتها أهمية كبيرة وعناية فائقة وأغدقت عليها وعلى شيخها بالأموال والهدايا، ومهدت الطريق أمامها لنشر تعاليمها.

وهكذا أصبحت جزائر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، مرتعًا وأرضا خصبة لكل الدجالين والمشعوذين والدراويش والمنبوذين في أقوامهم، والمطرودين من بلدانهم لينشروا فيها سموم أفكارهم، ويقضوا على ما تبقى من شرف هذه الأمة ببدعهم وخرافاتهم التي لا تخدم إلا الأغراض الاستعمارية.

3-2-2- الطريقة الشاذلية:

تنسب الشاذلية إلى أبي الحسن علي الشاذلي، الذي ولد في قبيلة غمارة قرب سبتة بالمغرب الأقصى سنة 593هـ/1196م، وأخذ تعاليم شيخه عبد السلام بن مشيش[1]، وهو الذي أمره بالتوجه إلى قرية شاذلة خارج مدينة تونس، واختلى فيها بعض الوقت قبل أن يشتهر أمره ويأتيه الزوار والفضوليون مما تسبب له في مشاكل مع السلطة التي ضايقته، فخرج إلى مصر واستقر فيها ونشر طريقته بها وكثر أتباعه[2]. وقد توفي سنة 656هـ/1258م في أعالي مصر في المكان المعروف بالأبيار الشاذلية[3].

والطريقة الشاذلية تقوم على أصول خمسة وهي: تقوى الله في السر والعلانية، إتباع السنة في الأقوال والأفعال، الإعراض عن الخلق في السر والعلانية والإقبال والإدبار، الرضا عن الله في القليل والكثير، الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء[4].

---

(1) فقيه صوفي مغربي ولد سنة 559هـ-1198م، أخذ التصوف عن الشيخ أبي مدين شعيب وعن الشيخ عبد الرحمان العطار الشهير بالزيات، وهو أحد زعماء الفكر في دولة الموحدين، وكان معاصرًا لعبد المؤمن بن علي خليفة المهدي بن تومرت، وقد اشتهر ابن مشيش بدعاء يعرف بالصلاة المشيشية التي أصبحت متداولة لدى كثير من المتصوفة. وقد قتل على يد جماعة بعثهم ابن أبي الطواجين الكتامي مدعي النبوة، وكان ذلك سنة 622هـ/1225م ودفن بقمة جبل العلم بتطوان. للمزيد يراجع: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط.10، 1992، جـ.4، ص.9 ؛ عبد المنعم الحفني، **الموسوعة الصوفية**، دار الرشاد، القاهرة- مصر، ط.1، 1412هـ/1992م، ص-ص.364-365

(2) عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، الجزائر، 1988، ص-ص.101-105

(3) Louis Rinn, **Op.cit**, P.227

(4) أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، **ابن عطاء الله السكندري وتصوفه**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ط.2، 1969، ص.52.

وقد انتشرت الشاذلية في العالم الإسلامي، لما فيها من معايشة للواقع، واستقطبت إليها عدد كبير من العلماء لعل أشهرهم على الإطلاق العز بن عبد السلام[1]، الذي كان يحضر مجلس الشاذلي فيسمع منه[2].

وكان ممثل الشاذلية في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، الشيخ محمد الموسوم بن محمد بن رقية الذي ولد في حدود 1236هـ/1820م، بضواحي مدينة خميس مليانة[3]. أخذ ورد الشاذلية عن الشيخ عدة بن غلام الله في مازونة[4]، قبل أن يتوجه إلى جنوب المدية[5] ليؤسس زاوية للشاذلية بأعالي قصر البخاري عام 1282هـ/1865م[6].

وقد ظل الشيخ الموسوم يعلم مبادئ الدين والتصوف في زاويته بقصر البخاري إلى أن وافته المنيّة عام 1297هـ/1883م، وخلفه على الرأس الزاوية ابنه أحمد المختار، لكن هذا الأخير لم يكن في درجة والده علمًا وموهبة، فتفرعت الزاوية إلى فروع عديدة في عهده، ولم تعد موحدة كما كانت في السابق، بل أصبحت بعض هذه الفروع تتوسع على حساب الزاوية ولم تعد تدين بالولاء لها[7].

أما عدد الأتباع والزوايا لهذه الطريقة أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فيشير إحصاء 1311هـ/1897م إلى وجود 14,206 تابعًا، موزعين على إقليم الجزائر وقسنطينة، كما توجد 11 زاوية و195 طالبًا و09 شيوخ بالإضافة إلى وجود 99 مقدمًا[8].

---

(1) هو عبد العزيز عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ درجة الاجتهاد، ولد ونشأ بدمشق، تولى الخطابة بالجامع الأموي، انتقل إلى مصر وعاش فيها إلى أن توفي عام 660هـ/1262م. يراجع: عبد الوهاب السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، 1413هـ/1992م، جـ.5، ص.80.

(2) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.45.

(3) مدينة بناها الرومان قديما وأطلقوا عليها اسم مكنانة لكن العرب حرفوا هذا الاسم، وتبعد نحو أربعين ميلاً عن مدينة شرشال. يراجع: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط.2، 1983، جـ.2، ص–ص.34–35

(4) مدينة بناها الرومان على بعد نحو أربعين ميلاً من البحر تمتد على مساحة شاسعة. يراجع: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **المصدر نفسه**، جـ.2، ص.36.

(5) مدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا، على بعد نحو ثمانين ميلاً من البحر المتوسط، وتقع في سهل خصيب جدًا، تحيط بها جداول ماء كثيرة وبساتين. يراجع: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **نفسه**، جـ.2، ص.41.

(6) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص–ص.107–108

(7) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.73.

(8) Louis Rinn, **Op.cit**, P-P.449-451

3-2-3- الطريقة الزروقية:

هي إحدى فروع الشاذلية، وتنسب إلى العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بـ " زروق "، ولد سنة 846هـ/1443م وحفظ القرآن في العاشرة من عمره، اهتم بطلب العلم فتتلمذ على كبار أهل العلم في زمانه، ثم اشتغل بالتصوف، وصاحب جماعة من الفقراء والصوفية[1].

انتقل في أواخر القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، إلى الجزائر وأقام بها وأسس مدرسة ببجاية، كان من أبرز تلامذته بها أحمد بن يوسف الملياني[2]، وأحمد بن محمد الراشدي المعروف بـ " بن خدة "[3]، ومحمد الأخضري والد عبد الرحمن الأخضري[4]، وبواسطتهم انتشرت طريقته الزروقية الشاذلية.

توفيّ أحمد زروق عام 899هـ/1493م ودفن بمصراته في ليبيا التي انتقل إليها في العشر سنوات الأخيرة من عمره، وترك مؤلفات عديدة أغلبها في التصوف[5]، بالإضافة إلى طريقته التي تتميز بالبساطة، لكونها تعتمد على تلاوة القرآن الكريم، والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة أوراد الإمام أبو الحسن الشاذلي، إضافة إلى الوظيفة الزروقية المسماة بـ: "سفينة النجاة"، وهي مجموعة من الأدعية والأذكار المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم تقرأ مرة صباحًا ومرة مساءً[6].

---

(1) محمد بن محمد المديوني التلمساني " بن مريم "، **<u>البستاني في التعريف بالعلماء والأولياء بتلمسان</u>**، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص.46

(2) وهو من قلعة بني راشد، توفي في مليانة ودفن فيها عام 931هـ/1524م، وهو من خريجي مدرسة تلمسان الفكرية، وكان للشيخ الملياني أتباع من مليانة ونواحي تلمسان. يراجع: عبد المنعم القاسمي الحسني، **<u>أعلام التصوف في الجزائر...</u>**، ص-ص.123-124

(3) أحد أجداد الأمير عبد القادر الجزائري، وهو أول من اشتهر من أسلافه ومن ناشري الطريقة القادرية بالغرب الجزائري في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، توفي في وادي العبد وقبره هناك مشهور يزار. يراجع: عبد المنعم القاسمي الحسني، **<u>أعلام التصوف في الجزائر...</u>**، ص.99

(4) عبد الرحمان الأخضري ولد سنة 920هـ/1514م في بنطيوس من قرى بسكرة، أخذ العلم عن والده وعن أخيه الأكبر، قضى حياته في التعليم في زاويتهم بمسقط رأسه، وهو من أتباع الطريقة الشاذلية الزروقية، وله عدد من المؤلفات أشهرها السلم المرونق في علم المنطق، الجوهر المكنون في البلاغة، مختصر في فقه العبادات. يراجع: عادل نويهض، **<u>معجم أعلام الجزائر</u>**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت- لبنان، ط.3، 1983، ص-ص.14-15

(5) عبد المنعم القاسمي الحسني، **<u>الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...</u>**، ص.263

(6) محمد بن محمد المديوني التلمساني، **<u>المصدر السابق</u>**، ص.47

أما عن أصول هذه الطريقة فهي خمسة أمور: تقوى الله في السر والعلانية، إتباع السنة في الأقوال والأفعال، الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، الرضا عن الله تعالى في كل ما قل أو كثر، الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء[1].

وقد كانت الزروقية منتشرة في تلمسان وبجاية، وقسنطينة خلال العهد العثماني، ومن أبرز أنصارها في ذلك العهد عبد الرحمن الأخضري وعبد الكريم الفكون[2]، أما في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فكان من أنصارها الشيخ الطيب بن الحاج البشير، في ضاحية أولاد طريف بنواحي البرواقية، والشيخ ابن جدو في مسكيانة بولاية أم البواقي. ويثبت ختم الشيخ الطيب بن الحاج البشير الذي يعود تاريخه إلى عام 1277هـ/1860م، أنه شاذلي الطريقة، وهذا الختم مكتوب بالحروف العربية واللاتينية[3].

وتشير المصادر الفرنسية إلى أن عدد أتباع هذه الطريقة في الجزائر عام 1311هـ/1897م، لم يتجاوز 2,734 إخوانيا، موزعين على مناطق محدودة كالبرواقية، وتابلاط وسور الغزلان[4].

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن لهذه الطريقة 2,614 من الإخوان، وشيخ 01، و55 طالبًا، و16 مقدمًا، و13 شاوشا، إضافة إلى 35 إمرأة، ولها زاوية واحدة[5]. لكن هذه الأرقام لم يشر صاحبها إلى تاريخها ولا إلى المصدر الذي استقاها منه، وإن كنا نعتقد أنها تعود إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وذلك لتشابهها مع أرقام إحصاء 1311هـ/1897م.

3-2-4- الطريقة اليوسفية:

تنسب إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني الذي أسس زاوية برأس الماء بوادي الشلف، وكون فيها المردين، راسل العلماء في تلمسان وفاس والقاهرة ودمشق وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، وعم نفوذه الصحراء الجزائرية والمغرب الأقصى، وانتشرت طريقتهُ اليوسفية الشاذلية[6].

---

[1] أحمد زروق، **رسالة أصول الطريق**، موقع دار الإيمان: www.daraleman.org يوم 2007/05/05، الساعة 22:30.

[2] عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني، ولد في قسنطينة عام 988هـ/1580م، اشتهر عند الباحثين بعالم المغرب الأوسط في عهده لغزارة علمه، فهو أديب لغوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن، توفي عام 1073هـ/1662م. للمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية يراجع: أبو القاسم سعد الله، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1986.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.78.

[4] O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.459

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.296.

[6] عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص–ص.265–266

وقد اشتهر الملياني بمعارضته الشديدة للمرينيين بسبب تحالفهم مع الإسبان، كما اشتهر بتحالفه مع الأتراك العثمانيين الذين ساعدهم في مقاومتهم للإسبان(1)، وقد حافظ أحفاده على عهده مع الأتراك العثمانيين، مما جعلهم عرضة للمؤامرات والاغتيالات التي كانت تدبرها سلطات الاحتلال الفرنسي ضدهم بعد ايستلائها على الجزائر، ثم تنسبها إلى خصومهم بغية إبقاء التوتر أو إحيائه بين مختلف الطرق الصوفية(2).

فقد اغتيل مصطفى ولد الحاج الساحلي في 1286هـ/1872م وكان قائدًا في نواحي تلمسان، ثم اغتيل خلفه وهو أخوه الحاج الملياني في 1309هـ/1895م، كما اغتيل أخ ثالث لهما لا يعرف اسمه سنة 1295هـ/1881م، واضطر المسمى مولاي الذي تولى إدارة الزاوية بالنيابة عن أخيه سي زروق الذي تفرغ للعبادة إلى ربط علاقات بالسلطات الفرنسية(3)، ونعتقد أنه فعل ذلك من أجل الحفاظ على الزاوية وعلى أرواح أفراد عائلته من غدر هذه السلطات بعد أن تيقن أنه لا جدوى من الوقوف في وجهها، كما أن حكم حلفائهم التقليديين أي الأتراك العثمانيين قد ذهب دون رجعة.

وقد دل إحصاء 1298هـ/1884م، أن لليوسفية زاوية واحدة، و05 مقدمين، و519 من الإخوان(4). أما إحصاء 1311هـ/1897م فيشير إلى وجود حوالي 1,446 من الإخوان(5)، في حين يرى أبو القاسم سعد الله أن هذه الطريقة التي تعرف أيضا بالراشدية تكاد تنقرض، إذ لم يعد لها وجود أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، إلا في نواحي مليانة ولها شيخ واحد، و08 مقدمين، و437 من الإخوان(6).

3-2-5- الطريقة العيساوية:

هي فرع من فروع الشاذلية، وتنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى الذي عاش في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، أي حوالي 872هـ/1465م بالمغرب الأقصى، وله

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر...**، ص.123

(2) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.113

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.79-80

(4) Louis Rinn, **Op.cit**, P.265

(5) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.466

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.298

ألقاب عديدة يعرف بها مثل أحمر العين، وشايب الذراع وفحل الفحول، وابن عيسى العربي، كانت وفاته سنة 933هـ/1526م، ودفن في مدينة مكناس بالمكان المعروف بباب البرادين[1].

ونعتقد أن العيساوية هي أقرب ما تكون طريقة مهرجة منها إلى طريقة صوفية، نظرًا لما يقوم به أتباعها من أعمال لا علاقة لها بالعبادة ولا بالتصوف، كأن يقوموا بالرقص والقرع على الطبول، أو يمررون ألسنتهم على سكين تشتعل نارًا، أو يضعون العقارب والثعابين في أفواههم ثم يخرجونها دون أن يصابوا بالأذى.

قال عنها إدوارد دونوفو Edward deneveu « طريقة سيدي محمد بن عيسى هي بدون منازع أكثر الطرق غرابة، مسلمة أو مسيحية كانت، وفي كل الأزمنة، وهذا بفعل الأعمال السحرية التي تنفرد بها»[2]، وقال عنها أبو القاسم سعد الله (إنها (الكاريكاتور) الصوفي إذ صح التعبير، وهي توازي بأعمالها في الحياة الدينية ما يقوم به عندئذ المداح في الحياة الأدبية)[3].

تمتد الجذور التاريخية للعيساوية على أرض الجزائر إلى شخص الشيخ علال الذي هو من نسل محمد بن عيسى مؤسس العيساوية بمكناس، وكان الشيخ علال قد جاء من المغرب الأقصى حوالي 977هـ/1570م، واستقر ببلدة وزرة قرب مدينة المدية، وكوّن أسرة فيها، وقد أسس أحد أحفاده زاوية بهذه البلدة عام 1286هـ/1788م[4]، وفي آخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وبالضبط في عام 1311هـ/1897م، كان للعيساوية فروع في الجزائر، زاويتها الأولى في وزرة ورئيسها عندئذ هو علي بن محمد بن الحاج علي المقيم في البرواقية، وله ختم مدور مكتوب فيه (الواثق بذي الكمال كبير المرابطين علي بن علال، 1266)، وهناك زاوية الرمشي قرب تلمسان، ورئيسها الكزولي ولد الحاج محمد المشهور بين الأهالي على أنه بهلواني، أما الفرع الآخر فهو في قسنطينة وله فيها زاوية كما له مركز في عنابة ومقدمون[5].

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.170.

يذكر إدوارد دونوفو Edward Deneuve أن محمد بن عيسى مؤسس الطريقة العيساوية عاش على عهد السلطان المغربي مولاي إسماعيل أي في الفترة الممتدة بين 1086هـ/1672م و1141هـ/1727م، لكن جل المصادر أشارت إلى التاريخ المذكور أعلاه. يراجع: إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.49

[2] إدوارد دونوفو، **المصدر نفسه**، ص.56.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.82.

[4] عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.113.

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.85

وقد دل إحصاء 1298هـ/1884م، أن عدد أتباع الطريقة العيساوية يقدرون بـ: 3,116 تابعًا منهم 3,071 إخوانيا، و45 مقدمًا، كما أن لها 13 زاوية، وهذه الأرقام موزعة على الأقاليم الثلاثة بالشكل التالي:[1]

- إقليم الجزائر العاصمة، عدد الإخوان 750، عدد المقدمين 11، عدد الزوايا 02.
- إقليم وهران، عدد الإخوان 1,364، عدد المقدمين 23، عدد الزوايا 07.
- إقليم قسنطينة، عدد الإخوان 957، عدد المقدمين 11، عدد الزوايا 13.

وبالنسبة لإحصاء 1311هـ/1897م، فقد أعطاها شيخًا واحدًا، و39 مقدمًا، و10 زوايا، و05 وكلاء، و58 من الشواش، أما مجموع الأتباع بصفة عامة فهو 3,580 من بينهم 33 إمرأة[2].

وقد يعلق بعض الباحثين عن هذه الأرقام بالقول أنها قليلة جدًا بالمقارنة مع السمعة الشعبية لهذه الطريقة سواء في الإحصاء الأول أو الثاني، لكننا نعتقد أنها منطقية إن لم نقول عنها غير ذلك، لكونها أعطت للطريقة أكثر مما تستحقه على أرض الواقع، إذ أن عدد الأتباع لا يقدر على أساس عدد أولئك الذين يحضرون مؤتمرات وحفلات التهريج التي تقيمها العيساوية، والشبيهة بالعروض البهلوانية أو السيرك إن صح التعبير، فكثير من هؤلاء الحضور يتملكهم حب الاستطلاع والترفيه عن النفس، فيجدون أنفسهم أمام هذه المشاهد الغريبة، التي تثير الانتباه وتجذب إليها أنظار الفضوليين الذين قد يساهم بعضهم من غير وعي في تفعيلها وتنشيطها.

وقد شاهدنا ذلك بأم أعيننا حينما كنا طلبة في الجامعة، أين قامت إحدى الجمعيات الطلابية بإحياء حفلة بمناسبة يوم الطالب (19 ماي)، فأحضرت عدد من أتباع هذه الطريقة يطلقون على أنفسهم فرقة العيساوة، فبدأت هذه الفرقة في دق الطبول والنفخ في المزامير، وبدأ بعض أعضائها في هز رؤوسهم وتحريك أجسادهم مما يشبه استعراضات القوى والرشاقة التي تقام في الحفلات الغربية، وبدأ بعض الطلبة ممن كانوا حاضرين ينخرطون شعوريا أو لا شعوريا في هذا الكرنفال ويقومون هم الآخرون بهز رؤوسهم وتحريك أجسادهم ـ يرقصون ـ حتى يغمى عليهم ويتساقطون أرضا الواحد تلو الآخر، وحينما استفاق هؤلاء الطلبة المغمى عليهم، سألنا أحدهم ليمدنا ببعض المعلومات عن أصل هذه الفرقة وعن أنشطتها وأماكن تواجدها، فاتضح أنه لا يغدو يعرف شيئا عنها، سوى كونها فرقة موسيقية تقوم بإحياء المناسبات

(1) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

(2) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.353

لاسيما الدينية منها، وهي تضرب بجذورها في أعماق التراث الجزائري الذي يحببه ويفضله آباؤه وأجداده، وكل الجزائريين على حد تعبيره!

أما عن السبب الآخر الذي جعلنا نعتقد أن تلك الأرقام منطقية أو قريبة من المنطق، هو أن أتباع العيساوية كانوا يقومون ببعض الأعمال ظاهريا لا علاقة لها بالدين ولا بالتصوف كالسحر والشعوذة مثلا، ويدعون أنها كرامات إلهية وذلك من أجل السيطرة على العقول وكسب مزيد من الأتباع وتوسيع مناطق نفوذهم على الأرض[1]، وكل ذلك كان يتم على حساب بعض الطرق الأخرى، مما دفع بهذه الأخيرة إلى الوقوف في وجه العيساوية وفضح أمرها، وكشف دجلها وخداعها لعامة الناس ونصحهم بعدم الانخراط فيها خشية الوقوع فيما حرم الله.

كما أن شيخ الزاوية الأم بمكناس أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بعث برسالة إلى أتباعه هنا في الجزائر، يصف فيها بعض المنتسبين إلى الطريقة بالسحرة ويتبرأ وطريقته منهم ومن أفعالهم، كما يوصي أتباعه بعدم الخلط بين السحر والتصوّف[2].

مثل هذه الدعاية التي تطعن في أفعال وتصرفات أتباع العيساوية وجدت دون شك أذان صاغية في تلك الفترة عند عامة الناس، وأثرت سلبًا على الطريقة مما جعلها تجد صعوبات جمة في كسب منتمين جدد إلى صفوفها، وهو ما يفسر تراجع أعداد أتباعها.

3-2-6- الطريقة الحنصالية:

وهي فرع آخر من فروع الشاذلية، تأسست بالمغرب الأقصى على يد سعيد بن يوسف الحنصالي ـ نسبة إلى فرقة حنصالة من بني مطير جنوب فاس ـ المتوفي عام 1116هـ/1702م وقد أدخلها إلى الجزائر تلميذه سعدون الفرجيوي الذي أصبح مقدمًا لهذه الطريقة إلى أن توفي[3]، فخلفه معمر دفين

---

(1) حول دور الكرامات في الصراع على الأراضي يراجع:

Kamel Filali, **<u>L'Algérie mystique: des marabouts Fondateurs aux khwân insurgés</u>**, Publisud, Paris, 2002.

(2) Louis Rinn, **<u>Op.cit</u>**, P-P.329-330

(3) أبو القاسم سعد الله، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>**، ج.4، ص.86.

يذكر إدوارد دونوفو Edward Deneuve أن يوسف الحنصالي- المجهول الأصل بالنسبة إليه- كان يقيم بضواحي زمورة في غرب سطيف، ثم انتقل إلى جبل بشطابة القريب من مدينة قسنطينة وأسس طريقته هناك، والمعلومات نفسها نجدها عند صلاح مؤيد العقبي. يراجع: إدوارد دونوفو، **<u>المصدر السابق</u>**، ص.75 ؛ صلاح مؤيد العقبي، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.156

التلاغمه، ثم خلفه أحمد الزواوي الذي ذاع صيته في مقاطعة قسنطينة، واشتهر بين عامة الناس بالكرامات[1].

وورد الطريقة الحنصالية مجموعة من الأدعية التي يرددونها عقب كل صلاة من الصلوات الخمس، فهم يرددون سورة الفاتحة عشرون مرة عقب كل صلاة مفروضة فرض عين، كما يستغفرون الله مائة مرة عقب صلاة الفجر، ويتشهدون مائة مرة بعد صلاة الظهر، ويقرؤون البسملة مائة مرة بعد صلاة العصر، ويتلون سورة الإخلاص مائة مرة عقب صلاة المغرب، أما بعد صلاة العشاء فهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة[2]، لكنهم يقومون أيضا بأفعال منافية للشرع والتصوف، وهي شبيهة بأفعال العيساوية، ولهم حضرة محاطة بالسرية، ويقرؤون القصيدة الدمياطية التي تعني ممارسة السحر والمخدرات والغياب عن العالم الحاضر، وهذه القصيدة تعرف عند العامة باسم الزمياطية، بل وينشدون أشعارًا قريبة في معناها من الزمياطية[3].

ويذكر دونوفو Deneveu أن لهذه الطريقة سنة 1259هـ/1845م، 2000 من الأتباع، بينما يعطيها إحصاء 1298هـ/1884م، 3,648 تابعًا منهم 3,598 إخوانيا، و50 مقدمًا، ولها 05 زوايا، وهذه الأرقام موزعة على الأقاليم الثلاثة بالشكل التالي[4]:

- إقليم الجزائر العاصمة ويوجد به مقدم واحد، و10 من الإخوان.
- إقليم وهران وبه مقدم واحد، و58 إخوانيا.
- إقليم قسنطينة به 48 مقدم، و3,530 إخوانيا، كما توجد فيه 05 زوايا.

أما إحصاء 1311هـ/1897م، فيشير إلى وجود 18 زاوية حنصالية، و4,253 إخوانيا، وشيخا واحدا، و48 مقدما، و176 طالبًا[5].

---

(1) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص-ص.75-76

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.87

يقول إدوارد دونوفو Edward Deneuve « يقرأ إخوان حنصلة يوميا سورة قرآنية يختارها سيدي يوسف الحنصالي: 20 مرة وقت العصر (الثالثة مساءً) و21 مرة في ساعة المغرب (غروب الشمس) ويتبعون صلواتهم بالدعاء التالي: (الصلاة والسلام على سيدنا محمد) وهذا 200 مرة ». يراجع: إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.76

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.86-87

(4) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

(5) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P-P.495-496

ورغم أن بإمكان أتباع هذه الطريقة أن يقوموا ببعض الأعمال الخارقة ـ حسب اعتقاد الناس فيهم ـ كمعرفة الأسرار الغيبية، وإشفاء المرضى، والتعرف على المجرمين والعثور على المسروقات والضائع من الأشياء[1]، إلا أن أعدادهم قليلة تكاد تنحصر في إقليم قسنطينة حسب الإحصاءات.

ونعتقد أن السبب يكمن في كون هذه الطريقة بدأت نشاطها من مدينة اشتهرت بكونها حاضنة العلم والعلماء، فقد استقرت بها عائلات عريقة، ذات باع طويل في هذا المجال كآل الفكون وآل بن باديس اللتان اشتهرتا بإنجابهما لعلماء تصدوا للبدع والخرافات، كالتي يقوم بها أتباع الحنصالية والعيساوية، وهو ما أثر سلبًا على توسيع نفوذ هاتين الطريقتين وانتشارهما بين الناس.

كما أن الحنصالية كانت تعاني من منافسة العيساوية لها، لاسيما وأنها تشبهها في كل شيء حتى يكاد المرء لا يميز بينهما إلا من خلال الورد وبعض الأدعية، كما كانت تعاني أيضا من التضييق على نشاطها ـ المخالف لقواعد الدين والتصوف ـ من قبل بعض الطرق الأخرى التي ترى في نفسها أنها تمثل وتحافظ على الدين الصحيح والتصوف السليم.

3-2-7- الطريقة الكرزازية (الأحمدية):

من فروع الطريقة الشاذلية، ظهرت في الجنوب الغربي للجزائر، وتسمى بالكرزازية نسبة إلى مؤسسها أحمد بن موسى الحسني، المعروف بـ " مولى كرزاز" كما تسمى أيضا بالأحمدية[2]، وقد ولد أحمد بن موسى الحسني سنة 907هـ/1505م وعاش أزيد من قرن إذ توفي سنة 1016هـ/1608م، وكان أحد الأشراف في المنطقة المشهود لهم بالعلم والورع، شاذلي الطريقة، أخذها عن مؤسس الطريقة اليوسفية الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، وعن خليفته محمد بن عبد الرحمان السهلي[3]، وأصبح مقدمًا لها بمنطقته[4].

أسس أحمد الكرزازي زاوية جنوب القنادسة في الطريق المؤدي إلى توات[5]، ومنها نشر طريقته التي لا تختلف عن الشاذلية كثيرًا إلا في ذكر الصبح الذي أضاف إليه البسملة حيث تكرر خمسمائة

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.86.

(2) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.117.

(3) من أتباع الطريقة اليوسفية الشاذلية المشهود لهم بالعلم والورع والصلاح، أسس زاوية تنسب إليه بوادي قير بالمغرب الأقصى وذلك خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وكان له أتباع ومريدون بنواحي توات. يراجع: عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة التصوف الإسلامي**، دار المعرفة، الرباط- المغرب، ط.1، 2001، جـ.2، ص.213.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.88.

(5) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.117.

مرة[1]، وقد اكتسبت طريقته هاته شهرة كبيرة في المنطقة، وامتد نفوذها إلى المناطق المجاورة، وأصبح لها أتباع في تلمسان وعين تيموشنت وحميان ومناطق أخرى[2].

والشيء الذي يحسب للكرزازية ويميزها عن بعض الطرق الأخرى هو أنها لا تعطي الإجازات لمن هب ودب من الإخوان إن لم يكونوا قد بلغوا درجة من العلم والمعرفة وتميزوا بالذكاء والدبلوماسية، كما أن إدخال الأخ في الطريقة يتم فرديا وليس أمام الحضرة[3].

ومن أشهر شيوخ السلسلة الكرزازية خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، الشيخ الكبير بن محمد المتوفي سنة 1295هـ/1881م، وأحمد بن الكبير بوحجاجة المتوفي سنة 1310هـ/1896م، ثم عبد الرحمان بن محمد وهو الخامس عشر في السلسلة وكان شيخا للزاوية سنة 1311هـ/1897م[4].

ويثبت إحصاء سنة 1298هـ/1884م، أن للطريقة الكرزازية 2,924 من الإخوان، و62 مقدمًا وكلهم متمركزون في إقليم وهران[5]، بينما يعطيها إحصاء 1311هـ/1897م، حوالي 3000 من الإخوان، و78 مقدمًا[6].

وهذه الأرقام تبدو قليلة وضعيفة بالنسبة لطريقة في حجم الكرزازية اشتهرت بدورها الاجتماعي الفعال، لاسيما خلال فترة الاحتلال الفرنسي، إذ كانت تتولى إطعام المساكين والفقراء، وتقوم بالإصلاح بين الناس أثناء الخصومات، وتحمي القوافل التجارية التي تعبر المنطقة من الاعتداءات، كما أنها ملجأ للهاربين والفارين من القهر والاضطهاد، واشتهرت بالتزامها الحياد في الجانب السياسي، بل وبعلاقتها الحسنة مع السلطة الفرنسية[7]، وهو ما جنبها سخط وغضب هذه الأخيرة، ونعتقد أن السبب الذي يقف كحاجز أمام ارتفاع عدد أتباعها في تلك الفترة هو أنها اختارت أن تبقى محصورة في الجنوب الغربي للجزائر، وأن لا تنتشر خارجه حتى لا تثير انتباه الفرنسيين إليها وتغضبهم، كما ستغضب بعض الطرق الأخرى التي ستنتشر على حسابها فتدخل في عداوة وحرب غير معلنة معها.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.88.

(2) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.272.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.89.

(4) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.117.

(5) Louis Rinn, **Op.cit**, P.348

(6) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.502

(7) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.89.

3-2-8- الطريقة الزيانية:

وهي الأخرى فرع من فروع الشاذلية، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي الحسني الذي يعرف بالقندوسي نسبة إلى واحة القنادسة التي تقع جنوب غرب مدينة بشار، ولد عام 1064هـ/1650م في قصر من قصور تاغيت، وبها نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ في اللغة والدين قبل أن ينتقل إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى طلبًا للعلم، أين أخذ عن الشيخ مبارك بن عزي السجلماسي المتوفي سنة 1091هـ/1677م، وعن الشيخ عبد السلام جسوس المتوفي سنة 1123هـ/1709م، الذي التقى به في فاس التي حل بها بعد وفاة شيخه الأول مبارك بن عزي، كما أخذ عن شيوخ آخرين في فاس قبل أن يشد الرحال عائدًا إلى مسقط رأسه[1].

وبمجرد عودته إلى أرض الوطن، بنى محمد بن بوزيان زاويته بالقنادسة من الطوب والحجر سرعان ما اشتهرت وأصبحت مقصد الزوار الذين بلغوا أحيانا أربعمائة زائر[2]، كما شرع في تأسيس طريقته ذات الذكر الشاذلي إلا في بعض النقاط الطفيفة وهي الاستغفار مائة مرة عند الفجر، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مائة وبالصيغة التالية (اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم)، والتشهد ألف مرة، والتسبيح مائة مرة، وذكر اسم الجلالة ألف مرة[3].

وبعد حياة مليئة بالعطاء العلمي والصوفي توفي محمد بن بوزيان بالقنادسة سنة 1147هـ/1733م، فخلفه ابنه محمد الأعرج الذي ظل على رأس الزاوية إلى وفاته سنة 1175هـ/1761م وظل أولاده وأحفاده يتوارثون المشيخة إلى العهد الفرنسي[4].

أما أحفاده الذين تولوا إدارة الزاوية خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فهم على التوالي محمد بن عبد الله بن أبي مدين الذي توفي سنة 1240هـ/1826م، ثم أبو مدين بن محمد بن عبد الله وتوفي سنة 1266هـ/1852م، ثم محمد المصطفى وتوفي سنة 1272هـ/1858م، ومبارك بن عبد الله الذي خلف محمد المصطفى بعد وفاته، لكنه لم يبقى على رأس الزاوية إلا تسعة أشهر ثم تركها

---

(1) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص-ص.136-138

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.505

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.90

(4) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص-ص.123-124

لأخيه محمد بن عبد الله الذي ظل في منصبه حتى توفي سنة 1309هـ/1895م، فخلفه محمد بن عبد الله[1].

وفيما يتعلق بعدد أتباع هذه الطريقة فيشير إحصاء سنة 1298هـ/1884م إلى وجود 3,400 تابع منهم 3,303 إخواني و07 مقدمين، ولها 04 زوايا، وقد قسم صاحب هذا الإحصاء هذه الأرقام على الأقاليم الثلاثة بالشكل التالي:[2]

- إقليم الجزائر العاصمة: الزوايا 00، المقدمين 91، والإخوان 217.
- إقليم وهران: الزوايا 04، المقدمين 91، والإخوان 3,086.
- إقليم قسنطينة: الزوايا 00، المقدمين 00، والإخوان 00.

وعند تحليلينا لهذه الأرقام سنجد أنها لا تتناسب والدور الاجتماعي الذي لعبته هذه الطريقة، والشبيه بدور الطريقة الكرزازية، ولعل الأسباب التي وقفت كعائق أمام الطريقة الزيانية في كسبها للمزيد من الأتباع، هي ذات الأسباب التي حرمت نظيرتها الكرزازية من كسب عدد أكبر من المنخرطين، وذلك لتشابه حالهما والظروف المحيطة بهما.

3-2-9- الطريقة الطيبية:

فرع من فروع الشاذلية، أسسها أحد أشراف المغرب الأقصى بمدينة وزان، يعرف باسم مولاي عبد الله الشريف المتوفي عام 1209هـ/1678م، ومن بعده تولى مشيخة الزاوية والطريقة ابنه محمد الذي توسعت على عهده الطريقة وانتشرت وأصبح لها فروع ومقدمون في المغرب والجزائر، وجاء بعده التهامي بن محمد ثم أخوه الطيب الذي تنسب إليه الطريقة، وظل على رأس الزاوية حتى توفي سنة 1181هـ/1767م[3].

والطيبية تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية وتعتبر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أساس الذكر[4]، ويردد أتباعها الورد التالي: تسبيح الله وحده مائة مرة صباحًا ومساءًا، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذريته خمسين مرة صباحًا، وعبارة (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) مائة مرة صباحًا ومساءًا، والشهادة مائة مرة صباحًا ومساءًا، وعقب

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.91-92

(2) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.279 ؛ عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.161

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص515

الصلوات الخمس يقولون عشر مرات (لا إله إلا الله محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله) وفي المرة الحادية عشرة يقول (لا اله إلا الله، شفيعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله)[(1)].

وأتباع هذه الطريقة بما فيهم أولئك الذين يحتلون مراتب عليا فيها كالمقدمين، لا يحق لهم أن يسألوا أو يعرفوا شيئا عن أفعال شيوخهم ولا اتصالاتهم الداخلية والخارجية، إذ سبق لهؤلاء الأتباع أن وافقوا على الطاعة العمياء التي هي من أهم شروط الدخول في الطريقة، وعليه فليس من حقهم السؤال لماذا وكيف وأين[(2)] ؟

ورغم هذا الشرط الذي يسلب الإخواني حقه ويجعل منه كالعبد الذي ينفذ أوامر سيده ولا يسأل، فإن الطريقة استطاعت أن تتخطى الحيز الجغرافي الذي تأسست فيه وتصل إلى القطر الجزائري وتكسب أعداد كبيرة من الأتباع، لم تستطع أن تكسبهم حتى تلك الطرق التي ولدت على أرض الجزائر الرحمانية والتيجانية.

ومعظم المصادر تشير إلى أن مركز الطريقة هنا في الجزائر موجود في الإقليم الوهراني، الذي يحتضن أكبر عدد من الإخوان، ولكن ذلك لا يعني أن الطريقة ليس لها أتباع أو زوايا في بقية الأقاليم الأخرى، فإحصاء سنة 1298هـ/1884م، يشير إلى وجود 16,045 من أتباع هذه الطريقة عبر الأقاليم الثلاث، الجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة، وهذا العدد يشمل الإخوان الذين يقدرون بـ: 15,744 إخواني، ويشمل المقدمين الذين يقدر عددهم بـ: 301 مقدم، ولها 20 زاوية. والإحصاء يذكر حصة كل إقليم من الأتباع والزوايا كالآتي:[(3)]

- إقليم الجزائر العاصمة عدد الزوايا 03، عدد المقدمين 62، عدد الإخوان 2,851.
- إقليم وهران عدد الزوايا 11، عدد المقدمين 203، عدد الإخوان 9,805.
- إقليم قسنطينة عدد الزوايا 06، عدد المقدمين 36، عدد الإخوان 3,088.

أما إحصاء 1311هـ/1897م، فيعطيها عدد 22,148 إخوانيا، و234 مقدمًا، و100 شاوش و128 طالبًا[(4)]، وليس للطيبية شيوخ في الجزائر، لأن شيخها الرئيسي هو شريف وزان.

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص96

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص97

(3) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

(4) Louis Rinn, **Ibid**, P.549

وهنا نتساءل، إن لم يكن لهذه الطريقة شيخ هنا في الجزائر، فكيف تمكنت من كسب عدد كبير من الأتباع وهو ما عجزت عن تحقيقه بقية الطرق الأخرى التي لها شيوخ في هذا البلد؟

نعتقد أن الإجابة على هذا السؤال تكمن في الطريقة التي تعاملت بها الطيبية مع مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، فهي انتهجت سياسة مسك العصا من الوسط، بحيث تظاهرت بوقوفها إلى صف المقاومة الوطنية في كثير من الأحيان، وهو ما اكسبها تعاطفا شعبيًا، وأعجب الناس بمواقفها البطولية والجهادية، فاندفعوا للانخراط فيها فرادى وجماعات، بينما كان شيخها في وزان على صلة وعلاقة بالسلطات الفرنسية هنا في الجزائر ـ كما ذكر في بعض المراجع[1] ـ وهو ما جنبها وأتباعها سخط وانتقام هذه السلطات، فحافظت بذلك على إمكاناتها المادية والبشرية.

3-2-10- الطريقة الشيخية:

تنسب إلى الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، دفين الأبيض سيدي الشيخ المتوفي سنة 1029هـ/1615م، الذي يرتقي نسبه إلى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه[2].

نشأ الشيخ عبد القادر في أحضان أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف[3]، فسلك مسلكها والتحق بالطريقة القادرية، ثم تحول إلى الطريقة الشاذلية، ثم أنشأ طريقة خاصة به تنسب إليه سرعان ما انتشرت بين الناس، فتوافد عليه الأتباع والمريدين، وأصبح يدعى سيدي الشيخ، وقبل وفاته أوصى بالمشيخة من بعده لابنه الثالث في الترتيب، الحاج أبو الحفص الذي أنشأ بدوره زاوية أخرى بالقرب من قبر والده بالحاسي الأبيض الذي حمل منذ ذلك الحين اسم الأبيض سيدي الشيخ، وقد عرفت هذه الزاوية شهرة كبيرة في ظرف وجيز، وأصبحت هي الرئيسة أو الأم للطريقة الشيخية[4]، أما أوراد الشيخية وأذكارها هي نفسها عند الشاذلية مع تغيير طفيف، وهو قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس عند أتباع الشيخية[5]، إذ أن سيدي الشيخ عبد القادر كان قد أوصى أولاده قبل وفاته بإتباع الطريقة الشاذلية[6].

---

[1] O. Depont et X. Coppolani, **<u>Op.cit</u>**, P.489

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني، **<u>الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...</u>**، ص.273

[3] والده محمد بن سليمان بن أبي سماحة، درس بالأندلس والتقى فيها بعلمائها في ذلك العصر، كما درس بجامع القرويين في فاس بالمغرب الأقصى، وتولى التدريس والخطبة بالجامع القديم في فجيج بالبيض، وأخذ الطريقة عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني، يراجع: عبد القادر خليفي، **<u>الطريقة الشيخية</u>**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، د.ت، ص.26

[4] عبد المنعم القاسمي الحسني، **<u>الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...</u>**، ص.274

[5] أبو القاسم سعد الله، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>**، جـ.4، ص.108

[6] عبد العزيز شهبي، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.119

ونظرا لكثرة أولاد سيدي الشيخ فقد تفرعت منه فروع كثيرة منهم من انتقل إلى مناطق أخرى واستقر بها، ومنهم من بقي في المنطقة حول قبور الآباء والأجداد[1]، وقد انقسموا بدورهم إلى ثلاثة أقسام، قسم استقر عند الزاوية الأم في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم، وقسم استقر في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ بزعامة الابن الأكبر أبا حفص، وأسسوا هناك زاوية خاصة بهم، ويعرفون باسم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، بينما استقر القسم الثالث من الأبناء بزعامة الحاج عبد الكريم في غرب قصر الأبيض سيدي الشيخ، وأنشئوا لأنفسهم زاوية خاصة، وأصبحوا يعرفون باسم أولاد سيدي الشيخ الغرابة[2].

وللطريقة الشيخية فرع انبثق منها يسمى العمامية نسبة إلى أحد قادة المقاومة الوطنية الذي قيل عنه أنه مؤسسها، وهو محمد بن العربي الذي يتصل نسبه بسيدي التاج بن عبد القادر بن أبي سماحة، وقد أصبح سنة 1289هـ/1875م، مقدمًا في الموقار، وكان يعطي ورد الطريقة الشيخية، حتى اشتهر بين الناس وجاءته الزيارات وأصبح في أعين بعضهم من أهل الكرامة والولاية، وأعلن أصحابه أنه أصبح قطبًا وله ذكر أعطاه إياه سيدي الشيخ بالرؤية والمكاشفة[3].

وهذا الذكر هو التشهد والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات معينة أثناء الصلوات الخمس، وله أيضا دعاء (يا لطيف) ألف مرة، وعبارة (لا إله إلا الله، بوعمامة ضيف الله) تردد عدة مرات في اليوم، وكذلك عبارة (لا إله إلا الله، بوعمامة وليّ الله)[4]. وقد أعلن بوعمامة ثورته على الفرنسيين سنة 1295هـ/1881م[5].

وقد اعتقد أتباع الطريقة الشيخية أن بمقدور مقدميهم مساعدتهم على جلب النفع ودفع الضرر، فكان الواحد من هؤلاء الأتباع إذا جاء لتقديم الزيارة، يأخذ المقدم يده بينما يبدي هو رغبته، طالبًا من الله في خشوع وتضرع أن يحقق لهم إياها[6].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.107.

(2) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.119.

(3) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.477

(4) O. Depont et X. Coppolani, **Ibid**, P.478

(5) الطيب بن نادر، **الجزائر حضارة وتاريخ**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2008، ص.71 ؛ عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة– الجزائر، ط.1، 2002، ص.158.

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.109.

ورغم السلطة الروحية التي كانت لأولاد سيدي الشيخ إلا أنهم أضافوا إليها سلطة سياسية بعد أن تحالفوا مع كثير من الأعراش والقبائل، وفرضوا عليهم التزامات مالية وعينية يقدمونها إليهم سنويا، وتعرف بالغفارة[1]، وتولي أحد شيوخهم المسمى حمزة المولود عام 1273هـ/1859م وظيفة آغا جبال عمور، وكان متزوجا من فرنسية[2].

وبهذا يكون أولاد سيدي الشيخ قد جمعوا بين الدين والسياسة، واهتموا بأمور الدنيا كما اهتموا بأمور الآخرة، فنشروا طريقتهم الدينية عن طريق سلطتهم الدنيوية السياسية[3]، فكسبوا بذلك عدد كبير من الأتباع والحلفاء.

فقد قدّر إحصاء سنة 1298هـ/1884م عدد أتباع هذه الطريقة بـ: 2,819 تابع منهم 2,780 إخواني و39 مقدم، كما أشار هذا الإحصاء إلى وجود 05 زوايا، وهذه الأعداد موزعة على الأقاليم الثلاثة بالشكل التالي:[4]

- إقليم الجزائر العاصمة: عدد الإخوان 1,176، عدد المقدمين 03، عدد الزوايا 00.
- إقليم وهران: عدد الإخوان 1,604، عدد المقدمين 36، عدد الزوايا 00.
- إقليم قسنطينة: عدد الإخوان 00، عدد المقدمين 00، عدد الزوايا 00.

أما إحصاء 1311هـ/1897م، فقد ذكر أن عدد أتباع هذه الطريقة هو 10,201 تابع ولهم 04 زوايا.

ونعتقد أن الرقم الذي قدمه هذا الإحصاء الأخير لعدد الأتباع هو الأقرب إلى حقيقة وواقع الشيخية، وذلك بالنظر إلى مكانتها الروحية بين سكان المناطق المنتشرة فيها، وبالنظر أيضا إلى دورها الاجتماعي والسياسي الذي لعبته في الجزائر لاسيما خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ولا يهم هنا إن كان هذا الدور ايجابي أو سلبي.

---

(1) يقول عنها مبارك بن محمد الميلي: « ضرب من النذر بل أقبح ضروبه... وبيانها أنها وظيفة مالية يلتزم امرؤ بأدائها كل سنة لمن اعتقد فيه جلب منفعة أو دفع مضرة، وينسحب هذا الالتزام على ورثة الملتزم لورثة الملتزم له. وبطول المدة وانتشار النسل تصبح الغفارة ضريبة لقبيلة موصوفة بميزة دينية على أخرى منعوتة بالخدمة والطاعة لتلك...». للمزيد يراجع: **رسالة الشرك ومظاهره**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.5، 1421هـ/2000م، ص.234

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص، ص.109،104.

(3) Henri Deveyrier, **Exploration du Sahra**, Paris, 1905, P.31

(4) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549.

كما أن عدد 10,216 من الأتباع، يعني أننا هنا أمام طريقة بحجم الطريقة الطيبية تقريبًا، وهنا نتساءل كيف أمكن تحقيق هذا التوازن بين الطريقة الشيخية والطريقة الطيبية، لاسيما وأنهما تنتشران على نفس الرقعة الجغرافية هنا في الجزائر؟ وهل هذا يعني أن هناك اتفاق غير معلن عنه بين الطريقتين أم أن هذا التوازن بينهما مجرد صدفة ؟

إلا أننا نعتقد أن كل ذلك حدث نتيجة اتفاق غير معلن عنه بين شيوخ الشيخية هنا في الجزائر، وشيوخ الطيبية هناك في وزان بالمغرب الأقصى، إذ أن كل الدلائل والمعطيات تشير إلى هذا الاحتمال، فالعلاقة بين الطرفين جيدة وحميمة بدليل أن شريف وزان عندما جاء إلى الجزائر سنة (1305-1306هـ/1891-1892م) لزيارة زواياه ومقدميه في توات والقورارة، كان قدور بن حمزة وهو أحد شيوخ أولاد سيدي الشيخ، على رأس الموكب الذي استقبله[1].

3-2-11- الطريقة الدرقاوية:

شاذلية الأصول ومغربية التأسيس[2]، تنسب إلى الشيخ محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي المولود حوالي 1151هـ/1737م، وقد عمل مدرسًا بمدينة فاس[3]، وكان يلازم دروس الصوفي الشيخ علي بن عبد الرحمان الجمالي الفاسي الذي يعتبر الحلقة الأخيرة في سلسلة الصوفية التي تتصل بالقطب أبي مدين الغوث[4].

أسس الشيخ محمد العربي زاوية له في بوبريح بضواحي مراكش، ومنها نشر طريقته التي لقيت إقبالا كبيرًا من الناس سواء في المغرب الأقصى، أو في الجهة الغربية في الجزائر[5]. وقد توفي سنة 1237هـ/1823م في زاويته ببوريح، وخلفه محمد البوزيدي، ثم توالى الخلفاء إلى عبد الرحمن بن الطيب الذي كان شيخا للزاوية والطريقة عام 1298هـ/1884م[6].

يزعم الدرقاويون أن طريقتهم تأسست لغرض العودة بالناس إلى الإسلام الصحيح والسليم من العيوب، ولتحقيق ذلك حاولوا أن يكونوا هم القدوة، فقلدوا كبار الصحابة وغيرهم- حسب زعمهم- في بعض المظاهر، فتقشفوا ومنعوا اللباس الفاخر والتزين، ولم يحلقوا الشعر، ولبسوا المرقعات لأن أبا بكر

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.106

(2) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.151

(3) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.152

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.113

(5) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.152

(6) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.151

وعمر لبساها، وحملوا السبحة لأن أبا هريرة كان يحملها في رقبته، ورقصوا على اسم الجلالة " الله " لأن جعفر بن أبي طالب قد احتفى باسم الله بأداء الرقص، كما حملوا العصا لأن موسى عليه السلام حملها، ويكثرون من الصدقات، ولا يخالطون إلا الصالحين، ولا ينامون إلا قليلا لأنهم يقضون الليل متعبدين، ويتحملون الجوع ويمشون حفاة، ويجتمعون في المناطق النائية والصعبة، وهناك ينتخبون زعماءهم ويرسمون خططهم، ويضعون برامجهم، ويطيعون شيخهم ويطلعونه على كل كبيرة وصغيرة، ويصدقون في أقوالهم(1).

وللدرقاوية مراتب تتكون من سلطان الصالحين، وهو رئيس الطريقة، ومن خليفة وأمين للمال ومن شيخ مسؤول على الذخيرة والسلاح، ومن أمناء السر الذين يقومون بتوصيل أوامر الشيخ إلى الأتباع في مختلف المناطق التي ينتشرون فيها(2).

والشخص الذي يرغب في الدخول إلى الطريقة الدرقاوية، يقوم بتقديم طلب إلى رئيس الطريقة الذي ينظر فيه ويعطيه الموافقة، فتحضر المراسيم ويستدعى هذا الشخص ليجلس في حضرة شيخ الطريقة الذي يضع بدوره يده اليمنى على رأس هذا المترشح، ويده اليسرى على عينيه، ثم يدعوا الله أن يعينه وينيره بشأن نيّة هذا الشخص إن كان بالفعل متحمسا لأن يصبح درقاويا أم له أغراض أخرى ؟ وفي حالة ما تأكد الشيخ من النية الحسنة لصاحب الطلب، يستدعي هذا الأخير في وقت لاحق لتقام له المراسيم النهائية في المسجد، أين يتلى القرآن الكريم، وتقرأ بعض الأدعية، ويعطى للمريد الجديد حرز يضعه في فمه ويتعهد على أنه سيكون وفيا للطريقة وسيطبق تعاليمها حرفيا، وبعد ذلك يُقرأ الذكر الذي هو " لا اله إلا الله محمد رسول الله..." جهرا(3).

وقد انتشرت الطريقة الدرقاوية في الجزائر على يد عبد القادر بن شريف الفليتي المتوفي بعد 1229هـ/1815م، وكان قد التحق بزاوية محمد العربي ببوبريح، ودرس على مؤسسها الذي أجازه وأذن له في نشر طريقته، فعاد إلى مسقط رأسه قرية بليل بالقرب من فرنده وأسس زاوية هناك(4)، وتكاثر أتباعه لاسيما وأنه كان يحضا بالتقدير والاحترام بين الناس لحسن أخلاقه وآدابه وتمسكه بالنهج السوي(5).

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.517 ؛ وكذلك: ج.4، ص.113

(2) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.89

(3) إدوارد دونوفو، **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

(4) أحمد بن محمد علي بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة– الجزائر، 1973، مقدمة الكتاب.

(5) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.152

ومن بين الشخصيات الدرقاوية البارزة في تاريخ الجزائر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، عبد الرحمان الطوطي الذي أعلن الجهاد ضد المحتل الفرنسي عام 1259هـ/1845م، في نواحي سيدي بلعباس، وكذلك موسى الدرقاوي المدعو بوحمار الذي دخل من المغرب إلى الجزائر بعد احتلالها، وشارك في كثير من الثورات آخرها ثورة الزعاطشة التي استشهد فيها إلى جانب زعيمها الشيخ بوزيان سنة 1263هـ/1849م[1].

كما برز في مجال الدين والعلم خلال هذه الفترة عدة بن الموسوم بن غلام الله البوعبدلي الذي ولد عام 1201هـ/1787م في الشلف، وتولى وظيفة القضاء في بلاد الظهرة ومينة بأمر من الأمير عبد القادر، وكانت له مؤلفات وقصائد كثيرة، توفي سنة 1280هـ/1866م. وكان على رأس زاويته التي تعرف باسم أولاد الأكراد في آخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، محمد غلام الله الذي بقي إلى سنة 1316هـ/1902م[2].

وقد وجدت سلطات الاحتلال الفرنسي خلال العقدين الأول والثاني من احتلالها للجزائر، صعوبة كبيرة في تحديد عدد أتباع الطريقة الدرقاوية ولو بالتقريب، مع أنها كانت تدرك أن أغلبيتهم يتمركزون في الغرب، وأقلية بالوسط، بينما يعدون على الأصابع في الشرق[3].

أما إحصاء 1298هـ/1884م، فتحدث على الشاذلية/الدرقاوية عمومًا، ولم يخصص الدرقاوية بعينها، وذكر أن عدد أتباع الشاذلية/الدرقاوية هو 14,574 يضاف إليهم 268 مقدمًا، كما يذكر أن لهؤلاء الأتباع 32 زاوية عبر الأقاليم الثلاث الجزائر، وهران وقسنطينة[4]. بينما ذكر إحصاء 1311هـ/1897م، أن للدرقاوة في الجزائر 9,567 من الإخوان، و134 من الطلبة، و09 من الشيوخ، و72 من المقدمين، بالإضافة إلى 10 زوايا[5]، وهو ما يعني أن عددهم قارب 10000 إخواني في آخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وهذا الرقم معقول ومقبول لدينا بالنظر إلى دورها

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص. 115؛ إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، هـ.ص.126؛

E.Maugin, « Notes sur L'histoire de Laghouat », **in R.A**, N°38, A. Jourdan, Alger, 1894, P.97

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص–ص.116–117

(3) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.100

(4) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

(5) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.511

السياسي الايجابي في المقاومة الوطنية، وبالنظر إلى السبّل التي انتهجتها في دعوتها الدينية، والتي تقوم على أساس الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح لأجل العودة بالإسلام إلى منابعه الأصلية.

3-2-12- الطريقة المدنية:

تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد بن حمزة المدني ـ نسبة إلى المدينة المنورة ـ الذي أخذها بدوره عن شيخه محمد العربي الدرقاوي، ويعتقد أنها تأسست سنة 1234هـ/1820م، في مصراته بالقرب من طرابلس بليبيا حيث توجد زاويتها الأم، وانتشرت بسرعة فائقة بسبب الظروف السياسية التي كانت تمر بها منطقة المغرب العربي خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي[1].

ورغم أن كل الدلائل تشير إلى أن هذه الطريقة فرع من فروع الشاذلية، إلى أن لويس رين Louis Rinn يرى أنها منفصلة عن الشاذلية/الدرقاوية، ولا صلة لها بشاذلية محمد الموسوم، وهي طريقة متميزة بنفسها وبشعارها الذي هو: (وحدة كل المسلمين لطرد المسيحيين من إفريقيا وآسيا)[2].

أما عن تعاليم المدنية فهي تتمثل في الأمر بتقوى الله في السر والعلانية والإحسان إلى عباد الله، والمداومة على ذكر الله، والتواضع وإطاعة ولي الأمر، وعدم الانشغال بمجالس الغفلة، وبالقيل والقال، وغيرها من التعاليم الأخرى التي هي في مجملها أمر بمعروف ونهي عن منكر[3].

ويذكر إحصاء عام 1298هـ/1884م أن عدد أتباع الطريقة المدنية هو 1,601 منهم 1,588 إخوانيا، و13 مقدمًا، وللطريقة 03 زوايا، وهم موزعون كالآتي[4]:

- إقليم الجزائر العاصمة: 1,476 إخوانيا، و07 مقدمين، و02 زاوية.
- إقليم وهران: 88 إخوانيا، و05 مقدمين، وزاوية واحدة.
- إقليم قسنطينة: 25 إخوانيا، و01 مقدم، أم الزوايا 00.

أما إحصاء 1311هـ/1897م فيشير إلى وجود 1,673 من الإخوان، و14 مقدمًا، و01 شاوشًا، و11 وكيلا وهي منتشرة في إقليم وهران والجزائر[5].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.122

(2) Louis Rinn, **Op.cit**, P.243

(3) وهذه التعاليم موجودة في الإجازة التي حصل عليها أحد مقدميها في الجزائر، وهو الشيخ يحي بن أحمد، وللاطلاع عليها يراجع: O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P-P514-51

(4) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

(5) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.518

والشيء الذي نلاحظه من خلال تحليلنا لهذه الأرقام هو أن عدد أتباع هذه الطريقة ينتشرون بكثرة في إقليم وهران، وبعدد أقل في إقليم الجزائر العاصمة، بينما هم غائبون تقريبا في إقليم قسنطينة رغم قربه من الزاوية الأم المتواجدة شرقه على الأراضي الليبية، وهو ما يعني أن أتباع الطريقة المدنية هم في الأصل شاذليون أو درقاويون شاذليون، لكون الطريقة الشاذلية وفرعها الدرقاوية هما اللتان تنتشران بكثرة في إقليم وهران، مما يعزز الرأي القائل بأن المدنية فرع من الشاذلية.

3-2-13- الطريقة السنوسية:

تنسب السنوسية إلى الشيخ محمد علي السنوسي، وهو من فروع الأدارسة الذين نزحوا إلى المغرب الأوسط، وكانت العائلة تلقب بآل الخطاب، ولد سنة 2001هـ/1787م بالقرب من مستغانم على الساحل الجزائري، وتوفي عام 1273هـ/1859م في واحة سيوة بليبيا[1]، وقد نشأ في أسرة علم ودين، وتتلمذ على شيوخ مستغانم ممن يعتبرون من جهابذة العلماء في زمانهم، نذكر منهم محمد القندوز، ومحمد بن أبي زوينة، كما تعلم على مجموعة من علماء مازونة وأشهرهم على الإطلاق أبوراس المعسكري[2]، وبعدها انتقل إلى فاس بالمغرب الأقصى، ومكث فيها سبع سنوات تقريبا، فأخذ عن أفاضل علمائها مثل حمودة بن حاج، وحمدون بن عبد الرحمان، والعربي بن محمد الدرقاوي، وكان هذا الأخير من شيوخ الشاذلية، وتبحر ابن السنوسي في معرفة الطرق الصوفية المختلفة من قادرية وشاذلية وغيرها[3].

وبعدها غادر إلى مكة المكرمة، وهناك أسس زاوية على جبل أبي قبيس، وبدأ يلقي دروسه وينشر دعوته، فكثر أتباعه وانتشر خبره، وأتاه الناس من كل مكان، واستجاب لدعوته عدد من أهل طرابلس الغرب، الأمر الذي دفع به إلى إنشاء زاوية جديدة في برقة بليبيا، وذلك عند عودته من المشرق، كما أسس زاوية أخرى بواحة جغبوب جنوب ليبيا، وهي التي أصبحت مركزًا لتعليم المريدين ونشر الطريقة السنوسية التي لقيت إقبالا كبيرًا من الناس، وتوسعت شرقا وغربا وجنوبا[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص-ص.245-247

[2] عبد القادر بن عبد الملك بن علي، **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية**، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق- سوريا، 1386هـ/1966م، جـ.1، ص-ص.10-11

[3] محمد فؤاد شكري، **السنوسية دين ودولة**، دار الفكر، د.ب، 1948، ص.14

[4] علي محمد محمد الصلابي، **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة- مصر، ط.1، 1426هـ/2005م، جـ.1، ص-ص.29-52 ؛ أحمد الدجاني، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان، بيروت- لبنان، ط.1، 1967، ص.89

وحملت السنوسية شعار العودة بالأمة الإسلامية إلى عمل السلف الصالح بعد الأخذ بالكتاب والسنة، وتخليص الإسلام من كل الشوائب العالقة به كالخرافات والزيغ والبدع الضالة، التي شوهته وعادت به إلى عصور الجهل والوثنية، كما رفعت شعار الجهاد والنضال ضد الغزو الصليبي الذي اجتاح البلاد الإسلامية عسكريا وفكريًا[1]، وبذلك تكون السنوسية قد جمعت بين الماضي والحاضر، ومزجت بين الدين الأصيل وفلسفة السياسة المعاصرة، وهو ما جعل منها طريقة صوفية عصرية تتمسك بالدين وتعمل به، تواكب التطور الحضاري وتتفاعل معه، تمارس السياسة وتجيدها.

وبما أن لكل طريقة صوفية أوراد وأذكار خاصة بها، فإن للسنوسية أورادها وأذكارها وهي توحيد الألوهية مائة مرة بعدد حبات السبحة، واستغفار الله مائة مرة، والصلاة على النبي الأمي– صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه مائة مرة، وعقب صلاة الفجر يقول المريد " يا رب اغفر لي ساعة الموت وما بعد الموت "، أربعين مرة[2]. والإخوان في الطريقة السنوسية يرتبون حسب مستواهم الثقافي والعلمي، فالعالم يكون على رأس هذه المراتب أي يحتل المرتبة العليا، ويعرف بالمجتهد، ثم يأتي المجتهد الثاني والثالث، أما الدرجة الرابعة فهي لأولئك الذين لا يفقهون في العلم والدين إلا ما يؤدون به واجباتهم المفروضة[3].

ورغم الشهرة العالمية للطريقة السنوسية، وقرب زاويتها الأم من الجزائر إلا أن الطريقة لم تكن تملك في هذا البلد خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، سوى زاوية رئيسة واحدة بنواحي مستغانم، تأسست حوالي 1273هـ/1859م، وتعرف بالزاوية الطكوكية أو التكوكية، نسبة إلى مؤسسها الشيخ طكوك الشارف وَلد عبد الله الجيلاني، المولود حوالي سنة 1208هـ/1794م، الذي قيل عنه أنه قادري ورحماني وأنه درقاوي شاذلي، ثم سنوسي، إذ أن السنوسية لا تمانع من أن يجمع أتباعها بين عدة طرق[4].

أما عن عدد أتباع هذه الطريقة هنا في الجزائر فيشير إحصاء 1298هـ/1884م، إلى وجود 511 تابعا، منهم 481 إخوانيا، و30 مقدمًا، ولهم زاوية واحدة، وهم موزعون على النحو التالي[5]:

- إقليم الجزائر العاصمة: عدد الإخوان 34، وعدد المقدمين 01، الزوايا 00.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.257.

(2) Louis Rinn, **Op.cit**, P-P.502-503

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.262.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص–ص.266–267

(5) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

- إقليم وهران: عدد الإخوان 447، عدد المقدمين 29، عدد الزوايا 01.
- إقليم قسنطينة: لا يوجد لأتباع الطريقة في هذا الإقليم!

وهنا نتساءل لماذا لا يوجد أتباع للطريقة السنوسية في إقليم قسنطينة في تلك الفترة؟ أم هم موجودون ولكن صاحب الإحصاء يجهلهم؟

نرجح أن يكونوا موجودين في هذا الإقليم لكن صاحب الإحصاء غابت عنه هذه المعلومة، إذ لا يعقل أن يكون هذا الإقليم قريب من الزاوية الأم للطريقة والمتواجدة على الأراضي الليبية ولا يوجد فيه أتباع لها، بينما يتواجدون في إقليمي الجزائر العاصمة ووهران وهما بعيدان كل البعد عن التراب الليبي.

أما إحصاء 1311هـ/1897م يذكر أن للسنوسية في الجزائر 950 إخوانيا، و20 مقدمًا، وشيخا واحدا، وزاوية واحدة[1].

ونعتقد أن هذا العدد معقول ومقبول بالنظر إلى الظروف والوقت التي ظهرت فيه هذه الطريقة في الجزائر، فهي ظهرت في وقت كانت فيه الجزائر تحت سيطرة المحتل الفرنسي، كما كانت تعج بمختلف الطرق الصوفية التي كانت تتنافس وتتصارع فيما بينها في كثير من الأحيان، وفي الوقت الذي تمكن فيه هذا المحتل من فك شفرة معظم هذه الطرق، ومن ثم ضيق الخناق وشد الحصار على بعضها، بينما استمال بعضها الآخر إلى صفه وأصبح يضرب بها كل من يرفض الدخول في طاعته من هذه الطرق.

3-2-14- الطريقة البوعلية:

تنسب إلى بوعلي النفطي السنّي، المتوفي حوالي 610هـ/1196م، وقد اشتهر بالنفطي لأنه دفين نفطة، واشتهر بالسنّي لأنه انتصر لأهل السنّة ضد أهل المذاهب الأخرى التي انتشرت في منطقة الجريد والجنوب التونسي ووادي سوف، وهي فرع من فروع القادرية، وقد تمكنت خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، من كسب بعض الأتباع في بعض المدن الجزائرية كقسنطينة وعنابة وتبسة ووادي سوف[2]، وذلك بسبب قرب هذه المدن من التراب التونسي الذي هو مركزها.

وتشير بعض المصادر الفرنسية إلى أن أول إشارة على وجود أتباع هذه الطريقة هنا في الجزائر تعود إلى سنة 1290هـ/1876م، حين تم القبض على أحد أتباعها في مدينة عنابة يسمى الحبيب بن

---

(1) O. Depont et X. Coppolani, **<u>Op.cit</u>**, P.567

(2) أبو القاسم سعد الله، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>**، ج.4، ص.274.

الصغير، وهو من مدينة قابس التونسية، وقد طرد من الجزائر، كما ظهر شخص آخر من وادي سوف في نفس الفترة، إلا أنه لم يقم بأي نشاط معاد للفرنسيين[1].

أما إحصاء عام 1311هـ/1897م ذكر أن لها 364 من الإخوان، وفيهم بعض النسوة، و06 مقدمون، كما أن لها 04 زوايا في إقليم قسنطينة، وحداة منها موجودة في خنشلة، ولها مقدم اسمه عمارة بوخشم[2]، وأتباعها يشبهون أتباع العيساوية، فهم يمارسون الرقص العصبي والتشنج[3].

3-2-15- الطريقة الشابية:

عرفت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي المولود سنة 803هـ/1389م، والمتوفي عام 887هـ/1473م[4]، وقد انتشرت في نواحي الجريد التونسي ووادي سوف، وتبسة، وعنابة وخنشلة والخنقة، بحيث كانت لها زوايا ومقدمون، وكان شيخها الفعلي خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، هو محمد عبد الهادف الذي أسس زاوية في جبل ششار بالقرب من خنشلة.

وأذكارها شبيهة بأذكار الطرق الأخرى إلا أنها تتميز بخاصية في هذا الذكر وهي رقم سبعين حتى أن قاعدتها الأساسية تسمى السبعينية، ولها إجازة متداولة صادرة في أربع جمادى الثانية سنة 1279هـ/1865م عن الشيخ أحمد بن عمار بن رمضان الشابي، شيخ بيت الشريعة[5]، ولها 2500 من الخدام في نواحي عنابة وقالمة ووادي سوف وقسنطينة[6].

3-2-16- الطريقة البكائية:

أسس هذه الطريقة الشيخ عمر بن الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البكاي في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وبلغت أوج مجدها مع ظهور الشيخ مختار الكبير الذي جددها في آخر القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وتعرف عند سكان توات والأزواد باسمه أي المختارية[7].

---

(1) Louis Rinn, **Op.cit**, P.120

(2) O. Depont et X. Coppolani, **Op.cit**, P.355

(3) Louis Rinn, **Op.cit**, P.120

(4) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.166.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.276.

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.298.

(7) محمد الصالح حوتية، **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، جـ.1، ص.186.

وفي حدود سنة 1261هـ/1847م، أصبح أحمد البكاي الحفيد هو زعيم الطريقة البكائية بلا منازع في تلك المنطقة، وقد كان له نفوذ روحي كبير، كما كان يجيد فن السياسة ويحسن التفاوض[1].

وقد انتشرت البكائية في الجهات الغربية والجنوبية من الجزائر، خاصة في مناطق توات والقرارة وبلاد التوارق، رغم أن المقر الرئيسي لها موجود في تمبكتو[2].

3-2-17- الطريقة الدردورية:

تنسب إلى الشيخ الهاشمي دردور الذي ولد سنة 1229هـ/1815م بمدرونة بوادي عبدي قرب مدينة أريس الواقعة في جبال الأوراس، وكان تلميذا في زاوية الشيخ بن عزوز بطولقة، ثم طالبًا بزاوية خنقة سيدي ناجي الرحمانية، ومن بعدها بزاوية بوحجر بقالمة، وقد تولى مشيخة الزاوية الدردورية[3]، بعد وفاة والده سنة 1289هـ/1875م، وأسس طريقة الأحباب التي يطلق عليها اسم الطريقة الدردورية سنة 1290هـ/1876م، وهي محلية الانتشار إذ لا يتعدى نطاقها الجغرافي منطقة الأوراس. وقد توفي سنة 1313هـ/1899م عن عمر يناهز 85 سنة[4].

وقد قيل عن الشيخ الهاشمي دردور أنه سنوسي الطريقة، وقال آخرون أنه رحماني الطريقة بسبب التزامه بتعاليمها، واتهامه أتباعه المعارضين له بأنهم أضلوا سبيلها، واتبعوا شيوخًا آخرين[5].

وجاء في إحصاء 1298هـ/1884م أن للدردورية بإقليم قسنطينة 200 من الإخوان و04 مقدمين، وزاوية واحدة، أما إقليمي الجزائر العاصمة ووهران فلا يوجد بهما أتباع هذه الطريقة[6].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.279.

(2) محمد حوتية، « مخطوطات إقليم توات »، **مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية**، جامع القاهرة- مصر، ديسمبر 2001، ص.124.

(3) تأسست هذه الزاوية حوالي سنة 1214هـ/1800م، على يد الشيخ علي دردور بن عمر الذي كانت تنسب إليه، وبقي شيخا عليها إلى غاية 1229هـ/1815م تاريخ وفاته. يراجع: أسيا علوي وسامية دردوري، « الزوايا في الأوراس بين الأمس واليوم- الزاوية الدردورية أنموذجا- »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة- الجزائر، ط.1، 2015، ص.209.

(4) آسيا علوي وسامية دردوري، **المرجع نفسه**، ص-ص.210-213

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.156-157

(6) Louis Rinn, **Op.cit**, P.549

3-2-18- الطريقة الناصرية:

ولا نملك عنها معلومات كثيرة ما عدا أنها تنسب إلى زاوية درعة بالمغرب الأقصى، ويعتقد أنها شابية الأصل، ومقرها هنا في الجزائر موجود بخنشلة، ولها 03 زوايا، و04 شواش، وشيخا واحدا، و03 مقدمين، و468 إخوانيا، و165 خونية (إمرأة)، ولها آثار بخنقة سيدي ناجي(1).

3-2-19- الطريقة المكاحلية (الرماة الأحرار):

يرى أبو القاسم سعد الله أن أتباع هذه الطريقة هم فرسان وفتوة أكثر منهم أهل تصوف، ويقول عنهم: « إنهم تنظيم من عصبة أو عصابة يكاد يكون (ميليشيا) بالمعنى الحديث »(2).

وذكر إحصاء 1298هـ/1884م أن لهذه الطريقة 500 من الأتباع، ولهم حوالي 30 مقدما(3)، وهم ينتشرون في الجهة الغربية، خاصة في نواحي معسكر وعين الصفراء، ومغنية وفرندة، وسعيدة كما أنهم معرفون في البيض وتيهرت، وليس لهم زاوية أو شيخ، ولا تعرف لهم أذكار دينية ولا سلسلة نسبية(4).

4- هيكلة الطرق الصوفية:

لقد تبين لنا من خلال البحث في موضوع الطرق الصوفية، أننا أمام مؤسسات دينية طرقية ذات نظام هرمي تسلسلي يتكون من إطارات مختلفة المراتب والوظائف، يأتي في مقدمتها شيخ الطريقة، ثم يليه المقدم، ثم المريد.

4-1- الشيخ:

وهو ذلك الشخص العارف بالله الحاوي لكل أصناف العلوم، والمالك للكرامات وكل مقومات الولاية والصلاح، والقادر على تربية النفوس بتشخيص عللها، وتحديد علاجها، وهو يستمد سلطته ونفوذه من مكانته الدينية(5)، ودوره هو الأخذ بيد المريد وإرشاده إلى الطريق، وحمله على التوبة والزهد، وإسداء

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.296.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص، ص.280، 298

(3) Louis Rinn, **Op.cit**, P.126

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.281.

(5) التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس1، تونس، 1992، ص.36.

النصح له بما ينفعه ولا يضره، والتمييز له بين الخير والشر، وتلقينه الأوراد والأذكار، ويأخذ عليه العهد[1].

وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ المريد شيخًا له يهديه إلى سبل الوصول إلى الله، ويساعده على السير، لأن المريد كالطالب، والطالب لا يستطيع أن يتقدم في دروسه بدون أستاذ موجه[2].

وهذا الشيخ لا بد أن تتوفر فيه جملة من الشروط وهي[3]:

- أن يكون عالمًا بالشريعة كتابا وسنة، وعاملا بهما على قدر طاقته.
- أن يكون قد سلك طريق الحق قبل ذلك.
- أن يكون شاعرًا بواقع ما يعظ به الغير على نفسه ومتعظا به.
- أن يكون قد عرف المخاوف والمهالك ومنعرجات الطريق.
- أن يكون عنده علم يكشف به الحقائق والدقائق، فارقا بين الحق والحقيقة والوهم والخيال.
- أن يعلم ما جاء وما وجب وما استحال.
- أن يكون مستقيم الحال.
- أن تكون له قدرة التأثير الروحي في المريد.

كما يجب على الشيخ أن يتحلى بآداب وهي[4]:

- أن يكلم تلاميذه كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه.
- أن تكون له خلوة خاصة.
- حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب.
- التنزه عن أموال المريدين.
- حفظ أسرار المريدين.
- النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم.

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الشيخ الديسي محمد بن عبد الرحمان سيرة ومسيرة**، دار النعمان للطباعة والنشر، د.ب، د.ت، ص.248.

(2) عامر النجار، **المرجع السابق**، ص.24.

(3) سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص-ص.124-126

(4) أحمد بن عجيبة، **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة- مصر، 1331هـ، جـ.1، ص.158.

وبالرغم من أن كل شيخ تتوفر فيه هذه الشروط، ويلتزم بهذه الآداب سيحظى بمنزلة رفيعة بين الخلق، وتكون له سلطة واسعة ونفوذ كبير على الأتباع والمريدين وهذا ما لاشك فيه، إلا أننا نجد أن بعض شيوخ الطرق الصوفية المنتشرة هنا بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، قد استمدوا نفوذهم من نسبهم الذي ربطوه بالنسب الشريف، أو ربطوه بأحد كبار الصحابة المعروفين والمشهورين، أو ربطوه بأحد أقطاب التصوف المحببين.

فعلى سبيل المثال نجد أفراد عائلة الأمير عبد القادر الذين أسندت إليهم مشيخة الطريقة القادرية هنا بالجزائر، يربطون سلسلة نسبهم ـ وتعرف في مصطلح الصوفية بالسلسلة الذهبية ـ بالرسول صلى الله عليه وسلم[1]، كذلك فعل شيوخ الطريقة التجانية الذين هم من نسل سيدي أحمد التجاني مؤسس الطريقة، بل هم بالغوا في الأمر حين ادعوا أن جدهم الرسول صلى الله عليه وسلم- حسب زعمهم- هو الذي أمر حفيده أحمد التجاني بتأسيس الطريقة[2].

بينما نلاحظ أن أولاد سيدي الشيخ وهم شيوخ الطريقة الشيخية بالجنوب الغربي للجزائر، يرجعون سلسلتهم الذهبية إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[3]، أما شيوخ الزاوية القادرية بمنطقة منعة الواقعة بجبال الأوراس، فقد اسندوا سلسلتهم النسبية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة[4].

ولكن رغم الصلاح والتقوى، والانتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أحد الصحابة، أو غيرهم من الشخصيات المعروفة والمشهورة كأقطاب التصوف، إضافة إلى كثير من الصفات التي من المفروض أن تجعل من مشائخ الطرق قدوة تتبع، ومثالا يحتذى به، فإن بعضهم ومن خلال شخصهم أو أحد أبنائهم أو أحفادهم، قد ارتكب عدة أمور مخلة بدورهم الديني متنافية ومكانتهم الاجتماعية، من ذلك أن الحسن بن عباس وهو أحد أفراد عائلة الزاوية القادرية بمنعة، ذهب ضحية تورطه في إحدى الفضائح الأخلاقية، حيث قتله شخص من أبناء المنطقة يسمى الحاج بن حبارة، وذلك عندما ضبطه مع زوجته المسماة عمرية بنت سي أمحمد الصالح[5].

---

(1) الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، **كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**، حققه عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، ط.1، 1426هـ/2005م، جـ.1، ص.12.

(2) المهدي بن شهرة، **الطرق الصوفية في الجزائر السنيّة**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، 2004، ص.30.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.104.

(4) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص-ص.277-278.

(5) عبد الحميد زوزو، **ثورة الأوراس سنة 1879**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص.87.

كما أن محمد بن عباس الذي كان شيخا للزاوية القادرية بمنطقة منعة، وفي الوقت نفسه كان قائدًا (قايد) على عرش أولاد عبدي عند بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة، اتهمه عرش أولاد حبارة بقرية نارة أنه كان يحرض عليهم اللصوص، ويثقل كاهلهم بالغرامات المالية، كما اتهموه بأنه أخذ إحدى بناتهم عنوة وعقد عليها القران بمهر بخس وهو 2000 فرنك فرنسي، ولما حبلت منه أرجعها إلى والدها فوضعت بنتا، فتخلى عنها وتركها هي وأمها دون نفقة، ولما طالبه الشيخ محمد بن إبراهيم بن حبارة والد الأم بالنفقة وبمؤخر الصداق الذي عليه، امتنع وسجنه[1].

4-2- المقدم:

ينوب عن شيخ الطريقة في إحدى زواياه البعيدة عن الزاوية الأم، ويتولى هذه المهمة بأمر من شيخه بعد حصوله على إجازة[2]، وهي شهادة معتمدة من قبل شيخ الطريقة يوصي من خلالها للمقدم ويفوضه بعقد الحضرات وحلقات الذكر في الأماكن أو الزوايا التي تبعد عن المركز الرئيس للطريقة، ومن ثم إعطاء العهود للمريدين الجدد المنضمين إلى الطريقة على مستوى المراكز التي يقيمون فيها لحين تجديد هذه العهود على يد شيخ الطريقة نفسه، ويقوم المقدم الحاصل على هذه الإجازة بتعليقها في الزاوية التي يشرف عليها[3].

وعادة ما يتضمن نص الإجازة تعريف بالمقدم وبسلسلة الطريقة مع ذكرها وأسلوب تلقين الورد والأذكار للأتباع، وينتهي هذا النص بنصح الأتباع بالتقوى، وبطاعة المقدم في مهمته، وهي معاني نجدها على سبيل المثال في الإجازة الرحمانية[4].

والمقدم يمتثل لأوامر شيخه ويطبقها حرفيا، ولا يجوز له أن يخالفها أو يحاول عرقلة تنفيذها، كما لا يجوز له أن يتخطى مهامه المنصوص عليها في الإجازة، ولا يمكن له أن يدعو الأتباع إلى الجهاد أو ينخرط فيه باسم الطريقة دون أن يستشير شيخه أو يأخذ الإذن منه.

لكن مقدمي بعض الطرق الصوفية هنا في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، خرقوا هذه القواعد وداسوا على الإجازات، وتخطوا رتبة المقدم ليكونوا هم الشيوخ دون أن تمنح لهم هذه الرتبة حسب قواعد الطريقة الصوفية المتعارف عليها عندهم، فنجدهم اتخذوا قرارات حاسمة

---

[1] عبد الحميد زوزو، **المرجع السابق**، ص-ص.92-95

[2] التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص.38

[3] عبد الحكيم خليل سيد أحمد، **المرجع السابق**، ص.191

[4] التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص.38

وفصلوا في أمور شائكة باسم الطريقة، ما كان لهم الحق في أن يفصلوا فيها بهذا الشكل دون أن يستشيروا مشايخهم، ويأخذوا منهم الإذن بذلك.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الشيخ محمد أمزيان المعروف باسم بوهقنوشت[1]، وهو مقدم الطريقة الرحمانية سنة 1293هـ/1879م بقرية الحمام الواقعة بالقرب من مدينة أريس بجبال الأوراس، قد عبأ أتباع الطريقة في هذه المنطقة، وأعلن الثورة ضد المحتل الفرنسي، ورفع راية الجهاد[2]، لكنه قام بكل ذلك دون أن يستشير مشايخ الطريقة بالمنطقة، وهو ما جعله يدفع الثمن غاليًا، إذ أن الرسائل[3] التي وجهها لشيوخ الزوايا لكي يلتحقوا بالثورة ويساندوه لم تلقى آذانا صاغية عندهم، باستثناء شيخ الزاوية الدردورية الهاشمي دردور الذي أيد الثورة ووقف إلى جانب الثوار، أما شيخ الزاوية العثمانية بطولقة– وهي أكبر وأشهر زاوية رحمانية بالمنطقة– واسمه علي بن عثمان[4]، فقد وقف موقف المتفرج من الأحداث دون أن يحرك ساكنًا.

وبغض النظر عن ما إذا كان الشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمان صائبا أو مخطئا في إعلان الثورة، فليس المقصود من الاستشهاد به الحط من قيمته وتشويهه أو تشويه الثورة التي نعتز ونفتخر بها، وإنما توضيح مدى التزام الأتباع والمريدين بالنظام الهرمي المطبق داخل الطريقة، وكذلك إبراز خطورة تجاوز بعض المقدمين لصلاحياتهم، واتخاذهم لقرارات هي في الأصل من صلاحيات الرتبة الأعلى منهم أي رتبة الشيخ.

---

(1) اسمه الكامل محمد أمزيان بن محمد الصالح بن عبد الرحمان من قرية جار الله التي تبعد حوالي 20 كلم عن قرية تكوت التابعة إداريا لدائرة بسكرة العسكرية آنذاك، وينتمي إلى عرش أولاد بوسليمان، ويرجح أن يكون ولد في الخمسينات من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، يلقبه المحتل وعملاؤه بلقب بُوهْقَنُّوشْتْ وهو مصطلح باللهجة الشاوية، ويعني بوبرمة باللغة العربية، وقد لقب بهذا اللقب استنقاصا في قيمته وقدره واحتقارا له في أعين الناس رغم أنه كان مستقيمًا ومتدينًا. يراجع: محمد الطاهر عزوي، « مقاومة الأوراس خلال العهد الفرنسي في ق19 من 1837 إلى 1879 »، **مجلة التراث**، العدد01، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة– الجزائر، ذو القعدة 1406هـ/جويلية 1986م، ص– ص.29–76؛ مسعود عثماني، **أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2008، ص.115.

(2) عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، ص.601.

(3) ينظر: **ملحق رقم (03)**.

(4) وهو حفيد الشيخ علي بن عمر مؤسس الزاوية (ت: 1257هـ/1843هـ) من ابنه الأكبر عثمان بن علي، ولد الشيخ علي بن عثمان سنة 1228هـ/1814م، وتوفي عام 1312هـ/1898م، تولى مشيخة الزاوية وعمره لا يتجاوز 18 سنة. من أشهر آثاره مكتبة الزاوية التي هي اليوم من أهم مكتبات الزوايا بالجزائر. للمزيد يراجع: علي الرضا الحسني، **زاوية علي بن عمر طولقة**، الدار الحسينية للكتاب، 1423هـ/2002م، ص.12 ؛ صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.270.

4-3- المريد:

المريد عند الصوفية هو المتجرد عن إرادته، المخالف لأحكام عادته[1]. وقيل (هو سالك الطريق الذي يسير في الطريق حسب إرشادات شيخه فيسلك طريقه كما يرسمه له شيخه حتى يصل إلى غايته)[2]، ويمكن أن نعرفه ونقول: هو المبتدئ في الطريقة، صاحب العزيمة، الباحث عن الحقيقة برعاية شيخ الطريقة.

ويجب على المريد أو سالك الطريق أن يلتزم بمجموعة من الشروط والآداب التي وضعها شيوخ الصوفية، حتى يصل إلى مبتغاه ويصير بدوره شيخا مرشدًا وموجها لغيره من المريدين، وهذه الشروط والآداب هي[3]:

- أن يلتزم بنصائح الشيخ وإرشاداته.
- أن يصاحب شيخه بصدق وصبر وإذعان.
- أن لا يجادل شيخه أو يناقشه بل عليه أن ينصاع لأوامره.
- أن يحفظ حرمة شيخه في حضوره وغيابه وبعد مماته.
- أن يوقر شيخه ويحترمه ظاهرًا وباطنًا.
- أن لا يكتم أي سر على شيخه بل ينبغي عليه أن يذكر له ما يجول بخاطره من أسرار وخطرات وهموم ومشكلات فهو طبيبه ومداويه.
- أن يوفي بالعهد الذي قطعه على نفسه مع شيخ الطريقة التي انضم إليها.
- أن يلتزم بالذكر المخصوص الذي يلقيه إليه شيخه، ولا يجوز له أن يذكر اسما آخر إلا بإذن الشيخ له.
- أن يلتزم بأوراد الطريقة التي ينتمي إليها.
- أن يتحلى بالصبر وسعة الصدر والعفو والصفح، ويتحلى بالسكينة والوقار.
- أن يشكر الله على نعمه، وأن يرضى بقضائه وقدره.
- أن يعرض عن الدنيا وزخرفها.

---

(1) Abd Al-Hadi Ibn Ridwan Al-Ibyari, **Comprendre Le Soufisme**, Traduite par M. Arnaud, présentation de Abderrahmane Rebahi, Livres Editions, Alger, 2012, P.71

(2) عامر النجار، **المرجع السابق**، ص.26.

(3) محمد أحمد درنيقة، **الطريقة الشاذلية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، 2009، ص-ص.66-73؛ عبد الحكيم خليل سيد أحمد، **المرجع السابق**، ص.211 ؛ سعيد مراد، **المرجع السابق**، ص-ص.112-124 ؛ ضياء مجيد الموسوي، **غاية التصوف وأدوات المتصوف**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص-ص.94-96

أما عمدة هذه الآداب والشروط كلها هي: طاعة الشيخ طاعة عمياء، قال الغزالي: (فمعتصم المريد شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد حيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخلفه في ورده ولا صدره)[1].

لكن هذا الشرط الأخير كثيرًا ما وظفه بعض الشيوخ لصالحهم أسوأ توظيف وجعلوه بمثابة السيف المسلط على رقبة المريد الذي لا حول ولا قوة له إلا بالله، والذي تحول من شخص حر إلى شخص مسلوب الحرية، يقوم بتنفيذ أوامر سيده الذي هو شيخه، ويلبي رغباته التي لا تكاد تنتهي، وينجز جميع أعماله داخل البيت وخارجه، فنجده يغسل ثياب شيخه، ويكنس بيته، ويعد له فراشه، كما نجده يحرث له أرضه ويزرعها ويغرسها ويسقيها، ليحصدها بعد ذلك ويقوم بتخزين المحصول دون أن يعطي له منه شيئا، كما يقوم بإحضار الحطب ورعي الأنعام، وتنظيف الإسطبل.

ويذكر إدوارد دونوفو Edward Deneveu أن محمد بن عيسى المتوفي سنة 1250هـ/1836م[2]، وهو شيخ الطريقة الرحمانية هنا بالجزائر بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كان يقوم بتنظيف إسطبل شيخه عبد الرحمان الأزهري، ويحمل القاذورات التي يجمعها في برنوسه ويرميها بعيدًا[3].

إلا أننا نشك في صحة هذه الرواية، لكون صاحبها لم يعشها وإنما سمع عنها، كما أنه كان ضابطا في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي، وأحد أعضاء اللجنة الاستكشافية العسكرية هنا بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وهو أول فرنسي ـ على حد علمي ـ يكتب عن الطرق الصوفية، ولم يكن موضوعيًا في الأحكام التي أصدرها على هذه الطرق، إذ أنه درسها من منطلق كونها أحد الأسباب المعرقلة للمشروع التوسعي الاستعماري بالجزائر الذي هو مكلف بتنفيذه. ويتضح موقفه هذا عندما نقرأ ما كتبه في ختام حديثه عن الطريقة الرحمانية، التي وصفها بأنها أكثر الطرق الصوفية نفورًا من الفرنسيين[4].

---

(1) أبو حامد الغزالي، **أيها الولد المحب**، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، مطبعة الشحمي، تونس، د.ت، ص.65.

(2) ذكره المؤلف بهذا الاسم، لكن نحن نعلم من خلال اطلاعنا على كتب التاريخ أن خليفة الشيخ الأزهري، اسمه علي بن عيسى، وأصله من المغرب الأقصى. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص-ص.139-140

(3) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.69.

(4) للمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية وعن موقفه من الطرق الصوفية في الجزائر يراجع كتابه الإخوان الذي اعتمدنا عليه في التهميش، وكذلك يراجع: مسعودة يحياوي، « دور الزوايا في المقاومة من خلال أرشيف المكاتب العربية (1843-1880) »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة- الجزائر، ط.1، 2015، ص-ص.35-46

لكن وإن كنا وضعنا هذه الرواية جانبا، فهذا لا يعني أن ما قلناه عن الممارسات الديكتاتورية، والانتهاكات اللا أخلاقية لبعض الشيوخ هو مجرد افتراء عليهم لا دليل على صحته. نقول أنها حقيقة تاريخية تحدث عنها أغلب من كتب عن هذا الموضوع بما فيهم الكتاب العرب، وفي مقدمتهم عبد الله حمودي الذي يرى أن المخالفات والانتهاكات التي كان يقوم بها أحد شيوخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب الأقصى خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، تؤدي إلى القطيعة مع الروابط المحلية والسياسية، وتقود المريد إلى الوقوع في الشذوذات كإرجاء الزواج من أجل خدمة الشيخ، كما يستوجب عليه القيام ببعض المهام التي تغير التقسيم الجنسي للعمل. ويقول: (لكأنما كان يشترط في المريد الذي يود أن يجتاز سبيل التلقين مع بعض الضمانات ـ أي ليصير شيخا بدوره ـ أن يتنازل عن بعض السمات التي تميز الرجولة)[1].

ونعتقد أن المريد، قد أدرك أن شرط الطاعة العمياء للشيخ قد أصبح عبئا على عاتقه، كما أنه سلبه حريته وأفقده شخصيته، وجعل منه عبدًا مسخرًا لخدمة سيده الذي سلك به مسلك العبيد لا العباد، فبدلا من أن يصبح عبدًا زاهدًا عابدًا لرب العباد، أصبح عبدًا لهؤلاء العباد، وقد أصبح من الضروري على هذا المريد أن يخل بهذا الشرط إن كان سيعطل واجبًا من الواجبات الشرعية كالجهاد في سبيل الله، وفي سبيل الوطن مثلاً.

فبعض أحباب الطريقة التجانية وبغريزة الجهاد التي كانت تدفع أغلب الجزائريين ـ بغض النظر عن الطريقة التي ينتمون إليها ـ إلى الثورة ضد العدو، خالفوا موقف شيوخهم في كثير من الأحيان وشاركوا الأمير عبد القادر في مقاومته، كما شاركوا في ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1279هـ/1865م[2].

وكذلك فعل بعض أتباع الزاوية العثمانية بطولقة، حينما خالفوا موقف بعض شيوخهم المتسم بالحياد السلبي، فيما يتعلق بمقاومة المحتل الفرنسي، وهموا فرادى وجماعات للانخراط في جل الثورات التي أعلنتها وقادتها الطريقة الرحمانية ضد هذا المحتل خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بل وشاركوا حتى في تلك الثورات التي أعلنتها طرق صوفية أخرى كالقادرية والدرقاوية[3].

---

(1) عبد الله حمودي، **الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة**، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط.4، 2010، ص.125.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص، ص.44، 211

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.148-149

إن هذه الأمثلة ليس المقصود منها التشهير بهؤلاء الشيوخ، أو تشويه سمعتهم، أو الدعوة إلى التمرد عليهم، ولا المقصود منها الحط من قيمة رتبة الشيخ في الطريق الصوفي، وإنما تنبيههم إلى ضرورة مراعاة أحاسيس ومشاعر مريديهم، وأخذها بعين الاعتبار أثناء إصدارهم للأوامر والقرارات التي لها صلة بهؤلاء المريدين.

كما أردنا هنا أن ننبه إلى خطر وصول بعض الأشخاص إلى رتبة الشيخ، دون أن يكونوا أهلا لها، فيسيئون إليها بأفعالهم الخسيسة، كأن يحاولوا أن يستمدوا نفوذهم بالترغيب والترهيب، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين حينما ذكر أن بعض المشايخ كانوا يهددون الناس في صحة أبدانهم وعائلاتهم، كعقم النساء، أو يهددونهم في أموالهم وثرواتهم، كإتلاف محاصيلهم الزراعية، وذلك من أجل الانصياع إليهم وإخضاعهم لأوامرهم[1].

ولابد على الشخص الذي أراد أن يسلك هذا المسلك ليكون مريدًا، ثم يصبح شيخًا، أن يطلع جيدا على شروطه وآدابه، ويقتنع بها، حتى لا يعتقد فيما بعد أن شيخه يستغله ويسيء إليه، فيخرق قاعدة الطريق الصوفي ويخل بالشروط والآداب، ويتعدى على حقوق شيخه، وينسب إليه من الأفعال القبيحة والذميمة ما يسيء إلى سمعته ورتبته.

[1] Ali. Merad, **Le Réformisme Musulman en Algérie (1925-1940) essai d'histoire religieuse et sociale**, Mouton, France, 1967, P.70

ثانيا- الزوايا والأضرحة:

رأينا أنه من الواجب علينا أن نتطرق من خلال هذا المبحث إلى موضوع الزوايا والأضرحة، وذلك للأسباب التالية:

- جزائر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كانت تعج بمختلف الزوايا والأضرحة التي انتشرت في مختلف المناطق بصورة رهيبة لفتت إليها أنظار المحتل الفرنسي، الذي عمل جاهدًا على التقليل منها ومن نشاطها، وذلك من خلال هدّم بعضها، وتقييد نشاط بعضها الآخر، أو من خلال مصادرة ممتلكاتها وأوقافها بعد أن اكتشفت علاقتها المباشرة أو غير المباشر بالمقاومة الوطنية.
- علاقتها المباشرة بموضوع بحثنا ـ التصوف ـ إذ أن بعضها أنجز من قبل بعض مشايخ الطرق الصوفية لغرض معين، أو لعدة أغراض، أما بعضها الآخر فأسسه أناس عاديون، ونسبوه إلى شخص ارتبطوا به روحيا أو فكريا بسبب تصوفه أو زهده وصلاحه وقيامه ببعض أعمال البر والإحسان، كما أن من هذه الزوايا والأضرحة ما أسسه أبناء أو أحفاد الميت تقديسًا لروحه، وبحثا عن بركاته التي تنتقل إليهم عن طريق الوراثة، مما يضمن لهم مكانة مرموقة في المجتمع قد تصل إلى درجة تقديسهم من قبل بعض الأميين والمغفلين.
- توافد عدد كبير من أفراد المجتمع الجزائري بمختلف مستوياتهم وأعمارهم وجنسهم، على هذه الزوايا والأضرحة خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، رغم التأثير السلبي لبعضها على البنية الاجتماعية والعقيدة الإسلامية لهذا المجتمع.
- أغلب الدراسات والأبحاث التي قام بها بعض الأوروبيين هنا بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وفي مجالات مختلفة كالأنثربولوجيا الدينية، وعلم الاجتماع والتاريخ، كانت تتمحور حول الزوايا والأضرحة وعلاقتها بالطرق الصوفية، وموقف المجتمع منها، إضافة إلى الدور الذي لعبته من خلال القائمين عليها في تفعيل الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، وحتى الاقتصادية في تلك الفترة.

1- الزوايا:

1-1- تعريف الزاوية:

أعطى الباحثون للزاوية عدة تعاريف، فمنهم من عرفها على أنها بناية دينية تتشكل من قاعة للصلاة، وقاعات مخصصة لتحفيظ القرآن الكريم وأخرى لاستقبال الزائرين، إضافة إلى قبة تعلوا ضريح

الولي الصالح[1]، الذي تنسب إليه[2]. ومنهم من عرفها على أنها (تلك الصدقات الجارية التي يحبسها الشخص في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثق ومحدد لينتفع بها عامة الخلق، ويحبس لها جملة من الأملاك، ولها مكان وموقع خاص، ويشرف عليها الشخص المؤسس ذاته في حياته وبعد وفاته يتعاقب عليها: مقدمان على التوالي)[3].

أما أبو القاسم سعد الله فيرى أن الزاوية هي: (مقر الشيخ حامل البركة والمتصوف الذي ليس له علاقة بالجهاد ولا بالتعليم والعبادة، وإنما له علاقة بإعطاء الأوراد والإجازات واستقبال المريدين والمقدمين والإخوان وحاملي الزيارات أو التبرعات)[4].

وقد قدم دوماس Daumas تعريف للزاوية نعتقد أنه الأحسن من بين كل التعاريف، لكونه جامع وشامل لجميع معانيها، فهو يصفها على أنها مؤسسة دينية ذات هياكل قاعدية عديدة ومتعددة الأغراض، إضافة إلى كونها جامعة ونزل مجاني، وهي تضم قبة المرابط[5]، الذي تحمل اسمه[6]. والزاوية تعرف بمنطقة القبائل باسم ثيمعمرث[7].

1-2- أنواع الزوايا ووظائفها:

انقسمت آراء الباحثين في تحديد الزوايا إلى رأيين وهما:

---

(1) وهو مصطلح مركب من كلمتين، الأولى ولي وتعني القريب من الله، والثانية صالح وتعني الزاهد. يراجع: إدموند دوتي، **<u>الصلحاء- مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر</u>**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص-ص.53-55. وعليه نعتقد أن مصطلح الولي الصالح يعني القريب من الله الزاهد.

(2) فرج محمود فرج، **<u>إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين</u>**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص.108 ؛ أحميدة عميراوي، **<u>رسالة الطريقة القادرية في الجزائر</u>**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، د.ت، ص.16.

(3) مولاي التهامي الغيثاوي، « اهتمام زوايا منطقة الصحراء بالقراءة والخطابة »، **<u>رسالة المسجد</u>**، العدد الثاني، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، شعبان 1428هـ/أوت 2007م، ص-ص.48-49

(4) أبو القاسم سعد الله، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>**، ج.3، ص.170.

(5) المرابط تعني الرجل الزاهد. يراجع: إدموند دوتي، **<u>المصدر السابق</u>**، ص.53.

(6) Eugène. Daumas, **<u>Mœurs et coutumes de L'Algérie</u>**, Sindbad, Paris, 1988, P.114

(7) كلمة ثيمعمرت هي الصورة القبائلية للفعل العربي عمر، وهي من نفس جذر كلمة عمران، وتعني في الاستعمال القبائلي مكانًا عامرًا مهما كان السياق الذي تستعمل فيه كلمة عَمَر، وكثيرا ما تبرز فكرة الإمتلاء، يقال يَعمار السوق بمعنى الحيز المخصص لهذا السوق إمتلأ. يراجع: محند أكلي حديبي، **<u>أودريس الزاوية العامرة</u>**، ترجمة عبد القادر بوزيده، منشورات زرياب، الجزائر، د.ت، ص.25.

1-2-1- الرأي الأول:

وقد رأى أصحاب هذا الرأي أن الزوايا ثلاثة أنواع، لكنهم اختلفوا في تحديد وظائفها، وانقسموا في ذلك إلى قسمين وهما:

❖ **القسم الأول** ــ وقد صنف أصحاب هذا القسم الزوايا بالشكل التالي[1]:

- زوايا أسست وأوجدت من أجل العلم وأعمال البر والإحسان، ولا تعرف إلا باسم الزاوية، إذ أنها لا تنسب لا إلى المكان الذي توجد فيه، ولا إلى الشخص الذي أسسها.
- زوايا أقيمت على قبور بعض الأشخاص المقدسين لدى العامة، وتنسب إليهم ويقصدها الناس طالبين لبركة المدفون بها لا للعلم ولا للاحسان.
- زوايا أسستها الطرق الصوفية وتنسب إليها، ووظيفتها نشر أوراد الطريقة التي تنتمي إليها وكسب مريدين جدد إلى صفوفها، إضافة إلى نشر العلم وأعمال البر والإحسان، وقد يكون لبعضها وظائف أخرى كإعداد المجاهدين وإعلان الثورة على أعدائها.

❖ **القسم الثاني** ــ وهم الذين صنفوا الزوايا على النحو التالي[2]:

- زوايا العلم وتقتصر وظيفتها على التعليم والتدريس فحسب دون الإطعام والإيواء.
- زوايا الضيافة ووظيفتها تتمثل في أعمال البر والإحسان كإطعام الزوار والمحتاجين.
- زوايا العلم والضيافة وهي التي تجمع بين التعليم والتدريس وضيافة الزوار والمحتاجين.

1-2-2- الرأي الثاني:

وأصحاب هذا الرأي هم الآخرون اتفقوا في تحديد أنواع الزوايا، وقالوا أنها نوعين، لكنهم اختلفوا في تحديد وظائفها وانقسموا في ذلك إلى ثلاث أقسام:

❖ **القسم الأول** ــ والزوايا عند الباحثين الذين يمثلون هذا القسم كالآتي[3]:

- زوايا قديمة أو زوايا المرابطين، وهي موجودة لدى العائلات المرابطية القديمة وتجمع بين العلم وأعمال البر والإحسان والجهاد، كما أنها مكان يقصده الزوار الذين يأتون لتقديم الصدقات.

---

[1] كمال دحومان الهاشمي، **المرجع السابق**، ص.179.

[2] مولاي التهامي الغيثاوي، **المرجع السابق**، ص.49.

[3] كمال دحومان الهاشمي، **المرجع السابق**، ص.180.

– زوايا الطرق الصوفية وهي مخصصة للاجتماع الدوري لأصحاب الطريقة، وتفقد أهميتها خارج المناطق الإقليمية لها، أو إن لم تكن هي الزاوية الأم، كما أن بعضها ما هي إلا أكواخ يُعطى التعليم في الهواء الطلق بالقرب منها.

❖ **القسم الثاني** ـ وهذا القسم صنف الزوايا إلى[1]:

– زوايا التعليم وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية تنتشر في منطقة ما من المناطق، وعادة ما تتواجد بالقرب من المساجد، ومهمتها تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية للأطفال بمختلف الأعمار.

– زوايا التربية وقد أسسها رجال التصوف كأماكن للعبادة والتربية والتعليم.

❖ **القسم الثالث** ـ والزوايا عند المنتمين لهذا القسم هي[2]:

– زوايا العلم والعبادة ومهمتها تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين ونشر القيم والفضائل الإسلامية، كما أنها أماكن لعبادة الله تعالى وذكره، وهذه الزوايا مركز لأحد مشاهير المرابطين مثل الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي[3]، والشيخ محمد الموسوم وغيرهما.

– زوايا البدع والخرافات والحفلات، وقد حمل شيوخ هذا النوع من الزوايا على عاتقهم مهمة تخدير الأمة وإلهائها عن عبادة الرحمان وعن العلم والتعليم، وتعطيلها عن اللحاق بركب الأمم المتقدمة، وذلك عن طريق نشر البدع والخرافات بين الناس، واستغفالهم بالسحر والشعوذة والدجل والخدع، وما يقام فيها من حفلات ولقاءات يختلط أثناءها الحابل بالنابل ويتعسر معها التمييز بين الذكر والأنثى، كتلك الحفلات واللقاءات التي يقيمها بعض أتباع العيساوية والحنصالية والعمارية.

ونعتقد أن هذا التقسيم الأخير هو الأقرب إلى واقع الزوايا خلال تلك الفترة التي هي موضوع دراستنا، وذلك لسببين:

– **أولهما:** أن من بين أصحاب هذا التقسيم أبو القاسم سعد الله وقد أشار إلى أن هذا التقسيم يخص الفترة التي يدرسها في ذلك الجزء من كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، وهذه الفترة تبين لنا أن هي القرن

(1) محمد الصالح حوتية، **المرجع السابق**، جـ.1، ص.233.

(2) محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص.14 ؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.3، ص.171.

(3) لقدأعطى لنا محمد بن أبي القاسم الهاملي من خلال علمه وخلقه ومظهره أفضل صورة ومثال عن العبد العابد الناسك الزاهد المتصوف. ينظر: **ملحق رقم(36)**.

الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بينما لم يحدد أصحاب التقسيمات الأخرى الفترة المعنية فيها الزوايا بهذا التصنيف.

- **ثانيهما:** اتضح لنا من خلال البحث في بعض المصادر والمراجع أن الزوايا هنا بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، لا تغدو أن تكون إلا أحد الاثنين، إما خادمة للوطن، وإما خادمة لمستعمر الوطن.

فالخادمة للوطن هي تلك الزوايا التي عملت جاهدة مجتهدة لنشر العلم والتعليم بين أبناء هذا الوطن الذين حرمهم المستعمر من حقهم هذا، كما أنها عملت أيضا على تهذيب النفوس وتدريبها على أعمال البر والإحسان كالتكافل الاجتماعي، ومن هذه الزوايا من شاركت هذا الشعب في ثوراته ومقاومته للعدو، بل كانت ومن خلال شيوخها هي من دبرت وخططت وقادت بعض هذه الثورات.

أما الزوايا الخادمة لمحتل الوطن فهي تلك التي عمل شيوخها عن قصد، أو عن غير قصد على تنفيذ مخططات المحتل الفرنسي التي تهدف إلى تجهيل الشعب الجزائري، وبث روح اليأس والقنط في نفسه، وجعل الخرافات والأساطير هي التي تتحكم فيه وتسيره وتوجهه، وتبعده عن واجبه المقدس الذي يتمثل في الجهاد ضد عدويه المحتل الفرنسي والجهل.

1-3- نماذج عن أشهر الزوايا:

بما أن جزائر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، هي جزائر الزوايا بامتياز بدليل أن تقارير سلطات الاحتلال الفرنسي في تلك الفترة، تتحدث عن وجود زاوية تقريبا في كل قبيلة من القبائل الريفية، كما جاء أيضا في إحصاء يعود لسنة 1265هـ/1851م أن عدد الزوايا في الأرياف يبلغ 593 زاوية[1]، وإذا أضفنا إليها زوايا المدن فإن العدد سيتضاعف مما يعني أن التطرق إليها جميعًا ليس بالأمر الهين، وهو ما جعلنا نقرر أن نأخذ نماذج عن أشهرها فحسب، لاسيما أن أغلب هذه الزوايا في الأصل ما هي إلا فروع تفرعت عن أخرى أكبر وأقدم منها، أو أنها تشترك فيما بينها في الطريقة التي تنتمي إليها.

وسنحاول أثناء عرضنا لهذه الزوايا أن نرتبها حسب انتمائها للطرق الصوفية وليس على أي أساس آخر.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، <u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>، ج.3، ص.173.

1-3-1- زوايا الطريقة القادرية:

- **زاوية القيطنة بنواحي معسكر:** أسسها الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي جد الأمير عبد القادر سنة 1199هـ/1785م، وكان قد أخذ الطريقة القادرية من أسلافه، ثم جدد أخذها من شيوخ الزاوية الأم ببغداد التي زارها ثلاث مرات، وبعد وفاته سنة 1212هـ/1798م خلفه على شؤون الزاوية من بعده ابنه محي الدين، ولما توفي هو الآخر سنة 1250هـ/1836م تولى شؤونها الأمير عبد القادر الذي جعل منها منبرًا للعلم والجهاد معًا. ويوجد بهذه الزاوية مسجد صغير باسم عبد القادر الجيلاني[1].
- **زاوية منعة بالأوراس:** أسس هذه الزاوية أحد أحفاد عبد القادر الجيلاني اسمه محمد بن إبراهيم بن موسى، وذلك في حدود القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي. وقد كانت أسرة ابن عباس التي يصعد نسبها إلى الشيخ إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني هي المشرفة على هذه الزاوية خلال العهد العثماني، وطيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وهي التي استضافت الحاج أحمد باي بعد سقوط مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين سنة 1251هـ/1837م[2].
- **زاوية ابن علي الشريف بشلاطة:** وتعرف أيضا بزاوية آقبو، وهي من أقدم وأشهر الزوايا العلمية بمنطقة القبائل، أسسها الشيخ موسى الشريف سنة 1114هـ/1700م الذي يصعد نسبه إلى القطب عبد السلام بن مشيش المتوفي سنة 624هـ/1228م، وهي متخصصة في تحفيظ القرآن الكريم[3]، إلا أنها فقدت بالتدرج مكانتها العلمية خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بعد أن قبل رئيسها عندئذ محمد السعيد بن علي الشريف (1234هـ/1820م-1310هـ-1896م) منصب باشاغا الذي قلده إياه الفرنسيون[4].
- **زاوية الشيخ ابن الأحول:** تقع بقرية وادي الخير شمال شرق مستغانم، وهي زاوية شلافة التي أسسها الشيخ سيدي قاسم حوالي سنة 1198هـ/1784م[5]، وطورها أحفاده الذين اشتهر منهم لحول عبد القادر شيخ الزاوية أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، والذي قيل أنه نصب

---

(1) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص-ص.325-326

(2) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وإنتشار طريقته**، ص.288

(3) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.301

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.3، ص.182

(5) بودواية بلحيا، **التصوف في بلاد المغرب العربي**، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، ط.1، 2009، ص.32

خيمة من الشعر وسط الزاوية كخلوة للذكر يجتمع فيها روحانيا برزخيا بروحانية الشيخ عبد القادر الجيلاني[1].

- **زاوية سيدي محمد المختار بن الأعمش الجكاني الموساني:** تقع هذه الزاوية في مدينة تندوف بأقصى الجنوب الغربي الجزائري، وقد تأسست سنة 1267هـ/1853م أو 1270هـ/1856م على يد الشيخ محمد المختار بن الأعمش المتوفي سنة 1287هـ/1873م عن عمر يناهز 83 سنة، وكانت هذه الزاوية مركز إشعاع ديني وعلمي تحدث عنها عدد كبير من الكتاب والمؤرخين، ولها مكتبة غنية بالكتب والمخطوطات في شتى العلوم[2].
- **زاوية رويسات:** تأسست سنة 1294هـ/1880م في منطقة رويسات بالقرب من مدينة ورقلة، ومؤسسها هو الشيخ محمد الطيب بن إبراهيم بن أحمد الشريف المتوفي سنة 1313هـ/1899م، وقد عملت هذه الزاوية على نشر الطريقة القادرية في أنحاء الجنوب الأوسط والشرقي[3].
- **زاوية الشيخ محمد بن أحمد الحفيان:** تقع في وسط مدينة ورقلة، ويوجد بها ضريح مؤسسها الذي قدم من الساقية الحمراء بالجنوب المغربي إلى ورقلة في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، واستقر بها واهتم بتعليم القرآن الكريم، وعلوم الدين، كما تولى الإمامة بالمسجد المالكي العتيق قبل أن ينشئ زاويته التي تنسب إليه[4].

1-3-2- زوايا الطريقة الرحمانية:

- **زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري:** تقع هذه الزاوية ببلدية آيت إسماعيل قرب بوغني ولاية تيزي وزو، وهي أول زاوية رحمانية تقام على أرض الجزائر، أسسها صاحب الطريقة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري خلال القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وإليه تنسب وكانت تتولى مهمة تحفيظ القرآن الكريم، ونشر الطريقة الرحمانية[5]، وذلك قبل أن يتم تخريبها من قبل المحتل الفرنسي سنة 1271هـ/1857م عندما دخل المنطقة[6]، ولكن أتباع الطريقة بالمنطقة أعادوا

---

(1) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، ص.920

(2) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص-ص.346-347

(3) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، ص.304

(4) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، الصفحة نفسها

(5) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.309

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.143.

بنائها وتم تدميرها مرة ثانية من طرف قوات الاحتلال الفرنسي سنة 1285هـ/1871م، ولم يتم إعادة بنائها إلا في سنة 1340هـ/1926م[1].

- **الزاوية الرحمانية بالجزائر العاصمة:** تأسست على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري خلال القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وقام بشؤونها من بعده مقدمون تابعون لخلفائه في زاويته الأم بآيت إسماعيل، أبرزهم الشيخ علي بن بلقاسم بن محمد سليل الولي سيدي علي موسى الذي شارك في ثورة 1285هـ/1871م، فوضع تحت الإقامة الجبرية بالجزائر العاصمة، وبقي شيخا للزاوية إلى أن توفي سنة 1318هـ/1904م[2].
- **زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي:** أسسها الشيخ عبد القادر بن عمر بن محمد بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن القاضي الحمامي سنة 1294هـ/1880م، وقد بلغ عدد الطلاب فيها على عهده 500 طالب، وظلت قائمة حتى سنة 1372هـ/1858م، أين أقدم المحتل الفرنسي على هدمها، وكان موقعها آنذاك في قرية الحمام دائرة الأخضرية ولاية البويرة حاليا[3].
- **الزاوية الرحمانية بقسنطينة:** أسسها الشيخ عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش باشتارزي المتوفي سنة 1220هـ/1806م، وهو تلميذ الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري وقد خلفه في مشيخة الزاوية بعد وفاته ابنه الشيخ مصطفى الذي ظل في منصبه إلى غاية وفاته سنة 1250هـ/1836م، ثم توارث أبناؤه وأحفاده المشيخة من بعده[4].
- **زاوية طولقة الرحمانية:** وتعرف أيضا بالزاوية العثمانية نسبة إلى الشيخ عثمان جد مؤسسها علي بن عمر (1166هـ/1752م-1256هـ/1842م)، وهي تقع بمدينة طولقة ولاية بسكرة، تم تأسيسها سنة 1184هـ/1780م وكانت ولازالت منارة من منارات العلم تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس مبادئ العلوم الإسلامية واللغة العربية، ويوجد بها ضريح مؤسسها الشيخ علي بن عمر، ومن أبرز شيوخها

---

(1) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.309.

(2) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، تقديم محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.1، 2009، ص.90.

(3) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص-ص.90-91

(4) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص-ص.101-109

خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، الشيخ علي بن عثمان بن علي بن عزوز (1228هـ/1814م-1312هـ/1898م)(1).

- **الزاوية الحفيظية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي والخيران:** أسسها الشيخ عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الشريف الخنقي بمنطقة سيدي ناجي بضواحي بسكرة، وتولى شؤونها بعد وفاته سنة 1264هـ/1850م ابنه أمحمد الأزهري الذي أنشأ زاوية أخرى في الخيران بجبل ششار قرب خنشلة وتوفي سنة 1310هـ/1896م عن عمر يناهز 59 سنة(2).
- **زاوية الصادق بن الحاج:** تم تأسيس هذه الزاوية من قبل الشيخ الصادق بن الحاج زعيم ثورة 1272هـ/1858م في قرية لقصر بجبل أحمر خدو قرب بسكرة، وظل يشرف عليها شخصيا إلى أن تم هدمها من قبل القوات الفرنسية بعد فشل ثورته سنة 1273هـ/1859م، وسجن هو في سجن الحراش الذي توفي فيه سنة 1276هـ/1862م أو 1277هـ/1863م، لكن أتباعه وبالتعاون مع ابنه الشيخ الطاهر أعادوا بنائها في تيميرسان (تيبرماسين)(3).
- **الزاوية المختارية بأولاد جلال:** تأسست سنة 1229هـ/1815م على يد الشيخ المختار بن خليفة المولود عام 1192هـ/1788م وتنسب إليه، وقد كانت كعبة طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم من واحات الزيبان ومنطقة الجلفة وغيرها، وكانت تقدم لهم الطعام وتوفر لهم المبيت، وقد تولى أمور هذه الزاوية بعد وفاة مؤسسها سنة 1264هـ/1850م، ابنه محمد الصغير الذي تطورت الزاوية على عهده وبلغ عدد طلبتها 500 طالب(4).

---

(1) سليمان الصيد، **تاريخ الشيخ بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص-ص.9-14 ؛ علي الرضا الحسني، **المرجع السابق**، ص، ص-ص.11، 21-22

(2) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص-ص.171-173

(3) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.6، 2009، ج.1، ص-ص.363-366 ؛ صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص-ص.279-280

(4) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع نفسه**، ص.259 ؛ محمد العربي حرز الله، **أولاد جلال أصالة-حضارة وتاريخ**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص.194

- **زاوية الهامل**[1]: أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي (1238هـ/1824م-1311هـ/1897م) سنة 1276هـ/1862م في مدينة الهامل بناحية بوسعادة، وكان الشيخ أبو القاسم الهاملي قد أخذ الطريقة الرحمانية عن الشيخ المختار الجيلالي بالزاوية المختارية في أولاد جلال[2].
- **الزاوية الحملاوية:** وهي من أكبر وأشهر الزوايا الرحمانية بشرق البلاد، أسسها الشيخ علي بن الحملاوي آخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بعد عودته من منفاه بكاليدونيا، وبعد خروجه من سجن تبسة الذي قضى فيه ثلاث سنوات بسبب مشاركته في ثورة 1285هـ/1871م[3].

1-3-3- زوايا الطريقة التجانية:

- **زاوية عين ماضي:** أسسها الشيخ أحمد بن محمد التجاني بعين ماضي الواقعة جنوب جبل عمور والتابعة حاليا لولاية الأغواط، وذلك سنة 1196هـ/1781م بعد أن تم له الفتح الكبير بأبي سمغون، لكن هذه الزاوية ما لبثت أن فقدت أهميتها ومركزها بعد أن غادرها مؤسسها إلى مدينة فاس المغربية سنة 1212هـ/1798م أين أسس زاوية هناك أصبحت هي الأم على حياته[4]، ولم تستعد زاوية عين ماضي نشاطها وحيويتها إلا بعد وفاة الشيخ أحمد التجاني في فاس سنة 1229هـ/1815م ورجوع خلفه إلى عين ماضي[5].
- **زاوية قمار:** يعتقد بعض الباحثين أن زاوية قمار هي أول زاوية تجانية في العالم، أسسها بعض أعيان بلدة قمار الواقعة بوادي سوف شرق جنوب الجزائر، التابعين للطريقة التجانية سنة 1204هـ/1790م، بأمر من الشيخ أحمد التجاني حينما زاروه في مقره بعين ماضي في تلك السنة، وقد توسعت بعد ذلك بفضل أبناء الحاج علي التماسيني المتوفي سنة 1258هـ/1844م، وذريتهم الذين كانوا يأتون إليها من تماسين خصوصًا في فصل الصيف[6].

---

(1) ينظر: **ملحق رقم(34)**

(2) منير القاسمي الحسني، **زاوية الهامل التاريخ المصور**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة- الجزائر، 1428هـ/2007م، ص-ص.21-36

(3) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص.111

(4) أحمد الأزمي، **المرجع السابق**، ص-ص.70-87

(5) عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار...**، ص.277

(6) عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص-ص.184-185

- **زاوية تماسين:** تأسست سنة 1214هـ/1800م ببلدة تماسين قرب تقرت على يد الحاج علي الينبوعي (التماسيني) المولود سنة 1180هـ/1765م، والمتوفي ـ كما أشرنا سابقا ـ سنة 1258هـ/1844م، وقد كانت هذه الزاوية على عهد مؤسسها الذي تولى مشيخة الطريقة التجانية بعد وفاة أحمد التجاني بمثابة الزاوية الأم، كما انخرطت من خلال مواقف وأدوار بعض شيوخها في الحياة السياسية بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي[1].

1-3-4- زوايا الطريقة الشاذلية وفروعها:

- **الزاوية الشاذلية بقصر البخاري:** تأسست هذه الزاوية في حدود سنة 1279هـ/1865م بقصر البخاري جنوب ولاية المدية على يد الشيخ محمد الموسوم بن محمد بن رقية المولود سنة 1234هـ/1820م ببلدية جندل في نواحي مليانة، والمتوفي سنة 1297هـ/1883م[2].
- **زاوية وزرة:** وهي تابعة للطريقة العيساوية ـ فرع من فروع الشاذلية ـ أسسها أحد أحفاد الشيخ علال المغربي، سنة 1286هـ/1788م ببلدة وزرة قرب مدينة المدية، وقد اشتهرت بمقاومتها للاحتلال الفرنسي إلى سنة 1256هـ/1842م تاريخ احتلال المدية[3].
- **الزاوية الكرزازية الشاذلية:** تقع في الجنوب الغربي للجزائر، وبالضبط جنوب القنادسة في الطريق المؤدي إلى توات، تأسست على يد الشيخ أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز المولود سنة 907هـ/1505م، والمتوفي سنة 1016هـ/1608م[4].
- **الزاوية الزيانية الشاذلية:** تقع بالقنادسة في الجنوب الغربي الجزائري، تأسست على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن بوزيان المتوفي عام 1147هـ/1733م[5].
- **زاوية أولاد سيدي الشيخ:** أسسها أبناء الشيخ عبد القادر بوسماحة الذي يدعى بسيدي الشيخ بعد وفاته سنة 1024هـ/1616م بمدينة البيض، وهي تتفرع إلى ثلاث زوايا رئيسة، اثنتان في الناحية الشرقية (الشراقة)، وواحدة غربية (الغرابة)، وتسمى الأولى الزاوية الأم أو زاوية سيدي الشيخ، وقد هدمها

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.219-236

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.70-73

(3) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص-ص.115-116

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.88

(5) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.123

الجيش الفرنسي سنة 1295هـ/1881م، لكن أحفاد سيدي الشيخ أعادوا بنائها سنة 1297هـ/1883م، والزاوية الثانية تسمى زاوية الحاج بوحفص، أما الثالثة فهي زاوية الحاج عبد الحكيم[1].

1-3-5- زاويا الطريقة السنوسية:

وعلى حد علمنا لا يوجد للطريقة السنوسية بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، إلا زاوية واحدة تقع بنواحي مستغانم، أسسها الشيخ طكوك الشارف ولد الجيلاني عبد الله بن طكوك سنة 1273هـ/1859م وتنسب إليه[2].

2- الأضرحة:

2-1- تعريف الضريح:

تعددت التعريفات التي تناولت معنى الضـريح تبعًا للهدف الذي أعد من أجله، فقال بعضهم إن (الضريح مكان يدفن فيه المسلمون)[3]، وقال آخرون (الضريح [القبلة] بأنه بناية تضم قبر الولي [المرابط] وأحيانا قبور بعض أسرته أيضا. وقبر الولي يكون عادة مرتفعا ومغطى بتابوت خشبي عليه أقمشة حريرية مذهبة وملونة ومحاط بشباك، ومعلقا عليه مصباح شرقي الصنعة، وتكون الأعلام والرايات التي ترجع إلى الطريقة التي ينتمي إليها إن كان من أصحاب الطرق، معلقة عليه أو تتدلى منه، إضافة إلى غرفة خاصة بالوكيل الذي يسهر على الضريح ويجمع الزيارات والتبرعات، ويصون القبة والضريح بالزينة)[4].

أما نحن فنعرفه على أنه بناء مربع أو مستطيل الشكل مغطى بقبة، يضم رفات أحد الأولياء أو المرابطين، ويبنى مستقلاً أو ملحقا بزاوية ومصلى، وقد تحيط به قبور بعض الموتى من أهل المنطقة التي يتواجد بها، كما في ضريح سيدي إبراهيم المتواجد وسط مدينة آريس الواقعة في جبال الأوراس[5].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص، ص.103، 110

(2) عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص–ص.158–159 ؛ صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.134

حسب بعض المصادر الفرنسية فإن الشيخ الشارف بن طكوك بإمكانه أن يحشد عشرين ألفا من العرب بمنطقة مستغانم ضد السلطات الفرنسية، لكنه لم يفعل، بل كان يدعوا الناس إلى الهدوء. يراجع:

Charles- Robert. AGeron, **Les Algériens musulmans et la France 1871-1919**, Presses Universitaires de France, Paris, 1968, T.1, P.309

(3) كمال الدين سامح، **العمارة الإسلامية في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991، ص.15

(4) كمال دحومان الهاشمي، **المرجع السابق**، ص.197

(5) ينظر: **ملحق رقم (35).**

2-2- بعض أشهر الأضرحة:

لقد كانت الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، تعج بالقباب والأضرحة، (فلا توجد أي قرية أو مشتى أو زريبة أو دشرة ليس لها سيد صالح)[1]، وعلى سبيل المثال قدر عدد الأضرحة بمدينة الجزائر لوحدها بـ 32 ضريحًا، وما لم يذكره الباحثون أكثر بكثير مما ذكروه[2]، وبالتالي يصعب علينا إحصاءها أو ذكرها جميعا، وعليه فإننا سنقتصر على ضريح واحد من كل منطقة كنموذج عن بقية الأضرحة.

- **ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي:** موجود بمدينة الجزائر العاصمة في مكان يقع على ربوة خارج باب الواد يعرف آنذاك بجبانة الطلبة، وهو مزارًا يتبرك به[3].
- **ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمان:** يقع بالحامة في الجزائر العاصمة، وتتبعه مقبرة إسلامية كبيرة، وهو مزارًا لكثير من الناس في مختلف المواسم والمناسبات، لاسيما أتباع الطريقة الرحمانية التي أسسها[4].
- **ضريح سيدي أحمد أودريس:** يوجد في آخر سلسلة جبال جرجرة، وهو يطل على وادي الصومام، ويظم زاوية تعرف باسمه أي زاوية أودريس، وهو الآخر مزارًا لكثير من سكان المنطقة على مدار الأسبوع، وعلى مدار السنة[5].
- **ضريح أبو مدين شعيب:** وهو من المزارات المشهورة لدى كثير من سكان الغرب الجزائري، ويتواجد بمنطقة العباد ولاية تلمسان[6].

---

(1) إدموند دوتي، **المصدر السابق**، ص.84.

(2) Albert Devoulx, « Les Edifices Religieux de L'ancien Alger », **in R.A**, Volume 6, A. Jourdan, Alger, 1862, P-P.186-449.

ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.1، 2001، ص.277 ؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، ص.126.

(3) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث الجزائر - المدية- مليانة في موسمها الألفي 360-1370هـ/970-1971م**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2007، ص.173 ؛ محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.337.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، ص.135.

(5) محند أكلي حديبي، **المرجع السابق**، ص-ص.18-30

(6) مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 1981، ص-ص48-49

- **ضريح سيدي مدين بقسنطينة:** يقع بمحل يقال له آكدال خارج مدينة قسنطينة، وعليه مسجدًا يسمى جامع سيدي مدين(1).
- **ضريح سيدي سليمان المجدوب:** يقع بضواحي قسنطينة ويستقبل عدد كبير من الزوار في مختلف المواسم(2).
- **ضريح سيدي إبراهيم:** يعتقد أنه يعود لإبراهيم بن عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة، لذلك يعتبر من المزارات المشهورة بمنطقة الأوراس، وهو يقع بمدينة آريس التابعة لولاية باتنة حاليًا(3).
- **ضريح سيدي خالد:** وهو من المزارات الشهيرة بمنطقة الزيبان، يتواجد بمدينة سيدي خالد الواقعة بنواحي بسكرة، ويعتقد أنه يعود لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام، لذا كان مزارًا ومقصدًا لكثير من الناس الذين يأتون إليه من مناطق مختلفة حتى من خارج الجزائر، وهو يظم مسجدًا وزاوية أو مدرسة قرآنية(4).
- **ضريح الشيخ أبي عبد الرحمان القرطبي:** يوجد في وادي ميزاب، ويقال أن صاحبه كان معتزليًا ثم تمذهب بالمذهب الإباضي، وهذا الضريح كان يزار وتقدم عنده الصدقات(5).

3- أسباب انتشار الزوايا والأضرحة في بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي:

نعتقد أن ظاهرة انتشار الزوايا والأضرحة في الجزائر بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كانت كنتيجة حتمية لتراكم وتضافر عدة أسباب وهي:

3-1- أسباب سياسية:

لقد سبق وقلنا أن العثمانيين عند دخولهم إلى الجزائر سارعوا إلى ربط علاقات وطيدة مع رجال الدين والتصوف والمرابطين، لكونهم أقرب الناس إليهم، وكانوا يطمئنون إليهم أكثر من غيرهم، ويطلعونهم على خططهم ومشاريعهم ونحو ذلك، ويلجئون إليهم في أوقات الشدة ويتبركون بهم، لأنهم وحدهم القادرين

---

(1) عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.1، 1408هـ/1987م، ص-ص177-178

(2) جميلة معاشي، **الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية بقسنطينة من خلال سجل مراسلات لجنة الشؤون الدينية (1885 ـ 1904م)**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة ـ الجزائر، ط.1، 1433هـ/2012م، ص.23.

(3) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص-ص.277-278 ؛ ينظر: **ملحق رقم (35).**

(4) مولاي بالحميسي، **المرجع السابق**، ص.103.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.283.

على زعزعة استقرار هؤلاء العثمانيين، وتهديد سلطتهم من خلال إلقاء لعناتهم عليهم، أو من خلال قدرتهم على تعبئة الناس وتجنيدهم ضدهم.

لذلك كان العثمانيون يكثرون من الهدايا والعطايا لرجال الدين عامة، وخصوصا المرابطين، ويتقربون إليهم بشتى الوسائل، كبناء الأضرحة والزوايا والوقف عليها[1]، مثلما فعل الباي محمد الكبير الذي بنى ضريح الولي محمد بن عودة في نواحي غليزان، وبنى ضريح الولي أحمد بن يوسف في مليانة[2]، وكان بايات قسنطينة يعفون عددًا من الزوايا والأضرحة من دفع الضرائب[3] مما دفع ببعض المتطفلين والانتهازيين إلى ادعاء العلم والولاية، حتى يتمكنوا من إنشاء الزوايا ويعفون من دفع الضرائب، وتقام لهم أضرحة عند وفاتهم تكون بمثابة مصدر رزق وعيش لورثتهم من بعدهم[4].

وبهذا الشكل كثرت الأضرحة والقباب وزاد عدد الزوايا التي يعود بعضها لأناس قدموا إما من المشرق أو المغرب، وأضحت المدن والقرى الجزائرية تعج بعديد الزوايا والأضرحة أو القباب، التي يلتف حولها الناس إما للتبرك، وإما للزيارة والتقرب، وإقامة الحضرة وتقديم القرابين[5]. وقد استمرت الأوضاع على هذه الحال حتى قدوم الفرنسيين إلى الجزائر أين بدأ عدد الزوايا يتراجع بسبب سياسة القمع التي طالتها.

3-2- أسباب اجتماعية:

بسبب سياسة القمع والاضطهاد التي مارستها السلطة التركية العثمانية أواخر عهدها هنا بالجزائر ضد الأهالي، ومارستها من بعدها أيضا سلطة الاحتلال الفرنسي ضدهم، فإن كثيرًا من الجزائريين وجدوا أنفسهم مشردين إما طواعية من خلال مغادرتهم لبيوتهم وممتلكاتهم، وذلك للحفاظ على أرواحهم وأرواح عائلاتهم من بطش هاتين السلطتين، وإما كراهية بعد أن وجدوا أنفسهم بدون مأوى ومآكل وملبس بسبب مصادرة ممتلكاتهم وأموالهم، وقد ساهمت بعض الظروف الطبيعية كالجفاف، والجراد والمجاعة التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة من تأزم أوضاع هؤلاء المشردين الذين زاد عددهم، وازدادوا فقرًا ومعاناة.

وأمام هذه الأحوال المزرية لم يبق لهؤلاء البؤساء من سبيل، سوى سبيل الزوايا والأضرحة والقباب التي كانت توفر لهم، ولغيرهم من الفقراء والمساكين، وعابري السبيل الطعام والشراب، بل والمأوى

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص469-470

(2) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، **المصدر السابق**، ص.132

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.470

(4) قد تحدث عن هؤلاء عبد الكريم الفكون في كتابه منشور الهداية الذي سبق وأن استخدمناه في التهميش.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص-ص.466-467

أيضا[1]، وكانت تبعث في نفوسهم الراحة والطمأنينة حينما يكونون بداخلها أو بجوارها، وكل من يلتجئ إليها خلال العهد العثماني يكون آمنًا طيلة بقائه فيها، ولو تمرد على السلطة أو ارتكب جريمة قتل[2].

كما أن شيوخ هذه الزوايا والأضرحة ساهموا في كثير من الأحيان، في فك النزاعات التي كانت قائمة بين القبائل، وقاموا بإزالة الخلافات بين أفراد المجتمع[3]، وهو ما دفع بكثير من المحسنين إلى المساهمة في بناء هذه الزوايا والأضرحة، أو المساهمة في إعادة بنائها وترميمها، والإغداق عليها بالتبرعات والأوقاف، فازداد عددها بهذا الشكل وكثرت وتنوعت.

3-3- أسباب ثقافية:

في وقت ساد فيه الجهل والخرافة، وتفشت الأمية بشكل رهيب بسبب إهمال الحكام العثمانيين للعلم من جهة، وبسبب تعمد السلطة الفرنسية تجهيل الشعب الجزائري من جهة أخرى، نجد أن الخرافة كانت هي الطابع الذي غلب على حياة الناس الذين كانوا يربطون كل حادث اجتماعي أو سياسي بتدخل هذا الوليّ أو ذاك، أو بدعاء هذا الوليّ أو ذاك[4]، لذلك تجدهم يسارعون إلى تقديس هذا الوليّ بعد وفاته مثلما كانوا يقدسونه في حياته، فيقومون ببناء قبة أو ضريح على قبره قد يكون مرفوقا بمسجد أو مصلى وزاوية، وذلك تخليدًا لروحه وتبركًا به، وحتى يكون هذا الضريح مزارًا لهم يدعون عنده، ويقدمون له النذر والصدقات. وقد ثبت أن الحكام الأتراك ذاتهم كانوا يقومون بمثل هذه الأفعال، فصالح باي قد بنى قبة في المكان الذي قتل فيه المرابط محمد الغراب بعد أن تحولت جثته إلى غراب مخيف تطيّر منه الباي[5].

ولمحاربة هذا الجهل الذي ضرب المجتمع في صميمه وهدده في عقيدته، نجد أن بعض رجال العلم والتصوف خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، لاسيما أتباع الطريقة الرحمانية، قد حملوا على عاتقهم هذه المهمة الشاقة، وهرعوا إلى إنشاء الزوايا لنشر التعليم من جهة، ونشر أوراد الطريقة من جهة أخرى، ومن بين هؤلاء الصادق بن الحاج شيخ زاوية سيدي مصمودي،

---

(1) مزيان سعيدي، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871هـ-1914م)**، دار سنجاق الدين للنشر والتوزيع، د.ب، ط.1، 1431هـ/2010م، جـ.2، ص.249

(2) كمال دحومان الهاشمي، **المرجع السابق**، ص.199

(3) مسعودة عطا الله، « الدور الاجتماعي والعلمي والسياسي للزوايا »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة- الجزائر، ط.1، 2015، ص.90

(4) كمال دحومان الهاشمي، **المرجع السابق**، ص.199

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.271

والهاشمي دردور شيخ الزاوية الدردورية بالأوراس، ومحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الهامل[1]. وبهذا شكل زاد عدد الزوايا وانتشرت في القرى والجبال والبوادي.

3-4- أسباب اقتصادية:

نظرًا لضآلة موارد خزينة الأيالة الجزائرية في بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بسبب تراجع عمليات الجهاد البحري، وتزايد مطالب موظفي مختلف المؤسسات، في الوقت الذي لم يشهد فيه الاقتصاد أي تطور لزيادة الإنتاج، وتنويع مصادر الدخل لتغطية مختلف النفاقات[2]، لجأت السلطة إلى انتهاج سياسة مالية تقوم على عمليات المصادرة، والتغريم والعزل من المناصب للحصول على الثروات والأموال[3].

وبما أن الوقف يجعل ثروات الناس في منآى عن المصادرة ووضع اليد عليها من قبل السلطة، وانتزاع الملكية لأي سبب من الأسباب، كما أنه يحد من أطماع الحكام وجورهم، فقد لجأ معظم أصحاب الثروات والأملاك إلى وقف ممتلكاتهم، وقفا أهليًا[4]، ينتقل في أغلب الأحيان وبعد انقراض العقب إلى إحدى المؤسسات التي قد تكون زاوية أو ضريح.

ولنا في وثائق المحاكم الشرعية التي تعود لتلك الفترة خير مثال على ذلك، فقد وجدنا في بعضها أن بستان أحمد التركي ببير طريلية محبس بعد انقراض العقب على ضريح الوالي سيدي عبد الرحمان الثعالبي بتاريخ أوائل جمادى الأولى سنة 1230هـ/1816م، وبستان بحيدرة محبس أيضا على ضريح سيدي عبد الرحمان سنة 1227هـ/1813م، وبستان بالأبيار محبس على ضريح سيدي محمد الشريف الزهار، وبستان بمجبر قرب الباب الجديد محبس كذلك على ضريح سيدي محمد الشريف الزهار[5].

---

(1) للمزيد من المعلومات عن حياة هؤلاء الشيوخ. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.154-162

(2) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط.2، ص.247.

(3) Hamdane Ben- Othman Khodja, **Aperçu historique et statistique sur La régence d'Alger- intitulé en arabe- Le miroir**, Goetschy Fils, Paris, 1833, T.1,P.120

(4) ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية...**، ص.189.

(5) أ. و. ج، و. م. ش، ع.1-6، و.19-27 ف؛ ع.18، و.135-136ف؛ ع.84-85-86، و.6-13ف.

وكان الناس يميلون بأوقافهم إلى الزاوية أو الضريح أكثر من ميلهم إلى المسجد أو المدرسة لاعتقادهم أن جزاءهم يأتي بسرعة، وأن ذنوبهم تغتفر في الحال، إذ يكفي أن يرضى عنهم الشيخ أو الوليّ ويمنحهم بركاته[1].

ولم يكن الوقف مقتصرًا على عامة الناس فحسب، بل تعداهم إلى طبقة الحكام الذين كانوا يشجعونه ويرعونه بدافع الورع والتقوى والتقرب إلى الله، أو سعيا للحصول على تأييد ومعاضدة السكان المحليين، حتى لا تؤثر عليهم دعاية أعدائهم، أو وفاء بنذر ضربوه على أنفسهم حتى يرفعوا من معنويات جنودهم أثناء المعارك[2]، كالنذر الذي قطعه حسين بن صالح باي قسنطينة على نفسه سنة 1221هـ/1807م[3].

ورغم كثرة الأوقاف وتنوعها إلا أننا نعتقد أنها لم تكن لوحدها سببا في انتشار وازدياد عدد الزوايا والأضرحة، إذ أن السياسة الضريبية التي انتهجتها السلطة، والتي تعفي أغلب هذه الزوايا والأضرحة من دفع الضريبة ساهمت هي الأخرى في الرفع من أعدادها وتوسيع مناطق انتشارها، ولا نستبعد أن يكون هناك من استغل تلك الامتيازات التي منحتها السلطة لهاته الأماكن المقدسة، وعمل على حماية أمواله وممتلكاته من الضرائب والمصادرة، فقام ببناء زاوية أو ضريح ثم أوقف عليه كل ما يملكه.

4- مصادر تمويل الزوايا والأضرحة:

للزوايا والأضرحة موردان ماليان هامان هما: الأوقاف والصدقات.

4-1- الأوقاف:

تعتبر الأوقاف أهم مصدر لتمويل الزوايا والأضرحة، إذ لا يوجد ضريح من أضرحة أولياء الله الذين يعتقد أن لهم كرامات ومعجزات، ولا زاوية من الزوايا التي يديرها أحفادهم إلا وكانت لهما أوقاف-

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.270.

(2) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر...**، ص.143.

(3) وقد جاء في نص الوثيقة المتعلقة بهذا النذر: « ليعلم من يقف على أمرنا هذا... أننا شهدنا على أنفسنا... وهو أن قدمنا تونس ومحالنا وعسكرنا وسهل الله أمرها علينا وأخذناها، فالشيخ سيدي العريان والسيد محمد بن سي السعيد ما يحتاجوه منا من بناء دار تكون بقربه وإصلاح مسجده، وتجعلوا له أوقافا معلومة يستعينون بها على الطلبة وضيافة الغرباء والواردين عليهم من أبناء السبيل ». يراجع:
L.ch.Feraud, « Un Voeu d'Hussein Beu de Constantine 1807 », **in R.A**, Volume7, A. Jourdan, Alger, 1863, P-P.91-92

أحباس- تتمثل في الأراضي الزراعية[1]، التي يتولى السكان العمل فيها مجانًا من أجل بركات الوليّ أو الشيخ، أو تتمثل في الدكاكين والمحلات التي يعود ريعها لهذا الضريح أو الزاوية[2].

وقد تكاثرت أوقاف هذه الزوايا والأضرحة، وتضخمت عائداتها لاسيما في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، حيث أصبحت مدينة الجزائر وحدها تضم أملاكًا موقوفة على تسعة عشر وليًا، يأتي في مقدمتهم ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي الذي تضاعفت أوقافه من أحد عشر وقفًا في بداية القرن، إلى ما يزيد عن اثنين وثمانين وقفا عشية الاحتلال، قدرت عائداتها السنوية سنة 1251هـ/1837م بستة ألاف فرنك، يوزع جزء هام منها على فقراء مدينة الجزائر، مما تطلب استحداث هيئة إدارية تتولى تسيير هذه الأوقاف والإشراف عليها، تتكون من شيخ الحضرة ووكيل وشاوش وثلاثة أئمة وثلاثة حزابين وأربعة قراء[3]. وقد كانت السلطة الحاكمة في الجزائر قبل 1244هـ/1830م، شكلت جهازًا إداريا يتولى الإشراف على أوقاف هذه المؤسسات الدينية جميعًا، يعرف بمؤسسة أوقاف الأولياء والمرابطين، يتولى تسييره وكيل المرابطين[4].

والشيء الذي يلاحظ على هذه الأوقاف أنها لم تكن تقتصر على الأراضي والعقارات فحسب، بل تعدت إلى أشياء أخرى منها ما هو في نظر البعض بسيط ومن غير أهمية، كالأثاث والأواني المنزلية، كما أن الموقفون كانوا من الجنسين ومن جميع الطبقات والفئات، حيث نجد سيدة تسمى دومة بنت محمد قد أوقفت أواني مطبخها النحاسية، لفائدة ضريح عبد الرحمان الثعالبي على أن يكون إصلاح هذه الأواني من مدخول آخر تملكه[5].

4-2- الصدقات:

وهي كثيرة ومتنوعة وتختلف من زاوية إلى أخرى، ومن ضريح إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، ويمكن أن نلخصها فيمايلي:

---

(1) كمال دحومان الهاشمي، **المرجع السابق**، ص.201

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.284-285

(3) ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية...**، ص-ص.277-278

(4) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر...**، ص.142

(5) أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ط.خ، 2007، ص.56

4-2-1- الغفارة:

وهي عبارة عن مزود[1]، مليء بالقمح والتمر يكفي مئونة طريق يقدمها كل فرد ذكر بلغ سن الثامنة عشر من عمره لزاويته، ويزيد أتباع زاوية سيدي الشيخ علاوة على ذلك حملاً صغيرًا لزاويتهم[2].

4-2-2- لعشور (العشر):

قد فرضت بعض الزوايا، كزاوية أودريس على أتباعها أن يقدموا لها سنويا عشرة $^{1}/_{10}$ من محاصيلهم الزراعية التي تتمثل في القمح والشعير والتين المجفف وغيرها، وجرت العادة أن تكون عينًا لا نقدًا[3].

4-2-3- الزيارة:

وهي مشتركة بين مختلف الزوايا وأيضا كل الأضرحة، وتعني ذهاب الشخص وتوجهه إلى الزاوية باعتبارها مكان معظم دينيا، وشيخها شخص مقدس، أو ذهابه وتوجهه إلى الضريح باعتبار صاحبه من أولياء الله المقربين، وهي عادة مرفوقة بالعطاءات من أموال وغيرها، وقد تكون واجبة على بعض الإخوان الذين ينتمون لزاوية طرقية، وهم يدفعونها عن طيب خاطر، أما إذا تخلف أحدهم عن الدفع فإن المقدم يرسل إليه شاوشا لأخذها، وبهذا الشكل فهي ضريبة تدفع للمقدم علامة على الإخلاص والطاعة[4].

4-2-4- الهدية:

خاصة بالزوايا إذ يقوم بعض الأشخاص لاسيما ذوي النفوذ والسلطة بتقديم بعض الهدايا كأن تكون أمولاً أو غيرها لشيخ الزاوية أو المقدم اتقاء للعنته، وهي واجبة على الإخوان في الزاوية الطرقية، إذا أخلوا بواجباتهم التي ينص عليها النظام الداخلي لهذه الزاوية، أو تهاونوا في أداء الشعائر المطلوبة منهم[5].

4-2-5- النذر:

وهي أن يقطع شخص ما عهدًا على نفسه، بأن يقدم شيئا ما كأن يكون مالاً أو غيره للضريح الفلاني أو الزاوية الفلانية، إذا ما مكنه الله عز وجل من أمر ما كأن ينجح في دراسته، أو يرزقه بذرية، أو ينتصر في معركة إن كان قائدًا، كالنذر الذي قطعه حسين باي قسنطينة على نفسه[6].

---

(1) المزود عبارة عن كيس من جلد الماعز. يراجع:
Le Commandant. Déporter, **La question du Touat au Sahra algérien**, Fontana, Alger, 1891, P.52

(2) فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص.109.

(3) محند أكلي حديبي، **المرجع السابق**، ص.140.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.20.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.21.

(6) L.ch. Feraud, **Op.cit**, P-P.91-92

الفصل الثالث:

علاقة التيار الصوفي بالسلطة الحاكمة

في الجزائر

أولا: علاقته بالسلطة التركية العثمانية من 1214هـ/1800م إلى 1244هـ/1830م.

1- مظاهر التقارب

2- مظاهر التنافر

ثانيا: علاقته بالسلطة الاحتلالية الفرنسية من 1244هـ/1830م إلى 1313هـ/1899م.

1- تيار مقاوم

2- تيار مقاوم ثم متخاذل

3- تيار متقلب في مواقفه

4- تيار محايد ثم متعاون

5- تيار متعاون

أولا- علاقته بالسلطة التركية العثمانية من 1214هـ/1800م إلى 1244هـ/1830م:

بعد فترة طويلة استمرت إلى غاية منتصف القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، كانت خلالها العلاقة بين التيار الصوفي والحكام الأتراك العثمانيين ـ هنا بالجزائر ـ تتسم بالتقارب، إذ عرف هؤلاء الحكام كيف يكسبون ودّ وتأييد رجال الدين وشيوخ الطرق والزوايا، أضحت هذه العلاقة في أواخر القرن السالف الذكر وطيلة الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي تتصف بنوعين من المظاهر وهما: التقارب مع الطرق التي يعتبرها هؤلاء الحكام صديقة وموالية لهم، والتنافر مع تلك الطرق التي يعتقدون أنها متمردة عليهم وعدوة لهم.

1- مظاهر التقارب:

نظرًا لما كان يتمتع به شيوخ الزوايا والطرق الصوفية من نفوذ قوي، وكلمة مسموعة بين الأهالي وفي كثير من المناطق الجزائرية، لاسيما في الجبال والصحراء، فقد سعت السلطة التركية العثمانية جاهدة إلى كسب ودهم وتأييدهم ومساندتهم[1]، فكان بعض الحكام يكثرون من زيارة هؤلاء الشيوخ في خلواتهم، وفي مساجدهم ويترجونهم بالدعاء لهم، ويحرصون على التقرب منهم من خلال الإغداق عليهم بمختلف العطايا والهدايا والامتيازات، واقتطاع الأراضي[2]، إضافة إلى إصدار الفرمانات التي تخدمهم وتعفيهم وزواياهم من المطالب المخزنية[3]، ولنا في الرسالة التي وجهها الحاج أحمد باي سنة 1242هـ/1828م إلى إحدى العائلات المرابطية التي كان لها نفوذ وتأثير كبير بمنطقة بلزمة في جبال الأوراس أحسن شاهد على ذلك[4].

وفي مقابل هذه الامتيازات كان هؤلاء الشيوخ يحرصون على تقديم خدمات لهذه السلطة، ويقومون بدور المدافع عن مصالحها في مناطق نفوذهم، وهذا ما استنتجناه من أحد بنود القوانين العرفية التي كانت تنظم الحياة العامة بمنطقة القبائل والذي نص على مايلي: (إن المرابطين حرمة، يأخذون من الأعراش أعشار الزرع، والتين، والزيت. فالأعراش التحاتة، تدفع لأولاد سيدي حمزة، والأعراش الفواقة،

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 2009، ص-ص.430-431

(2) محمد سعيدي، « التصوف وتجلياته الأخلاقية والمعرفية والسياسية في الفكر الاجتماعي العربي المعاصر»، **مجلة الحياة الثقافية**، العدد239، وزارة الثقافة، تونس، مارس 2013، ص.109.

(3) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية...**، ص.431.

(4) ناصر الدين سعيدوني، « ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال »، **مجلة التاريخ**، العدد07، الجزائر، 1979، ص-ص47-66

تدفع للشرفاء والمرابطين. ولما يخرج السلطان لمحاربة القبايل، يدفع لزواياهم الثيران، والسناجق للمساجد، وعدة منه. والمرابطون يأمرون أعراشهم إلى طاعة المخزن والعافية)[1].

وقد كان شيوخ زاوية بن عباس القادرية بمنطقة منعة في جبال الأوراس يعملون على تأمين الطرق عبر مضائق واد عبدي رغم حالة التمرد التي كان عليها الأهالي في تلك المناطق، وذلك حتى يتسنى للحامية التركية ببسكرة تجديد أفرادها بعد انتهاء مدة خدمتهم العسكرية[2].

كما أن بعض شيوخ الزوايا والطرق الصوفية كانت لهم مهام أخرى تتمثل في إيصال جرايات الجند المقيمين في الحاميات العسكرية[3]، وكمثال على ذلك كان الشيخ المقراني مقدم الطريقة الرحمانية في منطقة القبائل الصغرى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، مكلفا بنقل مرتبات الجنود من قسنطينة إلى مدينة جيجل[4]، كما كان هؤلاء الشيوخ يقومون بدور الوساطة بين السلطة والقبائل الثائرة، تهدئة للأوضاع وتجنبًا لإراقة الدماء[5].

ويعزو بعض الباحثين هذا التقارب إلى كون السلطة تعتقد أن هؤلاء الشيوخ يتمتعون فعلا بمكانة خاصة عند الله، من الممكن أن تساعدهم وتعينهم في أمور دينهم وأخراهم، أو لاكتساب ود العامة عن طريقهم بالنظر إلى الاحترام الكبير الذي يتمتعون به من قبلهم[6]، كما يمكن أن يكون قصد السلطة هو الحصول على حيادهم إن لم يكن دعمهم أثناء حملاتها على القبائل الثائرة[7].

---

(1) أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط.1، 2009، ص.251 نقلا عن:

A. Bernard Et L. Milliot, « Les Qanouns kabyles dans l'ouvrage de Hanteau et le tourneux », **in R. E. I**, Lib. Orientaliste P. Geuthner, Paris, 1933, P.44.

(2) E. Masqueray, **Note concernant les Aoulad- Daoud du Mont Aurès**, A. Jourdan, Alger, 1879, P.29

(3) أرزقي شويتام، **المرجع السابق**، ص.250

(4) L.Charles Feraud « Exploitation des Forets de La Karasta dans La Kabilie Orientale, Sous La Domination Turque », **in R.A**, N°13, A. Jourdan, Alger, 1869, p.158

(5) M. Rozet et Carette, **Algérie**, éd. Bouslama, Tunis, 2é. Edition, 1980, P.11

(6) عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13 – ق15م) دراسة في التاريخ السوسيو – ثقافي**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، 2003، ص.230

(7) أرزقي شويتام، **المرجع السابق**، ص.251

نشير هنا إلى أن شيوخ الزوايا والطرق الصوفية كثيرا ما دعموا السلطة في حملاتها ضد القبائل الثائرة حتى قبل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وكمثال على ذلك فإن مرابطو سيدي علي موسى قد ساعدوا محمد الذباح باي التيطري على إخضاع قبائل معاتقة بمنطقة القبائل سنة 1168هـ/1754م. يراجع:

J. N. Robin, « Le bey Mohammed ed- Debbah », **in R.A**, N°17, Office des publications universitaires, Alger, 1873, p.267

أما نحن نعتقد أن هذا التقارب كان بسبب حاجة كل طرف إلى الآخر، بدليل أن كل واحد منهما لا يتوانى في إشهار السيف في وجه الآخر كلما ظن أنه أخل بما أتفق عليه، أو أنه يشكل مصدر تهديد لمصالحه التي لا يمكن التفريط فيها تحت أي ظرف من الظروف.

2- مظاهر التنافر:

بعد أن تراجعت موارد الخزينة بسبب قلة مغانم الجهاد البحري منذ بداية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، تحول نظر السلطة الحاكمة في الجزائر في تلك الفترة إلى داخل البلاد لإيجاد مصادر دخل قارة، الأمر الذي أحدث نوعًا من التوتر في العلاقة بينها وبين بعض شيوخ الزوايا والطرق الصوفية الذين ازداد التحامهم بالأهالي، وأصبحوا في أغلب الأحيان المتكلمين باسمهم، والمدافعين عن مصالحهم، والمعبرين عن آرائهم ومواقفهم، واستمر هذا التوتر حتى اتخذ صفة عداء سافر وصراع محتد بين الطرفين مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وبداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، تجسد في شكل ثورات وطنية، وانتفاضات شعبية قادها هؤلاء الشيوخ ضد هذه السلطة[1]. ونذكر من بين هذه الثورات مايلي:

2-1- ثورة درقاوة في الشرق الجزائري:

في مستهل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي وبين سنوات 1215هـ/1801م ـ 1219هـ/1805م اندلعت ثورة في منطقة جيجل ضد السلطة الحاكمة آنذاك في الجزائر ـ الأتراك العثمانيين ـ وقد توسعت شرارتها لتشمل جميع الأعراش المحيطة بالمدينة قبل أن تمتد شرقا لتتمركز في منطقة وادي زهور جنوب الميلية[2].

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **المرجع السابق**، ص-ص.38-39

(2) علي خنوف، **تاريخ منطقة جيجل قديمًا وحديثًا**، منشورات الأنيس، الجزائر، ط.1، د.ت، ص.70.

تزعم هذه الثورة شخص يسمى الحاج محمد بن عبد الله بن الأحرش، الذي اشتهر عند عامة الناس بالبودالي نسبة إلى أبدال الصالحين[1]، وعرف أيضا بالشريف المغربي[2]، وهو مالكي المذهب دوقاوي الطريقة[3]، كان في مقتبل العمر عندما أعلن الثورة، قوي البنية وشجاع، طويل القامة، أشقر اللحية وفصيح اللسان، اشتهر ببلاغة أسلوبه في الحديث وقدراته على الإقناع، ويتميز بالحيلة والطموح والمكر، وبسعة أفقه[4].

في عام 1214هـ/1800م قاد ابن الأحرش قافلة الحجاج المغاربة المتوجهة إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج[5]، وبعد أن أتم مناسكه قفل عائدًا إلى بلاد المغرب، وفي طريقه توقف بمصر التي كان أهلها يخوضون معارك ضارية ضد القوات الفرنسية الغازية التي احتلت بلادهم من 1212هـ/1798م إلى 1215هـ/1801م، وقد انضم ابن الأحرش رفقة الحجاج المغاربة والجزائريين إلى المقاومين المصريين، وأظهر شجاعة كبيرة وقوة في الاستبسال أثناء المعارك التي شارك فيها ضد الفرنسيين، مما اكسبه شهرة كبيرة[6].

وبعد التدخل الانجليزي وخروج الجيش الفرنسي من مصر، التي عادت إلى أحضان الدولة العثمانية[7]، رجع ابن الأحرش إلى بلاد المغرب ونزل بمدينة عنابة التي قدم إليها من تونس على متن

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية »، **مجلة الثقافة**، عدد78، وزارة الثقافة، الجزائر، محرم- صفر1404هـ/ نوفمبر-ديسمبر1983م، ص.201 ؛

L.C. Féraud, « Zebouchi et Osman Bey », **in R.A**, Volume 6, A. Jourdan, Alger, 1862, P.121.

(2) علي خنوف، **المرجع السابق**، ص.71.

يقول ناصر الدين سعيدوني « إن نسبته إلى المغرب الأقصى لا تعني قطعًا أنه من تلك البلاد فقد جرت العادة في الفترة الإسلامية وحتى في أوائل عقد الاحتلال أن كل غريب يدعي النسب الشريف ويدعو إلى طريقة سلفية أو يتزعم حركة ثورية، غالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء، أو ناحية السوس، وذلك حتى يكسب نفسه مكانة في أعين العامة، ويسبغ على حركته نوعًا من المهابة ويبعد عن نفسه الانتماء الجهوي أو الانتساب القبلي الذي يتسبب في حدوث المنافسات والعداوة بين القبائل المختلفة ». يراجع: « ثورة ابن الأحرش...»، ص.201

(3) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.207

(4) Eugéne Vayssettes, **Histoire de Constantine sous la Domination Turque de 1517-1837**, présentation de ouarda siari- Tengour, Editions Bouchene, 2002, P.165 ; A. Berbrugger, « un chérif kabile en 1804 », **in R.A**, Volume 3, A. Jourdan, Alger, 1858, P.221

(5) Henri. Garrot, **Histoire Générale de L'Algérie**, imp. P. Crescenzo Voutes, Alger, 1910, P.620

(6) شارل فيرو، **تاريخ جيجلي**، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص-ص.147-148 ؛ أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص.114

(7) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.202

سفينة انجليزية[1]، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة ومكث فيها لبضعة أيام اطلع فيها على أحوالها، بعدها توجه إلى مدينة جيجل بغرض الاستقرار بها[2]، لكنه ما لبث أن بدأ يهيئ الظروف لإعلان ثورته، بعد أن وضع الخطط وشرع في الاتصال بالقبائل والأعراش التي تقطن المناطق الجبلية الواقعة ما بين جيجل والقل وميلة، وسرعان ما اكتسب الأنصار والمؤيدين من بين الأهالي القاطنين في تلك الجهة[3]، لاسيما أهالي الوادي الكبير وجبال زواغة وناحية واد زهور، كأولاد عيدون وبني مسلم وبني خطاب، الذين كان له عليهم سلطان ونفوذ قوي، لدرجة أن أصبحت كلمته عندهم مطاعة ومستجابة[4].

وقدر أحمد مبارك عدد أنصاره في تلك المناطق بمائة ألف رجل قادر على حمل السلاح[5]. ومما ساعده على اكتساب هذا العدد الهائل من الأنصار، تأسيسه لزاوية ببني فرقان[6]، وكذلك استلائه على ست سفن لصيد المرجان تابعة للشركة الفرنسية المتمركزة بالقالة، وأسره لخمسة وأربعين من بحارتها سنة 1217هـ/1803م[7]، بالإضافة إلى انضمام أحد مقدمي الطريقة الرحمانية بمنطقة رجاص إلى دعوته، وهو الشيخ عبد الله بن محمد الزبوجي الذي جرده الباي عصمان من جميع امتيازاته القديمة، وطالبه بدفع الضرائب لخزينة البايلك رغم توسل هذا الشيخ لرجال البايلك، ومراجعته للباي في ذلك، وهذا ما جعله ينقم على هذا الأخير ويقرر الاعتصام بجبال أراس المشرفة على الوادي الكبير من جهة الغرب شمال ميلة قبل أن ينضم إلى ابن الأحرش[8].

---

(1) Henri. Garrot, **Op.cit**, 1910, P.621

(2) أوجين فايست، **تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1722-1837م)**، ترجمة صالح نور، تقديم عبد الرحمان شيبان، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1432هـ/2010م، ص.111

(3) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص-ص.202-203

(4) صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص.29 ؛

L.C. Féraud, « L'oued El- Kebir et collo », **in R.A**, Volume 3, A. Jourdan, Alger, 1858, P.202

(5) أحمد مبارك، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المدرسة العلمية للدراسات العلمية، الجزائر، 1952، ص.13

(6) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **تاريخ الجزائر في خمسة قرون**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ج.1، ص.278

(7) L. Piesse, **Itinéraire de L'Algérie**, Hachette, Paris, 1885, P.377 ; A. Berbrugger, **Op.cit**, P.211

ذكر ناصر الدين سعيدوني أن أتباع ابن الأحرش استولوا على سفينة واحدة لصيد المرجان، وقتلوا بعض بحارتها، وأسروا الباقي وهم أربعة وثلاثون بحارًا. يراجع: « ثورة ابن الأحرش...»، ص.203

(8) L.C. Féraud, « Zebouchi et Osman Bey », p-p.120-127

كما أن ضعف نفوذ خلفاء المرابط سيدي محمد أمقران الذين فقدوا السيطرة على الأوضاع بالمنطقة بسبب صغر سنهم، ساهم بشكل أو بآخر في تقوية شوكة ونفوذ ابن الأحرش في هذه الجهة، وساعده على الاستقرار فيها وبسط سيطرته على سكانها[1].

ولما استكمل ابن الأحرش تحضيراته وأعد العدة، وجمع جندًا كثيرًا من قبائل جيجل والقل وسكيكدة[2]، أعلن الجهاد للقضاء على السلطة الحاكمة في بايلك الشرق وتأسيس حكومة إسلامية تقوم على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح[3]، وتحرك بقواته في شهر ربيع الأول من عام 1219هـ[4]، ما بين 10 جوان إلى 20 جويلية 1804م[5]، وأمر أتباعه بمهاجمة الحاميات التركية العثمانية والاستيلاء على مقراتها، فخضعت له مدينة القل، وانسحبت الحامية المتواجدة بمدينة عنابة خوفا من مهاجمتها من قبل ابن الأحرش[6]، غير أن هذا الأخير قرر أن يتوجه إلى قسنطينة عاصمة البايلك لاسيما وأن الباي عصمان غائب عنها، ومنشغل بجمع الضرائب[7].

زحف ابن الأحرش على مدينة قسنطينة بقواته المشكلة من رجال القبائل الذين يتراوح عددهم ما بين عشرة آلاف واثني عشر ألف مقاتل[8]، ووصلت طلائعه في منتصف ربيع الثاني من عام 1219هـ/1804م إلى ضاحية سيدي محمد الغراب القريبة من المدينة، ووقعت بينهم وبين مجموعة من

---

(1) P. Boyer, « Contribution à L'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger XVI- XIX s », **In revue se L'occident Musulman et de la Méditerranée**, N°1, Aix-en-Provence, France, 1966, p.41

(2) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، جـ.1، ص.279.

(3) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.204.

(4) S…, « Notes Chronologiques pour L'Histoire de Constantine », **in R.A**, Volume 39, A. Jourdan, Alger, 1895, p.165

(5) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.204.

(6) A. Berbrugger, **Op.cit**, p.211

(7) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.204.

(8) صالح العنتري، **المصدر السابق**، ص.30 ؛ إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.93.

وقد قدر كلا من هنري دلماس دوغرامو (Henri- Delmas de Grammont) وأوجين فايست (Eugène Vayssettes) عدد قوات ابن الأحرش بستين ألف مقاتل. يراجع:

Henri- Delmas de Grammont, **Histoire D'Alger sous la Domination Turque 1515-1830**, présentation de lemnouar Merouche, Edition Bouchene, 2002, p.286 ; Eugéne Vayssettes, **Op.cit**, p.165

إلا أننا نعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه، إذ أن الكثافة السكانية بتلك المناطق في ذلك العهد لم تكن مرتفعة لدرجة يمكن معها جمع مثل هذا العدد من الرجال الذين بإمكانهم حمل السلاح، كما أن ابن الأحرش لو كان يمتلك هذا العدد من المقاتلين، لاكان بإمكانه اقتحام مدينة قسنطينة.

فرسان الباي يقودهم الحاج أحمد بن الأبيض قائد الدار مناوشات حادة بالمنية والوادي المالح، وعند قنطرة الرمال قبل أن ينسحب هؤلاء الفرسان إلى داخل المدينة التي تحصنوا بها رفقة المتواجدين فيها[1].

وقد أطبق الثائرون حصارًا محكمًا على قسنطينة دام لبضعة أيام[2]، دون أن يتمكنوا من اقتحامها بسبب استبسال سكانها في الدفاع عنها رفقة قوات الباي التي يقودها الحاج أحمد بن الأبيض قائد الدار الذي كان في هذه الأثناء يتولى تسيير شؤون المدينة نيابة عن الباي عصمان، المتواجد خارجها في نواحي المسيلة يقوم بجمع الضرائب[3].

وأمام قوة ضربات المدافع التي كانت تنطلق من فوق الأسوار، وبسبب تكبد جموع الثائرين لخسائر في الأرواح قدرت بحوالي مائتي ثائر، إضافة إلى العدد الهائل من الجرحى، قرر ابن الأحرش الذي أصيب هو الآخر بطلق ناري في ساقه أو يده أن ينسحب[4]. ولما بلغ نبأ الهجوم إلى مسامع الباي عصمان عاد مسرعًا إلى قسنطينة وفي طريقه التقى بالثائرين في وادي القطن شمال شرقي ميلة، واشتبك معهم وقتل عددًا كبيرًا منهم قبل أن يتحصنوا بجبال بني فرقان[5].

بعد أن وصل الباي عصمان إلى قسنطينة أرسل إلى الداي مصطفى باشا ليطلعه على الأمر، ويطلب منه الإمدادات، فاستجاب الداي لطلبه وأرسل إليه ما طلبه، وأمره أن يلاحق ابن الأحرش ويتخلص منه إما بقتله أو إبعاده من تلك الناحية[6]، فامتثل الباي لأمر الداي وجهز قواته، وخرج إلى وادي الزهور غرب سكيكدة أين التقى بجموع الثائرين ودخل معهم في معركة طاحنة انتهت بهزيمته ومقتله، واستيلاء أعدائه على كل ما هو موجود في معسكره من أموال وأسلحة[7].

على الرغم من انتصار ابن الأحرش في هذه المعركة وتمكن رجاله من الإيقاع بالباي عصمان وقتله، إلا أن السلطة المركزية في مدينة الجزائر أصرت على تعقبه والقضاء على تمرده، فأسرع الداي

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.204

(2) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، ج.1، ص.279

(3) تلمساني بن يوسف، « السلطة العثمانية في مواجهة الطريقة الدرقاوية »، **حولية المؤرخ**، العددان 11-12، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، السداسي الأول 2011، ص.467

(4) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.207 ؛ ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.205

(5) Henri. Garrot, **Op.cit**, p.621

(6) A. Berbrugger, **Op.cit**, p.232

(7) محمد صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص.90

مصطفى باشا وعين بايًا جديدًا على قسنطينة، وهو عبد الله بن اسماعيل قائد وطن خنشلة[1]، خلفا للباي المقتول، وأمده بقوات مدربة على إخماد التمردات، وأمره بالإسراع في ملاحقة ابن الأحرش أينما يتواجد[2].

وصل الباي الجديد إلى قسنطينة في ظرف وجيز من تعيينه[3]، وبدأ في تنفيذ أوامر الداي، وأخذ يترصد من خلال جواسيسه تحركات ابن الأحرش إلى أن تأكد أنه مستقر جنوب غرب ميلة، فخرج إليه في أواخر سنة 1219هـ/1804م وتمكن من هزيمته وتبديد أنصاره، فزالت هيبة ابن الأحرش من أعين الناس[4]، وفر إلى الغرب حيث التحق بابن الشريف الدرقاوي الثائر هناك على باي الناحية، وبعد أن مكث بعض الوقت تخلص منه هذا الأخير بقتله[5].

ورغم فشل هذه الثورة، وانتهائها منذ ما يزيد عن قرنين من الزمن، إلا أننا لا نزال نتساءل عن الأسباب والدوافع الحقيقية التي أدت بابن الأحرش إلى إشعال نيرانها ؟

إذ أن الإجابة عن هذا السؤال تبقى محل اختلاف وتضارب بين المصادر التاريخية وآراء الباحثين والمؤرخين. فقد ذهبت بعض هذه المصادر إلى حد اتهام أطراف خارجية بالوقوف وراء هذه الثورة، كحموده باشا باي تونس الذي يكون قد حرض ابن الأحرش[6]، أو الانجليز الذين يكونون بدورهم شجعوا هذا الأخير على التمرد وإعلان العصيان في وجه السلطة الحاكمة بالجزائر، وذلك بعد أن استمالوه إلى صفهم من خلال تقديم يد العون له، ونقله مع بقية الحجاج المرافقين له من مصر إلى تونس ومنها إلى مدينة عنابة على متن سفنهم، كما أنهم منحوه بندقية حديثة تطلق ثلاث طلقات دون الحاجة إلى تعميرها في كل طلقة[7].

---

(1) وطن الخشنة منطقة شرق متيجة هي اليوم بودواو ومفتاح وخميس الخشنة. يراجع: علي خنوف، **المرجع السابق**، هوامش الفصل الثالث، تهميش رقم 40، ص.95

(2) علي خنوف، **المرجع نفسه**، ص.76

(3) Eugéne Vayssettes, **Op.cit**, p.211

(4) علي خنوف، **المرجع السابق**، ص.76

(5) أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص.116

ذكر محمد المهدي بن علي شغيب أن ابن الأحرش فر إلى المدية حيث التحق بمحمد الشريف الثائر هناك على بايها، ثم انقطعت بعد ذلك أخباره ! لكن الكاتب لم يذكر مصادر معلوماته. لتأكد يراجع: محمد المهدي بن علي شغيب، **أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)**، مطبعة البعث، قسنطينة– الجزائر، 1400هـ/1980م، ص.395

(6) أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص.115

(7) L.Charles Feraud, « Les Chérifs kabyles de 1804 et 1809 dans la province de Constantine», **in R.A**, Volume 13, A. Jourdan, Alger, 1869, p.215

بينما يرى ناصر الدين سعيدوني في ثورة ابن الأحرش أنها حركة شعبية وانتفاضة فلاحية ثارت على الظلم والقهر الذي كان يعاني منه سكان الأرياف الجزائرية أواخر العهد العثماني، وذلك من جراء التصرفات التعسفية لبعض الحكام والسياسة المالية الثقيلة للبايلك، كما كانت تهدف إلى وضع حد لاستنزاف خيرات الريف وتسخير إمكانياته الطبيعية والبشرية، لفائدة الامتيازات الأجنبية والاحتكارات اليهودية التي كانت تعمل على تصدير أكبر كمية من الحبوب والمواد الأولية التي ينتجها الريف بأسعار زهيدة في فترة كانت فيها المجاعة والأمراض تفعل فعلتها بالأهالي[1]. وقد عبرت هذه الثورة عن مدى تمسك سكان الريف الجزائري بالمبادئ الأساسية والبسيطة للإسلام الصوفي الذي يقوم على الزهد والتقشف، والذي تدعو إليه بصفة خاصة الطريقة الدرقاوية[2].

أما نحن نعتقد أن هذه الثورة كانت نتاج كل تلك الأسباب مجتمعة بما أن المصادر التاريخية، وآراء الباحثين أشارت إليها، إذ أنه لا دخان بدون نار.

هذا ويبقى موقف الطريقة الرحمانية من هذه الثورة في تلك الفترة غامضًا، إذ أنه في الوقت الذي أحجم فيه معظم سكان الشرق الجزائري عن الانخراط في ثورة ابن الأحرش لكونها ثورة درقاوية، وهم من أتباع الطريقة الرحمانية المهادنة للسلطة الحاكمة والمتعاملة مع حكام البايلك ــ على رأي ناصر الدين سعيدوني[3] ــ والتي كانت تبسط نفوذها وهيمنتها على معظم مناطق تلك الناحية لاسيما الأرياف منها، نجد بعض مقدمي هذه الطريقة الذين يأتي في مقدمتهم عبد الله بن محمد الزبوجي، قد ساندوا ابن الأحرش وقاتلوا إلى جانبه!

2-2- ثورة درقاوة في الغرب الجزائري:

ما إن خمدت نيران ثورة ابن الأحرش الدرقاوي في بايلك الشرق الجزائري، حتى اشتعلت نيران ثورة درقاوية أخرى في بايلك الغرب الجزائري، كانت أقوى وأعنف وأخطر من الأولى في شموليتها وطول أمدها بزعامة عبد القادر بن الشريف الذي يعرف لدى العامة بابن الشريف الدرقاوي، وهو من قبيلة وادي

---

[1] وقد عبر الشاعر الشعبي الرحموني الذي عاصر أحداث ثورة ابن الأحرش بصدق وعمق عن الحالة المزرية التي كان عليها الأهالي خلال تلك الفترة في هذين البيتين التاليين:

الأسعار راه اغلات وحتى   أمطار الصيف أدفاقو
الحرث راه صعب نبتـــه   اليبس والحجر يكثروا

يراجع: A. Cour, « Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheikh Belgasem Er-Rahmouni El Haddad », **<u>in R.A</u>**, Volume 60, A. Jourdan, Alger, 1919, p.231

[2] ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.223

[3] ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.216

العبد بالغرب الجزائري[1]، درس بزاوية محي الدين والد الأمير عبد القادر الواقعة بسهل غريس، وبعدها انتقل إلى المغرب الأقصى والتحق بزاوية بوبريح الدرقاوية، وأتم فيها دراسته على يد مؤسسها مولاي محمد العربي الدرقاوي[2]، ولما عاد إلى الجزائر ادعى أن هذا الأخير قد أعطاه حجابًا[3]، وقام بتأسيس معهد أو زاوية بقرية أولاد بليل بنواحي فرندة الواقعة في الغرب الجزائري لتفقيه الناس وتعليم الصبية[4]، وأظهر الزهد والصلاح[5]، مما مكنه من نشر دعوته بين قبائل تلك المنطقة[6]، فكثر أتباعه ومريدوه[7].

وقد استخدم ابن الشريف نفس الأسلوب والطريقة التي استخدمها ابن الأحرش بالشرق الجزائري في جمع الأنصار ونشر دعوته بينهم[8]. وعندما أحس ابن الشريف أن عدد أتباعه في تزايد مستمر بدأ يحرضهم على السلطة الحاكمة[9]، مما دفع بهذه الأخيرة إلى ملاحقته ومضايقته، وتشديد الخناق عليه، فلجأ إلى الصحراء، ومن ثم هيأ للثورة التي أعلنها سنة 1220هـ/1805م[10]، بعد أن تلقى الإذن من شيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب الأقصى مولاي محمد العربي[11].

ويبدو أن الظلم والقهر الذي عانى منه سكان الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، وذلك من جراء السياسة المالية الثقيلة للبايلك، والتصرفات الجائرة لبعض الحكام والتي لم يسلم منها حتى رجال الدين بما فيهم شيوخ الزوايا والطرق الصوفية، كانت سببًا في معاداة ابن الشريف للسلطة الحاكمة، وهذا ما استخلصناه من بعض أقواله. فقد قال لشيخه مولاي محمد العربي الدرقاوي عندما كان في المغرب الأقصى (يا سيدي إن بوطننا قومًا يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد.

---

(1) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.208.

(2) مسلم بن عبد القادر الوهراني، **أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص.49.

(3) صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص.202.

(4) ناصر الدين سعيدوني، « ثورة ابن الأحرش...»، ص.212.

(5) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، ج.1، ص.281.

(6) أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800–1830م**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط.1، 2012، ص.100.

(7) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، ج.1، ص.281.

(8) أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني...**، ص.101.

(9) صالح عباد، **المرجع السابق**، ص.202.

(10) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، ج.1، ص.281.

(11) N. Lacroix, **Les Derkaoua d’hier et d’aujourd’hui**, imp. V. Heintz, Alger,1902, p.2.

فقال له عليك بجهادهم وقتالهم وأن الله ينصرك عليهم)[1]، وقال أيضا لأتباعه وهو يخاطبهم بعد انتصاره في أول معركة له ضد قوات السلطة (قد نزعنا عنكم ظلم الترك والذل والمسكنة والمغارم والمُكوس، فالواجب عليكم مبايعتنا)[2].

وكانت أول معركة بين ابن الشريف وقوات السلطة بقيادة باي وهران مصطفى بن عبد الله العجمي المعروف بالمنزلي[3]، يوم الأحد 08 ربيع الأول 1219هـ/04 جوان 1805م بفرطاسة قرب وادي مينا جنوب غليزان[4]، انهزم فيها باي وهران شر انهزام وفرّ بما تبقى من جنوده من ميدان القتال إلى معسكر تاركًا عتاده لثائرين[5]، الذين لاحقوه إلى معسكر وأرغموه على الخروج منها إلى وهران التي دخلها يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول 1219هـ/06 جوان 1805م[6].

بفضل هذا الانتصار انضمت قبائل كثيرة إلى ابن الشريف الذي استولى على معسكر وقرر مهاجمة وهران، غير أن محاولاته العديدة لاقتحامها باءت بالفشل بعد أن تصدى له سكانها[7]، وهو ما دفعه إلى محاصرتها والتضييق على أهلها[8]. وقد حاول الشيخ مولاي محمد العربي الدرقاوي الذي قدم من المغرب بطلب من السلطة الحاكمة في الجزائر أن يقنع تلميذه ابن الشريف بفك الحصار عن مدينة

---

(1) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.208.

(2) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر نفسه**، ص.209.

(3) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، جـ.1، ص.281.

(4) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.209 ؛ مسلم بن عبد القادر الوهراني، **المصدر السابق**، ص.50.

(5) قد خلد حسن خوجة هذه المعركة بالأبيات الشعرية التالية:

فرطاســـة يومـها ترى الجنود بـه	ما بين قتلى وأسرى غير ناجـيا
فالباي جــاء بجيش لا نفـــاذ له	به يريـد لقـــاء العـــــدو باغينا
فلـم يحـقق له سعــــي ولا أمـل	بل جاء جنده صفر الكف باكينا
فاليوم لابن الشريف عزّ فيه على	باي الأعاجم لو لا الدين لا دينا

يراجع: الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.1، 1990، جـ.1، ص.304 نقلا عن حسن خوجة، دار الأعيان.

(6) Adrian Delpech, « Résumé historique sur le soulèvement des Derkaoua de la province d'Oran d'après la chronique d'El- Mossllem ben Mohammed Bach Deftar du bey Hassan de 1800 A 1813 (HEG. 1215 A 1558) »,**in R.A**, Volume 18, A. Jourdan, Alger, 1874, p-p.41-42

(7) Adrian Delpech, **Ibid**, p.45

(8) أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص.117.

وهران، لكنه لم يفلح في مسعاه مما جعله يأخذ حفنة من التراب ويرميها للريح صارخًا: (هكذا سيكون مستقبل ابن الشريف)[1]، وبعدها سحب حجابه من هذا الأخير وعاد من حيث أتى[2].

بعد أن فشلت وساطة الشيخ مولاي محمد العربي الدرقاوي، قامت السلطة المركزية بمدينة الجزائر العاصمة بعزل الباي مصطفى، وعينت مكانه محمد بن محمد بن عثمان المعروف بالمقلش الذي أبحر مع فرقة من الجنود من ميناء شرشال إلى مدينة وهران، وتمكن من فك الحصار عنها[3]، ولما استقر في منصبه وثبت دعائم سلطته نظم جيشا من قبائل المخزن وقام بملاحقة ابن الشريف وألحق به عدة هزائم، وشتت صفوف أتباعه الذين انسحب بعضهم إلى مرتفعات الجنوب الوهراني، واستقر بعضهم الآخر بطرارة على الحدود الجزائرية المغربية[4].

رغم الانتصارات العديدة التي حققها الباي محمد المقلش إلا أن السلطة المركزية استغنت عن خدماته بعد أن أمرت بإعدامه[5]، وعينت مكانه الباي مصطفى مرة أخرى سنة 1222هـ/1808م، وقد التقى هذا الأخير بابن الشريف في واقعتين إحداهما في قبيلة فليتة عرفت أحداثها بيوم الثعالبة، والثانية في بلاد خالفة بقبيلة مغروسة، وكان النصر هذه المرة حليف الباي مصطفى الذي تمكن من قبتل عدد كبير من أتباع ابن الشريف، وشتت جموعه[6]، وفي هذه الأثناء استدعي الباي مصطفى إلى الجزائر العاصمة حيث عين خزناجيا لدى الداي، وحل محله في البايلك محمد بن عثمان الملقب ببوكابوس[7].

وقد تمكن هذا الباي من كسر شوكة الثائرين وإخماد ثورتهم، فحاول زعيمهم ابن الشريف أن يلتجئ إلى الجنوب الوهراني، غير أنه لم يجد تجاوبًا من سكان هذه الناحية، لاسيما وأن أتباع الطريقة التجانية في عين ماضي، وقبيلة الأحرار وقفوا له بالمرصاد ورفضوا استقباله في بلادهم مما اضطره إلى الانسحاب والاحتماء ببني سناس سنة 1223هـ/1809م، وهناك تزوج ابنة بوترفاس الدرقاوي الذي هو من قبيلة الطرارة، ثم انقطع خبره بعد ذلك[8].

---

(1) Louis Rinn, **Op.cit**, p-p.234-235

(2) Adrian Delpech, **Op.cit**, p.45

(3) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، ج.1، ص.282.

(4) أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص.117 ؛ P. Boyer, **Op.cit**, p.43

(5) Adrian Delpech, **Op.cit**, p, p.53, 56

(6) أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **المرجع السابق**، ج.1، ص.283.

(7) صالح عباد، **المرجع السابق**، ص.206.

(8) Adrian Delpech, **Op.cit**, p-p.57-58 ; P. Boyer, **Op.cit**, p.44 ;
محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.227.

وفي سنة 1227هـ/1812م حاول صهر ابن الشريف، الشيخ بوترفاس، أن يقود ثورة درقاوية أخرى انطلاقا من جبال طرارة بعد أن جمع بعض قبائل الجهة الغربية، لكن الباي بوكابوس لم يمنحه الفرصة لينظم قواته ويبادر بالهجوم، حيث توجه إليه في جبال طرارة وقضى على حركته بعد أن شتت صفوفه، ودمر قريته بالكامل[1]. وقد حاول الدرقاويون أن يقوموا بمحاولة أخيرة على عهد الباي علي قارة باغلي الذي خلف الباي بوكابوس، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل بعد أن قضى عليها الباي في مهدها[2].

وبنهاية ثورة ابن الشريف، نعتقد أن الستار قد انجلى عن الأسباب الحقيقية التي أدت بالدرقاويين إلى العصيان والتمرد في شرق البلاد وفي غربها، إذ يبدو أن بعض الأطراف الخارجية والقوى الإقليمية آنذاك كانت وراء تحركاتهم، فابن الأحرش قد يكون وجد التشجيع من باي تونس حمودة باشا إذا لم نقل من الانجليز أنفسهم، وابن الشريف وجد التأييد من سلطان المغرب مولاي سليمان الذي كان يسعى إلى الاستيلاء نهائيا على مدينة وجدة وإقليمها.

والشيء الذي جعلنا نميل إلى هذا الطرح، هو أن ثورات بعض الطرق الصوفية الأخرى جاءت كرد فعل على سياسة التضييق والترهيب التي انتهجها الحكام ضد شيوخ هذه الطرق من خلال إرهاقهم بمختلف الضرائب، أو من خلال تشديد الحصار عليهم وعلى مريديهم، وتقييد حركتهم وأنشطتهم، على عكس الدرقاويين الذين كانوا هم من بادروا بإعلان العصيان والتمرد، وإشهار السيف في وجه السلطة رغم أن هذه الأخيرة لم تعاملهم كما عاملت غيرهم بالغلظة والتشدد.

2-3- ثورة محمد الكبير التجاني:

في سنة 1242هـ/1826م أعلن محمد بن أحمد بن المختار التجاني، المعروف بمحمد الكبير التجاني أو التجني ـ الابن البكر لسيدي أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية ـ ثورة في الغرب الجزائري ضد السلطة التركية العثمانية الحاكمة ممثلة في شخص الباي حسن الذي تمادى في شن هجمات متتالية على التجانيين رغم عقده الصلح معهم، ورغم قبولهم دفع الضرائب المفروضة عليهم[3].

فبعد أن تمكن محمد الكبير من جمع عدد كبير من الأنصار توجه بهم إلى مدينة معسكر لمهاجمتها، وفي طريقه إليها استطاع أن يقنع بعض الرجال من عرب الصحراء، وحشم غريس بالانضمام إلى ثورته في الوقت الذي رفضت فيه قبائل المخزن البرجية والغرابة والزمالة والدوائر، وبعض قبائل

---

[1] Adrian Delpech, **Op.cit**, p.58

[2] الآغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، جـ1، ص.345.

[3] أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني...**، ص-ص.107-108

العرب كبني شقران وبني عامر الاستجابة لدعوته والالتحاق بصفوفه[1]. ولما بلغ محمد الكبير مشارف مدينة معسكر، خرج إليه أهلها ليصدوه عن دخولها فوقعت معركة كبيرة بين الطرفين قتل خلالها عدد كبير من أتباعهما[2]، وعندما علم الباي حسن بأمر هذه المعركة خرج من مدينة وهران بجيشه ومخزنه متوجها إلى مدينة معسكر لقتال محمد الكبير وأتباعه، وقبل أن يتشابك مع هذا الأخير اتصل ببعض أتباعه من أعيان حشم غريس وأغراهم بالمال ليتخلوا عنه[3]، وقد أفلح في مسعاه، إذ أن هؤلاء الأعيان انساقوا وراء هذه الإغراءات وغدروا بمحمد الكبير وتركوه يواجه مصيره مع من بقي إلى جانبه من أتباعه المخلصين، الذين كان عددهم حوالي ثلاثمائة رجل قتلوا عن آخرهم في المعركة التي دارت بينهم وبين جيش الباي حسن، كما قطعت رؤوسهم جميعًا بما فيهم زعيمهم محمد الكبير وأرسلت إلى الداي بمدينة الجزائر[4].

ويرجع بعض الباحثين أسباب فشل هذه الثورة إلى تلك الأسباب التي أدت إلى فشل جميع ثورات الطرق الصوفية ضد السلطة التركية العثمانية هنا في الجزائر[5]، بينما نعتقد أن السبب الرئيس وراء فشل ثورة محمد الكبير يكمن في الخيانة التي تعرض لها من قبل حشم غريس وبعض رجال عرب الصحراء، إذ أن جل المؤشرات والمعطيات توحي بأن ثورته كانت ستنجح لكونها جاءت في وقت كانت فيه السلطة الحاكمة تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأغلب القبائل التي عانت وتعاني من جور وتعسف هذه السلطة وأعوانها كانت مستعدة للانخراط في أي ثورة أو حركة تمردية تعلن في وجهها، وهو الشيء الذي ساعد محمد الكبير على جمع عدد كبير من الأنصار في وقت قصير، وساعده أيضا على تحقيق انتصار على القبائل الموالية للسلطة في جهة الغرب، ويتقدم إلى مدينة معسكر ويدخلها دون أي عناءٍ يذكر رغم أنها كانت في وقت من الأوقات عاصمة لبايلك الغرب لفترة من الزمن.

وخلاصة القول أن علاقة التيار الصوفي بالسلطة التركية العثمانية الحاكمة في الجزائر قبل 1244هـ/1830م، قد اتسمت في مجملها وفي أغلب الأوقات بالود والمجاملة، والثقة المتبادلة بين الطرفين، رغم أن بعض أتباع هذا التيار كثيرًا ما كانوا مصدر قلق وإزعاج لهذه السلطة التي كانت تخشى بأسهم وثورتهم، وكثيرا ما هددوا كيانها.

---

(1) الآغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، جـ.1، ص-ص.355-356

(2) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.245

(3) الآغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، جـ.1، ص-ص.357-359

(4) محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.247 ؛ Henri- Delmas de Grammont, **Op.cit**, p.299

(5) من بين هؤلاء الباحثين أرزقي شويتام. يراجع: **نهاية الحكم العثماني...**، ص.109

ثانيا- علاقته بالسلطة الاحتلالية الفرنسية من 1244هـ/1830م إلى 1314هـ/1899م:

إن كان موقف التيار الصوفي من السلطة التركية العثمانية الحاكمة في الجزائر قبل منتصف عام 1244هـ/1830م، متباين بين مؤيد ومعارض، فما هو موقف هذا التيار من سلطة الاحتلال الفرنسي بعد هذا التاريخ؟

يشير حمدان بن عثمان خوجة[1]، إلى أن أتباع الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا الذين وصفهم بالمرابطون هم الذين أعلنوا النفير العام، وحملوا على عاتقهم لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وذلك بعد أن استسلمت حكومة الداي حسين وسلمت مدينة الجزائر لقوات الاحتلال، وبعد أن تقاعس سكانها في الدفاع عنها، ورضخ أعيانها وبعض علمائها للأمر الواقع واعترفوا بالسلطة الجديدة التي هي سلطة الاحتلال الفرنسي[2].

فإذا أخذنا بقول حمدان بن عثمان خوجة فذلك يعني أن كل الطرق الصوفية، أو على الأقل جلها قد وحدت موقفها من المحتل الفرنسي، وجابهته وجاهدته بعد أن فشلت السلطة المركزية في التصدي له.

---

[1] كاتب وزعيم سياسي من رواد الحركة الوطنية الجزائرية ولد بمدينة الجزائر وبها نشأ وتعلم في كنف أسرة متعلمة، حفظ القرآن ودرس على يد أبيه الفقه والعلوم الدينية والقانون، كما اطلع على مختلف العلوم في عصره كالمنطق والفلسفة والتاريخ والطب، كما أتقن إلى جانب اللغة العربية التركية والفرنسية والانجليزية، نظم أول حزب وطني سياسي جزائري لمقاومة الاحتلال عرف باسم لجنة المغاربة أو حزب المقاومة، نفاه المحتل إلى فرنسا فأقام بها حوالي ثلاث سنوات ثم انتقل إلى اسطنبول فاشتغل بالتأليف. ومن آثاره العلمية المرآة، وإتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، وحكمة العارف، توفي في حدود 1256هـ/1840م. للمزيد يراجع: أحميدة عميراوي، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)**، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، ط.1، 1987، ص-ص.59-86

[2] Hamdan Khodja, **Le Miroir**, introduction d'A. Djeghloul, La Bibliothèque Arabe, Sindbad, Paris, 1985, p.192

وقد أدركت سلطة الاحتلال الفرنسي هذا الأمر، ولاحظت أن أغلب الطرق الصوفية وفي مقدمتها القادرية والرحمانية والدرقاوية والطيبية، قد تعاونت فيما بينها لصد قواتها وعرقلة تقدمها وتوسعها إلى مناطق أخرى من الجزائر في الفترة الممتدة بين 1244هـ/1830م–1262هـ/1848م، ولم يشذ عندئذ إلا بعض الطرق ذات الطابع المدني كالحنصالية[1]، أوالطريقة التجانية التي فضلت الحياد على الدخول في مغامرة غير مضمونة العواقب[2]، لاسيما وأن لها تجربة مريرة في هذا الشأن مع السلطة التركية العثمانية السابقة.

لكن هل حافظت هذه الطرق على مواقفها هاته في علاقتها مع المحتل الفرنسي طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي؟ أم أن لها مواقف أخرى أملتها عليها ظروف ومعطيات جديدة ؟

في حقيقة الأمر الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما قد يعتقد بعض الباحثين، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى الفوضى السياسية التي شهدتها الجزائر في تلك الفترة، إذ أن كثيرا من الطرق الصوفية حينها لم تعلن موقفها صراحة مما كان يدور حولها، وهو ما جعل أتباعها تائهين مذبذبين بين الانضمام لهذا الطرف أو الآخر، أو التزام الحياد، وهو ما دفع أيضا ببعضهم إلى الانخراط في هذه الأحداث بصفة فردية دون الرجوع إلى شيوخهم أو استشارتهم في الأمر.

وهذا الشيء صعب علينا مهمة تصنيف هذه الطرق آهي من المناوئة والمقاومة للمحتل الفرنسي؟ أم من المتعاونة معه؟ أو من الملتزمة الحياد؟

ومما زاد من تعقيد مهمتنا هو أن إحدى هذه الطرق، وهي الطريقة الشيخية لم يكن لها موقف ثابت وواضح من المحتل الفرنسي، إذ نجدها تارة ممن يتعامل مع السلطة الفرنسية ويقدم لها خدمات، وتارة ممن يثور عليها ويعلن التمرد والعصيان في وجهها، وقد بقيت على هذا الحال متقلبة في مواقفها

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.383.

(2) نعتقد أن حياد شيوخ الطريقة التجانية لم يدم إلى ما بعد سنة 1252هـ/1838م، وهي السنة التي هاجم فيها الأمير عبد القادر مدينة عين ماضي وطبق عليها حصارًا دام لمدة ثمانية أشهر، وذلك بعد أن فشل في إقناع محمد الصغير التجاني شيخ الطريقة التجانية للانضمام إليه ومبايعته، وتبين له أن هذا الأخير كان يجري اتصالات مع الفرنسيين وينسق معهم من أجل محاصرته والقضاء على مقاومته، وهذا حسب ما ورد في الرسالة التي بعث بها الأمير عبد القادر إلى ممثله في المغرب الأقصى الحاج الطالب بن جلول. للاطلاع على هذه الرسالة وعلى ترجمتها باللغة الفرنسية يراجع:
Georges Yver, « Abd El Kader et le Maroc en 1838 », **in R.A**, N°60, A. Jourdan- Libraire-Editeur, Alger, 1919, p-p.93-98.

إلى غاية نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وهو ما جعلنا نحتار إلى أي تيار نصنفها.

وبغض النظر عن كل ما ذكرناه هنا من فوضى سياسية وضبابية في المواقف، أو بروز بعض المواقف الفردية التي لا تعبر إلا عن رغبة أصحابها، فإننا نعتقد أن الطرق الصوفية في علاقتها مع سلطة الاحتلال الفرنسي كانت على خمس اتجاهات أو تيارات، وهي تيار مقاوم، تيار مقاوم ثم متخاذل، تيار متقلب في مواقفه، تيار محايد ثم متعاون، تيار متعاون.

وقد قمنا بترتيبها على هذا النحو وذلك حسب أهمية كل تيار ودوره في الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر منذ بداية الاحتلال، وإلى غاية نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

وعليه فإننا سنحاول أن نتطرق إلى كل تيار على حدى من خلال إبراز دوره في تلك الأحداث بنوع من الشرح والتحليل حسب هذا الترتيب، وحسب المادة العلمية المتوفرة لدينا، إذ أن هذه الأخيرة تكاد تقتصر على تلك التيارات التي كان لها دور بارز وفعال في تلك الفترة، أما التيارات التي لم يكن لها دور بارز وفعال، أو أن دورها سلبي، فإن المعلومة التاريخية فيها شحيحة أو تكاد تنعدم إن لم نقول أنها منعدمة بالفعل، وذلك بسبب إهمال المصادر التاريخية لها وعدم الحديث عنها إلا من باب الإشارة إليها أو الاستشهاد بها في بعض المواقف لا أكثر، وهذا ما سيدفع بنا لا محالة إلى إسهاب الحديث عن بعض التيارات دون بعضها الآخر التي سنكتفي بعرض مواقفها مع محاولتنا استنتاج الأسباب التي دفعت بها إلى اتخاذ مثل هذه المواقف.

1- تيار مقاوم:

نعتقد أنه أهم التيارات على الإطلاق، وذلك بسبب دوره الايجابي والفعال وكثافة نشاطه في مقاومة الاحتلال منذ أن وطأت قدماه أرض الجزائر وإلى غاية نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وحتى خلال الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي وإن كانت هذه الفترة الأخيرة هي خارج مجال دراستنا.

كما أن هذا التيار في أغلب الأحيان كان هو المحرك الأساسي، والطرف الرئيس في معظم الأحداث التي شهدتها الجزائر في تلك الفترة، فأتباعه الذين هم في أغلبهم ودون منازع من أتباع الطريقة الرحمانية، أو كما يعرفون بالإخوان الرحمانيين، كانوا أكثر حماسًا واندفاعًا من غيرهم في مواجهة الاستعمار وإفشال مخططاته ومشاريعه، حتى أن بعض أتباع الطريقة السنوسية الذين ظهروا على ساحة

الأحداث ولو بصورة غير مباشرة أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي وحاولوا أن ينافسوهم في هذا الدور فشلوا ولم يفلحوا في ذلك.

1-1- أسباب ودوافع انخراط الإخوان الرحمانيين في المقاومة:

إن كان الثأر لشرف فرنسا، ولشرف قنصلها بيير دوفال Pierre Deval وإرضاء المسيحيين، سبب من أسباب احتلال فرنسا للجزائر، كما جاء في التقرير الذي رفعه وزير حربيتها كليرمون تونير Clermont Tonnerre إلى ملكه شارل العاشر Charles x إبان حملته على الجزائر، حيث قال: (... كان احتلالنا للجزائر أخذًا بثأر الإهانة التي لحقت بممثل فرنسا، وإرضاء للمسيحيين، وذلك بإبادة المسلمين أشد أعدائهم طغيانا...)[1].

فما هي الأسباب والدوافع الحقيقية التي أدت بالإخوان الرحمانيين إلى الاستجابة لنداء المقاومة، والانخراط فيها فرادى وجماعات طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي دون كللٍ أو مللٍ ؟

معظم الكتابات الغربية الموالية لسلطة الاحتلال الفرنسي، اعتبرت انخراط الإخوان الرحمانيين في المقاومة الوطنية بشكل عام، خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي جاء نتيجة تعصبهم الديني والعرقي، ونتيجة انقيادهم لأوامر أطراف خارجية قدمت من مكة للتشويش على أمن البلاد.

فاوتيي Fawtier مثلا يرى أن النيران التي اشتعلت في كل أرجاء الجزائر، كانت مدعمة برياح التعصب الديني للإخوان الرحمانيين الذين انتشروا في مناطق جرجرة، ومن حدود المغرب الأقصى إلى حدود تونس، وأنهم جاءوا من مكة لزرع التشويش الديني في الجزائر[2].

وإدوارد دونوفو Edward Deneveu يقول: (يُقال أن إخوان بن عبد الرحمان أكثر تعصبا، فعلا يبدون أكثر نفورًا من الفرنسيين عن إخوان الطرق الأخرى، وأصبح من السهل تصور الاهتمام الذي يولونه للكفاح الطويل الذي جمعنا بأخيهم عبد القادر)[3].

وكذلك فيالا شارون F. Charon الحاكم العام الفرنسي في الجزائر فقد أرسل سنة 1259هـ/1845م تعليمة توضيحية ذات مغزى للجنرالات قادة المجموعات، جاء فيها (فبالدراسة المتأنية

---

[1] نقلا عن: أحمد إسماعيل راشد، « المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي »، **البيان**، مجلد3، العدد4، جامعة آل البيت، عمان- الأردن، 1423هـ/2002م، ص-ص.138-139

[2] P. Fawtier, **L'autonomie Algérienne République et Fédérale**, Constantine, Mars 1871, p-p.38

[3] إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.72

للأسباب التي أدت إلى الانتفاضات المتعددة التي كان علينا أن نحاربها، نجد أن السبب الرئيس هو التعصب الديني الذي كان من السهل استثارته في شعب جاهل كالشعب العربي، ومستعد أيضا لاحتضان كل ما من شأنه أن يناهض سيطرتنا عن طريق الحقد الذي يغذيه عند المسيحيين)[1].

أما الكتابات والدراسات التي تحرى فيها أصحابها الموضوعية لاسيما الجزائرية منها، ترى أن اندفاع هؤلاء الإخوان للمقاومة لم يكن بسبب العاطفة الدينية المتعصبة، وإنما كان بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المزرية التي كانوا يعيشونها، وجاء العامل الديني ليدعمها، بالإضافة إلى السلوك السيئ الذي اتبعه الشيوخ والقواد والموظفون، وضباط الجيش الفرنسي تجاه الأهالي عامة، وتجاه أتباع الطريقة الرحمانية خاصة[2].

لكن وإن كنا نقر بهذه الأسباب الأخيرة، ونرى أنها كافية لتدفع بهؤلاء الإخوان للانخراط فرادى وجماعات في المقاومة الوطنية، إلا أن ذلك لا يمنعنا القول بوجود أسباب أخرى خفية ساهمت بقدر كبير في تأجيج روح الجهاد وحب النصر أو الشهادة في سبيل الله عندهم، ودفعتهم للمشارك بأعداد غفيرة في جل الانتفاضات الشعبية التي عرفتها الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي. وهذه الأسباب نلخصها في النقاط التالية:

أ ـ تواجد الطريقة الرحمانية واستفحالها بصورة خاصة في معظم المناطق التي كانت مسرحًا للأحداث بين رجال المقاومة الوطنية، وبين جيوش المحتل الفرنسي، كمنطقة جرجرة والأوراس والزيبان[3]. والمعروف عن هذه الطريقة أنها ناصبت العداء للمحتل الفرنسي منذ أن وطأت قدماه أرض الجزائر سنة 1244هـ/1830م، وهذا العداء لم يكن بسبب التعصب الديني لإخوانها، وإنما نتيجة تكوينهم الروحي الرافض لكل ما يهدف إلى سلخهم عن هويتهم الإسلامية، أو يهدف إلى استغلالهم واسترقاقهم، ولذلك نجدهم يندفعون بقوة فرادى أو جماعات ليشاركوا في أغلب ثورات ذلك القرن، ويقومون بأدوار فعالة فيها[4].

---

(1) نقلا عن: ايفون تيران، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس والممارسات الطبية والدين 1830–1880)**، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة والإشراف مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص.144

(2) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص–ص.111–112

(3) إسماعيل حنفوق، **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844–1931**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010، ص.78

(4) الجيلالي سلطاني، « دور الرحمانيين في المقاومة الوطنية »، **أعمال الملتقى الوطني الثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص.187

ب ـ رغبة الإخوان الرحمانيين في المبادرة بإعلان الثورة على المحتل، والانخراط في كل مقاومة تعلن ضده، حتى يكون لهم فضل الأسبقية على بقية إخوان الطرق الأخرى في الجهاد والفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، لذلك نجدهم يندفعون اندفاعا فرادى أو جماعات للمشاركة في المقاومة حتى وإن كان قادتها من أتباع طرق صوفية غير رحمانية، مثلما حدث في مقاومة الأمير عبد القادر حيث شاركوا بقوة وبأعداد غفيرة[1].

جـ ـ التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر، ويتجلى ذلك من خلال استهداف إدارة الاحتلال لشيوخ الزوايا في المناطق التي يتواجد بها العنصر الأمازيغي كجرجرة والأوراس والزيبان، وذلك في محاولة منها لإيجاد واقع رافض للانتماء الحضاري العربي الإسلامي، ولأجل ذلك سلطت العقاب على مريدي الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا الذين انتفضوا ضدها في تلك المناطق، فأعدمت بعضهم كالشيخ بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة، وسجنت بعضهم الآخر أو نفته كما فعلت مع الشيخ سي الصادق بن الحاج مقدم الطريقة الرحمانية بجبال أحمر خدو، والشيخ الهاشمي دردور مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة وادي عبدي بالأوراس[2]، وكان نصيب الإخوان الرحمانيين من هذا العقاب هو الأكبر مقارنة بغيرهم، لكونهم انتبهوا لما يراد لهم ويخطط لأبنائهم، فأعلنوها في وجه المحتل مقاومة إسلامية وانتفاضة وطنية.

وقد يكون ما ورد عن إدوارد دونوفو Edward Deneveu، من أن الطريقة الرحمانية، هي الطريقة الوحيدة التي استطاعت أن توحد العرب والأمازيغ تحت راية دينية واحدة[3]، هو أحد الأسباب التي دفعت بالمحتل الفرنسي إلى أن يجعل من هذه الطريقة، ومن إخوانها هدفًا لآلته التدميرية.

د ـ خطط الاندماج والتنصير، التي كان يدبرها جنرالات فرنسا وغلاة المثقفين من رجال الكنيسة والتعليم، وتتضح جلية من خلال تصرفاتهم، فالجنرال بيجو Bugeau أدلى بتصريح أمام الأب بريمو Brimo عندما سلمه أطفالا جزائريين ليعمدهم جاء فيه: (حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار)[4]، كما أوضح أيضا الفائدة العظيمة لسياسة الاندماج والتنصير على

---

(1) شارك الإخوان الرحمانيون بالنفس والنفيس في مقاومة الأمير عبد القادر، فقدموا مساعدات مادية وبشرية. يراجع: إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.72.

(2) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 2000، ص–ص.63–69

(3) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.73.

(4) نقلا عن: صالح عوض، **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962**، مطبعة دحلب، الجزائر، ط.2، 1992، ص.208.

الاستعمار الفرنسي بقوله (إن العرب لا يقبلون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين)[1].

أما الكاردينـال لافيجري Lavigerie لم يخفــي نوايـاه ضــد الإسلام والمسلميـن في أول تقرير أرسلـه إلى الحكومـة الفرنسية بعد تعيينـه مطرانا على أسقفيــة الجزائر سنة 1279هـ/1867م، وجاء فيه (إن إدخال الأهالي للديانة المسيحية واجب مقدس ينبغي أن نرقي هذا الشعب، ولنضرب صفحا على غلطات الماضي، فأول ما يجب علينا معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن، بدلا من غلطات أخرى كإحياء مملكـة عربية. ينبغي لنا على الأقل أن نهتم بالصبيـان، فندخـل في عقولـهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الإنجيل، فبعد ذلك يمكننا الاختلاط بهم وإلا فلنبعدهم إلى الصحراء، بعيدين عن الشعب المتمدن)[2].

ومن أجل تحقيق هذه الخطط سعى هؤلاء المنصّرون إلى تمسيح الوسط قبل تمسيح الروح، فحاولوا محو مظاهر الديانة الإسلامية من المجتمع الجزائري، إذ قاموا ببناء كنائس وأسقفيات أسندوا لها مهمة نشر تعاليم المسيحية، كما قاموا بتمسيح بعض المؤسسات الدينية الإسلامية كالمساجد والزوايا، وتدمير بعضها الآخر أو تحويلها إلى أغراض أخرى، كما تم نفي علماء الدين وأبطلت شرعية المراسم الإسلامية، وأرغم الأئمة على إلقاء خطب الجمعة باسم فرنسا، إضافة إلى إخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي، وقد تم ذلك بعد قرار سنة 1244هـ/1830م في عهد الجنرال برتران كلوزيل Bertrand Clauzel[3].

وقد تفطن الإخوان الرحمانيون لهذه الخطط والمشاريع، التي كانت تستهدفهم قبل غيرهم لأن المناطق التي وقع عليها الاختيار لتنفذ فيها، كانت بمثابة معاقل للطريقة الرحمانية، كجرجرة والأوراس والزيبان، لذلك أعلن هؤلاء الإخوان المقاومة وانخرطوا فيها، حتى يتصدوا لهذه الخطط والمشاريع ويوقفوها.

---

(1) نقلا عن: سعيد علوان، **التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر**، دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة– الجزائر، 2001، ص.112.

(2) نقلا عن: المهدي البوعبدلي، « الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي »، **الأصالة**، العدد8، الجزائر، ماي/جوان 1972، ص.312.

(3) أحميدة عميراوي وأخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2009، ص.105.

هـ ـ ادعاء وانتحال شخصية المهدي المنتظر، الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم، من قبل بعض زعماء المقاومة الوطنية، الذين ينتمون أو يدعون الانتماء للطريقة الرحمانية، كان أحد الأسباب التي دفعت بالإخوان الرحمانيين للارتماء والانخراط فرادى وجماعات، وبأعداد غفيرة في تلك المقاومة، وكمثال عن هؤلاء الزعماء الشيخ محمد أمزيان مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة الأوراس، وزعيم ثورة 1293هـ/1879م، الذي بعث برسالة إلى شيخ الطريقة الرحمانية بمنطقة عين مليلة، يدعوه فيها إلى استنفار الإخوان بالمنطقة، للجهاد والمشاركة في ثورته التي يقودها بصفته المهدي المنتظر [1].

1-2- دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة:

بعد أن سقطت السلطة المركزية في مدينة الجزائر سنة 1244هـ/1830م، ظهر الفراغ السياسي واختفت القيادات القديمة بعد أن عجزت عن أداء مهامها وتحمل المسؤولية، كما عجزت المدن عن صنع قيادة بديلة، بدأت تظهر قيادات جديدة في الأرياف ملأت الفراغ وكانت من زعماء الأعراش وزعماء الطرق الصوفية، وهنا بدأ يبرز دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة حيث ظهر على الساحة السياسية أو ساحة الأحداث المسمى علي السعدي أو الحاج سيدي السعدي[2]، وهو شخصية صوفية رحمانية حسب اعتقاد أبو القاسم سعد الله[3]، وتمكن برفقة شخصيات أخرى من ملء الفراغ السياسي لفترة من الزمن وإلى أن ظهرت زعمات أخرى موازية له.

كان الحاج سيدي السعدي خارج الجزائر عندما نزلت القوات الفرنسية بساحل سيدي فرج وعندما احتلت العاصمة، ولما رجع إلى أرض الوطن رفض دخول مدينة الجزائر حتى لا يعيش تحت سلطة الكافر، وقرر أن يحط رحاله بسهول متيجة أين بدأ يعد العدة لمحاربة المحتل الفرنسي، ولم يتوان في

---

(1) مسعود عثماني، **المرجع السابق**، ص.130 ؛ ينظر: **ملحق رقم (03)**.

(2) حسب رواية نيل جوزيف روبان Nil Joseph Robin فإن الحاج علي السعدي هو حفيد سيدي السعدي دفين مدينة الجزائر سنة 1124هـ/1710م، والذي كانت له زاوية جهة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وقد توارثت عائلته مشيختها وأصبحت بفضلها من أكثر العائلات الدينية ثراء نظرا للموارد الكثيرة التي كانت تأتي لهذه الزاوية من الزيارات والأوقاف، وقد قام الاحتلال الفرنسي بهدمها سنة 1284هـ/1870م. أما الحاج علي السعدي فهو توفي قبل هذا التاريخ الأخير أي في حدود 1257هـ/1843م. يراجع:

Nil Joseph Robin, « Note Historique sur la Grande Kabylie (De 1830 A 1838) », **in R.A**, Volume 20, A. Jourdan- Libraire- Editeur, Alger, 1879, p, p.90-218

أما حفيد الحاج علي السعدي والمدعو موسى السعدي فهو يعتقد أن جده عاش 125 سنة وتوفي عام 1328هـ/1914م، وقد شارك في ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1285هـ/1871م، كما شارك في ثورة عين بسام سنة 1320هـ/1906م. يراجع: موسى السعدي، **صفحات ونصوص مختارة من طي النسيان**، دار الخلدونية، الجزائر، ط.1، 1432هـ/2011م، ص.20.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.142.

تجنيد كل الطاقات ضد هذا العدو، حيث قام بشراء حصان أخذ يطوف به القرى والأرياف ويتصل بكل من يتوسم فيه استعداد للمقاومة لاسيما رجال الزوايا، ويدعوهم إلى لمِّ الشمل، وتوحيد الصفوف وشحذ الهمم لمجابهة هذا المحتل المتغطرس، فكان بذلك أنشط الدعاة للجهاد ومن أشدهم إيمانًا بالمقاومة[1].

ورغم أن الحاج سيدي السعدي لم يكن من المحاربين، إلا أنه كان على رأس المجاهدين روحيا، وكان بمثابة الضمير المحرك خلال هجوماتهم الناجحة على القوات الفرنسية في ضواحي العاصمة عند بداية الاحتلال، مستعملاً الرؤى الصوفية للتأثير عليهم مثل معظم المرابطين الدعاة للجهاد الذين كانوا يستعملون هذه الرؤى لحشد المجاهدين وتحميسهم على قتال العدو[2].

ونظرًا لشدة وقوة دعوته وتأثيرها العميق في نفوس الناس وعقولهم، فقد انظم إليه كبار القوم وزعماء القبائل من مختلف المناطق المحيطة بالعاصمة يتقدمهم الحاج محمد بن زعموم الذي كان في السبعين من عمره آنئذ، وهو رجل قوي الشخصية، رزين لا يتسرع في اتخاذ القرارات إلا بعد تفكير عميق في الأمر، وبعد استشارة مقربيه من ذوي العلم والخبرة، كما أنه مجاهد ومقاتل شجاع، ومقدام لا يتراجع في ساحات الوغى، وله قدرة كبيرة على التخطيط للمعارك[3]، وهو أول من شن هجومًا على القوات الفرنسية بعد احتلالها للعاصمة[4].

في سنة 1251هـ/1837م انظم الحاج سيدي السعدي إلى مقاومة الأمير عبد القادر، وعينه هذا الأخير خليفة له على المنطقة الممتدة من سهل متيجة إلى ناحية الشرق لتشمل جميع المناطق التي هي

---

(1) موسى السعدي، **المرجع السابق**، ص.11.

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.125.

(3) Eugéne Dumas et Michel Fabar, **La Grand Kabylie: Etude Historique**, Ed Hachette, Paris, 1847, p.146

(4) Younes Adli, **Lakabylie à L'épreuve Des Invasions: Des Pheniciens à 1900**, Zyrieb Edition, Alger, 2004, p.121

وللمزيد من المعلومات عن هذه الشخصية الفذة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. يراجع:

Nil Joseph Robin, **La Grande Kabyle sous Le Régime Turc**, ed Bouchene, Paris, 1999, p-p.135-154

خارج سلطة الحاج أحمد باي[1]، وذلك قبل أن يقوم بعزله ويعين مكانه أحمد الطيب بن سالم[2]، الذي هو أكثر كفاءة منه في تفعيل المقاومة ضد القوات الفرنسية حسب اعتقاد الأمير عبد القادر[3].

وبعد سقوط مدينة قسنطينة في يد القوات الفرنسية، خلال سنة 1253هـ/1837م، قرر الحاج أحمد باي ـ بإيعاز وضغط من خاله بوعزيز بن قانة ـ أن يتوجه إلى الجنوب وبالضبط إلى بسكرة، لمحاربة شيخ العرب ـ المعزول ـ فرحات بن سعيد، والتخلص منه بدعوى أن هذا الأخير يهددهم من مكان تواجده، ثم التفرغ بعد ذلك لمحاربة الفرنسيين واسترجاع قسنطينة[4]، هنا بدأ يبرز دور الإخوان الرحمانيين في هذا الصراع وفي المقاومة بالمنطقة فيما بعد، حيث انقسموا بين مؤيد لفرحات بن سعيد[5]،

---

[1] ولد الحاج أحمد باي في حدود سنة 1200هـ/1786م من أب تركي وأم جزائرية، وهو حفيد الباي أحمد القلي الذي حكم بايلك الشرق الجزائري مدة ست عشرة سنة ابتداءها عام 1169هـ/1755م، وقد تولى الحاج أحمد حكم بايلك قسنطينة في عهد الداي حسين سنة 1240هـ/1826م، وشارك في معركة سطاولي ضد القوات الفرنسية، وقد توفي مسمومًا عام 1264هـ/1850م. يراجع: محمد العربي الزبيري، **مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، ط.1، 2014، ص–ص.10–13

وعن حكمه لبايلك الشرق في الفترة الممتدة من 1244هـ/1830م إلى 1251هـ/1837م يراجع:

Abd Eljalil Temimi, **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837)**, Tunis, 1978.

[2] أجداد أحمد الطيب بن سالم من فاس، هاجروا إلى الجزائر في نهاية القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي تحت قيادة شيخهم سيدي سالم بن مخلوف، واستقروا في بوغني ثم مدينة الجزائر أين أسس شيخهم زاوية في باب الواد، ثم استقروا بمنطقة القبائل عند بني جعد، وعند قدوم الفرنسيين كان لمحمد بن سالم زعيم العائلة ثلاثة أبناء من بينهم أحمد الطيب الذي تولى زعامة العائلة بعد وفاة والده لكونه يمتاز بأخلاق وفضائل كثيرة. يراجع: محمد الصغير فرج، **تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954**، تعريب موسى زمولي، مطبوعات ثالة، الجزائر، 2007، ص.63 ؛

Nil Joseph Robin, « Notes sur la Grande kabylie de 1838 a 1851 », **in R.A**, Volume 46, A. Jourdan- Libraire- Editeur, Alger, 1879, p, p.90-218

[3] Eugéne Dumas et Michel Fabar, **Op.cit**, p.12.

توجه الحاج سيدي السعدي بعد ذلك إلى زاوية أولاد باباس عند المرابط الحاج علال وتزوج إحدى بناته، واستقر به المقام عند هذا المرابط إلى أن توفي حوالي سنة 1257هـ/1843م. للمزيد يراجع:

Nil Joseph Robin, « Note Historique sur la Grande Kabylie (De 1830 A 1838) », p.218.

[4] محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص–ص.76–78

[5] ينتمي إلى أسرة بوعكاز الذواودة شيوخ وحكام الصحراء، تولى مشيخة العرب خلال العهد العثماني في الفترة الممتدة من 1235هـ/1821م إلى 1240هـ/1826م، وتمكن من السيطرة على الصحراء كحاكم مطلق عن مناطق نفوذه إلى أن وصل الحاج أحمد باي إلى الحكم سنة 1240هـ/1826م، فبدأ يقلص من نفوذه وذلك بالقضاء على حلفائه كأسرة ابن زكري التي كانت تحظى بمكانة إدارية وعسكرية هامة بقسنطينة، وأسرة ابن نعمون وأسرة الأبيض وغيرها من الأسر المتحالفة معه، والتي هي كلها أسر نافذة ذات مناصب هامة بقسنطينة. يراجع: جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص–ص.229–300

للمزيد من المعلومات عن الكيفية التي قضى بها الحاج أحمد باي عن هذه الأسر يراجع:

Bouaziz Ben Gana, **Une Famille de grands chefs sahariens les Bengana**, E. Soubiron, Alger, 1930, p-p.34-35

مثلما هو الحال بالنسبة للحسن بن عزوز الذي هو من أسرة صوفية تنتمي إلى زاوية الدراج الرحمانية، التي جمعت بين المهام العلمية والطرقية المرابطية[1]، وكان يشغل منصب كاتب خاص لفرحات بن سعيد[2]، وبين مؤيد للحاج أحمد باي كما هو حال البوازيد، الذين هم من أتباع الطريقة الرحمانية واختاروا الانضمام إلى هذا الأخير.

وقد يكون اختيارهم هذا، جاء نتيجة كون الحاج أحمد باي يمثل مشروع المقاومة والجهاد ضد الغزاة الصليبيين، وهو ما يتلاءم مع مبادئ الطريقة الرحمانية، التي رفعت لواء هذا المشروع منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر سنة 1244هـ/1830م، عكس فرحات بن سعيد الذي لم يكن في نظر هؤلاء إلا شخصًا أنانيا يبحث عن المصلحة الشخصية، والآنية والحفاظ على منصبه، لاسيما وأنه راسل القائد العام الفرنسي دوروفيقو De Rovigo سنة 1246هـ/1832م، عارضا عليه المساعدة لمحاربة الحاج أحمد باي[3].

كما سبق له أيضا أن بعث برسالة إلى الجنرال فوارول Fwaroul مكتوبة بلون الدم[4]، دلالة منه على استعداده الكامل للتضحية في سبيل إعلاء مجد فرنسا وقهر الحاج أحمد باي[5]، وعليه حينما قرر الحاج أحمد باي التعسكر بزاوية سيدي رحال بين فوغالة والعامري، استعدادًا لمواجهة فرحات بن سعيد وقام هذا الأخير بالاستنجاد بأولاد نايل لدعمه، فأمدوه بحوالي خمس مائة رجل، تحرك البوازيد وقطعوا الطريق أمام هؤلاء الرجال وهاجموهم فقتلوا منهم حوالي خمسون رجلاً، وقد جاء تحركهم هذا نجدة للحاج أحمد باي، الذي تمكن بفضل هذه المساعدة من هزم فرحات بن سعيد، وقتل حوالي ستمائة من أتباعه

---

(1) أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ط.2، 1425هـ/2004م، ص.162

(2) إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**، دار هومة، الجزائر، 2005، ص.31

(3) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**، عالم المعرفة، الجزائر، ط.خ، 2009، ص.96 ؛
L. Charles Féraud, « Les Ben- Djellab sultans de Tougourt », **in R.A**, Volume 24, A. Jourdan-Libraire- Editeur, Alger, 1880, p.229

نشير إلى أن الأمير عبد القادر ذاته لم يكن يثق في شخص فرحات بن سعيد، وفي ولائه له بدليل أنه حينما عينه خليفة له على منطقة الزيبان خلفا للحسن بن عزوز سنة 1254هـ/1840م، اشترط عليه أن يترك أفراد عائلته عنده كرهائن حتى يضمن عدم خداعه له، واستسلامه للفرنسيين مرة أخرى. يراجع: إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص.56.

(4) ينظر: **ملحق رقم (04).**

(5) للاطلاع على هذه الرسالة وعلى ترجمتها باللغة الفرنسية يراجع: عبد الحميد زوزو، **محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)**، دار هومة، الجزائر، 2004، ص–ص.124–128

مما دفع به إلى طلب الدعم والمساعدة من الفرنسيين لملاحقة الحاج أحمد باي، غير أن الفرنسيين ماطلوه ولم يجيبوه[1].

وبطلبه الدعم والمساعدة من الفرنسيين، يكون فرحات بن سعيد قد أكد شكوك البوازيد فيه، وأبان عن نيته وشخصيته اللاوطنية، التي جعلت معظم أتباع الطريقة الرحمانية يفضلون الانضمام إلى الحاج أحمد باي بدلاً من الانضمام إليه، وربما حتى أقرب المقربين انفضوا من حوله، وانقلبوا عليه بسبب تصرفه هذا مثلما فعل كاتبه الخاص الحسن بن عزوز، الذي طلب من الأمير عبد القادر أن يعينه خليفة له على منطقة الزيبان، بدلا من أن يطلب ذلك لفرحات بن سعيد الذي أرسله رفقة أخيه الحاج باي إلى الأمير عبد القادر من أجل هذا الغرض[2]، حتى وإن علمنا أن الحسن بن عزوز كان هو رسوله وسفيره إلى الدوق دوروفيقو Duc de Rovigo سنة 1246هـ/1832م[3]، غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه كان موافقا وراضيا على ما يقوم به فرحات بن سعيد، إذ أن قبوله تولى هذه المهمة، قد يكون ناتجا عن خوفه من بطش فرحات بن سعيد ضده وضد أفراد عائلته في حالة رفضها، أو ناتجا عن خطأ وقع فيه هذا الشخص الذي هو بشر كبقية البشر غير معصوم من الأخطاء، لكنه قرر أن يتوب عن خطائه لاسيما وأنه سليل أسرة صوفية رحمانية تخرج على يدها كثير من أبطال المقاومة الوطنية.

وما يؤكد توجهنا هذا هي تلك المهمة التي حملها على عاتقه بمجرد تعيينه خليفة للأمير عبد القادر على منطقة الزيبان، والمتمثلة في محاربة الفرنسيين وأعوانهم[4].

وحتى بعد أن عزله الأمير عبد القادر من منصبه هذا، ونصب مكانه فرحات بن سعيد الذي قتل في ظروف غامضة[5]، لم يستسلم الحسن بن عزوز للقوات الفرنسية، ولم يعرض عليها التعاون معها لمحاربة الأمير عبد القادر والانتقام منه، بل ظل معتصمًا بالمناطق الشمالية الجبلية حول المسيلة يشن الهجمات على هذه القوات، إلى أن ألقي عليه القبض من طرف قبائل المنطقة التي سلمته للخليفة أحمد المقراني بمجانة، فسلمه بدوره إلى السلطة الفرنسية، التي نفته إلى جزيرة سان مارقوريت Saint

---

[1] إبراهيم مياسي، « خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان »، **المجلة الخلدونية**، العدد03، الجمعية الخلدونية، بسكرة– الجزائر، 2004، ص.65.

[2] إبراهيم مياسي، « خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان »، ص.66.

[3] L. Charles Féraud, « Les Ben- Djellab sultans de Tougourt », p.299

[4] فيما يتعلق بتعيين الحسن بن عزوز خليفة على منطقة الزيبان، والمهام التي كلف بها. يراجع: يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج.1، ص–ص.461–462

[5] محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972، ص–ص.21–23

Marguerite التي وصل إليها سنة 1255هـ/1841م، وبقي فيها حتى مطلع عام 1258هـ/1844م، أين أعيد إلى مدينة عنابة بالجزائر، وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي عام 1261هـ/1847م[1].

غير أن إلقاء القبض على الحسن بن عزوز ونفيه، لم ينهي دور ونشاط الإخوان الرحمانيين، الذي أضحى في وتيرة متزايدة ومتسارعة، بتزايد وتسارع الأحداث والمخاطر المحدقة بالمنطقة، فقد استعان بهم الأمير عبد القادر مرة أخرى بعد مقتل فرحات بن سعيد الذي لم يكن من أسرة صوفية[2]، وقام بتعيين محمد الصغير بن أحمد بن الحاج مقدم الطريقة الرحمانية بسيدي عقبة خليفة له على منطقة الزيبان سنة 1255هـ/1841م[3]، وقد كانت هذه الاستعانة من الأمير عبد القادر بالرحمانيين لاستعدادهم وتأهبهم للجهاد أكثر من غيرهم[4].

وبعد أن انسحب محمد الصغير بن أحمد بن الحاج من مدينة بسكرة، قبيل احتلالها من طرف القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال Duc D'Aumale عام 1258هـ/1844م اتجه صوب قرية مشونش[5]، التي تقع شمال شرق بسكرة وتبعد عنها بحوالي 30 كلم[6]، أين استقبله سكانها الذين هم من أتباع الطريقة الرحمانية بحفاوة، وعاهدوه على الجهاد إلى جانبه لاسيما وأن العدو واحد ومشترك بينهما، ويستعد لمد سيطرته إلى الواحات المجاورة لبسكرة، وفي مقدمتها واحة مشونش، التي هي بوابة الأوراس

---

(1) أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص.164 ؛ يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.463.

(2) محمد شرقي، **الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي مع بعض الطرق الأخرى (1830–1881)**، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية– قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1996–1997، ص–ص.221–222

(3) إبراهيم مياسي، « خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان »، ص.76

ورد في بعض المراجع أن تاريخ اغتيال فرحات بن سعيد هو 1256هـ/1842م، وهو التاريخ نفسه الذي تولى فيه محمد الصغير بن أحمد بن الحاج منصب خليفة الأمير عبد القادر على منطقة الزيبان. يراجع: محمد العربي حرزالله، **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830–1930)**، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص–ص.178–179

(4) محمد شرقي، **المرجع السابق**، ص.221

(5) فوزي مصمودي، « معركة مشونش ببسكرة 1844 الخالدة »، **المجلة الخلدونية**، العدد03، الجمعية الخلدونية، بسكرة– الجزائر، 2004، ص.136

(6) محمود الواعي، « نبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج وبعض معاركه الحربية ضد الاحتلال الفرنسي »، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837–1954**، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة– الجزائر، د.ت، ص.191

من ناحية الجنوب، مما يعني للعدو إحكام سيطرته على هذه المنطقة، بعد أن يكون قد أحكم سيطرته على منطقة الزيبان بأكملها[1].

وحينما قرر الدوق دومال Duc D'Aumale تعقب محمد الصغير بن أحمد بن الحاج، واقتحام قرية مشونش، سارع الشيخ الصادق بن الحاج مقدم ومؤسس الزاوية الرحمانية بجبل أحمر خدو إلى نجدته ونجدة الأهالي هناك[2]، مما مكنهم من صد هجوم القوات الغازية، وإلحاق الهزيمة بها بعد أن كبدوهم خسائر فادحة في معركة دامت يومًا كاملاً[3]، في الوقت الذي كان فيه الدوق دورمال Duc D'Aumale يظن حسب تكهناته الواهية، أنها لا تتجاوز بضع ساعات[4].

لقد زاد هذا الانتصار من عزيمة الإخوان الرحمانيين، ورفع معنوياتهم كما أكسبهم ثقة كبيرة بأنفسهم، فراحوا يلعبون أدوارًا رئيسة في كل الثورات التي تلت هذه المعركة.

ففي سنة 1260هـ/1846م قام الشيخ المختار الجيلالي، شيخ زاوية أولاد جلال الرحمانية باستقبال وإيواء الشيخ الشريف بومعزة زعيم ثورة 1258هـ/1844م بمنطقة الونشريس، وأعلن عن مساندته المطلقة له، ووقوفه بجانبه في ثورته ضد المحتل الفرنسي، وأخذ يقوم بتعبئة السكان ويحثهم على الجهاد، مما جعل السلطات الفرنسية ترسل حملة عسكرية إلى أولاد جلال بقيادة الجنرال هيربيون Herbillon سنة 1261هـ/1847م انطلاقا من مدينة باتنة، غير أن هذه الحملة لقيت مقاومة شديدة من قبل السكان، تكبدت القوات الفرنسية خلالها خسائر كبيرة أبرزها مقتل الرائد بيون Billon، مما دفع بقائد الحملة إلى إعطاء الأوامر لقواته باستعمال كل ما تملك من الوسائل، لمواجهة هذا الموقف وإنهاء الانتفاضة بأقصى سرعة قبل أن تنتقل شرارتها إلى أماكن ومناطق أخرى، ولم يطلع فجر اليوم السابع للحملة، حتى كانت القوات الفرنسية قد حسمت المعركة لصالحها[5].

إلا أن هناك من الباحثين من يرى أن المنطقة ظلت صامدة، وبقيت مستعصية على الغزاة حتى قيام ثورة الزعاطشة عام 1263هـ/1849م[6]، هذه الأخيرة التي تولى تفجيرها وزعامتها أحد الطرقيين

---

(1) محمد العيد مطر، « الاحتلال الفرنسي للأوراس »، **أضواء الأوراس التاريخية**، عدد تجريبي، الجزائر، 2006، ص.39.

(2) عبد الحليم صيد، **أبحاث في تاريخ الزيبان**، مطبعة سوف، الوادي– الجزائر، ط.1، 2000، ص.53.

(3) محمود الواعي، **المرجع السابق**، ص.191.

(4) شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة. ــ الجزائر، 2008–2009، ص.33.

(5) محمد العربي حرزالله، **المرجع السابق**، ص–ص.224–230.

(6) إسماعيل حنفوق، **المرجع السابق**، ص.62 ؛ A.O.M (G.G.A) F80-498

بالمنطقة وهو الشيخ بوزيان، الذي قال عنه بعض المؤرخين أنه كان رحمانيا، في حين يرى آخرون أنه درقاويا[1]، وقد ثار في وجه السلطة الفرنسية بسبب الضرائب الباهظة التي فرضتها، وبسبب ما يقوم به ضباط المكاتب العربية، والقيادات العميلة من إحصاء للسكان والأملاك، ومراقبة التجارة والأسواق، وتنقل الأشخاص، ومراقبة الزوايا وزيارات الإخوان، والتدخل في شؤون القضاء والإسلام والتعليم[2].

وقد لبى الرحمانيون نداء الجهاد الذي أطلقه الشيخ بوزيان، وكانوا من الأوائل الذين شاركوا في هذه الثورة، يتقدمهم الشيخ المختار الجيلالي والشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم الطريقة الرحمانية بخنقة

---

[1] هناك من يقول أن الشيخ بوزيان الذي كان يشغل منصب شيخ واحة الزعاطشة ضمن موظفي إدارة الأمير عبد القادر بمنطقة الزيبان، كان مقدمًا للطريقة الرحمانية بذات الواحة. يراجع: محمد شرقي، **المرجع السابق**، ص.231

وهناك من ذهب إلى القول إنه كان شيخا للطريقة الدرقاوية بالزيبان. يراجع: عثمان سعدي، **المرجع السابق**، ص.564

بينما اكتفى آخرون بوصفه درقاويا. يراجع: أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.162

غير أن محمد العربي حرزالله يرى بأن الشيخ بوزيان لم يكن شيخ زاوية كما كان حال بعض من عاصروه وشاركوه في الثورة من الشيوخ، كالشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ المختار الجيلالي، والشيخ الصادق بن الحاج، كما لم يكن رجل دين تقليدي، وإن كان من أتباع الزاوية الرحمانية. يراجع: محمد العربي حرزالله، **المرجع السابق**، ص- ص.248-249

وبعض المصادر التاريخية تقول إنه كان من المرابطين والأشراف. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.331

أما نحن نرجح أن يكون الشيخ بوزيان رحمانيا، وقد يكون من مقدمي الطريقة الرحمانية بالمنطقة، وذلك لعدة اعتبارات نلخصها في النقاط التالية:

أ. الشيخ بوزيان حينما عقد العزم على محاربة الفرنسيين كان أول من اتصل بهم ونسق معهم، هم شيوخ الزوايا الرحمانية ومقدميها بالمنطقة، وبالمناطق المجاورة لها، وقد لبوا نداء الجهاد بسرعة دون تأخر أو تماطل، بل دعوا أتباعهم ومريدهم للمشاركة في هذه الثورة. يراجع: محمود الواعي، « التسلسل الزمني للتغلغل الاستعماري الفرنسي بالأوراس »، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837-1954**، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة- الجزائر، د.ت، ص.162

ب. ما ورد عن محمود الواعي، من أن الشيخ بوزيان هو ابن عم الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر على منطقة الزيبان، واسمه الكامل هو عبد الرحمان بن زيان.

والحسن بن عزوز كما ذكرنا سابقا من أسرة صوفية تنتمي إلى زاوية الدراج الرحمانية، مما يعني أن الشيخ بوزيان من أتباع الزاوية الرحمانية. يراجع: محمود الواعي، « ثورة الزعاطشة »، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837-1954**، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة- الجزائر، د.ت، ص-ص.220-221

ج. الطريقة الرحمانية كانت أكثر الطرق الصوفية انتشارًا بين سكان منطقة الزيبان، ومعظم هؤلاء كانوا من أتباعها ومريدها، لاسيما شيوخهم، والشيخ بوزيان أحدهم.

د. قد يكون الأمر إلتبس على أولئك الذين قالوا أنه درقاويا، فلم يميزوا بين الشيخ بوزيان، وبين رفيقه في الجهاد موسى الدرقاوي الذي ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية، وقد استشهد وقطعت رأسه بدوره رفقة الشيخ بوزيان وابنه.

[2] إسماعيل حنفوق، **المرجع السابق**، ص.63

سيدي ناجي، الذي دعا بدوره إلى الجهاد وشارك في الثورة رغم تقدم السن به واستشهد أثناءها[1]، كما شارك في هذه الثورة الشيخ الصادق بن الحاج، مؤسس زاوية لقصر بجبل أحمر خدو ومقدم الطريقة الرحمانية بها، الذي استنفر بدوره جميع أتباعه ومريديه وحثهم على الجهاد إلى جانب الشيخ بوزيان[2].

ورغم أن ثورة الزعاطشة انتهت بالفشل[3]، إلا أن نشاط الإخوان الرحمانيين لم ينته، ودورهم في المقاومة لم يتوقف، حتى وإن توقف نشاطهم ولوقت قصير بعد هذه الثورة في منطقة الزيبان والأوراس، إلا أنهم ظهروا ثانية على ساحة الأحداث، وهذه المرة في منطقة القبائل أين لبوا نداء الجهاد الذي أطلقه من هناك الشريف بوبغلة[4]، وذلك سنة 1265هـ/1851م حيث انضم أغلبهم في هذه المنطقة إلى هذه الثورة،

---

[1] عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص-ص.130-131

[2] محمود الواعي، « نبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج...»، ص.192

[3] للمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة، وعن أحداثها وأسباب فشلها يراجع:
General Herbillon, **Insurection surenue dans le sud de la province de Constantine en 1849- Relation siege de Zaatcha**, Libraire Militaire, Paris, 1862 ; Joseph- Adrien Seroka (Le Commandant), « Le Sud Constantinois de 1830 à 1855 », **in R.A**Volume 56, A. Jourdan- Libraire- Editeur, Alger, 1912, p-p.503-523;
إسماعيل العربي، « الترتيبات التاكتيكية لحصار قرية الزعاطشة »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م، ص-ص.151-163؛ عيسى جعنيط، « مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن19- ثورة الزعاطشة 1849- أسبابها- تطوراتها »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م، ص-ص.141-149 ؛ البخاري حمانة، « بعض أسباب فشل ثورة الزعاطشة »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م، ص-ص.165-171 ؛ يحي بوعزيز، « أضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة والشيخ بوزيان بالزيبان عام 1849 »، **مجلة الثقافة**، العدد32، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، إبريل- ماي 1976، ص-ص.39-50

[4] اسمه الحقيقي محمد الأمجد بن عبد المالك، ويلقب ببوبغلة لأنه كان يركب بغلاً أثناء تنقلاته بين القرى والمداشر، واختلف الناس في أصله، فبعضهم يعتقد أن أصله من تافيلات المغربية فيدعونه بالمغربي، وبعضهم يعتقد أنه كان صبايحيا قديمًا في حرس مليانة وفريق ثالث ذكر بأنه كان سجينا قديمًا في جزيرة سانت مارقريت Sainte Marguerite بفرنسا ويدعى الحاج محمد المغربي. يراجع:
Nil Joseph Robin, « Histoire du cherif Boubaghla », **in R.A**, Volume 25, A. Jourdan- Libraire- Editeur, Alger, 1881, p.307
ظهر بوبغلة لأول مرة في سوق سور الغزلان حيث نصب خيمة وكان يكتب التمائم ويداوي المرضى، كما كان منجمًا، وقيل أنه سياسي محنك، وخطيب مؤثر، استطاع بذكائه أن يجمع من حوله طلبة الزوايا وزعماء القبائل في زواوة ويقنعهم بمبايعته على الجهاد. يراجع:
محمد سي يوسف، **مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي- ثورة بوبغلة**، دار الأمل، الجزائر، 2000، ص-ص.79-84 ؛ محمد سي يوسف، « ملاحظات حول كتاب بوبغلة لصاحبه الطاهر أوصديق »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد الرابع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1408هـ/1988م، ص.78؛ وللمزيد من المعلومات عن حياة بوبغلة يراجع:
Nil Joseph Robin, **Histoire du cherif Boubaghla**, Jourdan, Alger, 1884.

وكان على رأسهم الحاج عمر وكيل زاوية محمد بن عبد الرحمان الأزهري[1]، والسيدة أو الشيخة لالا فاطمة مقدمة زاوية ورجة الرحمانية[2] التي كانت تشرف على الفرق الفدائية وتساعد بوبغلة في مهامه[3]، وبعد استشهاده سنة 1268هـ/1854م خلفته رفقة الحاج عمر على رأس المقاومة[4]، وكان الحاج عمر يشجعها على الجهاد لما آنس فيها الشجاعة وقوة الشخصية والطموح البارز والقدرة على الزعامة[5].

لقد خاضت لالا فاطمة والحاج عمر معارك ضارية وشرسة وشديدة في جبال جرجرة، ضد القوات الفرنسية، ولعل أشهر هذه المعارك على الإطلاق معركة ايشريضن قرب قرية أربعاء نايت إيراثن سنة 1271هـ/1857م، عندما غزا الماريشال راندون Randon المنطقة فتصدى له رجال المقاومة بزعامة الحاج عمر ولالا فاطمة[6].

---

(1) كان الحاج عمر وكيلا لزاوية بوقبرين في آيت إسماعيل منذ عام 1257هـ/1843م، وسالم الفرنسيين في بداية أمره، بل لعب دور الوسيط بينهم وبين سكان قشطولة عندما غزت قواتهم المنطقة عام 1263هـ/1849م وعام 1265هـ/1851م، وبعد اندلاع ثورة بوبغلة لزم هو زاويته في بادئ الأمر غير أن أتباعه التحقوا بالثورة، وبما أن السلطات الفرنسية لم تكن مرتاحة لأمره رغم حياده الظاهري فقد اعتقلته عام 1265هـ/1851م، وأرغمته على إيقاف نشاطه الديني قبل أن تأذن له بأداء فريضة الحاج عام 1266هـ/1852. يراجع: يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر، ط.1، 1400هـ/1980م، ص.99

(2) ولدت لالا فاطمة سنة 1244هـ/1830م، بقرية ورجة بلدية أبي يوسف دائرة عين الحمام، ولاية تيزي وزو، ووالدها هو الشيخ محمد بن عيسى الذي كان مقدمًا للطريقة الرحمانية بالمنطقة، أما أمها فهي تركية آث بوخولاف من قرية عسكر دائرة افرحونن، وقيل أن أمها هي لالا خديجة التي سميت على اسمها قمة جبل جرجرة. وقد استوعبت لالا فاطمة القرآن الكريم حفظًا وفهمًا على يد والدها، ولها خمسة إخوة هم: سي محمد الطيب، سي الطاهر، سي الهادي، سي أحمد، وسي الشريف، ولها أختان وهما: تسعديت ويامنة. للمزيد من المعلومات عن شخصيتها ونضالها يراجع: سعيد عبادو، « لالا فاطمة نسومر»، **مجلة الثقافة**، العدد 109، وزارة الثقافة، الجزائر، يوليو- أغسطس 1995، ص-ص.11-14 ؛ عبد الرحمان الجيلالي، **المرجع السابق**، جـ.5، ص ص.177-181 ؛

Mohamed Chérif Ould El Hocine, **De La Resistance Laguerre D'Indépendance 1830-1962**, Casbah- Edition, Alger, 2010, p-p.20-21

(3) عبد الله مقلاتي، **المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص.59.

(4) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص-ص.131-132

(5) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.352

(6) الماريشال ماكماهون، **فتح الجزائر**، ترجمة حامد مصطفى، بغداد- العراق، د.ت، ص-ص.170-178

لقد شهد العدو الفرنسي بضراوة و شدة هذه المعركة وخلّدها بنصب تذكاري كبير. محمد أرزقي فراد، **جزائريات صنعن التاريخ**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 2006، ص.54.

وللاطلاع على أهم المعارك التي كان للمجاهدة لالا فاطمة دور فيها. يراجع: مزيان سعيدي، **قضايا ودراسات تاريخية**، مطبعة النجاح، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص.41.

ظل هذان الأخيران يجاهدان ويقاومان إلى أن ألقي عليهما القبض من قبل السلطات الفرنسية سنة 1271هـ/1857م، فنفي الحاج عمر وأفراد عائلته إلى الخارج وبالضبط إلى تونس، واستقر بزاوية نفطة الرحمانية بالجريد التونسي، قبل أن يلتحق بالبلاد المقدسة في الحجاز[1]، بينما أرسلت لالا فاطمة وإخوتها إلى زاوية تابلاط بسور الغزلان وفرضت عليها الإقامة الجبرية هناك حتى توفيت سنة 1277هـ/1863م، ودفنت بالقرب من أخيها الطاهر الذي توفي قبلها بعام[2].

وفي الوقت الذي كانت فيه منطقة القبائل تشهد أحداث ثورة الشريف بوبغلة، ومن بعدها أحداث ثورة لالا فاطمة، كان الإخوان الرحمانيون في منطقة الأوراس والزيبان لا يزالون مصدومين من هول وبشاعة جرائم جيش الاحتلال في واحة الزعاطشة، ويستحضرونها في أذهانهم ليلاً ونهارًا، ومن بين هؤلاء الإخوان الشيخ سي الصادق بن الحاج مقدم الطريقة الرحمانية بجبل أحمر خدو جنوب الأوراس، الذي تأثر كثيرًا بعد فشل ثورة الزعاطشة في تحقيق أهدافها، وتألم لمصيرها المؤلم، كما تألم أيضا لاستشهاد زعيمها الشيخ بوزيان الذي قتل بطريقة وحشية[3]، حيث قطع رأسه ورأس ابنه الصغير، وخربت واحته عن آخرها[4]، مما زاد في كراهية وعداء الشيخ الصادق بن الحاج لفرنسا، وجعله يحس بروح الانتقام لشهداء الزعاطشة وغيرهم.

راح الشيخ سي الصادق يهيء الظروف والأسباب، ويعد العدة، ويشحذ الذمم لإعلان الجهاد والثورة على فرنسا[5]، وكان يخطب في أتباعه ومريديه الذين هم من الإخوان الرحمانيين، خطبا مستلهمة من الوازع الديني، يدعوا من خلالها إلى الجهاد ضد الكفار الذين استولوا على أرض الإسلام بقوة الحديد والنار، واعتدوا على المسلمين فقتلوهم وشردوهم وانتهكوا حرماتهم، وسلبوا أموالهم وأعراضهم[6].

وكان ابنه إبراهيم يكتب الرسائل باسم أبيه، ويبعث بها إلى أهل المناطق المحيطة بجبل أحمر خدو، يدعوهم فيها إلى الاستعداد للجهاد والانضمام للثورة التي سيعلنها والده، وحدث أن بعث برسالة مع

---

(1) Louis Rinn, **Op.cit**, p-p.457-459

(2) حسن حموتن، « لالا فاطمة نسومر 1830-1863 »، **الأصالة**، العدد16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، سبتمبر- اكتوبر1973، ص-ص.161-165

(3) الأمير بوغداده، « دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13 هجري/ 19 ميلادي »، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع**، العدد15، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، جوان 2015، ص.410.

(4) محمود الواعي، « نبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج...»، ص.193

(5) A.O.M (G.G.A) F80-506.

(6) مسعود عثماني، **المرجع السابق**، ص.84

أحد مريدي والده يعرف باسم بوغريب إلى سيدي عقبة، وعندما حاول هذا الأخير أن يقرأ الرسالة أمام الناس في سوق القرية، اعترض سبيله مجموعة من الأشخاص وحاولوا الاعتداء عليه مما جعله يفر ويلجأ إلى مقدم الزاوية الرحمانية بسيدي عقبة ليحتمي به، هنا انكشف أمره وأمر سيده سي الصادق بن الحاج، فقررت فرنسا القضاء على الثورة في مهدها، فأرسلت في أواخر عام 1272هـ/1858م الجنرالين قاستو Gasto وديسفو Desvaux في حركة منسقة، مكنتهم من الالتفاف بالثوار الذين لم يستكملوا بعد تنظيمهم، فكان اللقاء بين الطرفين بقرية مشونش في أوائل عام 1273هـ/1859م، أين جرت المعركة الحاسمة التي كان الانتصار فيها من نصيب الفرنسيين(1).

أما عن نتائج هذه الثورة فقد كانت وخيمة جدًا على أهل المنطقة بصفة عامة، وعلى الشيخ سي الصادق بن الحاج وأبنائه ومريديه من أتباع الطريقة الرحمانية بصفة خاصة، حيث تعرضت زاويته للهدم والتدمير، كما تعرضت قرية لقصر التي تقع بها الزاوية إلى التخريب، بعد أن استولى الغزاة على كل ما كان بها من مؤن وغنم وبقر وخيول، بالإضافة إلى ما سلطوه على الشيخ سي الصادق وأبنائه من تعذيب وسجن ونفي وتشريد داخل الوطن وخارجه(2).

إلا أن هذا الأسلوب الوحشي الذي استخدمه المحتل وتعامل به مع الثوار، لم يمنع من اندلاع ثورة أخرى سنة 1275هـ/1861م في القبائل الشرقية بزعامة أحمد بن مولاي محمد مقدم الطريقة الرحمانية بالمنطقة الذي تمكن من استقطاب عدد كبير من الأنصار القادمين من الصحراء وتونس، وحتى من طرابلس وذلك بعد أن قام بالتنسيق مع شخص آخر كان على صلة قوية بالطريقة السنوسية يعرف باسم محمد بن عبد الله، وقد عمل الرجلان كل ما باستطاعتهما لتوحيد مواقف شيوخ الزوايا عبر كامل القطر الوطني، أو على الأقل بشرق البلاد لإعلان ثورة شاملة ضد المحتل الفرنسي، لكن هذا الأخير لم يمهلهما الوقت الكافي لذلك، حيث تمكن من إخماد ثورة أحمد بن مولاي محمد سنة 1278هـ/1864م(3).

---

(1) L.Charles Feraud, « Notes Historiques sur la province de Constantine », **inR.A**, Volume 30, A. Jourdan- Libraire- Editeur, Alger, 1886, p-p.103-107

(2) عبد الرحمان تيبرماسين، **سي الصادق بن الحاج الانتفاضة الكبرى 1844-1859**، مؤسسة الانجازات الفنية والجرافيكس، باتنة- الجزائر، ط.1، د.ت، ص-ص.25-27؛ عباس كحول، **قراءة في مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844م - 1859م**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة ــ الجزائر ،ط.1، 2015م، ص.67.

(3) صالح فركوس، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925)**، مديرية النشر لجامعة قالمة، الجزائر، 2010، ص.89.

رغم أن هذه الثورة انتهت بالفشل، إلا أن الإخوان الرحمانيين بمنطقة القبائل لم يفشلوا، ولم تنهار قواهم، ولم يستسلموا للأمر الواقع الذي حاول المحتل الفرنسي أن يفرضه عليهم، حيث انتفضوا مرة أخرى سنة 1285هـ/1871م ولبوا نداء الجهاد الذي أطلقه الشيخ الحداد[1]، شيخ زاوية صدوق الرحمانية تضامنًا مع الباشا آغا المقراني[2]، الذي تمرد عن السلطة الفرنسية وقام بانتفاضة كبيرة انتشرت بسرعة رهيبة[3]، حيث امتدت رقعتها الجغرافية من الحدود الشرقية إلى شرشال غربًا، ومن القل، جيجل، بجاية، تيزي وزو شمالا إلى الزيبان والأوراس وواحات الصحراء جنوبًا[4].

ويعتبر انضمام الشيخ الحداد للثورة مكسبًا كبيرًا لها، إذ جزَّ الإعلان الذي أطلقه للجهاد أكثر من مائة وعشرين ألف مجاهد خلال نصف شهر تقريبا، وكلهم من أتباعه الرحمانيين الذين ينتمون إلى مائتين

---

(1) يدعى محمد أمزيان بن علي بن الحداد ويكن بابن الحداد، ولد في قرية صدوق الأعلى الواقعة بجبال جرجرة سنة 1205هـ/1790م، أخذ الطريقة الرحمانية عن تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري مؤسس الطريقة وهم على التوالي الشيخ الحاج عبد القادر بن المختار التفيشي، والشيخ علي بن عيسى الذي لازمه ثمانية عشر عامًا، كما أخذ عن تلميذ هذا الأخير يدعى الحاج المهدي السكلاوي البراتني الزواوي، وأصبح بعد ذلك كله ابن الحداد الشيخ الحقيقي للطريقة الرحمانية بمنطقة القبائل وبلغت شهرة تقواه الآفاق، وقد توفي ليلة الثلاثاء أول ليلة من شهر ربيع الأول سنة 1290هـ الموافق لـ 29 أفريل 1873م. للمزيد من المعلومات يراجع: عمار الطالبي، « الشيخ ابن الحداد الصوفي الثائر»، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، ص.31.

(2) اسمه الكامل محمد بن أحمد المقراني ولد بالتقريب ما بين 1229هـ/1815م و1234هـ/1820م بناحية مجانة ــ ولاية برج بوعريريج حاليا ــ في أسرة غنية وذات نفوذ سياسي كبير منذ العهد العثماني، حيث كانت لها سلطة غير محدودة على عدة قبائل، وقد تمكن الفرنسيون من استمالة زعيم هذه الأسرة أحمد المقراني ومنحوه لقب الخليفة بأمر ملكي سنة 1252هـ/1838م، وعندما توفي سنة 1267هـ/1853م عين ابنه محمد المقراني مكانه لكن بلقب أقل قيمة ونفوذ من لقب الخليفة وهو الباشا آغا، وقد اعتبر محمد المقراني ذلك إهانة وتجاهلاً له مما دفع به إلى تقديم استقالته من هذا المنصب، لكنه ظل يتدخل لدى السلطات الفرنسية لحماية مصالح السكان إلى أن أعلن الثورة على هذه السلطات سنة 1285هـ/1871م. يراجع: علي بطاش، **لمحة عن تاريخ منطقة القبائل (حياة الشيخ الحداد وثورة 1871)**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 2010، هـ.ص.148.

(3) لقد خلد أحد الشعراء هذه الثورة وانتشارها الواسع والسريع عبر مناطق مختلفة من القطر الوطني في قصيدة شعرية، اخترنا منها الأبيات التالية:

أججوا الحـرب فعـادت جذعة ... ثـورة عمت ســـهولا وتلالا
وسرت كالنار في جنح الدجى ... تلهب الشعب يميـنا وشمـالا
ركـــزوا الرايـات في أجبالـهم ... وإلى الصحـــراء مدوها ظلالا

يراجع: عمر شكيري، « الذكرى المئوية لثورة 1871 »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني،، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، ص–ص.45–46

(4) بسام العسلي، **محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية**، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط.2، 1403هـ/1983م، ص.147.

وخمسين قبيلة تؤلف ستمائة ألف نسمة، بينما لم يتمكن الباشا آغا المقراني قبل ذلك أن يجمع سوى خمسة وعشرين ألف مقاتل ينتمون إلى قبائل برج بوعريريج، وبوسعادة وسور الغزلان[1].

وقد خاض الإخوان الرحمانيون خلال هذه الثورة معارك ضارية وشرسة ضد العدو الفرنسي، وكبدوه خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد[2]، لكن بما أنهم كانوا يتحركون من منطلق الحماس الديني الذي يرون فيه أهم سلاح بيدهم إلى جانب سمعة شيخهم الحداد، ويفتقرون إلى خطة محكمة، وإلى السلاح الضروري الذي يساعدهم على مواجهة عدوهم بالقوة الكافية فإنهم فشلوا في تحقيق هدفهم[3]، وكان مصير ثورتهم هاته كمصير الثورات التي سبقتها.

بعد أن تمكن العدو من إخماد نيران هذه الثورة بفضل استخدامه للسلاح المتطور كالمدفعية، وبسبب تسرع المجاهدين وبروز خلافات بين زعمائهم حول القيادة، بعد استشهاد محمد المقراني، وإلقاء القبض على أخيه بومرزاق وزعماء الرحمانيين[4]، صب هذا العدو ــ كعادته ــ جم غضبه على كل من شارك في هذه الثورة، فأخذ يصادر الممتلكات ويفرض الضرائب القاسية، ويصدر الأحكام الجزافية من المحاكم المدنية والمحاكم العسكرية، والتي تصل إلى حد السجن المؤبد أو الإعدام أو النفي إلى كاليدونيا الجديدة كما حدث مع بومرزاق المقراني والشيخ العزيز وأخوه محمد بن الحداد وغيرهم[5].

رغم المصير المؤلم الذي آلت إليه هذه الثورة، وآل إليه زعماؤها إلا أن الإخوان الرحمانيون زرعوا من خلالها الرعب والخوف والهلع في نفس العدو، وأيقظوا مضجعه بدليل أنه حينما ألقى القبض على

---

(1) يحي بوعزيز، « الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 »، **مجلة الأصالة**، السنة الثالثة، العدد 14 و15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الثاني- جمادى الأولى- جمادى الثانية- رجب 1393هـ/ ماي- جوان- جويلية- أوت 1973م، ص.168.

(2) من بين أهم المعارك التي خاضها الإخوان الرحمانيون ضد العدو الفرنسي في هذه الثورة نذكر: معركة تالا اومالو، معركة تامدّة، معركة ذراع الميزان، معركة ممر بني زيان، معركة ذراع أم الريح، معركة الجليدة، معركة وادي السوفلات، معركة تيجلابين، معركة سباعو. يراجع: الطاهر أوصديق، **ثورة 1871**، ترجمة: جناح مسعود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، 1989، ص-ص.60-97

(3) يحي بوعزيز، **ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)**، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص.256 ؛ محفوظ قداش، « مقاومة شعب يحركه الإيمان »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، ص-ص.19-20

(4) Ali Battache, **Aperçu historique sur la kabylie (La vie de Cheikh el Haddad et L'insurrection de 1871**), Editions Elamel, Alger, S. D, p.162

(5) يحي بوعزيز، **وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص-ص.39-51

زعيمهم الشيخ الحداد الذي كان طاعنًا في السن ومصاب بالشلل لا يقوى على الحركة[1]، كما أن دوره في هذه الثورة لم يتعد الزعامة الروحية، أصدر في حقه حكمًا بالسجن النافذ لمدة خمس سنوات بدلا من أن يكتفي بفرض الإقامة الجبرية عليه كما تقتضيه الأعراف والأخلاق الإنسانية في مثل هذه الحالات.

وحين أوصى الشيخ الحداد بأن يدفن بعد وفاته في قرية صدوق التي تتواجد بها مقبرة أبائه وأجداده، رفض العدو ذلك وأبى إلا أن يدفن بمدينة قسنطينة التي سجن فيها[2]، خوفًا من أن تثير جنازته بصدوق مشاعر أتباعه من الإخوان الرحمانيين بتلك المنطقة وتؤجج في نفوسهم روح الثأر والانتقام له فيندفعون إلى الثورة مرة أخرى.

غير أن الشيء الذي غاب عن ذهن هذا العدو هو أن الإخوان الرحمانيين لم يكونوا في يوم من الأيام بحاجة إلى ما يؤجج في نفوسهم نار الثورة، لأن هذه النار لم تخمد عندهم أصلاً منذ أن وطأت أقدام هذا المحتل أرض الجزائر سنة 1244هـ/1830م.

ففي سنة 1290هـ/1876م أشعل الإخوان الرحمانيون ثورة أخرى ضد العدو في واحة العامري التي تقع على بعد 48 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة[3]، وكانت بزعامة المقدم الرحماني أحمد بن عياش شيخ آل جابري أو الجبابرة[4]، والشيخ محمد بن يحي بن محمد شيخ أولاد إدريس[5]، وأبدى السكان

---

(1) مولود قاسم، « مغزى الاحتلال بذكرى أمجادنا »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، ص.14 ؛ يحي بوعزيز، « ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م، ص.28.

(2) حسب ما ورد في الورقة الأولى من مخطوط وصية الشيخ أبي الحداد فإن هذا الأخير قد توفي ليلة الثلاثاء أول ليلة من شهر ربيع الأول عام تسعين ومائتين وألف، عن عمر ناهز ثلاثة وثمانين سنة بمدينة قسنطينة التي دفن بمقبرتها عشية يوم الثلاثاء، وقد حضر جنازته علماء البلد وخاصتهم وعامتهم. ينظر: **ملحق رقم (05)**.

(3) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.226.

(4) يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر، 1999، ص.181.

(5) أولاد إدريس يعتبرون فرعًا من البوازيد، وقد كان شيخهم محمد بن يحي بن محمد يبلغ 35 سنة عندما تزعم الثورة، وقد سبق له أن شغل منصب كاتب الخوجة لبولخراص بن قانة لمدة من الزمن، في حين تولى أخوه الأكبر مسعود الذي يشاع عنه أنه قتل مسمومًا منصب قاضي في مدينة بسكرة، أما الشيخ محمد فهو استشهد خلال الثورة التي قادها سنة 1290هـ/1876م. يراجع: محمد العيد مطمر، « مقاومة واحة العامري 1876 »، **المجلة الخلدونية**، العدد03، الجمعية الخلدونية، بسكرة- الجزائر، ديسمبر 2004، ص، ص.90، 94

خلالها بطولة وشجاعة رغم قلة إمكانياتهم المادية والبشرية(1)، وكادت أن تتحول إلى حرب طويلة المدى لو لا تدخل القوات الفرنسية بسرعة وبأعداد كبيرة لتطويقها وإخمادها، لاسيما بعد أن تمكن الشيخ أحمد بن عياش من ربط اتصال بشيوخ آخرين لهم وزنهم بالمنطقة وأقنعهم بدعم الثورة، كالشيخ بن بريكة شيخ أولاد مسعود، والشيخ بلحاج بن محمد بن سالم شيخ أولاد أيوب، بالإضافة إلى شيخ زاوية متليلي بالشعانبة(2).

لكن مصير هذه الثورة كان الفشل كبقية الثورات التي سبقتها، حيث قتل الشيخ أمحمد يحي بن محمد وأسر الشيخ أحمد بن عياش مع مجموعة من الثوار، وقدموا للمحاكمة فحكم عليهم بالإعدام ثم عوض بالمنفى، وفرضت عليهم غرامة مالية تقدر بـ: 192.200 فرنك فرنسي، وصودرت جميع ممتلكاتهم. أما الواحة فقد خربتها قوات الجنرال كارتيري Carteret وهدمت دورها، وهجرت أهلها إلى التل الوهراني أين تعرضوا إلى مجاعات فضيعة، ونكبات اقتصادية واجتماعية حادة(3).

وفي سنة 1293هـ/1879م، ثار الشيخ محمد أمزيان بن عبد الرحمان في الجهة الغربية من جبال الأوراس، وأعلن الجهاد المقدس ضد السلطة الفرنسية وأعوانها، وكان هذا الشيخ إمامًا بجامع قرية الحمام(4)، وشيخًا للزاوية الدينية بها، وهو من مقدمي الطريقة الرحمانية بالمنطقة(5)، وتلميذ الشيخ إبراهيم بن سي الصادق بن الحاج، كما كان يكثر من زياراته لزاوية تيبرماسين الرحمانية التي أسسها الشيخ إبراهيم بعد خروجه من السجن(6)، مما يجعلنا نعتقد أنه تأثر بما لحق بشيخه وأفراد عائلته وزاويتهم الأصلية بلقصر عقب ثورة 1275هـ/1858م، فقرر أن ينتقم لهم جميعًا.

مهما تكن الأسباب التي من أجلها أعلن الشيخ محمد أمزيان ثورته، فإنه عمل جاهدًا ليمُدَ رقعتها إلى المناطق المجاورة مدعيًا للناس بأن الفرنسيين لم تبق لهم أية قوة في هذه البلاد، وأن هزيمتهم

---

(1) يحي بوعزيز، « نماذج من مقاومة سكان الواحات »، **مجلة الأصالة**، العدد41، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص-ص.117-134

(2) محمد العربي حرزالله، **المرجع السابق**، ص.372

(3) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص-ص.323-234 ؛ وللمزيد من المعلومات عن هذه الثورة يراجع: مصطفى حداد، « انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري والمناطق المجاورة 1876 »، **مجلة الثقافة**، السنة الرابعة عشر، العدد81، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، شعبان- رمضان 1404هـ/ مايو- يونيو 1984م، ص-ص.211-221

(4) هذه القرية تقع جنوب غرب مدينة باتنة، وتبعد عنها بحوالي 60 كلم، وهي تابعة حاليا لدائرة إشمول ولاية باتنة.

(5) D. Luciani, « Un souvenir de L'insurrection de 1879 », **in R.A**, Volume 26, A. Jourdan. Libraire- Editeur, Alger, 1925, p-p.190-196

(6) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص-ص.238-239

محققة[1]، وكان من ضمن من كاتبهم مقدمي الطرق الصوفية بمنطقة الزيبان وبالأخص الطريقة الرحمانية يحثهم على الانخراط في الثورة والجهاد ضد فرنسا، وتمكن من حشد عدد كبير من الثوار خاصة من جبل أحمر خدو الذي هب سكانه للمشاركة في الثورة، وفي مقدمتهم أولاد سيدي محمد[2].

وقد مرت الثورة بثلاث مراحل وهي مرحلة مهاجمة القياد، ثم مرحلة مواجهة الجيش الفرنسي وأخيرًا مرحلة الفشل والمطاردة، وكانت مرحلة مواجهة القياد أنجح مرحلة بالنسبة للثوار من حيث اتساع نطاق الثورة، ومن ناحية القضاء على ممثلي السلطة العسكرية[3].

لكن رغم هذا التوسع، ورغم الإمدادات التي وصلت إلى الثوار خلال هذه المرحلة من قبل سكان المناطق المجاورة، ومن قبل الإخوان الرحمانيين بالدرجة الأولى، فإن الثورة كان مصيرها كمصير كل الثورات التي سبقتها، وهو الفشل نظرًا لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين.

1-3- تقييم دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة:

لقد رمى هؤلاء الإخوان بكل ثقلهم فرادى وجماعات في المقاومة الوطنية خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وكان انخراطهم على هذا النحو حدثا بالغ الأهمية بالنسبة للمقاومة نفسها، وبالغ الخطورة بالنسبة لسلطات الاحتلال الفرنسي، بحيث تحولت إستراتيجية الحرب وأساليبها وتغير طابعها، إذ كانت في البداية عبارة عن امتداد لمقاومة الحاج أحمد باي، ثم مقاومة الأمير عبد القادر، لكن سرعان ما تحولت من بعدهما إلى انتفاضات شعبية عارمة، يقودها طرقيون وشيوخ زوايا لا صلة لهم بالنظم الإدارية الحديثة، ولا بالمظاهر الأوروستقراطية[4]، ولا يفقهون في السياسة سوى فقه

---

[1] يحي بوعزيز، « انتفاضة سكان الأوراس عام 1879 »، **مجلة الأصالة**، السنة السابعة، العدد 61/60، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، رمضان- شوال 1398هـ/ أوت- سبتمبر 1978م، ص.229.

[2] Abd elhamid zouzou, **L'Aures au temp de la France Coloniale (Evolution politique economique et sociale 1837-1939)**, Editions Distribution Houma, Alger, 2é Editions, 2002, Tome1, p-p.288.289

[3] عبد الحميد زوزو، **ثورة ابن جار الله (بويرمة) بالأوراس سنة 1879**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص-ص.42-43

للمزيد من المعلومات حول مجريات وأحداث هذه الثورة من خلال ما كتبه الصالح بن المحية أحد أعوان فرنسا والذي قدم لجيشها خدمات كبيرة في هذه الثورة مكنته من القضاء عليها. يراجع: عبد القادر زبادية، « وثيقتان عن ثورتي الأوراس لسنتي 1859-60-1879 »، **مجلة الأصالة**، السنة السابعة، العدد 61/60، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، رمضان- شوال 1398هـ/ أوت- سبتمبر 1978م، ص-ص.208-219

[4] قد يقول أحدهم أن الباشا آغا المقراني زعيم ثورة 1285هـ/1871م كان أوروستقراطيا وكان موظفا إداريا لدى سلطة الاحتلال الفرنسي ولم يكن شيخ طريقة أوزاوية، فنرد عليه بالقول أننا لم نقل في يوم من الأيام عن هذا الزعيم أنه كان شيخ زاوية أو من الإخوان الرحمانيين، كما أن دوره في تلك الثورة اقتصر على الجانب العسكري والسياسي قبل أن يستشهد والثورة في أوجها، أما الزعامة الروحية فقد كانت للشيخ الحداد، شيخ زاوية صدوق الرحمانية.

المقاومة، التي يرون فيها واجب مقدس لابد من الإتيان به لأنه يفضي في النهاية إلى الفوز بأحد الحسنيين النصر أو الشهادة.

وكان من المفروض، أن تكون النتائج في مستوى هذه الخطورة من الجانب الإيجابي للوطن ومستقبله بصفة عامة، وللمنطقة بصفة خاصة.، لكن الذي حدث هو العكس، إذ أن إخفاقات الإخوان كانت تأتي بصورة سريعة شبيهة بطريقة انخراطهم في المقاومــة عقب كل ثورة يعلنوها في وجه المحتل، وذلك من الأمور التي عجلت بوضع حد لدورهم ونشاطهم في المقاومة الوطنية، فما هي الأسباب يا ترى ؟

للإجابة عن هذا السؤال فلا يمكن أن نكتفي بما يتداول في كتب التاريخ، من أن سبب الإخفاق في جميع الانتفاضات يعود إلى جملة من العوامل المتشابهة، كتفوق العدو في العدة والعتاد، وامتلاكه لخطط حربية مرنة تسمح له بالمناورة عند اللزوم، بالإضافة إلى التأطير والتنظيم المحكم لجميع وحداته العسكرية على خلاف الثوار الذين يفتقرون لكل ذلك، إذ توجد عوامل أخرى ربما تكون جزءًا من الإجابة، وسنلخصها في النقاط التالية:

أ. الإخوان الرحمانيون انتفضوا انتفاضة الجريح في دينه وكرامته ووطنه، ولكن دون نظام، وكان على رأسهم مرابطون وطرقيون يدّعون أنهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك تسموا باسمه محمد بن عبد الله، أو يدّعون أنهم رأوه في المنام وبشرهم بالنصر على المحتل الكافر، كما ادعى بعضهم أنه المهدي المنتظر وأن النصر حليفه[1]، فحملوا راية الجهاد لكي يتبعهم الأتباع ويتحمسون للشهادة وقتال العدو، إلا أنه بمجرد ما أن يستشهدوا أو يؤسروا ويسجنوا، حتى يتفرق شمل الإخوان ويتشتت صفهم وتنهار قواهم وتثبط عزائمهم، لأنه كان من المفروض أن لا يكون هذا هو مصير زعمائهم الذين بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم- حسب زعمهم- بالنصر.

ب. انعدام التكوين العسكري عند معظم الإخوان، وافتقارهم إلى الخبرة القتالية التي تسمح لهم بقيادة المقاومة، أو الانخراط فيها ومواجهة عدو يمتلك خططًا حربية متطورة، ويمتاز بالتنظيم المحكم والتأطير الجيد.

ج. إلقاء الإخوان الرحمانيين بكل ثقلهم في معركة واحدة، واعتمادهم على أسلوب المواجهة مع عدو يفوقهم عددًا وعدة وتنظيمًا، مما كان يحدث خسائر كبيرة في صفوفهم، ويؤدي إلى انهيار معنوياتهم، ويسرع من إخفاقهم في مواصلة المقاومة.

---

(1) صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.27.

د. عجزهم عن إيجاد، وتعيين قائد بديل عن مفجر الثورة في حالة ما استشهد في المعركة، أو أسر من طرف العدو.

ولكن مهما تكن الأسباب والعوامل التي حالت دون تحقيق الإخوان الرحمانيين لنتائج ايجابية خلال ثوراتهم، إلا أننا نعتقد أن هؤلاء الإخوان قد لعبوا دورًا هامًا في المقاومة الوطنية، حيث كانوا كالوقود الذي يمدها بالطاقة اللازمة كلما كانت بحاجة إليه، مما جعل نارها تضل مشتعلة في وجه المستعمر، ويتعطل بذلك تقدمه في كثير من المناطق لعدة سنوات، وتفشل جميع مشاريعه وخططه الاندماجية والتنصيرية.

ونعتقد أننا لسنا على خطأ إن قلنا أن الدور الأكبر في هذه المقاومة بشقيها العسكري والفكري، كان على عاتق هؤلاء الرجال، الذين كانوا يستمدون قوتهم من الدين الإسلامي، وكانت وسيلتهم التعليم والقيام بالجهاد. وأنه كلما زاد ضغط الاحتلال عليهم، وتمعنت قواته في اضطهادهم وتشريدهم، كلما ولد ذلك عندهم رد فعل وطني، انعكس في تلك الثورات التي قادوها ضده خلال ذلك القرن، أو شاركوا فيها في القرن الموالي له، حتى وإن لم تكن هذه الثورات لتفضي إلى نتائج ايجابية على مستقبلهم، ومستقبل المنطقة والوطن بصفة عامة، إلا أنها كانت تربك العدو وتقلقه وتؤخر عليه مشاريعه، كما أنها كانت تبعث روح الجهاد وتجدده في نفوس الأتباع كلما أصابهم ضعف ووهن.

لكن هذا لا يعني أن جميع مقدمي الطريقة الرحمانية كانوا على نسق واحد في علاقتهم مع المحتل الفرنسي، إذ أن منهم من اختار لنفسه ولزاويته الحياد والمسالمة إن لم نقل الولاء والخضوع والتبعية والانبطاح لسلطة العدو، إلا أن هؤلاء عددهم قليل جدًا ويعدون على الأصابع، ونكاد أن لا نوليهم أي أهمية لو لا وزنهم وثقلهم في الطريقة الرحمانية وشهرة زواياهم، ونذكر منهم علي بن عمر[(1)]، شيخ زاوية طولقة الرحمانية ببسكرة الذي وصفه يحي بوعزيز بالمسالم[(2)]، وقال عنه أبو القاسم سعد الله (ويظهر أن الشيخ علي بن عمر لم يتدخل مباشرة في السياسة)[(3)]، إلا أننا نخالفه الرأي بهذا الشأن، إذ

[(1)] هو علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق، ينتهي نسبه إلى الشيخ علي بن عثمان الشريف الحسني، دفين بلدة الدوسن في منطقة أولاد جلال بولاية بسكرة، ولد الشيخ علي بن عمر ببلدة طولقة حوالي سنة 1166هـ/1752م، نشأ وتربى في أحضان الطريقة الرحمانية على يد شيوخ أجلاء يتقدمهم الشيخ محمد بن عزوز، ولما بلغ سن الثامنة والعشرين أسس زاويته بطولقة سنة 1194هـ/1780م، وقد توفي سنة 1256هـ/1842م على إثر طلق ناري أطلق عليه بالخطأ من قبل أحد أفراد جيش محمد الصغير العقبي خليفة الأمير عبد القادر على منطقة الزيبان. يراجع: سليمان الصيد، **المرجع السابق**، ص–ص.9–14

[(2)] يحي بوعزيز، **ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)**، ص.78.

[(3)] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.149.

نعتقد أن شيوخ هذه الزاوية وطيلة فترة الاحتلال الفرنسي خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي لم يكونوا بمنأى عن ما كان يدور حولهم من أحداث سياسية وغيرها، كما نعتقد أيضا أنهم كانوا على صلة بسلطة الاحتلال وحاولوا أن يتقربوا منها بأي شكل من الأشكال، وذلك حفاظا على زاويتهم وعلى مريديها وإبعاد الشبهة عنهم، لاسيما وأنهم من أتباع الطريقة الرحمانية المعروفة بعدائها للمحتل.

والشيء الذي جعلنا نعتقد هذا الاعتقاد هو تلك الرسائل التي بعث بها ــ على فترات مختلفة ــ بعض شيوخ هذه الزاوية إلى بعض الحكام العامين بمدينة الجزائر يهنئونهم فيها بخطب ما، أو يترجونهم تقديم يد المساعدة لهم أو لزاويتهم، وهذه الرسائل تتضمن عبارات التمجيد والتعظيم لفرنسا ولحكامها، وكلماتها منتقاة بدقة تامة وبأسلوب جد بليغ يعبر عن مدى حرص المرسل على مخاطبة وِّدُ المرسل إليه والتقرب منه.

ومن بين هذه الرسائل نذكر تلك الرسالة التي بعث بها الشيخ أحمد بن عمر بن علي بن عمر أخ شيخ زاوية طولقة ــ كما ورد في الرسالة ــ سنة 1302هـ/1888م إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر، يطلب منه إعطاء الإذن لولده للسفر إلى أعراش الجلفة وأعراش الأغواط، ويعلمه أنه وعائلته خدام الدولة الفرنسية، وهم بمثابة أولاد وخدام هذا الحاكم[1].

وفي رسالة أخرى بعث بها الشيخ عمر بن علي بن عثمان بن علي بن عمر، شيخ زاوية طولقة إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر سنة 1314هـ/1900م، يطلب منه أن يعينه في منصب الإفتاء بناحية بسكرة، والذي ظل شاغرًا منذ وفاة والده علي بن عثمان الذي كان يشغله إلى غاية آخر سنة 1312هـ/1898م، وأنه سيسلك مسلك والده، ويسير على سيرته في إخلاص الخدمة للدولة الفرنسية التي كافأت والده على ما قضاه من حياته الطويلة في خدمتها، حيث بذل جهده، وصرف همته واستعمل نفوذه الديني كله في حث المسلمين على طاعتها لاسيما وقت الشدائد كعام الزعاطشة والعامري وأحمر خدو وغير ذلك[2].

وفي هذا اعتراف صريح من الشيخ عمر بن علي أن من كان يتولى أمر الزاوية قبله أي والده علي بن عثمان لم يكن محايدًا ولا بعيدًا عن ما كان يدور حوله من أحداث سياسية، كما أن لويس رين

---

[1] ينظر: **ملحق رقم (06)**.

[2] ينظر: **ملحق رقم (07)**.

Louis Rinn قال أن علي بن عمر شيخ زاوية طولقة رضي منذ البداية بالخضوع للمحتل، وجعل زاويته ملاذًا للجنود الفرنسيين خلال الأحداث التي شهدتها بسكرة سنة 1257هـ/1843م و1258هـ/1844م[1].

وما قيل هنا عن زاوية طولقة وعن شيوخها يقال أيضا عن زاوية الهامل ببوسعادة وعن شيخها محمد بن بلقاسم، ففي إحدى الرسائل التي بعث بها هذا الأخير إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر أواخر سنة 1308هـ/1894م ينهي إلى علمه أن له نحو خمسة وثلاثين سنة أو أكثر وهو مجتهد في خدمة فرنسا بنية خالصة، وكلما صدر له أمر من طرف حكامها إلا واستجاب مسرعًا، سواء بقول أو فعل أو مال كما حدث في ثورة 1278هـ/1864م وثورة 1285هـ/1871م، وثورة بوعمامة، وكل أمر يرجع إليه إلا وكانت عاقبته خيرًا، لذلك فقد حان الوقت لترد له السلطة الفرنسية الجميل وتسقط عنه وعن أخيه ضريبة المواشي والدواب والحرث والنخيل، وتجعل راتبا للناس الذين يخدمون في زاويته، كما فعلت مع الشيخ أحمد بن سالم التجاني في عين ماضي ومحمد العيد بتماسين، وعلي بن عثمان في طولقة[2].

كما أن زاوية الهامل وزاوية طولقة لم تتعرضا لما تعرضت له أغلب الزوايا الرحمانية من تخريب وحرق وهدم، وتشريد لأتباعها والتنكيل بهم، وهو ما يجعلنا نتساءل عن السر الذي جعل سلطة الاحتلال تُبقي عن هاتين الزاويتين وتسمح لهما بالنشاط دون أن تلحق بهما ولا بشيوخهما أي أذى، رغم أنهما تنتميان للطريقة الرحمانية التي تعتبرها العدو اللدود لها من بين جميع الطرق الصوفية الأخرى؟

وقبل أن ننهي حديثنا عن هذا التيار فلابد أن نشير إلى أن الطريقة السنوسية وبالرغم من قلة عدد أتباعها هنا في الجزائر، إلا أنها نهجت نهج الطريقة الرحمانية في مقاومتها للمحتل الذي اعتبرته عدوها الأول والرئيس، والذي يجب أن لا تتهاون في مقاومته ومجاهدته مهما كانت الظروف والأحوال، وهو ما عملت على تحقيقه منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

وتعتقد السلطة الفرنسية أن بإمكان السنوسية أن تشعل بإشارة منها ثورة عارمة وعامة في الجزائر، إذ بمقدور شيخها أن يجند خمسة وعشرين ألف من المشاة، وألف وخمسمائة فارس[3]. ويعتبرها هنري دوفايري Henri Duveyrier بمثابة الخطر الذي يهدد الهيمنة الفرنسية في شمال إفريقيا، ويهدد

---

[1] Louis Rinn, **Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie**, Imp. Jourdan, Alger, 1891, p.481

[2] ينظر: **ملحق رقم (08)**.

[3] محمود براهم، **العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدًا ومجاهدًا 1788-1859**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص.137.

مشاريعها التوسعية والتجارية اتجاه إفريقيا جنوب الصحراء[1]، ولذلك يجب مراقبتها وإعاقة تطورها في كل مكان، وحيث ما كان ذلك ممكنًا[2].

وقد ثبت أن للسنوسية صلة بعدة ثورات وانتفاضات هنا في الجزائر، مما يجعل تأثيرها الثوري مجال يحتاج إلى كثير من الدراسة والبحث[3].

2- تيار مقاوم ثم متخاذل:

هذا التيار تمثله ثلاث طرق صوفية وهي القادرية، الدرقاوية، الطيبية، ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية السياسية بعد التيار الأول، وذلك بسبب قيادة أتباعه للمقاومة الوطنية، وزعامتهم لها في بداياتها الأولى قبل أن يستسلموا للراحة والفشل ويبدءون في الاختفاء منذ بدايات العقد السابع من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ويُضَيِّعُونَ بذلك أكبر فرصة للتربع على عرش المقاومة الوطنية بلا منازع، لاسيما وأن الإخوان الرحمانيين لم يكونوا ينازعوهم أو ينافسوهم على الزعامة قبل أواخر العقد السادس من ذلك القرن، بل كانوا يجاهدون ويقاتلون تحت مظلتهم وزعامتهم بغض النظر عن انتمائهم الطرقي.

فعند بداية المقاومة الوطنية تحالفت الرحمانية مع القادرية وجاهد الإخوان الرحمانيون مع الأمير عبد القادر إلى أن انهزم سنة 1301هـ/1947م[4]، وعندما أعلن الشريف بومعزة ــ وهو من أتباع الطريقة الطيبية[5] ــ ثورته سنة 1258هـ/1844م، سانده وأيده شيخ زاوية أولاد جلال الرحمانية، الشيخ المختار الجلالي الذي قام بتعبئة سكان المنطقة وحثهم على الجهاد[6]، وفي ثورة الزعاطشة عام 1263هـ/1849م تقاسم الشيخ بوزيان الرحماني زعامتها مع موسى الدرقاوي، وظلا يجاهدان ويقاتلان إلى أن استشهدا

---

(1) Henri Duveyrier, **La Confrérie de sidi Mohammed ben Ali Es- Senousi et son domaine géographique en L'année 1300 de L'hégire = 1883 de notre ere**, Edition de la Sociéte Géographie, Paris, 1884, p-p.14-15

(2) Henri Duveyrier, **Les Touarg du Nord (Exploration du Sahara**), Challamel Ainé, Paris, 1864, p.306

(3) محمود براهم، **المرجع السابق**، ص.153.

هناك من يعتقد أن مقاومة السنوسيين للاحتلال الفرنسي بدأت على يد مؤسس الطريقة الشيخ محمد السنوسي حينما كان بمكة المكرمة، أي قبل أن ينتقل إلى الجبل الأخضر بليبيا أين أسس الزاوية البيضاء. يراجع: فهد سالم خليل الراشد، **الرباط والمرابطة (تغيرات دلالية ومقاربة صوفية فروسية لمسار الأمير عبد القادر الحسني الجزائري)**، تقديم زعيم خنشلاوي، دار الجائزة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1432هـ/2011م، ص.18.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.34.

(5) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص-ص.42-43.

(6) محمد العربي حرزالله، **المرجع السابق**، ص-ص.224-230.

معًا[1]، وكذلك عندما اندلعت ثورة الشريف بوبغلة سنة 1265هـ/1851م شارك فيها الإخوان الرحمانيون بقوة كبيرة تتقدمهم المجاهدة لالا فاطمة نسومر مقدمة زاوية ورجة الرحمانية[2]، رغم أن زعيم الثورة من أتباع الطريقة الطيبية[3]، وعليه يطرح السؤال التالي: لماذا وكيف تفاعل أتباع هذا التيار مع المقاومة الوطنية في بدايتها ثم تراجعوا وتخاذلوا ليختفوا شيئا فشيئا بعد ذلك ؟

2-1- أسباب ودوافع انخراط الإخوان القادريين والدرقاويين والطيبيين في المقاومة:

نعتقد أن الإخوان القادريين والدرقاويين والطيبيين، يشتركون مع الإخوان الرحمانيين في معظم الأسباب والدوافع التي أدت بكلا الطرفين إلى الانخراط في المقاومة الوطنية خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وهذا شيء منطقي ومعقول حسب اعتقادنا بما أن الجميع ينتمي إلى التيار الصوفي السني بغض النظر عن انتمائهم الطرقي، وعدوهم واحد ومشترك بينهم، وهو المحتل الفرنسي النصراني الذي يختلف عنهم في كل شيء، ويريد أن يبسط نفوذه وهيمنته على كل شيء وبأي شيء.

وقد سبق أن استعرضنا هذه الأسباب والدوافع حين تحدثنا عن الإخوان الرحمانيين في التيار الأول أو التيار المقاوم، ولكن هذا لا يمنعنا القول أن هناك بعض الأسباب التي تخص أتباع التيار الثاني، أي الإخوان القادريين والدرقاويين والطيبيين دون غيرهم وهي:

أ. القادرية والدرقاوية والطيبية طرق صوفية تجمع بين الدين والسياسة، لذلك كانت تسعى دائما إلى التحرر من سلطة وهيمنة الآخرين حتى وإن كانوا من المسلمين كالأتراك العثمانيين، فالقادرية والدرقاوية كانتا على خلاف سياسي مع السلطة التركية العثمانية الحاكمة هنا في الجزائر قبل 1244هـ/1830م، وكنتيجة لهذا الخلاف السياسي اعتقلت هذه السلطة شيخ الطريقة القادرية بالغرب الجزائري، الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر ـ الأمير ـ أثناء توجههما إلى الحج[4]. كما أن من

---

[1] عبد الله مقلاتي، **<u>المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)</u>**، ص.50 ؛ ب. ف، « من الثورات الشعبية- ثورة الزعاطشة- »، **<u>مجلة الجيش</u>**، العدد 407، مديرية الاتصال والإعلام والتوجيه، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، صفر 1418هـ/ جوان 1997م، ص-ص.23-24

[2] صالح فركوس، **<u>تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي- المقاومة المسلحة (1830-1962)-</u>**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- الجزائر، 2012، ص.213 ؛ مزيان سعيدي، « التأصيل التاريخي للمقاومة العسكرية لسكان منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي (1830-1851) »، **<u>مجلة المصادر</u>**، العدد 21، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، السداسي الأول 2010، ص-ص.41-48

[3] A.O.M (G.G.A) F80-499 Rapport mois du mai 1851.

[4] أبو القاسم سعد الله، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>**، ج.4، ص.30

مراتب الدرقاوية مرتبة شيخ مسؤول على الذخيرة والسلاح[1]، وهذا يدل على انخراط الطريقة في السياسة. ويرى لويس رين Louis Rinn أن الطريقة الطيبية لها أهداف سياسية، وأن طريقة إدخال الأتباع إليها تسمى تسييس[2].

وعلى عكس ذلك نجد أن الطريقة الرحمانية أُقحمت في السياسة رغما عنها، فهي وجدت نفسها مجبرة على مقاومة الغزو الفرنسي الصليبي الذي استولى على أرض الإسلام والمسلمين ودنس حرماتهم.

ب. مبدأ الطاعة العمياء لشيوخ الطريقة عند القادرية والدرقاوية، والطيبية، فإخوان هذه الطرق الثلاثة مجبرون على طاعة شيوخهم عن طريق الامتثال لأوامرهم والاستجابة لها وتنفيذها من غير سؤال أو استفسار، فالأمير عبد القادر بعدما بويع أميرا للمؤمنين من قبل الإخوان القادريين في معسكر سنة 1246هـ/1830م، أصدر تعليماته بوجوب الطاعة ثم أعلن الجهاد في سبيل الله والوطن[3]. ويذهب إدوارد دونوفو Edward Deneveu إلى أن الإخوان الدرقاويين مجبرون وبصورة عمياء على تنفيذ أوامر شيخهم بالجهاد[4]. ويقول أبو القاسم سعد الله عن أتباع الطريقة الطيبية « لكن الأتباع، وحتى المقدمين، لا يعرفون كل شيء عن أفعال شيوخهم واتصالاتهم الداخلية والخارجية، ذلك أن من شروط الدخول في الطريقة الطاعة العمياء وعدم السؤال لماذا وكيف وماذا ؟ إنهم كالميت بين غاسله، كما يقولون »[5].

ج. الدرقاويون يعتقدون أن المسلم يجب عليه أن لا يرضى بسلطة المسلم المستبد كالسلطة التركية العثمانية ــ حسب اعتقادهم ــ ولا بسلطة الكافر المحتل كالسلطة الفرنسية. وقد ورد عن إدوارد دونوفو Edward Deneveu أن أحد شيوخ الطريقة الدرقاوية وهو مولاي الشقفة الذي تقع زاويته بالقرب من مدينة جيجل ببلاد القبائل الصغرى، حينما علم أن سلطة الاحتلال الفرنسي تعد العدة لغزو تلك المناطق، جمع القبائل للجهاد وخاطب فيهم قائلا: (يجب عليكم الحفاظ على استقلالكم المهدد من قبل الفرنسيين، أنتم الذين لم تتحملوا عبودية الأتراك بالرغم من أنهم جمعوكم بهم بفعل الروابط

(1) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.89

(2) Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p.39

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.33

(4) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.88

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.97

الدينية، أتقبلون سيطرة جنس كافر؟ كلوا إذن الخبز والملح سويا، ولينهض السلام في بلادكم، وفي نفس الوقت تهيأوا واشتروا الأسلحة والبارود والرصاص لمقاومة أولئك الذين سيأتون لمحاربتكم)[1].

د. سعي شيوخ الطرق الصوفية الثلاثة القادرية والدرقاوية والطيبية إلى إيجاد نوع من التزاوج بين الطرقية والسلطة هنا في الجزائر، على غرار ما حدث في المغرب الأقصى، أين انتسب بعض السلاطين إلى الطريقة الطيبية[2]، وبطبيعة الحال هذا لا يتم ولا يتحقق في الجزائر إلا من خلال تعيين قيادات وزعامات من أتباعها يقودون الناس ويسوسونهم، لذلك سارع أتباع الطريقة القادرية وبايعوا الأمير عبد القادر قائدًا وحاكمًا عليهم وعلى غيرهم، وأطلقوا عليه لقب السلطان، وهو لقب له صلة بالحكم المطلق، غير أن الأمير عبد القادر عزف عن هذا اللقب، واكتفى بلقب أمير المؤمنين حتى يكسب ـ حسب اعتقاد بسام العسلي[3] ـ وِدّ سلطان مراكش. وقد أطلق أتباع الطريقة الطيبية على الشريف بومعزة قائد ثورة 1300هـ/1846م لقب السلطان، بل إن شيوخ الطريقة الطيبية بالزاوية الأم في وزان بالمغرب الأقصى، يعينون مبعوثين لهم إلى الجزائر ويلقبونهم بالسلاطين[4]. وفي الطريقة الدرقاوية لقب السلطان مرتبة من مراتبها يطلق على شيخ الطريقة فيدعى بسلطان الصالحين[5].

هـ. إخوان الطريقة القادرية يعتقدون أن الأحقية في السلطة تكون حسب الأسبقية في الظهور على أرض الواقع، والقادرية ـ على رأي أبو القاسم سعد الله ـ هي أول الطرق في الظهور، وهي أم الطرق على العموم[6]، ومن ثم فهي أحق بالسلطة من غيرها بعد زوال سلطة الأتراك العثمانيين، لذا سارع أتباعها في معسكر سنة 1246هـ/1832م وبايعوا الأمير عبد القادر لا كقائد لهم في الجهاد فحسب، وإنما سلطانًا عليهم، وهذا حتى يقطعوا الطريق أمام كل من تسول له نفسه أن يستولي على السلطة والحكم في البلاد من دونهم، ومن أجل ذلك هم دخلوا في صراع مع الحاج أحمد باي وحاربوه بدلا من أن

---

[1] إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.99

[2] من بين السلاطين الذين انتسبوا للطريقة الطيبية ــ حسب بعض المصادر والمراجع التاريخية ــ نذكر السلطان سليمان والسلطان عبد الرحمان. للاطلاع يراجع: إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.33 ؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.516

[3] بسام العسلي، **الأمير عبد القادر الجزائري**، ص.31

[4] هذه المعلومات مأخوذة من محضر استنطاق السلطات الفرنسية لأحد أتباع الشريف بومعزة بعد اعتقاله أثناء الثورة. يراجع: إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص–ص.42–47

[5] إدوارد دونوفو، **المصدر نفسه**، ص.89

[6] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص، ص.42، 59

يتحالفوا معه، وكذلك فعلوا مع شيخ الطريقة التجانية في عين ماضي الذي لم يرض أن يدخل تحت سلطة الأمير عبد القادر.

2-2- دور الإخوان القادريين والدرقاويين والطيبيين في المقاومة:

2-2-1- دور الإخوان القادريين:

بعد احتلال ميناء المرسى الكبير، واستسلام الباي حسن للفرنسيين سنة 1245هـ/1831م، أضحى الإقليم الغربي يشهد فوضى عارمة، ويواجه العدو بلا قيادة ولا إدارة ولا جيش[1]، وقد أصبح الناس متحررين من كل التزام، فلا ولاء لدستور ولا ضرائب لخزينة ولا طاعة لقائد، وهو ما جعل المدن تشعر بالخطر من التعدي على الحرمات، والنهب للأسواق والمنازل والخوف في الطرقات. وعندما أحس أعيان الإقليم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم في ضرورة إيجاد قيادة وزعامة إسلامية يمنحونها البيعة التي كانت في أعناقهم للباي حسن، وتقوم هذه القيادة بدورها بجمع الشمل والوقوف ضد العدو تحت راية الجهاد[2]، لجأوا إلى شخص الحاج محي الدين بن مصطفى، شيخ الطريقة القادرية بضواحي معسكر الذي وجدوا فيه ضالتهم لا سيما وأن صيته ذاع على رأس المقاومة الشعبية التلقائية في الإقليم الغربي برفقة ابنه الحاج عبد القادر منذ سنة 1244هـ/1830م، فعرضوا عليه الأمر ثلاث مرات إلا أنه كان يرفضه في كل مرة متحججا تارة بتقدم سنه، وبكونه رجل دين لا رجل حكم وإدارة، وتارة بضرورة بيعة سلطان فاس[3]، باعتباره يمثل أقرب سلطة إسلامية شرعية بالمنطقة، ويمتلك من القوة ما يجعله مؤهلا للوقوف في وجه المحتل الفرنسي[4]، غير أن هذا الاقتراح لم يكتب له النجاح بعد أن قامت الحكومة الفرنسية بتهديد سلطان المغرب، وتحذيره من مغبة التدخل في شؤون الإقليم، وهو ما جعله يأمر واليه على تلمسان بالانسحاب والعودة إلى المغرب، ويتراجع عن قرار ضم الإقليم إلى سلطته[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ص-ص.167-168

[2] محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، عني به داود بخاري ورابح قادري، دار الوعي، الجزائر، ط.2، 2015، ج.1، ص-ص.170-171

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ص-ص.170-171

[4] الأمير عبد القادر الجزائري، **مذكرات**، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.7، 2010، ص.142.

[5] شارلز هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، 2009، ص.79.

وفي أواخر سنة 1246هـ/1832م، وبعد مضي ما يقارب سنتين على حركة المقاومة في وهران، والتي كانت بقيادة داعية الجهاد شيخ الإخوان القادريين الحاج محي الدين بن مصطفى[1]، أعاد الأعيان طرح قضية البيعة على هذا الأخير، وألحوا وأصروا عليه أن يقبل بها، غير أنه اعتذر واحتج مرة أخرى بكونه قد شاخ ولا يقوى على أمور الحكم والرياسة، لكنه أشار عليهم بولده الحاج عبد القادر نظرًا لما يتمتع به من أهلية وكفاءة وأخلاق[2]، رغم أنه لم يكن أكبر إخوته ولا أكثرهم علمًا[3].

حظي اقتراح الحاج محي الدين بالرضا من قبل الأعيان، كما قبل الحاج عبد القادر بالأمر بعد أن استجابوا هم بدورهم لشروطه التي تقوم على السمع والطاعة، وتلبية نداء الجهاد ضد العدو المحتل، وتمت بيعته[4] في 03 رجب 1246هـ الموافق لـ 27 نوفمبر1832م، وكان والده أول من بايعه على السمع والطاعة ودعا لهُ، ثم لقبه بناصر الدين، وبعدها توالى الحاضرون على بيعته الواحد تلوى الآخر[5].

وكانت الخطوة الأولى التي قام بها الأمير عبد القادر بعد البيعة مباشرة، هي أن طلب من شيوخ القبائل الذين كانوا حاضرين أثناء تأدية مراسيم البيعة أن يمدوه بعدد من الفرسان، فأجابوه لطلبه وأمدوه بأربعة مائة فارس شكلوا النواة الأولى لجيشه الذي غزا به مواقع الفرنسيين[6]. كما قام أيضا بمراسلة رؤساء القبائل عبر مختلف المناطق يطلعهم على أمر البيعة، ويطلب منهم الالتحاق به لأداء فروض الولاء والطاعة كغيرهم من أجل لم الشمل وتوحيد الصفوف لمواجهة العدو المحتل الذي ينهش في حرمات البلاد والمسلمين[7]، وبعدها مضى يؤسس لقيام دولة وطنية ذات أولويات معينة، ويستهدف قوات العدو

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.172.

(2) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **المصدر السابق**، جـ.1، ص.181 ؛ الكلونيل اسكوت، **مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.109.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، جـ.9، ص.42.

(4) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **المصدر السابق**، جـ.1، ص.182.

(5) يذهب صاحب كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى إلى أن الأمير عبد القادر أخذ البيعة من أتباعه باسم سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الرحمان، وأنه خطب به على منابر تلمسان وغيرها، ودعا له، وأظهر له الطاعة والانقياد. يراجع: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، جـ.9، ص.42.

(6) الكلونيل اسكوت، **المصدر السابق**، ص–ص.109–110.

(7) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **المصدر السابق**، جـ.1، ص.188.

في أكثر من موقع، وفي أماكن جد صعبة جغرافيا وتاكتيكيا، وذلك باستخدام أسلوب حرب العصابات بوحدات صغيرة، ومعتمدًا على عنصر المباغتة والمفاجأة لإرباك هذه القوات وإرهابها وإرهاقها[1].

لقد كانت مهمة الأمير عبد القادر صعبة للغاية، إذ كان عليه أن يعمل على جبهات عديدة في آن واحد، فعليه تنظيم حكومته الجديدة، وإخضاع القبائل المتمردة أو التي تعبث بالأمن، أو تتعاون مع الفرنسيين، وعليه أيضا أن يصدر قوانين جديدة تحل محل القوانين الجائرة التي أرساها النظام البائد، وينشئ مجلس للشورى يتكون من العلماء والأعيان ورؤساء القبائل[2].

غير أن الأمير عبد القادر وبفضل ذكائه ورجاحة عقله، وحسن تدبيره، بالإضافة إلى عدله وشجاعته[3]، استطاع أن يتجاوز أغلب هذه العقبات، ويشكل حكومته التي كانت تتكون من رئيس وزراء وهو شخص الأمير عبد القادر، ومن نائب رئيس، ووزير خارجية، ثم وزير خزانة المملكة ووزير الخزينة الخاصة، بالإضافة إلى وزير الأوقاف، ووزير الأعشار والزكاة، ثم يأتي بعد الوزراء الكتبة وهم ثلاثة حسب الحاجة، ثم الحاجب، كما قام بتشكيل مجلس للشورى بلغ عدد أفراده أحد عشر عضوًا يمثلون المناطق المختلفة، وجعل على رأسهم قاضي قضاة الجزائر، واتخذ من مدينة معسكر مقرًا لحكومته[4]. كما قام أيضا بإخضاع المتمردين والمتخلفين عن البيعة[5].

وعلى أثر تلك الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي، بادر الجنرال ديميشال Dixmichels إلى طلب عقد صلح[6]، وقد كان الأمير عبد القادر نفسه يريد الهدنة لبعض الوقت ليتمكن من تنظيم شؤونه الداخلية[7]، لذلك لم يرفض هذا العرض وباشر على الفور

---

(1) العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، دار المعرفة، الجزائر، د.ت، ص.150

(2) محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط.2، 1979، ص.235

(3) خصاله هاته لم تتحدث عنها المصادر العربية فحسب، بل أشارت إليها أيضا بعض المصادر الغربية المعادية للأمير عبد القادر ذاته، وكمثال عن هذه المصادر يراجع: أ. ف. دينيزن، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص.21 ؛ يوهان كارل بيرنت، **الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص.73 ؛ الكلونيل اسكوت، **المصدر السابق**، ص.108

(4) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **المصدر السابق**، ج.1، ص.195 ؛ بسام العسلي، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط.1، 1400هـ/1980م، ص–ص.36–37

(5) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **المصدر السابق**، ج.1، ص.197

(6) عبد الله مقلاتي، **المرجع السابق**، ص–ص.35–36

(7) محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص.235

المفاوضات مع الطرف الفرنسي، وقد أفضت المحادثات بين الجانبين إلى إبرام معاهدة بينهما عام 1248هـ/1834م، عرفت فيما بعد بمعاهدة Dixmichels[1]، ومما جاء فيها مايلي[2]:

- اعتراف فرنسا بسلطة وسيادة الأمير عبد القادر على إقليم منطقة الغرب الجزائري عدا وهران وأرزيو ومستغانم، والسماح للضباط الفرنسيين بالإقامة في مدينة معسكر.
- احترام الجانب الفرنسي لعادات وتقاليد ودين العرب.
- إطلاق سراح جميع الأسرى من الجانبين.
- يعيد الأمير عبد القادر كل العسكريين الفرنسيين الفارين المتواجدين في المناطق التي تقع تحت سلطته، ونفس الموقف سيتخذه الجانب الفرنسي إزاء المجرمين العرب الذين يفرون إليه تفاديا للعقاب الذي سيطالهم جراء أفعالهم الإجرامية.
- سيعطى لكل أوروبي يبدي رغبته في السفر داخل البلاد، جواز سفر موقع عليه من قبل ممثل الأمير عبد القادر ومصادق عليه من قبل القائد العام للجزائر.
- حرية التجارة عبر كامل التراب الجزائري دون قيد أو شرط.

لكن هذه المعاهدة لم تدم طويلاً حيث سعت السلطة الفرنسية إلى نقضها، وخططت للعودة إلى الحرب من جديد فقامت بعزل الجنرال ديميشال Dixmichels وعينت مكانه الجنرال تريزيل Trézel الذي قام بحماية قبائل الدوائر والزمالة التي لجأت إليه بعد أن أعلنت الثورة ضد الأمير عبد القادر بإيعاز من فرنسا، وكان ذلك بمثابة خرق للمعاهدة وإعلان للحرب[3].

وقد استطاع الأمير عبد القادر أن يحقق انتصارًا كبيرًا في أول مواجهة له ضد الجنرال تريزيل Trézel[4]، ثم توالت انتصاراته على القوات الفرنسية في كثير من المعارك[5]، أشهرها معركة المقطع عام 1249هـ/1835م ضد الجنرال تريزيل Trézel، ومعركة سيدي يعقوب عام 1250هـ/1836م ضد

---

[1] محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص.236

[2] أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808–1847**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1983، ج.1، ص–ص.119–121

[3] عبد الله مقلاتي، **المرجع السابق**، ص–ص.38–39

[4] محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، **المصدر السابق**، ج.1، ص.275 ؛ شارلز هنري تشرشل، **المصدر السابق**، ص–ص.133–134

[5] للمزيد من المعلومات عن أحداث ومجريات هذه المعارك، وعن نتائجها يراجع: أديب حرب، **المرجع السابق**، ج.1، ص–ص.186–308

الجنرال دارلنج D'Arlanger، كما أنه أظهر شجاعة نادرة وقدرة على الصمود في معركة السكاك سنة 1250هـ/1836م، رغم انهزامه فيها أمام الجنرال بيجو Bugeaud.

وأمام هذا الوضع المتردي للقوات الفرنسية في المنطقة الغربية، وجدت سلطة الاحتلال نفسها مجبرة على طلب عقد هدنة مع الأمير عبد القادر لكسب فرصة لإعادة التنظيم والتموين، وأيضا التفرغ التام لمعركة قسنطينة الثانية[1]، وقد وافق الأمير عبد القادر على هذا الطلب، لاسيما وأن الهدنة تكسبه فترة من السلام والهدوء ليعيد تنظيم جيشه وتدعيم مركزه، بعد أن ضمن توسيع ممتلكاته في وهران والتيطري وجهة الصحراء[2].

في منتصف عام 1251هـ/1837م تم عقد معاهدة التافنة التي اعترفت للأمير عبد القادر بسيادته وسلطانه على مناطقه، وأجازت له فرنسا تعيين قناصل لدى بعضهما البعض[3]، إلا أن بعض الأوساط الفرنسية الفاعلة هنا في الجزائر وفي فرنسا تحفظت على هذه المعاهدة بحجة أنها أعطت للأمير عبد القادر ما لم يستطيع أي نصر إعطاءه إياه[4]، وعليه فإن هذه المعاهدة لم تعمر طويلا، إذ أن السلطة الاستعمارية وكعادتها في التنكر لما تعهدت به لخصومها، سارعت إلى خرق بنود هذه المعاهدة، واستدرجت الأمير عبد القادر للحرب مرة أخرى.

خاض الطرفان معارك عديدة، إلا أن سلطة الاحتلال التي استثمرت هدنة التافنة في القضاء على مقاومة الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، وفي توفير إمدادات جديدة من الجنود والعتاد العسكري، وإعادة تنظيم وحداتها العسكرية وتدريبها على حرب العصابات والكمائن[5]، استطاعت أن تحقق انتصارات عديدة على الأمير عبد القادر خلال هذه المرحلة، واستطاعت أن تحتل أغلب المدن التي

---

(1) شارلز هنري تشرشل، **المصدر السابق**، ص.156.

(2) عبد الله مقلاتي، **المرجع السابق**، ص.40.

(3) العربي منور، **المرجع السابق**، ص.157 ؛ للاطلاع على بنود هذه المعاهدة يراجع: الكلونيل اسكوت، **المصدر السابق**، الملحق الأول، ص–ص.201–205

(4) قد تبين فيما بعد أن هناك بعض التنازلات التي قدمت للأمير عبد القادر في اتفاق سري أغفلته بنود المعاهدة، ومن بين هذه التنازلات تقديم 3000 بندقية ومنع الدواير والزمالة من تجاوز حدود معينة، ونفي خصوم الأمير عبد القادر، وطلب مقابل ذلك مبلغ 136 ألف فرنك فرنسي قديم. للمزيد من المعلومات حول الموضوع يراجع: محمد خير فارس، **المرجع السابق**، ص–ص.240–241

(5) العربي منور، **المرجع السابق**، ص.159.

كانت تحت سلطته بما في ذلك عاصمته معسكر، مما جعله ينشئ عاصمة متنقلة وهي الزمالة التي وقعت بدورها في أيدي العدو الفرنسي سنة 1257هـ/1843م[1].

وبعد أن بدأت الهزائم تتوالى الواحدة تلوى الأخرى على الأمير عبد القادر، وأخذ جيشه الذي تناقص تعداده يتراجع أمام القوات الفرنسية قرر اللجوء إلى الريف المغربي للاحتماء بالسلطان عبد الرحمان، لكن هذا الأخير خذله وتخلى عن حمايته بعد أن تدخلت السلطة الفرنسية وحذرته، ثم شنت ضده معركة ايسلي عام 1258هـ/1844م[2]، ولم يتبق أمام عبد القادر سوى العودة إلى أرض الوطن لمواصلة الجهاد، أو طلب الأمان، وبما أن الاحتمال الأول يصعب تحقيقه بسبب استحالة اجتياز خطوط الدفاع الفرنسية، فإنه قرر أن يبعث إلى الحاكم الفرنسي بالمنطقة الغربية الجنرال لاموريسيار Lamoricière لطلب الأمان، وبعد أن منحه هذا الأخير الأمان الذي طلبه، استسلم لينقل إلى أحد السجون بفرنسا عام 1261هـ/1847م أين قضى أربع سنوات قبل أن يطلق سراحه لينتقل إلى دمشق بسوريا التي استقر بها إلى غاية وفاته سنة 1297هـ/1883م[3].

قد يعتقد بعض الباحثين أن بانتهاء مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1261هـ/1847م، يكون الإخوان القادريون قد وضعوا حدا لنشاطهم الثوري والمقاوماتي ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر، لاسيما وأن الزاوية القادرية بمنطقة منعة في جبال الأوراس بالشرق الجزائري، والتي كانت تتولى مشيختها عائلة بن عباس قد استسلمت للعدو الفرنسي هي الأخرى بعد هذا التاريخ بوقت قصير، وذلك بعد أن أبلت بلاءًا حسنًا أثناء مقاومة الحاج أحمد باي، وكانت ملجئًا لهذا الأخير ولأسرته في الأوقات العصيبة[4]، لكن الحقيقة غير ذلك، إذ ظهر عام 1265هـ/1851م من أحيا نشاط هؤلاء الإخوان من جديد، ونقصد هنا ابن ناصر بن شهرة[5]، الذي ينتمي إلى الطريقة القادرية.

---

(1) عبد الله مقلاتي، **المرجع السابق**، ص.40

(2) العربي منور، **المرجع السابق**، ص.161

(3) عبد الله مقلاتي، **المرجع السابق**، ص.41

(4) للاطلاع على دور زاوية بن عباس في مقاومة الحاج أحمد باي. يراجع: محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، ص-ص.94-97 ؛ صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.278

(5) ولد عام 1218هـ/1804م بالأرباع قرب ورقلة من قبيلة المعامرة والحجاج الذين ينتمون إلى الحرازلية أو أولاد حرزالله، وكان أبوه ابن شهرة وجده فرحات قائدين وشيخين بالتوالي على الأرباع. وعندما كبر بعض الشيء انتمى إلى الطريقة القادرية، وارتبط بشيخها أحمد الشاوي بالأغواط، وهو ما جعله يناصب التجانيين العداء، حاله في ذلك حال أبيه وجده. وقد تزوج ابن ناصر من ابنة أحمد بن سالم خليفة وسلطان الأغواط مما يدل على علو شأنه وشأن عائلته. يراجع: يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.177 ؛ أحمد بن أبي زيد قصيبة، « ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871 »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد06، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جانفي 1972، ص-ص.56-57

بدأ ابن ناصر يحشد عددًا كبيرًا من الأتباع إلى صفه لاسيما من سكان الصحراء الذين ثاروا ضد المحتل، مما ساعده على هزّ أمن العدو وتعكير صفو حياته وإفساد مشاريعه الاستعمارية[1]، وفي منتصف سنة 1266هـ/1852م استطاع أن يسيطر على قرية قصر الحيران وحصنها، مما جعل سكان الأغواط يتصلون به لمؤازرته والجهاد معه، وقد اتصل هو بدوره بسلطان ورقلة ليقنعه بالانضمام إلى ثورته، واقترح عليه أن يتنازل له عن زعامتها، لكن هذا السلطان عزف عن الأمر فصرف ابن ناصر نظره عنه، وحاول أن يجد حلفاء آخرين في المنطقة لكن سلطة الاحتلال لم تمنحه الوقت الكافي لذلك، إذ تمكنت قواتها من احتلال الأغواط وورقلة عام 1267هـ/1853م، مما دفع بابن ناصر إلى الانسحاب واللجوء إلى نفطة وتوزر بالجريد التونسي حيث استقر هناك إلى غاية 1278هـ/1864م أين عاد إلى أرض الوطن ليشارك في ثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت في تلك السنة[2].

وفي عام 1285هـ/1871م لبى نداء الجهاد الذي أطلقه الشيخ الحداد، وانضم إلى ثورة المقراني وظل يجاهد إلى غاية منتصف 1289هـ/1875م أين إلتحق بالأمير عبد القادر بدمشق التي توفي بها عام 1298هـ/1884م[3].

2-2-2- دور الإخوان الدرقاويين:

على الرغم من قلة عدد الإخوان الدرقاويين في الجزائر عند بداية الاحتلال الفرنسي، وذلك بالمقارنة مع عدد الإخوان في بعض الطرق الأخرى كالرحمانية والقادرية، إلا أن دورهم في المقاومة الوطنية كان مبكرًا وبارزًا على نحو لا يمكن لأي باحث أن يغفله أو يتجاهله.

فالشيخ موسى الدرقاوي الذي دخل إلى الجزائر بعد احتلال فرنسا لها بوقت وجيز، نجده قد اتصل بزعيمي المقاومة الوطنية في سهول متيجة وهما الحاج سيدي السعدي وعيسى البركاني، ونسق معهما حركة الجهاد ابتداء من سنة 1247هـ/1833م وربما قبل ذلك، كما اتصل بالشيخ العربي بن عطية مقدم الطريقة الدرقاوية في الونشريس، وحاول إقناعه بالانضمام إلى الجهاد والدعوة إليه لكنه فشل في مسعاه، ثم التحق بعد ذلك بالأمير عبد القادر ليجاهد معه جنبًا إلى جنب قبل أن يتمرد عليه ويتحارب معه على

---

[1] صالح بن النبيلي فركوس، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي...**، ص.223

[2] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.178

[3] صالح بن النبيلي فركوس، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي...**، ص.223

الفوز بالمدية، إلا أنه خسر هذه المعركة أمام الأمير، لكن ذلك لم يثنه عن مواصلة الجهاد ضد الفرنسيين حيث نجده نزل في أولاد نائل، وقاتل بهم قوات الاحتلال بالمنطقة[1].

ظل الحاج موسى الدرقاوي ينشط في الجنوب الجزائري لفترة من الزمن[2]، قبل أن تفسد السلطة الفرنسية خططه، وتطارده وتعتقل خليفته قويدر بن محمد الذي عينه على شمال الأغواط مما جعله يلجأ إلى منطقة القبائل التي مكث فيها مدة من الزمن دون أن يكون له أي نشاط بارز يذكر، لينتقل بعدها إلى منطقة متليلي عند الشعانبة سنة 1262هـ/1848م[3]. وعندما اندلعت ثورة الزعاطشة عام 1263هـ/1849م انضم إليها وجاهد جنبًا إلى جنب مع زعيمها الشيخ بوزيان إلى أن شاء الله واستشهدا معًا خلالها[4].

ومن بين الإخوان الدرقاويين الذين كان لهم دور بارز في المقاومة الوطنية نذكر الشيخ عبد الرحمان العامري الطوطي مقدم الطريقة الدرقاوية في سيدي بلعباس ونواحيها[5]، الذي أعلن الثورة في تلك المنطقة سنة 1259هـ/1845م رغم أن شيخه محمد بن إبراهيم لم يوافقه في قراره هذا وحاول أن يثنيه عن الجهاد وعن محاربة الفرنسيين، لكنه لم يفلح في ذلك[6]، وانتهت ثورته بالفشل وباستشهاده رفقة أتباعه[7].

لكن مع هذا الموقف الايجابي والدور الريادي لأغلبية الإخوان الدرقاويين في المقاومة الوطنية قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي إلا أننا نجد بعض زعماء الدرقاوية قد ناءوا بأنفسهم عن السياسية، وفضلوا حياة العزلة بدل الانخراط والمساهمة فيما كان يدور بالجزائر من أحداث تاريخية في تلك الفترة، ورفضوا الارتماء في الوظيفة، مثل الشيخ محمد بن إبراهيم مقدم الدرقاوية في سيدي بلعباس ونواحيها قبل أن يستخلف مكانه عبد الرحمان العامري الطوطي، وكذلك الشيخ العربي بن

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.115.

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.278.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.115.

(4) Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p.241

(5) وقد استخلف الطوطي في هذا المنصب من قبل شيخه محمد بن إبراهيم المتوفي سنة 1254هـ/1840م، وكان هذا الأخير قد فرَّ ليلاً من بلعباس بعد أن ازداد عليه ضغط أتباعه الذين أرادوه زعيمًا وقائدًا للثورة، وترك لهؤلاء الأتباع رسالة تحت وسادته يشرح لهم فيها الأسباب التي جعلته لا يتدخل في السياسة وفي أمور الدنيا. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص–ص.114–115.

(6) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.278.

(7) أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي، **المصدر السابق**، ص.28.

عطية زعيم الدرقاوية في الونشريس الذي حاول الأمير عبد القادر استمالته إلى صفه وكسب تأييده في الجهاد، لكنه اعتذر فقبل الأمير عذره، ثم انتهى به المطاف إلى الهجرة من الجزائر والوفاة بتونس[1].

2-2-3- دور الإخوان الطيبيين:

لم يكن للإخوان الطيبيين في الفترة الممتدة من 1214هـ/1830م إلى 1258هـ/1844م أي دور بارز في المقاومة الوطنية، وقد يكون السبب في ذلك راجع إلى كون المشهد السياسي برمته في الجزائر حينها، كان تغلب عليه أحداث مقاومة الإخوان القادريين بزعامة الأمير عبد القادر، وأحداث مقاومة الحاج أحمد باي، أو أن مقدمي الطريقة الطيبية في الجزائر فضلوا التزام الحياد وعدم التشويش على زعيمي المقاومتين، مع مراقبة التطورات الميدانية عن بعد، وترك المجال مفتوح لمن أراد من أتباعهم أن ينخرط بشكل فردي في الجهاد، ويلتحق بصفوف أحد الزعيمين.

لكن الفترة الممتدة من 1259هـ/1845م إلى 1268هـ/1854م شهدت ظهور شخصيتان ثائرتان من أتباع الطريقة الطيبية، ساهمتا بشكل كبير في تفعيل الأحداث السياسية في تلك الفترة، ولعبتا دورًا هامًا وبارزًا في المقاومة الوطنية من خلال إبقاء نارها مشتعلة في وجه العدو الذي اعتقد أن هذه النار خمدت مع قضائه على مقاومة الأمير عبد القادر، ومقاومة الحاج أحمد باي.

في سنة 1259هـ/1845م ثار الشريف بومعزة[2] في إقليم الظهرة، وأعلن الثورة ودعا إلى الجهاد بعد أن قدم نفسه للناس على أنه صاحب الساعة والمهدي المنتظر، الذي جاء لإنقاذ البلاد والعباد من الأعداء المسيحيين، فانتشرت دعوته ودعايته بسرعة فائقة في كل الأقاليم المجاورة، فكثر عدد أتباعه وأنصاره والمتعاطفين معه، الذين أمدوه بكل ما يحتاج إليه في ثورته هاته من مال وعدة وعتاد، كما صنعوا له راية للجهاد من الحرير، وقام هو بتنظيمهم وتهيئتهم، وتعيين قادتهم[3]، وبعدها شرع في مهاجمة العدو والمتعاونين معه، لاسيما أولئك الذين قلدتهم السلطة الفرنسية مناصب سامية كالخلفاء والأغوات والقياد. وكان يعتمد في هجوماته على أسلوب المباغتة والكر والفر مقتديًا في ذلك بالأمير عبد

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.114.

[2] هو محمد بن عبد الله بن وداح بن عبد الله من أولاد خويدم في حوض الشلف، ويعتقد بعض المؤرخون أن أصول عائلته من تارودانت بالمغرب الأقصى، وهو من أتباع الطريقة الطيبية، كان متعبدًا زاهدًا يظهر الورع والتقى. نزل ناحية الشلف وتزوج بامرأة من أولاد يونس، واتخذ من معزة رفيقة له، وجعل من حليبها غذاء له، حتى اشتهر بين الناس بلقب بومعزة. وكان فارسا شجاعًا لا يعرف الخوف، سريع التحرك لا يظفر به العدو. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص-ص.290-291 ؛ A.O.M (G.G.A) F80-494

[3] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.53.

القادر الذي إلتقاه خلال هذه الفترة[1]، من أجل تنسيق الجهاد معه- حسب اعتقادنا- وإن كانت الأسباب الحقيقية لهذا اللقاء ونتائجه تبقى مجهولة لدى الباحثين إلى يومنا هذا.

لقد بعث الشريف بومعزة الرعب في نفوس أعدائه[2]، لاسيما وأنه كان يظهر ويختفي فجأة دون أن يترك أثرا لتعقبه، إذ كان كثير الحركة والتنقل في نواحي عديدة من الوطن منذ إعلانه الثورة عام 1259هـ/1845م إلى غاية استسلامه لسلطة العدو سنة 1261هـ/1847م[3]، ورغم أن ثورته لم تعمر طويلا بالمقارنة مع مقاومة الأمير عبد القادر أو مقاومة الحاج أحمد باي، كما أنها انتهت بالفشل، إلا أنها كانت بمثابة الكابوس الذي أيقظ مضاجع العدو، وجعله يعتقد أنها ثورة المتعصبين، وهذا ما ذهب إليه أحد الكتاب الفرنسيين وهو شارل ريشارد Charles Richard، الذي ادعى أنها ثورة ناتجة عن تيار متعصب نابع من شعب محكوم عليه بالحرب المقدسة[4].

وفي أواخر 1263هـ/1849م أو أوائل 1264هـ/1850م حل ببلاد زواوة أحد الإخوان الطيبيين، وهو محمد الأمجد بن عبد المالك المدعو بوبغلة، ودعا للجهاد فانضم إليه طلبة الزوايا، وكثر أتباعه وسانده الإخوان الرحمانيون[5]، فانتشرت ثورته لتشمل دائرتي برج بوعريريج وبوسعادة[6]، وظل يجاهد ويقاتل العدو حوالي خمس سنوات حقق خلالها عدة انتصارات ولقن قوات الاحتلال والمتعاونين معها دروسًا لا تنسى[7]، لكن بعض الخونة غدروا به وقتلوه بعد أن دبروا له مؤامرة اشترك فيها ثمانية رجال من بني ملكيش سنة 1268هـ/1854م[8].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **<u>الحركة الوطنية الجزائرية</u>**، ج.1، ص-ص.292-293

(2) صالح بن النبيلي فركوس، **<u>تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي...</u>**، ص.195

(3) أبو القاسم سعد الله، **<u>الحركة الوطنية الجزائرية</u>**، ج.1، ص.293

على العكس مما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله من أن الشريف بومعزة استسلم للعدو، فإن يحي بوعزيز يعتقد أن الشريف بومعزة واجه قوات العدو في معركة كبيرة بمنطقة ثنية الحد في قلب جبال الونشريس التي انتقل إليها وغرر به بعض الناس فاعتقلوه وسلموه للسلطة الفرنسية التي حملته بدورها إلى الجزائر العاصمة ومن هناك رحلته إلى معتقله في باريس. يراجع: يحي بوعزيز، **<u>ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين</u>**، ص.57

(4) Charles Richard, **<u>Etude sur L'insurrection du Dahra (1845-1846</u>**), Alger, 1846, p.83

(5) أبو القاسم سعد الله، **<u>الحركة الوطنية الجزائرية</u>**، ج.1، ص.345

(6) A.O.M (G.G.A) F80-499.

(7) أبو القاسم سعد الله، **<u>الحركة الوطنية الجزائرية</u>**، ج.1، ص.345

(8) يحي بوعزيز، **<u>ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين</u>**، ص-ص.92-93

رغم أن المصادر التاريخية لم تذكر، ولم تتحدث عن أي دور بارز للإخوان الطيبيين في المقاومة الوطنية بعد هذا التاريخ، إلا أن مواقفهم البطولية أثناء جهادهم في سبيل الله لرد العدوان، وتحقيق الحرية والاستقلال للبلاد والعباد من خلال ثورتي الشريف بومعزة وبوبغلة، لا يمكن الاستهانة بها وتجاهلها.

2-3- تقييم دور الإخوان القادريين والدرقاويين والطيبيين في المقاومة الوطنية:

بالرغم من أن الدور الريادي والقيادي لإخوان هذه الطرق في المقاومة الوطنية، أخذ في التراجع تدريجيًا منذ أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي ليختفي نهائيا مع منتصف العقد السابع من نفس القرن، إلا أن دورهم الايجابي عند بداية المقاومة لا يمكن لأي باحث أن ينكره أو يجحده وذلك للاعتبارات التالية:

أ. فهؤلاء يعود لهم الفضل في تزعم المقاومة الوطنية في بدايتها، وذلك عندما أحسوا بضعف بعض الزعامات التي حاولت أن تتولى القيادة.

ب. مقاوماتهم وثوراتهم لم تكن محصورة في حيز جغرافي معين، بل شملت مناطق واسعة من الوطن، فمقاومة الأمير عبد القادر بدأت من الغرب وامتدت لتشمل أجزاء من الوسط والشرق والجنوب، بينما انتشرت ثورة الشريف بومعزة في الظهرة والشلف، وفليتة، والونشريس، وجبال الديرة، والصحراء ومناطق أخرى، ونفس الشيء مع ثورة الشريف بوبغلة(1)، التي انتشرت في بلاد القبائل وامتدت لتشمل دائرتي برج بوعريريج وبوسعادة. وقد سبق للشيخ موسى الدرقاوي أن جاهد في الشمال قبل أن ينتقل ويجاهد في الصحراء التي استشهد فيها.

ج. جهود هؤلاء الإخوان في الجهاد لم تكن باسم الطريقة أو القبيلة، وكانوا بذلك زعماء وقادة فوق الطريقة والقبيلة عكس بعض الثوريين، الذين توقفت جهودهم عند حدود الطريقة أو القبيلة أو معًا.

د. يعتبر الأمير عبد القادر ـ على رأي العربي المنور ـ الأول من بين المقاومين الثوريين الجزائريين الذين طالبوا بوحدة الشعب الجزائري، وبوحدة التراب الوطني(2).

هـ. محاولة الإخوان القادريين بزعامة الأمير عبد القادر، إنشاء أول دولة جزائرية حديثة عصرية لها جيشها وعلمها وعملتها وسيادتها، وشبيهة في نُظُمِهَا بالدول الأوروبية المتطورة، إلا أنها تختلف عنهم في دستورها الذي لا يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

---

(1) بخصوص تحركات هذا الزعيم وتأثيره في شريحة واسعة من السكان عبر عدة مناطق، فقد لاحظ المكتب العربي ببسكرة أن تأثير بوبغلة يتنامى بهذه المنطقة وأن أتباعه يتزايدون يومًا بعد آخر. يراجع: A.O.M (G.G.A) F80-499

(2) العربي منور، __المرجع السابق__، ص.153

لكن إن كنا قد تطرقنا إلى الدور الايجابي لهؤلاء الإخوان عند بداية المقاومة الوطنية، فهذا لا يعني أننا تجاهلنا طرح السؤال التالي:

لماذا تراجع دور هؤلاء الإخوان مع نهاية النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ليختفي نهائيا مع منتصف العقد السابع من نفس القرن ؟

رغم ما قيل وسيقال كإجابة عن هذا السؤال إلا أننا نعتقد أن السبب الرئيس وراء هذا التراجع ثم الاختفاء هو ارتباط هؤلاء الإخوان بزعامات وقيادات تتواجد خارج الوطن، فالقادريون ارتبطوا بالأمير عبد القادر الزعيم السياسي والعسكري، وبأخيه محمد السعيد الزعيم الروحي للطريقة القادرية، اللذان كانا تحت الإقامة الجبرية في فرنسا، وانتقلا بعد إطلاق سراحهما إلى بلاد المشرق، وهما بدورهما يرتبطان بالزاوية القادرية الأم في بغداد[1]، أما بالنسبة للدرقاويين والطيبيين فهم مرتبطون بزعاماتهم المتواجدة على مستوى الزاوية الأم بالمغرب الأقصى.

وهذه الزعامات الخارجية سرعان ما تخلت عن أسلوب المقاومة وطلبت من أتباعها هنا في الجزائر مهادنة المحتل وعدم الثورة في وجهه، وهذا بسبب المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بينها وبين هذا المحتل، مثلما هو الحال مع الأمير عبد القادر وأخيه محمد السعيد، أو بسبب اتصال السلطات الفرنسية بها وإغرائها ببعض الأموال والامتيازات، مثلما حدث مع الحاج العربي شيخ الزاوية الطيبية الأم بوزان في المغرب الأقصى[2].

3- تيار متقلب في مواقفه:

هذا التيار مثلته الطريقة الشيخية دون منازع، وقد يتساءل بعض الباحثين عن السبب الذي جعلنا نصنفها هذا التصنيف، بالرغم من أن جلُّ الدراسات صنفتها ضمن التيار الثائر والمقاوم للمحتل طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي ؟

وهنا نقول أن هذه الطريقة لم تكن مستقرة على نهج واحد وواضح في علاقتها بالسلطة الفرنسية الاستعمارية، فهي ادعت الحياد عندما عرض الأمير عبد القادر على شيوخها وأتباعها مشاركته في المقاومة، فاعتذروا إليه بعزلتهم وفقرهم، وبعد ذلك نجدها أول الطرق الصوفية في الجزائر التي تتولى

---

[1] عن ارتباط الطريقة القادرية في الجزائر بالزاوية الأم في بغداد، وعن ارتباط الإخوان القادريين في الجزائر بمحمد السعيد بن محي الدين وهو في المهجر. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص–ص.42–45

[2] عن علاقة السلطة الفرنسية هنا في الجزائر بالزاوية الطيبية الأم في وزان بالمغرب الأقصى، وبأشرافها. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص–ص.98–103

السلطة للفرنسيين[1]، قبل أن تثور في وجههم وتحاربهم، لتعود بعد ذلك وتهادنهم، وتدخل في طاعتهم وتعلن الولاء لهم مرة أخرى في الوقت ذاته الذي كان فيه بعض أتباعها بزعامة أحد شيوخهم وهو الشيخ بوعمامة[2]، يشعلون الثورة في وجه هؤلاء المحتلين، حتى أن هذا الأخير عندما تمرد على السلطة الفرنسية وثار عليها، عاد وتراجع بعد ذلك وطلب العفو والأمان منها[3]، وقد منحته إياه[4]، لكن بعد مدة وجيزة استأنف الثورة وظل ثائرًا إلى غاية وفاته.

وعلى هذا الأساس قال أبو القاسم سعد الله (وفي هذا النطاق نجد أن أولاد سيدي الشيخ قد لعبوا أدورا مزدوجة أيضا، تارةً يكونون في مقدمة الثائرين ضد الاحتلال والنظام الفرنسي، وتارةً يكونون خدمًا له وولاة يطبقون الأوامر الإدارية والتعليمات على أفضل ما يكون)[5].

وهنا نتساءل عن أسباب تقلب الشيخيين في علاقتهم بالسلطة الفرنسية ؟

لكن قبل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال يجب القول رغم هذا النهج غير المستقر في طبيعة العلاقة بين الشيخيين، وبين السلطة الاستعمارية، يبقى دور الطريقة الشيخية في المقاومة الوطنية بارز وراسخ في أذهان كل الباحثين، لاسيما أولئك الذين اختصوا في تاريخ المقاومة الوطنية، أو اهتموا بدراسة التاريخ السياسي لهذه الطريقة، وهذا الدور لجدير بأن نتطرق إليه ونستعرضه في بحثنا هذا.

3-1- أسباب تقلب الشيخيين في علاقتهم بالسلطة الفرنسية:

مما لاشك فيه أن هناك أسباب كثيرة أدت إلى تذبذب العلاقة بين الشيخيين والسلطة الفرنسية، لكن أهمها حسب اعتقادنا تتمثل في الآتي:

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.105.

(2) هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن ابراهيم بن التاج، والمشهور بأبي عمامة، ينتمي إلى فرع الغرابة الذين استقروا بالمغرب الأقصى بمقتضى معاهدة لالا مغنية عام 1259هـ/1845م بين المغرب وفرنسا، ولد بقصر حمام الفوقاني بفجيج حوالي سنة 1252هـ/1845م، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى مقرار التحتاني الذي بنى به زاويته على غرار زاوية أجداده أولاد سيدي الشيخ عام 1288هـ/1874م. اتبع حياة الزهد والنسك، حيث كان يقضي أوقاته في وعظ الناس وإرشادهم ويعلمهم القرآن الكريم، وازداد نفوذه في المنطقة باعتباره زعيمًا روحيًا، وقد وعد أتباعه بقرب الخلاص من الاحتلال الفرنسي، وأخبرهم أنه بصدد الإعداد لإعلان الثورة. حول هذه الشخصية. يراجع: بودواية مبخوت، « الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف المجاهد »، **مجلة حولية المؤرخ**، العدد الأول، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2003، ص-ص.269-273

(3) ينظر: **ملحق رقم (09).**

(4) ينظر: **ملحق رقم (10) وملحق رقم (11).**

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.105.

أ. انقسام أولاد سيدي الشيخ إلى قسمين وزاويتين متخاصمتين، بعد الاقتتال المسلح الذي نشب بينهم بسبب صراعهم على مداخيل الزاوية الأم[1]، مما أثر سلبًا على توحيد موقفهم اتجاه طبيعة العلاقة بينهم وبين السلطة الفرنسية.

ب. استغلال السلطة الفرنسية لهذا الانقسام ومحاولتها توسيع الشرخ بين القسمين من خلال وقوفها وتأييدها واستمالتها لأحد الطرفين على حساب الطرف الآخر، وهو ما يجعل هذا الأخير يغضب ويثور على هذه السلطة.

ج. عدم إيفاء السلطة الفرنسية بوعودها لشيوخ الطريقة والغدر بهم من خلال عزلهم من مناصبهم الإدارية وفرض الإقامة الجبرية عليهم أو اغتيالهم مثلما حدث مع الخليفة سي حمزة ولد بوبكر[2]، زعيم فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ومثل هذه الأفعال من قبل السلطة الفرنسية تثير حفيظة هؤلاء الشيوخ أو خلفاؤهم، فيثورون عليها للاقتصاص منها.

د. استخفاف هذه السلطة بمشاعر هؤلاء الشيوخ، والحط من مكانتهم الاجتماعية رغم علو مكانتهم الدينية بين أتباعهم، وذلك عن طريق تقليدهم وظائف إدارية أقل واخفض عن تلك التي كانت تقلدها لأسلافهم، مثلما حدث مع بوبكر بن سي حمزة الذي عين مكان والده، لكن برتبة أقل وهي رتبة الباش آغا، ومن بعده عين أخاه سليمان في مكانه بنفس اللقب والرتبة.

هـ. اعتداء السلطات الفرنسية على بعض أتباع الطريقة المقربين من شيوخها، مثلما حدث مع سي الفوضيل بن علي خوجة الكاتب الخاص للباش آغا سي سليمان بن سي حمزة سنة 1278هـ/1864م[3].

---

(1) عبد القادر خليفي، **المرجع السابق**، ص.21.

(2) في أواخر 1263هـ/1849م قرر هذا الزعيم أن يضع نفسه وأفراد فرعه في خدمة السلطة الفرنسية، وفي منتصف 1264هـ/1850م عينته هذه السلطة في منصب خليفة على أولاد سيدي الشيخ الشراقة، لكن مع مطلع عام 1267هـ/1853م اقتادته إلى وهران ووضعته تحت الإقامة الجبرية بعد أن ارتابت في تصرفاته، ثم ما لبثت أن أعادته إلى منصبه وجعلت تحت سلطته كل المناطق التي تمتد من البيض بحوض الساورة إلى ورقلة في الواحات الشرقية، وظل في هذا المنصب لمدة ثمان سنوات إلى أن توفي في منتصف عام 1275هـ/1861م بالجزائر العاصمة، وقد قيل أن السلطة الفرنسية تخلصت منه عن طريق السّم، بينما ادعت هي أنه مات بمرض الكوليرا. يراجع: يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص-ص.136-139

(3) للاطلاع على حيثيات هذه الحادثة يراجع:

Si Hamza Boubaker, « Origine de la guerre de sud- Oranais contre la France (1864-1900) », **In Revue d'histoire Maghrébine**, N°6, Tunis, 1976, p-p.137-138

و. بروز بعض الشخصيات الشيخية- كالشيخ بوعمامة- المتشبعة بالمبادئ الإسلامية والروح الوطنية، والرافضة لسياسة التطبيع التي انتهجها بعض شيوخ الطريقة مع سلطة الاحتلال الفرنسي.

ز. تأثر الشيخيين بدعوة جمال الدين الأفغاني(1)، والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني(2)، التي انتشرت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي والداعية إلى توحيد المسلمين في إطار الجامعة الإسلامية(3).

ح. نعتقد أن الوازع الديني لدى الشيخين يبقى أهم الأسباب الرئيسة التي جعلتهم في كثير من الأحيان يتقلبون في علاقتهم مع السلطة الفرنسية، فهم كغيرهم من أتباع الطرق الصوفية الأخرى، لا يرضون ولا يقبلون أن تنتهك حرماتهم وتدنس مقدساتهم، ويُعْتَدَى على دينهم، وكلما تجاوزت السلطة الفرنسية هذه الخطوط الحمراء، كلما ثاروا عليها وأعلنوا الثورة في وجهها.

3-2- دور الشيخيين في المقاومة الوطنية:

رغم أن أولاد سيدي الشيخ المنتسبين للطريقة الشيخية، رفضوا سنة 1260هـ/1846م الاستجابة لدعوة الأمير عبد القادر والانضمام لمقاومته، لكونهم يخافون من تدنيس الكفار لقبور أوليائهم الطاهرة عندما تطالهم الحرب(4)، إلا أنهم قبل هذا تاريخ وقفوا موقف المساند والمؤيد لحركته(5)، بدليل أنهم في

---

(1) ولد في أسعد أباد بأفغانستان عام 1253هـ/1839م، وتوفي سنة 1311هـ/1897م جال في الشرق والغرب فأحرز ثقافة واسعة وكان خطيبًا بارعًا دعا إلى الوحدة الإسلامية، له كتاب بعنوان (إبطال مذهب الدهريين وبيان مقاصدهم) طبع في بيروت بلبنان سنة 1299هـ/1885م، نقله تلميذه محمد عبده من الفارسية إلى العربية. ويرتقي جمال الدين الأفغاني من سلالة المحدث الشهير على الترمذي الذي لازال تأليفه يحمل اسمه وهو (سنن الترمذي)، والترمذي يرجع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. يراجع: المهدي البوعبدلي، « دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين »، **مجلة الأصالة**، العدد44، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، أفريل 1977، ص.28؛ عبد القادر المغربي، **جمال الدين الأفغاني(ذكريات وأحاديث)**، دار المعارف، جمهورية مصر العربية، ط.3، د.ت، ص-ص.9-11

(2) هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، ولد سنة 1256هـ/1842م، توفيت والدته وهو في العاشرة من عمره، فاعتنت به زوجة أبيه فأحسنت تربيته، وقد تلقى تعليما منتظمًا في القصر السلطاني على أيدي نخبة مختارة من أشهر رجالات زمنه علمًا وخلقًا، وأتقن العربية والفارسية، وتعمق في علم التصوف، ودرس التاريخ والأدب، ونظم بعض الأشعار باللغة التركية، بويع بالخلافة بعد أخيه مراد سنة 1230هـ/1876م وكان عمره آنذاك أربعًا وثلاثين سنة. دعا إلى إنشاء هيئة إسلامية تجمع كل مسلمي العالم بما فيهم الإرانيين يطلق عليها اسم الجامعة الإسلامية. شهدت فترة حكمه عدة اضطرابات داخلية وخارجية، وقد عزل من الحكم سنة 1323هـ/1909م. للمزيد من المعلومات يراجع: علي محمد الصلابي، **المرجع السابق**، ص-ص.12-72

(3) عبد الله مقلاتي، **المرجع السابق**، ص.78.

(4) شارلز هنري تشرشل، **المصدر السابق**، ص.301.

(5) عبد القادر خليفي، **المرجع السابق**، ص.66.

سنة 1248هـ/1834م ساروا إلى جانبه لحصار بلدة عين ماضي التي رفض سكانها الخضوع له والتعاون معه[1].

كما أن في سنة 1259هـ/1845م عندما انسحب الأمير عبد القادر إلى الصحراء جنوب وهران، وتعقبته القوات الفرنسية إلى هناك، تصدى لها أولاد سيدي الشيخ وهاجموها، لكنهم هزموا وعادت القوات الفرنسية إلى وهران مرورًا بفرندة[2].

غير أن مساندة أولاد سيدي الشيخ للأمير عبد القادر في مقاومته، تبقى مجرد مشاركة أو مساهمة رمزية على رأي أبو القاسم سعد الله[3]، الذي يعتقد أن الأمير عبد القادر تقبل منهم هذه المشاركة الرمزية، كما تقبل منهم حيادهم بعد ذلك، ولكن مؤقتا فقط، إلى أن يتمكن من توحيد جميع الأعراش والطرق الصوفية.

لكننا نعتقد أن التاريخ الفعلي لانخراط الشيخين في المقاومة الوطنية هو عام 1278هـ/1864م، عندما ثار أولاد سيدي الشيخ الشراقة على السلطة الفرنسية، التي خدموها لما يقارب خمسة عشر سنة قبل هذا التاريخ، أي منذ أن وضعوا أنفسهم تحت تصرفها سنة 1264هـ/1850م، فعينت حينها زعيمهم سي حمزة ولد بوبكر في منصب الخليفة.

وقد اجتمعت عدة عوامل دينية وسياسية واقتصادية تفاعلت فيما بينها، جعلتهم يدركون أن السلطة الفرنسية كانت تستغل نفوذهم في المنطقة، وتتخذهم مطية لتنفيذ مشاريعها الاستعمارية في الصحراء[4]، وعليه قرر قائدهم الباش آغا سي سليمان بن سي حمزة سنة 1278هـ/1864م عقد اجتماع طارىء مع أفراد عائلته وبعض الأعيان لاطلاعهم على قرار الجهاد الذي اتخذه ضد العدو الفرنسي، كما قرر توجيه رسائل إلى كل رؤساء القبائل وسكان القصور، ومقدمي الطريقة الشيخية يدعوهم لتحضير أنفسهم للالتحاق بصفوف المجاهدين، وبركب الجهاد المقدس[5].

---

[1] Louis Rinn, « Nos Frontieres saharienne », **in R.A**, Volume 30, A. Jourdan-, Alger, 1886, p-p.180-181

[2] الآغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، جـ.2، ص–ص.221–222

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.106.

[4] إبراهيم مياسي، « ثورة أولاد سيدي الشيخ »، **مجلة الذاكرة**، السنة الثانية، العدد الثالث، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1415هـ/ خريف 1995م، ص–ص.208–209

[5] محمود الواعي، « ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها »، **مجلة الجيش**، العدد الرابع، مديرية الإيصال والإعلام والتوجيه، الجيش الوطني الشعبي، الجمهورية الجزائرية، ذو القعدة 1417هـ/ مارس 1997م، ص–ص.7–8

وبمجرد أن وصلت الرسائل إلى المعنيين بها حتى بدأ الناس يتوافدون فرادى وجماعات على معسكر سي سليمان بن سي حمزة، وانضم إليه عمه سي الأعلى قائد آغوية ورقلة، كما حضر إليه ابن عمه الشيخ بن الطيب زعيم فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وكذلك ناصر بن شهرة على رأس جماعة من سكان الأرباع، دون أن ننسى جلول بن حمزة الذي حضر من المنيعة على رأس جماعة من التوارق، والخنافس[1]، وظل الناس يتوافدون عليه حتى بلغ عدد قواته حوالي سبعة آلاف وخمس مائة مجاهد منهم الفرسان، ومنهم الراجلين، بالإضافة إلى ألف ومائتان مجاهد يمتطون المهاري[2].

وبعد أن علمت السلطات الفرنسية بما عزم عليه سي سليمان بن سي حمزة، استعدت للأمر، واتخذت الإجراءات اللازمة لمواجهة الظروف الطارئة، ثم وجهت قواتها لمحاصرة الثوار في معسكرهم، غير أن سي سليمان لم يمهلها الفرصة وخرج لملاقاتها، وحدثت المواجهة بين الطرفين، ودارت بينهما معركة ضارية استشهد خلالها زعيم الثورة وقائدها سي سليمان بن سي حمزة، غير أن أتباعه استطاعوا أن يحققوا نصرًا عظيمًا على قوات العدو[3].

لقد شجع هذا النصر أولاد سيدي الشيخ على تعيين قائد جديد للثورة، وهو سي محمد بن سي حمزة شقيق الشهيد سي سليمان، وكان صغيرًا في السن، فوجد في عميه سي الأعلى وسي الزبير خير معين، لكنه ما لبث أن استشهد هو الآخر مع بداية عام 1279هـ/1865م، فخلفه أخوه سي أحمد بن سي حمزة في قيادة الثورة، وكان عمره لا يتجاوز اثني عشر سنة، لذلك رعاه سي الأعلى الذي أصبح القائد الفعلي للثورة وزعيمها[4].

وفي أواخر عام 1282هـ/1868م أعلن عن وفاة قائد الثورة سي أحمد بن سي حمزة بمرض الكوليرا، ليخلفه أخوه سي قدور بن سي حمزة الذي أعطى نفسًا جديدًا للثورة وتركها مشتعلة إلى غاية معركة المنقب في أواخر عام 1285هـ/1871م، التي أظهرت تقهقر وتراجع قوة الثوار بسبب بروز

---

(1) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.144

(2) إبراهيم مياسي، « ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها »، ص.209

(3) يحي بوعزيز، « أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864–1881) »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م، ص–ص.189–190

(4) صالح بن النبيلي فركوس، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي...**، ص–ص.233–234

خلافات بين زعمائهم، الذين تفرقوا بعدها في أماكن عديدة، بينما فضل سي قدور بن سي حمزة مفاوضة السلطة الفرنسية للاستسلام لها(1).

لكن إن كانت الفترة التي تَلَتْ هذا التاريخ قد اتسمت بنوع من السلم غير المعلن بين الطرفين، وهو ما جعل سلطة الاحتلال تعتقد بأن عهد الثورات قد ولَّى عند أتباع الطريقة الشيخية، فهذا لا يعني أن الشيخيين قد استكانوا للراحة، وتراجعوا نهائيا عن نهج المقاومة الذي وجدوا فيه سبيلاً للخلاص من إذلال المحتل لهم، ولأتباعهم.

ففي سنة 1289هـ/1875م أسس الشيخ بوعمامة زاويته بقصر مغرار التحتانية جنوب العين الصفراء، وأنشأ مصنع سري للأسلحة يتصل في بنائه بالساحة المركزية لهذه الزاوية، وأحاطهما بإثنان وثلاثون برجًا لإحكام المراقبة ورصد تحركات العدو، وأعد ساعة شمسية لضبط مداومة الحراس، وجعل من هذه الزاوية مركزًا للإعداد للثورة، وكان يجتمع فيها بزعماء القبائل والعشائر ويعدهم للجهد المقدس(2).

وهذا ما دفع بالسلطة الفرنسية إلى تكليف نائب رئيس المكتب العربي بمدينة البيض، وهو الضابط وانبيرونر Weinbrenner بمهمة إيقاف نشاط الشيخ بوعمامة الذي أصبح يهدد استقرار المنطقة، ويشكل خطرًا على تواجد القوات الفرنسية بها، وعندما حاول وانبيرونر Weinbrenner إلقاء القبض على مبعوثي الشيخ بوعمامة لدى الجرامنة بواد الحجل، وهما الطيب بن الجرماني ومرزوق السروري قتل مع أربعة صبايحية من حراسه يوم 22 أفريل 1295هـ/1881م(3)، فكان هذا الحدث بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة.

بعد هذا الحدث أدرك الشيخ بوعمامة أن الثورة قد بدأت فأعلن النفير العام، وبعث برُسله إلى القبائل يدعوها للجهاد، ويحثها على جمع المؤن والأسلحة. وقد وجدت دعوته صداها لدى قبائل الشعابنة وعمور وحميان والشرفة، وأولاد سيدي أحمد المجدوب وبنوجيل، وأولاد جرير وكامل سكان القصور

---

(1) عبد الله مقلاتي، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962**، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013، ص-ص.97-98

(2) سعد عبد المنعم، **من تاريخ كفاح الجزائر (حروب قطاع وهران – العين الصفراء)**، دار القدس العربي، وهران- الجزائر، 2013، ص-ص.159-160

(3) E. Graulle, **Insurrection de bou- Amama (Avril 1881)**, Charled- Lavauzelle, Paris, 1905, p-p.21-24

الجنوبية، فضلاً عن أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين أرسلوا إمدادات لدعمها(1)، واستطاع في وقت قصير أن يجمع ألفان وسبع مائة مجاهد، وقيل خمسة آلاف مجاهد بين فرسان ومشاة(2).

بعدها شرع الشيخ بوعمامة في خوض المعارك ضد قوات العدو، ومرت ثورته بمرحلتين أساسيتين(3)، المرحلة الأولى من 1295هـ/1881م إلى 1297هـ/1883م وتعرف بالمرحلة العسكرية، تميزت باحتدام المعارك بين الطرفين وبتحقيق الثوار لعدة انتصارات كبرى على القوات الفرنسية، كان أولها في موقعة مولاق سنة 1295هـ/1881م التي قتل فيها ثمانون جنديا فرنسيا، وجرح مائة وعشرة آخرون حسب تصريحات أحد هؤلاء الجرحى، وقد اعتمد الثوار على أسلوب الكر والفر السريعين مما أخلط حسابات الفرنسيين، وأفشل خططهم العسكرية(4).

أما المرحلة الثانية من الثورة امتدت من 1297هـ/1883م إلى 1322هـ/1908م، وتعرف بالمرحلة السياسية، وقد تراجع خلالها النشاط العسكري للشيخ بوعمامة الذي فضل التركيز على النشاط السياسي المتمثل في استقطاب المزيد من المؤيدين لثورته، واستعطاف سلطان المغرب لتقديم الدعم له ومفاوضة الفرنسيين، وقد استطاع أن يستقطب إليه سكان توات(5)، ويوسع حركته إلى مختلف مناطق الجنوب الغربي، مما جعل منه زعيما دينيا وسياسيًا وسيدًا مطاعًا يحظى بنفوذ واسع(6).

وبما أن الأسلوب السياسي قد فشل مع السلطة الفرنسية، كما أن سلطان المغرب الذي كان من المفروض أن يكون حليفا ويمد يد العون له تحول إلى عدو، وجد الشيخ بوعمامة نفسه مجبرًا على العودة إلى العمل المسلح ابتداءً من سنة 1317هـ/1903م لكن هذه المرة عليه أن يحارب على جبهتين، وبما أن ظروفه الصحية كانت في تدهور مستمر، وسنه المتقدمة أعجزته عن العمل المسلح وحتى عن التنقل

---

(1) A.O.M (G.G.A) 16H80.

(2) سعد عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص.160.

(3) قسمها عبد القادر خليفي إلى ثلاثة مراحل وهي مرحلة القوة 1295هـ/1881م–1296هـ/1882م، ثم مرحلة بين دلدول وفكيك 1297هـ/1883م–1317هـ/1903م، وأخيرًا مرحلة في المغرب الأقصى 1318هـ/1904م. يراجع: عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص–ص.66–149

(4) عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881–1908**، موفم للنشر، الجزائر، 2010، جـ.1، ص–ص.12–17

(5) عبد الله مقلاتي، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر...**، ص–ص.80–81

(6) De la Martinieres et Lacroix, **Document pour servir a l'étude du nord oust africain-gouvernement général de L'Algérie**, A. Jourdan, Alger, 1897, p.173

حيث يرغب، قرر العودة إلى الأسلوب السياسي من جديد وظل يعمل به إلى غاية وفاته سنة 1322هـ/1908م[1].

3-3- تقييم دور الشيخيين في المقاومة الوطنية:

إن كان أبو القاسم سعد الله يرى أن أولاد سيدي الشيخ كانوا يثورون بدون برنامج، ويتراجعون بدون نتيجة[2]، فإننا نعتقد أن هؤلاء وإن كانت لهم بعض المواقف السلبية اتجاه المقاومة الوطنية، واتجاه بعض زعمائها، إلا أنهم قاموا أيضا بأدوار ايجابية في صالح القضية الجزائرية، وساهموا في تفعيل الثورات الوطنية ضد المحتل الفرنسي بما يتناسب ومكانتهم الاجتماعية والدينية، وثقافتهم الروحية، ووزنهم السياسي والجغرافي. وحتى نكون موضوعيين في بحثنا هذا وننصف هؤلاء وغيرهم، لابد علينا أن نستعرض دورهم في المقاومة الوطنية بشقيه السلبي والايجابي.

بالنسبة للدور السلبي فالشيخيين كانت لهم مواقف غير مشرفة اتجاه القضية الوطنية في بدايتها، وهذه المواقف التي يؤاخذون بها وتحسب عليهم يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أ. تأخرهم في اللحاق بركب المقاومة الوطنية وبالمقابل كانوا من أوائل الطرق الصوفية التي تولت السلطة للفرنسيين.

ب. عدم استجابتهم لدعوة الأمير عبد القادر والانضمام إليه في مقاومته، فلو انضموا إليه وساعدوه على العدو المشترك، ربما لكانت النتائج في مستوى الحدث، وفي صالح المقاومة.

ج. معاونتهم للسلطة الفرنسية في محاربتها ومطاردتها لبعض زعماء المقاومة الوطنية، مثلما حدث مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله[3]، الذي ألقوا عليه القبض وسلموه للفرنسيين رغم أنه كان مسنودًا

---

(1) عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881-1908**، ج.2، ص-ص.33-40

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.106

(3) ينتمي إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف فرع قبيلة أهل روسل قرب عين تيموشنت، كان في عام 1254هـ/1840م يشتغل معلمًا للقرآن الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ، تعاون مع الفرنسيين في محاربة الأمير عبد القادر قبل أن ينقلب عليهم ويعلن ضدهم الثورة بمنطقة ورقلة عام 1265هـ/1851م. للمزيد يراجع: يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص-ص.121-132 ؛

A.O.M (G.G.A) F80-501, F80-502, 10KK31

بالطريقة السنوسية التي تعود في أصولها الصوفية إلى نفس الأصول التي تعود إليها الطريقة الشيخية[1].

د. تودد بعضهم للسلطة الفرنسية وتقربهم منها، وتوليهم وظائف إدارية عندها في الوقت الذي كان فيه بعضهم الآخر ثائرًا على هذه السلطة، وناقمًا عليها ومحاربًا لها، فقد حدث أن استمال الفرنسيون إليهم سليمان بن قدور سنة 1278هـ/1868م، ثم دفعوا به إلى مواجهة سي قدور بن سي حمزة أحد زعماء ثورة 1274هـ/1864م، ونظير تفانيه في خدمتهم عينوه آغا على البيض سنة 1279هـ/1869م[2]، كما حدث أن قام سي قدور بن سي حمزة ذاته باستقبال الحاكم العام الفرنسي جول كامبون Jules Cambon سنة 1306هـ/1892م بمنطقة المنيعة، وقدم له حصانه ثم حي العلم الفرنسي رمزًا للطاعة والرجوع عما كان عليه، ومن جهته قام الحاكم العام بتعيينه في منصب الباش آغا، وقد حدث هذا في الوقت الذي كان فيه الشيخ بوعمامة لا يزال ثائرًا[3].

هـ. كانوا أحد الأسباب الرئيسة التي ساعدت السلطة الفرنسية، وحفزتها على توسيع نفوذها نحو الجنوب.

أما بالنسبة للدور الايجابي للشيخيين في المقاومة الوطنية يتمثل في:

أ. إلتحاقهم بركب المقاومة الوطنية سنة 1274هـ/1864م وإن كان متأخرًا، إلا أنه جاء في وقت جد حساس ومفصلي بالنسبة لهذه المقاومة، فهو أعطاها نفسًا جديدًا وضمن لها الاستمرارية، وأبقاها حاضرة في أذهان ووجدان الجزائريين بعد أن تراجعت حدتها وقوتها، وتقلص مجالها الجغرافي وبدأت معظم الطرق الصوفية تتخلى عن نهجها.

ب. إن كانوا أحد الأسباب الرئيسة التي ساعدت السلطة الفرنسية على التوسع نحو الجنوب، فهم من ناحية أخرى سببا في تأخير وإفشال مشاريعها الاستعمارية الاستيطانية بالمنطقة، وكمثال على ذلك إفشالهم لعمل البعثة الرسمية المكلفة بدراسة مشروع مد الخط الحديدي عبر الصحراء Transsaharien، في الجنوب الغربي لإقليم وهران عام 1289هـ/1879م[4].

---

(1) للاطلاع على دور أولاد سيدي الشيخ في القضاء على ثورة محمد بن عبد الله. يراجع: س. تروملي، **الفرنسيون في الصحراء**، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص-ص.130-159

(2) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.165.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.111.

(4) E. Graulle, **Op.cit**, p.09

ج. ثوراتهم أثبتت للمحتل الفرنسي مرة أخرى أن الشعب الجزائري باختلاف انتمائه العرقي والمذهبي، يصعب تجريده من هويته الوطنية أو فصله وسلخه عن أمته العربية والإسلامية.

د. محاولتهم تنسيق الجهود والمواقف مع بعض زعماء المقاومة الوطنية بعد إعلانهم للثورة مثلما فعلوا مع ابن ناصر بن شهرة.

ه. أثبتوا من خلال ثورة الشيخ بوعمامة التي أعلنها تزامنًا مع احتلال فرنسا لتونس سنة 1295هـ/1881م، أن مقاومة المحتل قضية تخص جميع الشعوب المغاربية، ولا تقتصر على شعب أو بلد بعينه.

4- تيار محايد ثم متعاون:

نعتقد أن هذا التيار لم يكن ذو أهمية كبيرة من الناحية السياسية وذلك بسبب غيابه عن ساحة الأحداث كفاعل أو مفعول به في تلك الفترة، وقد مثلته ثلاثة طرق صوفية في بادئ الأمر، وهي الشاذلية، الكرزاوية، الحنصالية، وذلك قبل أن تلتحق بهم الطريقة العيساوية التي كانت عند بداية الاحتلال تحسب على التيار المقاوم، غير أنها تخلت عن نهج المقاومة في وقت مبكر، وانضمت إلى هذا التيار.

فالعيساوية ومن خلال مشيختها في زاوية وزرة القريبة من من مدينة المدية، قاومت الاحتلال الفرنسي إلى غاية احتلاله لهذه المدينة سنة 1256هـ/1842م، لكن بعد هذا التاريخ اختارت الحياد والنأي بنفسها عن كل ما كان يدور حينها في الجزائر من أحداث سياسية، ونعتقد أنها حافظت على موقفها المحايد إلى غاية أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

وبهذا الشكل تكون العيساوية أول الطرق الصوفية الثائرة التي تتخلى عن نهج المقاومة في وقت مبكر، وتختار الحياد بدلاً من الارتماء في أحضان المحتل، وخدمة مآربه الاستعمارية، وهذا عكس بعض الطرق الأخرى التي انتهجت نهج المقاومة في بادئ الأمر ثم تخلت عنه في وقت لاحق، لكنها لم تبق على الحياد بل سارعت إلى خدمة السلطة الاستعمارية من خلال بعض مشائخها أو إخوانها الذين قبلوا ببعض الوظائف الإدارية لدى هذه السلطة، كحال سي محمد بن سيدي بن عباس مقدم الطريقة القادرية، وشيخ زاويتها بمنطقة منعة في الأوراس الغربي، الذي تولى منصب قايد لدى السلطة الفرنسية بعد أن كانت زاويته ملجأ للحاج أحمد باي وأسرته أثناء مقاومته للمحتل الفرنسي.

بل حتى الطريقة الشاذلية والكرزازية والحنصالية التي بقيت دائما هادئة، ولم يرتبط اسمها لا بالثورات ولا بخدمة المحتل، تخلت عن حيادها هذا مع مطلع العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري،

التاسع عشر الميلادي، وارتمت في أحضان العدو، وتعاونت معه وخدمته، فالشيخ محمد الموسوم، مقدم الطريقة الشاذلية بقصر البخاري جنوب المدية على مشارف الصحراء أين توجد زاويته، قام من تلقاء نفسه، ثم بطلب من السلطة الفرنسية باستعمال نفوذه لدى إخوان الطريقة الشاذلية، ومنعهم من الانضمام لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1278هـ/1864م، وكذلك ثورة المقراني سنة 1285هـ/1871م، فقد بعث إليهم برسائل ومناشير يحرم عليهم الانضمام لإحدى الثورتين، ويلعن من يتدخل في السياسة[1].

أما بالنسبة للكرزازية المشهورة بنهجها لنهج الحياد اتجاه القضايا السياسية، نجد أن أحد شيوخها وهو الشيخ أحمد بن الكبير بوحجاجة الذي تتواجد زاويته جنوب القنادسة قد عرض على الفرنسيين سنة 1295هـ/1881م إعادة بعض الهاربين إليه من ثورة بوعمامة. وقد كان خليفة الحنصالية سنة 1298هـ/1884م معاونًا أهليًا لدى السلطة الفرنسية في بلدية روفاش، قرب قسنطينة[2].

لكن السؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا اختارت الطرق الصوفية الممثلة لهذا التيار الحياد في بادئ الأمر، ثم تراجع معظمها عن هذا الخيار مع أواخر القرن ؟

4-1- أسباب الحياد، وأسباب التراجع والتخلي عنه:

فيما يتعلق بالأسباب التي دفعت بالطرق الصوفية الممثلة لهذا التيار إلى البقاء على الحياد بدلاً من الانخراط في الحياة السياسية إلى غاية أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، أين غيرت بعضها موقفها، نعتقد أنها تتمثل في:

أ. تعاليم هذه الطرق التي تقوم على التسامح والمهادنة والحياد إزاء السياسة ورفض الارتماء في الوظيفة.

ب. ضعف التأثير الشعبي لهذه الطرق بسبب قلة عدد أتباعها واقتصار تواجدها على حيز جغرافي محصور ومحدود، دفع بها إلى سياسة النأي بالنفس، وعدم الخوض في الأمور السياسية حتى تحافظ على كيانها ووجودها.

ج. الحنصالية والعيساوية هي أقرب ما تكون فرق مسرحية وفولكلورية، أو استعراضية وتهريجية منها إلى طرق دينية صوفية أو حركات سياسية.

د. اعتقاد أتباع هذه الطرق أن الخوض في السياسة يؤدي إلى الانشغال بأمور الدنيا، وإهمال أمور الطريقة وضياع الآخرة.

---

[1] Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p.264

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.89

أما عن أسباب تخلي الطريقة الشاذلية والكرزازية والحنصالية عن موقفها المحايد أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي نعتقد أنها تتلخص في النقاط التالية:

أ. تمكن السلطة الفرنسية من تدجين أغلب الطرق الصوفية وتوظيفها لصالحها خلال هذه الفترة، بما فيها الطرق المقاومة أو على الأقل معظم فروعها، كما حدث مع الطريقة الرحمانية.

ب. اتضاح صورة المشهد السياسي في الجزائر خلال هذه الفترة بعد أن ضعفت المقاومة وتراجعت حدّتها، وخفت نيرانها وتيقن الجميع أن الكفة مالت، أو بدأت تميل لصالح السلطة الفرنسية، مما دفع بهذه الطرق إلى الإفصاح عن موقفها بدقة، ومحاولتها التقرب من هذه السلطة والتودد لها.

ت. التنافس الحاد في هذه الفترة بين بعض الطرق الصوفية للتقرب من السلطة الفرنسية ونيل رضاها، والحصول منها على بعض الامتيازات كالإعفاءات الضريبية والجبائية، والسماح لها بجمع الزيارات من أتباعها.

4-2- تقييم موقف التيار المحايد:

نعتقد أن موقف هذا التيار لم يكن في مصلحة المقاومة الوطنية، حتى وإن كان في مصلحة الطرق التي تمثله، لكونه خدم بالدرجة الأولى السلطة الفرنسية أكثر مما خدم غيرها، بدليل أن هذه السلطة اعتبرت حياد الحنصالية التي هي جزء من هذا التيار موقفًا صحيحًا وسليمًا، وأن هذه الطريقة لا تخيفهم كما تخيفهم بعض الطرق الأخرى حتى الهادئة منها(1)، ونحن نعلم أن المحتل إذا مدح شيئا فهذا يعني أنه يخدم مصالحه، ويضر بمصالح عدوه.

كما أن حياد هذا التيار أتاح الفرصة لسلطة الاحتلال كي تركز اهتمامها على طرق معينة دون غيرها كالطريقة الرحمانية، وتحاصرها وتوجه لها ضربات موجعة، فلو انضم أتباع هذا التيار إلى المقاومة الوطنية لتقوى صف هذه الأخيرة، ولتشتت العدو وفقد تركيزه.

لكن هذا الحياد ساهم من جهة أخرى في الحفاظ على وجود وتواجد هذه الطرق، وحافظ على طاقاتها البشرية حينما جنبها انتقام السلطة الفرنسية منها، وقد كان لتواجد هذه الطرق على الساحة الاجتماعية والثقافية، دور في الحفاظ على الهوية الوطنية والتراث الثقافي للأمة الجزائرية.

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.87

5- تيار متعاون:

يعد هذا التيار أحد الأسباب الرئيسة التي مكنت السلطة الفرنسية من تجسيد بعض مشاريعها الاستعمارية الاستيطانية في الجزائر، وساعدتها على كسر شوكة المقاومة الوطنية وإضعافها خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وذلك من خلال الخدمات الجليلة التي قدمها أتباعه لهذه السلطة وتعاونهم معها. وقد مثلته ثلاث طرق صوفية وهي الزروقية والعمارية والتيجانية.

بالنسبة للزروقية التي هي فرع من فروع الشاذلية، فالمصادر والمراجع التاريخية التي هي بحوزتنا لم تطلعنا عن موقفها من السلطة الفرنسية خلال الثلاثين سنة الأولى من الاحتلال، لكنها تذكر أن في سنة 1286هـ/1872م أغتيل أحد شيوخها المسمى مصطفى ولد الحاج الساحلي الذي كان يشغل وظيفة قايد على منطقة طيوط بنواحي تلمسان، ثم تولى أخ له ـ لم تذكر اسمه ـ مكانه في القيادة، فوقع اغتياله سنة 1295هـ/1881م من قبل أتباع الشيخ بوعمامة لكونه كان يعمل لصالح الفرنسيين ضد الثورة، فخلفه أخوه الحاج الملياني الذي أغتيل هو الآخر سنة 1309هـ/1895م لأسباب غير معروفة[1].

إلا أننا نعتقد أن علاقة الود والتعاون بين أتباع الطريقة الزروقية والسلطة الفرنسية تعود إلى ما قبل 1277هـ/1860م، وحجتنا في ذلك ما ذكره ديبون Duppont وكوبولاني Coppolani، من أن الشيخ الطيب بن الحاج البشير مقدم الطريقة الزروقية بضاحية أولاد طريف في البرواقية جنوب العاصمة، وجد في خاتمه أنه شاذلي الطريقة، وأن تاريخ الختم هو 1277هـ/1860م وهو مكتوب بالحروف العربية واللاتينية[2]، وهذا ما يعني أن هذا الشيخ كان يستخدم خاتمه في ختم الرسائل التي كان يبعث بها إلى السلطة الفرنسية، وإلا ما كتب عليه بالحروف اللاتينية في الوقت الذي كان فيه أغلب الجزائريين بما فيهم أتباع الطريقة الزروقية لا يقرؤونها، ولا يكتبون بها.

وفيما يتعلق بالطريقة العمارية فقد اختار مقدمها بمدينة قالمة الشيخ مبارك بن يوسف، الدخول في طاعة الفرنسيين وخدمتهم منذ السنوات الأولى للاحتلال، فقد استفاد منه الفرنسيون أثناء حملتهم الفاشلة على مدينة قسنطينة سنة 1250هـ/1836م، حيث عينوه عندئذ بايًا على هذه المدينة لينازعوا به شرعية حكم الحاج أحمد باي، ونتيجة لذلك كافأته السلطة الفرنسية، فبنت له زاوية بقبة تعويضًا له على خدماته.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.79.

(2) Duppont et Coppolani, **Op.cit**, p.459

وهذه الزاوية كانت تقع على بعد قليل من مدينة قالمة عند أقدام ماهونة، وهي تعرف بزاوية عين الدفلى، ولا علاقة لها بعين الدفلى التي تقع غرب مدينة الجزائر العاصمة[1].

وقد حذت التجانية حذو الطريقة العمارية في علاقتها بالسلطة الفرنسية، واختارت منذ البداية أن تتحالف وتتواطأ مع المحتل الفرنسي ضد مقاومة الأمير عبد القادر، فقد اكتشفت مخابرات هذا الأخير رسائل من محمد الصغير التجاني شيخ زاوية عين ماضي، إلى الحاكم العام الفرنسي المارشال فالي Vallée، وهذه الرسائل مكتوبة بخط التجاني نفسه، وهو يقول فيها لهذا الحاكم:(اشغل أنت الأمير من جهة البحر وأنا سأشغله من جهة الصحراء)[2].

وفي سنة 1258هـ/1844م عندما تقدمت القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال Le Duc D'Aumale، لاحتلال مدينة بسكرة اتجه جمع من أحباب الطريقة التجانية إلى الشيخ الحاج علي الينبوعي، شيخ زاوية تماسين التجانية يسألونه ماذا سيفعلون حيال هذه المستجدات، فأجابهم قائلا: (إن الله هو الذي أعطى الجزائر وكل الأوطان التابعة لها للفرنسيين، وإنه هو الذي يريد أن يراهم مسيطرين، فعليكم بالسلم وعدم السماح للبارود بالكلام ضدهم...)[3].

وخلال ثورة الشيخ بوعمامة، حرر الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد التجاني رسالة سنة 1297هـ/1883م إلى بعض أحبابه من أولاد الصافي وأولاد سيدي إبراهيم الذين التحقوا بالثورة، يدعوهم إلى العودة كما عاد أولاد زياد وأولاد سعدون إن كانت لهم محبة له، وألا يتبعوا رأي أهل الفساد، وإلا فلا محبة بينه وبينهم، وأنه يريد مصلحتهم لأن فرنسا قادرة على قهرهم وتشتيتهم لو لا رأفتها بالناس ومراعاتها لمصلحتهم، ويدعوهم إلى عدم الإصغاء للكذابين كالشيخ بوعمامة ــ حسب ما ورد في الرسالة ــ وغيره، لأنهم يغررون بالناس ويوصلونهم إلى الهلاك، وعليهم بالرجوع إلى جادة الصواب اليوم أفضل من الغد[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.61.

[2] قد تحدث الأمير عبد القادر عن هذه المؤامرة في الرسالة التي بعث بها إلى ممثله في المغرب الأقصى الحاج الطالب بن جلول أثناء حصاره لبلدة عين ماضي سنة 1252هـ/1838م. للاطلاع على هذه الرسالة. يراجع:
Georger Yver, **Op.cit**, p-p.91-95

[3] إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص–ص.81–82 ؛
Simian Marcel, **Les Confréries Islamique en Algérie (Rahmanya - Tidjanya)**, These de Doctorat en sciences politique et Economiques, Faculté de droit, Université de Paris, France, 1910, p-p.83-84

[4] ينظر: **ملحق رقم (12)**.

وفي رسالة أخرى حررها في العقد نفسه إلى بعض أحبابه يشكرهم فيها على المجهود الجبار الذي بذلوه في خدمة فرنسا، ويوصيهم بالدوام على طاعتها وخدمتها، لأن من امتثل لأمرها عاش في سعادة وهناء ـــ على حد تعبيره ـــ ومن لم يفعل فلا يلوم إلا نفسه[1].

ومثل هذه الرسائل إن دلت عن شيء، فإنما تدل على أن خدمة الطريقة التجانية للسلطة الفرنسية، وتعاونها معها قد استمر حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وقد استغل الفرنسيون خدمة الطريقة التجانية لهم، وتعاونها معهم أبشع وأشنع استغلال في كل حديث لهم عن هذه الطريقة، وفي كل الظروف وشتى الأحوال، فكلما ذكروها إلا ومجدوها، ووصفوها بالصديقة صاحبة المواقف المؤيدة لهم، والمعادية للأمير عبد القادر وكل الحركات الوطنية[2].

ونعتقد أن السلطة الفرنسية عملت منذ البداية على استمالة هذه الطريقة إلى صفها، بالرغم من أن أغلب الدراسات تعتقد أن هذه السلطة لم تكن على علم بحقيقة الطرق الصوفية ودورها في الحياة العامة بالجزائر، إلا بعد الدراسة التي قام بها الضابط إدوارد دونوفو Edward Deneveu، ونشرها سنة 1259هـ/1845م بعنوان الإخوان، إلا أننا نستبعد أن لا تكون السلطة الفرنسية على علم ولو بسيط، أو مبدئي بأمر هذه الطرق قبل هذه الدراسة، لأن المعلومات كانت تصل إليها من خلال جواسيسها الذين بثتهم في كل المناطق، ومن خلال أيضا بعض الأهالي المتواطئين معها، والمخلصين في خدمتها، ولا يعقل أن يكون هؤلاء جميعا قد اغفلوا إخطارها بأمر هذه الطرق، وتزويدها ببعض المعلومات ولو يسيرة عن كل طريقة. وعليه فإن السلطة الفرنسية حاولت أن تستميل التجانيين إليها، وتتقرب منهم أكثر من غيرهم، نظرًا لماضيهم وتاريخهم الثوري التمردي ضد السلطة التركية العثمانية الحاكمة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.

كما أن الطريقة التجانية لها كثير من الأتباع في الصحراء الجزائرية، وخارجها، وأي محاولة من هذه السلطة للتوسع باتجاه هذه المناطق تعد مغامرة محفوفة بالمخاطر، وغير محسوبة العواقب، إن لم تكن قد ضمنت ولاء هذه الطريقة لها، إذ بإمكان أتباع هذه الأخيرة أن يقوموا بقطع جميع طرق الإمداد عن قوات المحتل، ويقومون بمحاصرتها من كل الجهات إن هي توسعت وتوغلت في تلك المناطق، لاسيما إن حدث تحالف بينهم وبين أتباع بقية الطرق الصوفية الأخرى في الشمال، كالإخوان الرحمانيين المعروفين أصلاً بعدائهم التقليدي لهذا المحتل.

---

[1] ينظر: **ملحق رقم (13)**.

[2] أبو القاسم سعد الله، <u>**تاريخ الجزائر الثقافي**</u>، ج.4، ص.196

لكن إن كنا نتحدث هنا عن علاقة وثيقة، ومتينة بين السلطة الفرنسية والطريقة التجانية، فإن بعض الباحثين يتحدثون عن علاقة مضطربة، وغير مستقرة على نهج واحد، وعلى حد تعبيرهم فإن التجانيون كثيرًا ما تمردوا على هذه السلطة، وقاوموها بعد أن انخرطوا في بعض الثورات المناهضة لها، وكمثال على ذلك مشاركة فرقة أولاد رشاش التجانية، بقيادة الحسناوي بن بلقاسم في معركة الجرف بمنطقة تبسة سنة 1261هـ/1847م، ضد القوات الفرنسية المشكلة من السرايا الثلاث التي زحفت من خنشلة، وباتنة، وعنابة، ومشاركتها أيضا إلى جانب ابن ناصر بن شهرة في معاركه ضد الوجود الاستعماري بالمنطقة سنة 1270هـ/1856م، وخلال هذه الثورة أمدتهم زاوية تماسين التجانية بالأسلحة، وحملها إليهم شيخ الزاوية بنفسه[1].

وفي مطلع سنة 1283هـ/1869م انضمت بلدة عين ماضي إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ، وفتح سيدي أحمد بن محمد بن أحمد التجاني شيخ زاوية عين ماضي، أبواب المدينة أمام المجاهدين، مما تسبب في اعتقاله من قبل السلطة الفرنسية التي حملته إلى بولوغين بالجزائر العاصمة أين سجنته رفقة ثمانية عشر من أعيان عين ماضي، ثم نقلته بعد ذلك إلى مدينة بوردو الفرنسية[2].

لكننا نعتقد أن مثل هذه المساهمات الرمزية من قبل بعض أحباب الطريقة التجانية في بعض الثورات، لا تنفي وجود علاقة متينة وقوية بينها وبين السلطة الفرنسية. فمكانة الطريقة التجانية ظلت دون غيرها بارزة عند الفرنسيين، لدرجة أن احدهم اقترح توظيفها في مهمة التجسس على الطرق الأخرى لصالح سلطة الاحتلال، كما اقترح إسناد منصب شيخ الإسلام لشيخ الطريقة، وهو المنصب الذي أزاله الفرنسيون عند احتلالهم للجزائر. وقد وظفها الفرنسيون في آخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي ضد الطريقة القادرية، وضد الطريقة السنوسية، كما وظفوها للوقوف ضد الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وكذلك في توسعهم اتجاه الصحراء[3]، حيث قام سيدي أحمد بن محمد بن أحمد التجاني بكتابة الرسائل إلى أحباب الطريقة، ومقدميها في توات وعين صالح وبورنو، وسقوطو وغيرها يدعوهم لتقديم يد العون للفرنسيين، وتسهيل نفوذهم بالمنطقة، وذات الشيء قام به شيخ زاوية تماسين أيضا[4].

---

(1) عبد الوهاب شلالي، « دور الطرق الصوفية في جهاد أهل تبسة في القرن 19م من خلال الكتابات العسكرية الفرنسية »، **نادي المثقفين**، المركز الثقافي الإسلامي لحبيب فارس، تبسة، الجزائر، 25 جمادى الأولى 1425هـ الموافق لـ 02 جويلية 2005، ص.16.

(2) أحمد بوزيد قصيبه، **المرجع السابق**، ص.59.

(3) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.336.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص–ص.216–217

لكن أحباب التجانية لم يكونوا كلهم على سيرة زعمائهم، إذ أن منهم من شارك في الثورات إلى جانب إخوانه المجاهدين من الطرق الأخرى وغيرها، وقاسمهم حلاوة الانتصار في بعض المعارك، ومرارة الانكسار والهزيمة في معارك أخرى، ومنهم من هاجر إلى خارج الجزائر. ولم يكن زعماء التجانية في بعض البلدان الإفريقية على هوى زعمائها وشيوخها في الجزائر. وعلى رأي أبو القاسم سعد الله (للجهل دولة وسلطان، وللاستعمار جولة وصولجان)[1].

5-1- أسباب التعاون:

يذكر إدوارد دونوفو Edward Deneveu أن محمد الصغير التجاني كان مجبرًا على التعاون مع الفرنسيين، والوقوف إلى جانبهم في سبيل نصرة قضيتهم على أرض الجزائر[2]، وهذا ما جعلنا نعتقد أن هناك أسباب كثيرة وعديدة، دفعت بأتباع هذا التيار إلى التعامل مع السلطة الفرنسية والتعاون معها، عكس التيارات الأخرى التي انقسمت بين من فضلت محاربة هذه السلطة وإعلان الثورة عليها، وبين من اختارت الحياد والنأي بنفسها عن أمور السياسة، وعدم التدخل في الصراع الدائر بين سلطة الاحتلال وحركات المقاومة الوطنية.

لكن المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها أهملت هذه الأسباب، ولم تتطرق إليها ولو على سبيل الإشارة، عدا ما ذكرته عن حصار الأمير عبد القادر لبلدة عين ماضي سنة 1262هـ/1838م، وقالت عنه أنه أحد الأسباب التي أدت بمحمد الصغير التجاني إلى التعاون مع السلطة الفرنسية، إلا أن هذا لا يمنعنا من استعراض ما نرجح أن يكون قد دفع بأتباع هذا التيار إلى التعامل مع الفرنسيين، والتعاون معهم، مع العلم أن هذه الأسباب منها ما هو مشترك بين جميع الطرق المشكلة لهذا التيار، ومنها ما هو خاص بطريقة معينة دون البقية، وهذه الأسباب هي:

أ. سياسة فرق تسد التي انتهجتها السلطة الفرنسية مع الطرق الصوفية، فقد أوحت إلى كل طريقة بأن الطريقة الأخرى تنافسها وتريد أخذ مكانها وأتباعها وزياراتها[3]، مما دفع ببعض الطرق إلى التحالف مع هذه السلطة، والاحتماء بها في مواجهة مُنَافِسَاتِهَا من الطرق الأخرى.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ص.337.

(2) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.105.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.236.

ب. اعتقاد زعماء هذا التيار أن فرنسا قوة عظمى لا يمكن هزمها، لذلك وجب التعامل معها بالمثل القائل: (اليد التي لا تستطيع قطعها قبّلها !)[1].

ج. الاستعداد المسبق لدى بعض زعماء هذا التيار للتعامل مع السلطة الفرنسية، وقبول الوظائف منها، إذا أرضت شرفهم ومصلحتهم[2]، مثلما حدث مع مبارك بن يوسف مقدم الطريقة العمارية، وشيخ زاويتها بعين الدفلى بمنطقة قالمة.

د. اعتقاد بعض أتباع هذا التيار كالتجانيين على سبيل المثال، أن الاحتلال الفرنسي قضاء الله وقدره[3]، وعليه وجب على المسلمين أن يقبلوا هذا الاحتلال، وأن يتعاملوا معه إلى أن يأتي وقت آخر مادام لا يمنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية[4].

هـ. معاداة السلطة التركية العثمانية الحاكمة في الجزائر قبل 1244هـ/1830م للطريقة التجانية، والتضييق على شيوخها، ثم محاربة الأمير عبد القادر بعد ذلك لهذه الطريقة وإحكامه الحصار على معقلها بعين ماضي، جعل شيوخ التجانية يعتقدون أن الاستعمار الفرنسي حتى وإن كان قضاء الله وقدره على الجزائر والجزائريين، فهو أيضا هبة ونعمة من المولى عزّ وجل لأحباب الطريقة حتى يحافظ على أرواحهم وأموالهم، ويصون دماؤهم ويجفف دموعهم، وعليه وجب عليهم مهادنته ومساعدته والتعاون معه وقت ما أراد ذلك، وحيث ما وُجِدَ حتى وإن كان خارج أرض الجزائر، لذا نجد أن أحد شيوخ التجانية في السنغال ـ جنوب الصحراء الكبرى ـ قد كتب لأحبابه يوصيهم بإخلاص الطاعة للفرنسيين (لأن الله تبارك وتعالى خصّهم بنصر وفضل ومزيّة وجعلهم سببًا في صون دمائنا وأموالنا...)[5].

2-5- تقييم موقف التيار المتعاون:

مما لاشك فيه أن موقف هذا التيار لم يكن في مصلحته ولا في مصلحة القضية الجزائرية بقدر ما كان في مصلحة الاحتلال الفرنسي، إذ أن موقفه هذا قد ساهم بقدر كبير في إضعاف المقاومة الوطنية مما أدى في نهاية المطاف إلى فشلها، كما ساهم في توسع الاحتلال الفرنسي داخل الجزائر وإلى خارجها، وشوّه صورة هذا التيار وزعمائه في أعين أغلب الجزائريين بما فيهم أتباعه الذين اثبتوا من خلال

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج.1، ص.350.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.310.

(3) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص.28.

(4) Louis Rinn, **Marabouts et Khouans**, p.427

(5) محمد شقرون، **الإسلام الأسود**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط.1، 2007، ص.79.

انخراطهم في المقاومة الوطنية لأكثر من مرة أنهم غير معنيين ولا ملزمين بقرارات ومواقف شيوخهم ومقدميهم حينما يتعلق الأمر بالمصلحة الوطنية للجزائر، وما يعزز لدينا هذا الطرح هو قيام التوارق في أقصى الجنوب الجزائري باغتيال أحد مقدمي الطريقة التجانية وهو عبد القادر بن حميدة الذي توجه إلى بلادهم بصفته دليلا للبعثة الاستكشافية التي قادها العقيد الفرنسي فلاترز Flatters سنة 1295هـ/1881م[1]، وذلك كتعبير منهم عن رفضهم المطلق لموقف هذا التيار الذي يسهل ـ حسب اعتقادهم ـ للمحتل الفرنسي استكشاف المنطقة لغزوها.

كما أن هذا التيار وبموقفه السلبي هذا، جعل نفسه عرضة للانتقاد والتخوين من قبل أتباع التيار المقاوم الذين كانوا ينظرون إليه على الدوام أنه عين فرنسا عليهم وعلى أعمالهم الثورية، وهو ما جعل العلاقة تتوتر بين الطرفين في كثير من المرات.

لكن إن كنا نقدر ونثمن، بل ونفتخر ببطولات أولئك الذين رفضوا الخضوع والانحناء والانبطاح للمحتل الفرنسي، كما رفضوا أن يدعوه يهنأ بنصره ويهيئ نفسه ليوجد له موطأ قدم على أرض الجزائر، وينفذ مشاريعه الاستعمارية التنصيرية، فإننا أيضا لا نلوم أو نعاتب زعماء وشيوخ هذا التيار الذين اختاروا لأنفسهم ولزواياهم ومريديهم سبيل التعاون مع المحتل بدلاً من مقاومته، كما لا يجب علينا أن نصفهم بالخونة بسبب موقفهم هذا، بل لابد علينا أن نعترف أن بخيارهم ذلك، تمكنوا هم الآخرون من أن يفوتوا الفرصة على العدو، فلم يمكنوه من أنفسهم، وإلا لكانت الطامة الكبرى على هذا الشعب الذي لن يجد وهو في تلك الظروف الحالكة من يهتم به وبمشاكله المختلفة والمتراكمة.

فبحفاظ هؤلاء على أنفسهم وعلى زواياهم، حافظوا على بقاء هوية هذه الأمة، وضمنوا لها الديمومة والاستمرارية من خلال ما كانوا يقدمونه لهذا الشعب من خدمات جليلة لاسيما في العلم والتعليم والدين، والاهتمام به اجتماعيا بعدما انقطعت به السبل جراء استيلاء المحتل على بقية المؤسسات الأخرى، أو جراء حرقه وتخريبه لها، بعد أن يقوم بقتل أو تشريد أصحابها، وعليه يمكن القول أن التيار الصوفي بمختلف أنواعه وتوجهاته، ساهم طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي في محاربة ومقاومة المحتل الفرنسي إما بالسيف والبارود، وإما بالقلم والإنفاق وبذل الأموال.

---

[1] يعتقد الفرنسيون أن السنوسيون أو أتباع الطريقة السنوسية كان لهم دور في الهجوم الذي تعرضت له هذه البعثة. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.262

الفصل الرابع:

التيار الصوفي بين الفاعلية والمفعولية

أولا: موقفه من قضايا عصره

1- موقفه من السان سيمونية

2- موقفه من الماسونية

3- موقفه من مشروع الجامعة الإسلامية

4- موقفه من التيار السلفي الوهابي

ثانيا: دوره الاجتماعي والثقافي والديني

1- دوره الاجتماعي

2- دوره الثقافي

3- دوره الديني

ثالثا: مظاهر وأسباب ضعفه

1- مظاهر الضعف

2- أسباب الضعف

أولا- موقفه من قضايا عصره:

كانت القضايا التي شغلت بال النخبة في العالم الإسلامي عامة، والعالم العربي خاصة، خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي سياسية بالدرجة الأولى مثل استبداد الحكام، والغزو الأجنبي والكفاح والجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، بجانب ما شغلها من قضايا اجتماعية كالتخلف، واستفحال ظاهرتي الخرافة والشعوذة، وقضايا أخرى فكرية ودينية مثل السان سيمونية[1]، والماسونية[2]، والسلفية الوهابية[3]. والسؤال المطروح هو كيف كان موقف التيار الصوفي في الجزائر من هذه القضايا ؟

1- موقفه من السان سيمونية:

تعود معرفة السان سيمونيين بالجزائر إلى وقت مبكر وسابق للاحتلال عن طريق الأب الروحي لهم آنفانتان Enfantin، الذي خلف سان سيمون Saint-Simon على رأس التنظيم بعد وفاته سنة 1239هـ/1825م، وكان آنفانتان Enfantin في رحلة شبابه قد قام بزيارات ورحلات عددية قادته إلى الجزائر في الفترة الممتدة من 1230هـ/1816م إلى 1235هـ/1821م، أين كان يعمل كوكيل للخمر، كما

---

(1) نسبة إلى سان سيمون المولود بباريس سنة 1174هـ/1760م الذي اعتنق مبادئ الثورة الفرنسية، ودعا إلى اتحاد مختلف الطبقات في تيار واحد خدمة للصناعة، وبعد وفاته عام 1239هـ/1825م انتشر أتباعه وعلى رأسهم آنفانتان (Enfantin) في البلاد العربية. يراجع: مصطفى عبيد، **الفكر الاستعماري السانسيموني في مصر والجزائر 1833-1870م**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص-ص.9-38

(2) تيار عقائدي غامض، نظامه سري جدًا يتكون من ثلاث مستويات يتوزعون على ثلاث وثلاثين درجة، ولا يعرف أسرارها من الماسونيين إلا من كان ينتمي إلى الدرجة العليا، ولهذا التيار محافل منتشرة عبر أنحاء العالم، وقد ظهر كممارسة عام 1131هـ/1717م في انجلترا، ويدعي أنه يهدف إلى خدمة الإنسان بالخلق والإبداع وبالإخاء والمساواة، في حين هو يهدف في الحقيقة إلى أن يقتل الإنسان نفسه بنفسه وبإرادته وقناعته، ويقتل مقومات شخصيته بشعارات لامعة وبراقة ظاهرها خدمة الإنسانية وباطنها خدمة التنظيم، والماسونية لا تسمح للنساء بالانخراط فيها. للمزيد من المعلومات يراجع: إيان جيتينز، **فك الشيفرة الماسونية (أسرار الرمز المفقود)**، ترجمة غادة عرب، مراجعة منذر الحايك، دار صفحات للنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، 2013.

(3) نسبة لزعيمها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المولود بنجد سنة 1117هـ/1703م، والمتوفي سنة 1206هـ/1792م، وهو من أسرة مارس أفرادها القضاء في مدينة العينية، درس في الحجاز وفي البصرة وتأثر كثيرًا بتعاليم أحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية مما جعله يعتقد أن مبدأ التوحيد قد تعرض إلى كثير من التشوهات والانحرافات، وعليه راح يحارب البدع والخرافات، ويدعو إلى وجوب العودة إلى الإسلام الأول إسلام السلف الصالح وإلى ضرورة فتح باب الاجتهاد على مصرعيه. يراجع: الغالي غربي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.2، 2011، ص-ص.136-138

دفعته الظروف إلى أن يقطن بها[1]، وقد صرح هو بذلك في رسالته التي بعث بها إلى وزير الحربية الفرنسي سنة 1257هـ/1843م عندما قال:(إنني أعرف الجزائر التي زرتها ورحلت إليها وقطنت بها خمس سنوات من شبابي)[2].

إلا أن اهتمام السان سيمونيين بالجزائر لم يحدث إلا بعد أن فشل مشروعهم في مصر[3] سنة 1250هـ/1836م، واستقر آنفانتان Enfantin في الجزائر كعضو في اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر لمدة سنتين من 1253هـ/1839 إلى غاية 1255هـ/1841م[4]، أين لاحظ أن هذه الرقعة الجغرافية من العالم تحمل عوامل نجاح المشروع السان سيموني، الذي يهدف إلى ربط العالم الغربي بالعالم الإسلامي، وتوحيدهما فكريا واقتصاديا وحتى جغرافيا من خلال ربط القارات بعضها ببعض[5]، على أن يكون العالم الغربي هو الفاعل، والعالم الإسلامي هو المفعول به[6]. وقد صرح آنفانتان Enfantin قائلا: (الجزائر هي مكان تجربة هذا التنظيم الجديد الذي نريد تحقيقه هنا، ونعمل ما في وسعنا لتحقيقه باستبعاد العقبات التي تقضي على شركاتنا القديمة)[7].

ولتجسيد هذا المشروع اقترح السان سيمونيون، احتفاظ فرنسا بالجزائر مع توسيع دائرة الاحتلال لتشمل مختلف المناطق الجزائرية، على أن يكون هذا الاحتلال أوروبيا، مسيحيا، ويتم تحت السيطرة

---

(1) مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص-ص.41-43

(2) Georger Yver, « Enfantin et L'émigration étrangère en Algérie », **in R.A**, N°59, A. Jourdan-Libraire- Editeur, Alger, 1918, p.258

(3) عرف السان سيمونيون مصر منذ سنة 1246هـ/1832م، عن طريق آنفانتان (Enfantin) الذي وجه إليها أتباعه حاملين معهم مشروع الاستثمار في قناة السويس ومشاريع أخرى في مجال التعليم، وفي الهندسة المدنية والتقنيات، وهؤلاء الأتباع هم كايول Cayol، وجيرمين Germain، وفليشي Flichy، وبانتييه pantier. يراجع: مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص.30

وقع اختيار السان سيمونيين على مصر باعتبارها منطقة إستراتيجية في إفريقيا، تقع في أكثر الجهات ملاءمة لتسيير الحملات منها إلى مختلف المناطق، كما أنها من أهم الطرق الرئيسة لدى المسلمين أثناء توجههم إلى الأماكن المقدسة، ولدى أهلها قابلية تلقي العلوم والمعارف المختلفة. يراجع: محمود صالح منسي، **مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناد دي لسيبس**، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، د.ت، ص.18

(4) مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص.43

(5) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.123

(6) مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص.30

(7) Père Enfantin, **La Colonisation de L'Algérie**, Bertrand, Paris, 1843, p-p.116-117

الفرنسية[1]، أي بمعنى أن تكون الهجرة إلى الجزائر أوروبية بما يسمح ببناء مجتمع أوروبي استيطاني دخيل تحت مظلة الاستعمار الفرنسي[2].

ومن أجل ذلك اقترحوا عدة مشاريع، كبناء المدارس والمعاهد، ومد طرق المواصلات والسكك الحديدية، وتأسيس المدن الفلاحية واستغلال المناجم[3]، بالإضافة إلى مشروع ربط الجزائر بفرنسا، حيث أنشئوا الخط البحري مرسيليا– الجزائر، وأعلنوا مبدأ الموانئ الحرة، وقاموا بإلغاء الحواجز الجمركية[4].

غير أن تجسيد هذه المشاريع على أرض الواقع كان يتطلب الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الممتلكات والأراضي، التي اعتقد السان سيمونيون أنها ليست ملكًا لأحد، إذ أنهم يؤمنون أن ملكية الأرض الخاصة لا وجود لها في الجزائر إلا في المدن وأحوازها، وما عدا ذلك فلم تكن الأرض ملكًا لأحد، وحتى الأرض المشاع ليست ملكًا لأي كان، لا لشيخ القبيلة ولا لشيوخ الدوار، ولا للباي أو الداي، كما أنه لا لوجود لملكية جماعية للأرض بالمعنى المتعارف عليه، وهو ما يسمح لسلطة الاحتلال الاستيلاء عليها خدمة للمشروع الاستيطاني[5].

لكن هذا الطرح السان سيموني لملكية الأرض في الجزائر كان طرحًا خاطئًا، إذ أن تلك الأراضي حتى وإن لم يكن لها أصحابها، فهي تبقى أراضي جزائرية، وملكيتها تعود للجزائريين الذين هم أحق بها من المستوطنين الأوروبيين، وهو ما يعني أن الاستيلاء عليها من قبل السان سيمونيين يتطلب استخدام القوة، وهذا ما ادخل هؤلاء في حرب غير مباشرة[6]، ضد رجال المقاومة الوطنية الذين هم في أغلبهم من أتباع التيار الصوفي.

وقد انخرط السان سيمونيون بقوة في الجيش الفرنسي، وكان منهم قادة كبار[7]، قادوا عدة معارك ضد بعض أتباع التيار الصوفي الذين كانوا يتزعمون ويقودون المقاومة الوطنية كالقادريين والرحمانيين وغيرهم. ونذكر من بين هؤلاء القادة العسكريين السان سيمونيين لامورسيار Lamoricière الذي عين

---

[1] Père Enfantin, **Op.cit**, p.370

[2] مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص–ص.46–47

[3] أحميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838–1858)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 1425هـ/2004م، ص.62

[4] Edouard- Henri Cordier, **Napoléon III et L'Algérie**, Ancienne Imprimerie V. Heintz, Alger, 1937, p.215

[5] أحميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838–1858)**، ص.65

[6] قلنا هنا حرب غير مباشرة لأن السان سيمونيون لم يدخلوا الحرب ضد التيار الصوفي باسم الحركة السان سيمونية، وإنما دخلوها بصفتهم ضباط منخرطين في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي.

[7] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.6، ص.438

حاكمًا على منطقة الغرب الجزائري، والدوق دومال Duc d'Aumale الابن الرابع للملك لويس فيليب Louis philippe، والمشهور بقضائه على فرقة الزمالة للأمير عبد القادر سنة 1257هـ/1843م[1]، وكذلك الجنرال بادو Badeau والنقيب بيجو Bigot الذي قتل بعنابة عام 1245هـ/1831م[2].

إلا أن السان سيمونيون سرعان ما أدركوا أن حربهم لم تكن مع أناس أو أشخاص عاديين، يقاتلون من أجل البقاء، وإنما حربهم هي مع تيار ذو إيديولوجية دينية يقاتل من أجلها، وهو ما جعلهم يحاولون دراسته لفهمه وفهم أفكاره والاطلاع على أسراره، فكانوا بذلك ــ حسب علمي واعتقادي ــ أول من أجرى دراسة على هذا التيار في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

وقد قام بهذه الدراسة إدوارد دونوفو Edward de neveu، وهو من كبار المسؤولين في الشؤون الأهلية، ومن المنتمين للحركة السان سيمونية[3]، ونشرها لأول مرة على شكل كناش سنة 1259هـ/1845م بأمر من الحاكم دوق دومال Duc d'Aumale ــ السان سيموني ــ وكانت لهذه الدراسة أبعاد إستراتيجية أُرِيدَ من خلالها إيجاد حلول ميدانية للتساؤلات التي كانت تطرح من قبل رواد الحملة الاستعمارية[4]، خاصة المنتمين منهم للسان سيمونية، وهذا ما يفهم من قول المؤلف (إن الغرض من التعريف بالطرق الدينية التي كانت تتقاسم سكان الجزائر هو الكشف عن الجماعات التي تثير يقضتنا. كل فرقة هي بمثابة قوة محركة، من يعرف توجيهها، تكون مثل السلاح الفتاك الذي مكننا من تحقيق مشاريعنا الاستعمارية)[5].

توصل إدوارد دونوفو Edward de neveu في دراسته إلى أن الطرق الصوفية من حيث مواقفها من الاحتلال الفرنسي هي ثلاثة أنواع، النوع الأول وهو المتعصب لأفكاره، والرافض للاحتلال الفرنسي ولا يرضى إلا بالقتال الذي يسميه الجهاد، وهذا النوع تمثله كلا من الطريقة القادرية والرحمانية والدرقاوية. أما النوع الثاني الذي تمثله الطريقة العيساوية، فإن كان لا يمثل خطرًا على الفرنسيين إلا أن موقفه منهم تلفه الضبابية ويبقى غامضًا. والنوع الثالث مجامل للسلطة الفرنسية وله قابلية للتعامل والتعاون معها، وعلى رأسه الطريقة التجانية. والتعامل مع هذه الأنواع الثلاثة يكون من خلال فرض نظام مراقبة محكم

(1) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.123.

(2) أحميدة عميراوي، **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص.125.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، هـ.ص، ص.29، 30

(4) إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، تقديم الكتاب، ص.7.

(5) إدوارد دونوفو، **المصدر نفسه**، ص.106.

ودائم عليها، وغرس جواسيس بين أتباعها لاطلاع السلطة الفرنسية عن ما يدور في اجتماعاتها، وكذلك محاولة استمالة شيوخها من خلال إغرائهم بالهدايا، وإظهار لهم شيء من الأهمية والاعتناء بمساجدهم[1].

وتعتبر هذه الدراسة بمثابة خارطة الطريق التي رسمت للسان سيمونيين الخطوط العريضة لسياستهم، وعلاقتهم اتجاه التيار الصوفي برمته، فهم حاولوا أن يستفيدوا مما ورد فيها من معلومات، وبما خرجت به من نتائج وتوصيات، وحاولوا أن يسقطوا هذه التوصيات على أرض الواقع، وهذا ما يتضح جليًا من خلال أفعالهم ومؤلفاتهم التي جاءت بعد هذه الدراسة.

فعلى سبيل المثال قام إسماعيل أوربان[2]، وهو أحد الوجوه السان سيمونية البارزة على الساحة السياسية في الجزائر خلال تلك الفترة بإصدار كتابين[3]، أحدهما سنة 1275هـ/1861م بعنوان الجزائر للجزائريين L'Algérie pour Les Algerians، والثاني سنة 1276هـ/1862م بعنوان الجزائر الفرنسية L'Algérie Française، دعا من خلالهما سلطة الاحتلال الفرنسي إلى منح الجزائر نوعًا من الاستقلالية مع قيام الحكومة بدور المراقبة، والعمل على تحقيق الرعاية الاجتماعية للأهالي ودفعهم إلى الاندماج بالمعمرين طواعية.

---

[1] إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، ص-ص.102-107.

[2] هو طوماس أوربان Thomas Urbain، فرنسي الأصل من مواليد كايان، أبوه فرنسي من تجار مارسيليا، وأمه من كايان وكانت هي أيضا مهجنة من والدين مختلطين، وقد حمل اسم إسماعيل بعد أن اعتنق الإسلام، وتزوج سنة 1254هـ/1840م امرأة مسلمة من قسنطينة اسمها جرمونة وأنجب منها بنتا سماها باية، وكان زواجه على يد القاضي المسلم، وسبق له أن تعلم اللغة العربية عندما كان مقيمًا بمصر، وشارك في مختلف أوجه الحياة بالجزائر وفي فرنسا، بالإضافة إلى الكتابات والترجمة. يعتقد بعض الباحثين أنه أقرب الفرنسيين إلى المجتمع الجزائري، فقد جعل نفسه واحدًا من هذا المجتمع يحس بإحساسه ويفهم تقاليده. توفي في فرنسا سنة 1298هـ/1884م. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، ص-ص.441-444

يعتقد مصطفى عبيد أن إسماعيل أوربان لم يكن مجرد مترجم فحسب، بل مستشارًا وخبيرًا بطرق إخضاع الجزائريين. يراجع: مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص.90.

[3] حول كتابات إسماعيل أوربان وأفكاره. يراجع: مصطفى عبيد، **المرجع نفسه**، ص-ص.103-185

وقبل إصدار إسماعيل أوربان للكتابين كان قد أجرى عدة اتصالات وتبادل عدة رسائل[1] مع الأمير عبد القادر بصفته شيخ الطريقة القادرية في الجزائر وأحد قادة المقاومة الوطنية، ونعتقد أن إسماعيل أوربان قد أجرى تلك الاتصالات بالأمير عبد القادر بغرض استمالته للسان سيمونية.

وعلى رأي أحميدة عميراوي فإن الأمير عبد القادر قد يكون تأثر بأفكار السان سيمونية، نظرًا لمواقفه الإنسانية العديدة، ومراسلاته واتصالاته بشخصيات منخرطة في هذه الحركة كالكولونال بواسونييه Boissonet، كما أن هناك كتابات تحدثت عن هذه القضية[2].

وسواءً تأثر الأمير عبد القادر بالفكر السان سيموني، أم لم يتأثر فإن إسماعيل أوربان ظل يحتفظ بموقف متشدد اتجاه زعماء المقاومة الوطنية من أتباع الطرق الصوفية، الذين فضلوا القتال والجهاد بدلاً من الرضوخ والانبطاح للمحتل، فقد نصت كتابات إسماعيل أوربان على وضع رجال الدين الذين يشكلون فئات المقاومة تحت الرقابة الأمنية لأجهزة المكاتب العربية فقال: (كل القوى الحية في المجتمع لابد أن نروضها لتقبل سيطرتنا شاءت ذلك أم أبت من رجال الدين الذين يشكلون فئات المقاومة أو المحافظين الحاقدين علينا)[3].

ونعتقد أن موقف التيار الصوفي من السان سيمونية كان موقفًا سياسيا، باعتبارها جزء لا يتجزأ من الاحتلال الفرنسي الذي استولى على البلاد وشرد العباد، ولم يكن موقفًا فكريًا أو إيديولوجيا.

وهذا الموقف للتيار الصوفي من السان سيمونية، قد يكون ناتج عن جهل أتباع هذا التيار بهذه الحركة، وبفكرها ومبادئها، ومشروعها، كما قد يكون نابع عن قناعة راسخة عندهم من أن هذه الحركة، هي حركة استعمارية استيطانية مشروعها لا يختلف عن مشروع الاحتلال الفرنسي، وهي تهدف إلى

---

[1] لنا أن نعرض إحدى مراسلات الأمير عبد القادر إلى إسماعيل أوربان وهي كالآتي: (الحمد لله وحده... إلى حضرة الحبيب الذي ما أحببنا مثله والعاقل الذي ما رأينا أعقل منه السيد إسماعيل الترجمان الكبير السلام عليكم وعلى جميع أحبابكم وبعد السؤال عن أحوالكم أجراها الله على وفق مرادكم أنكم عالمون أننا طلبنا سعادة المارشال سانت أرنو[Saint-Arnaud] على تسريح السيد محمد الشاذلي إلى بروسيا وأخبرني المارشال أنه أعطاه التسريح وأنا لا أشك في كلام المارشال ثم إن السيد الشاذلي تخلف عن السفر إلى بروسيا وفي هذه الأيام كتب إليّ السيد الشاذلي يقول لي أطلب السلطان نابليون الثالث عز نصره يرسلني إلى بروسه وأنا ما قدرت نفهم هذا الأمر نطلب منك تفهموني بمقصود السيد الشاذلي وتفسرون هذا الكلام كما أنا أشتم (كذا) كلامكم، وليس عندي أحد مثلكم أثق بمحبته وعقله، والسلام عليكم من محبكم عبد القادر بن محي الدين لتسع بقين من رمضان عام 1269هـ). نقلا عن: مصطفى بن التهامي، **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، 2009، ص.364.

[2] أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.123.

[3] نقلا عن: مصطفى عبيد، **المرجع السابق**، ص.151.

الاستيلاء على الوطن وتشريد المواطن، وعليه وجب جهادها دون هوادة لإفشال مشروعها على أرض الجزائر.

2- موقفه من الماسونية:

نعتقد أن اهتمام الماسونيين بالجزائر يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي إذ أن هناك عدة مؤشرات توحي بذلك، فمثلا ياكنو Yacono في دراسته التي عنونها بعنوان قرن من الماسونية الجزائرية Un Siècle de Franc maçonnerie Algérienne، حدد بداية وجود الماسونية في الجزائر بعام 1199هـ/1785م، لأن جزائريين جاءا من انجلترا إلى باريس في هذا التاريخ ويحمل كل منهما شهادة منخرط في أحد المحافل الماسونية[1]. كما أن جريدة الأخبار الصادرة عن سلطة الاحتلال الفرنسي سنة 1295هـ/1879م، تحدثت عن اجتماع ماسوني عقد في سيدي فرج بنصف شهر قبل احتلال مدينة الجزائر، وكان موضوع الاجتماع حول ملكية الأراضي البربرية باسم الحضارة والتسامح والتقدم[2].

وبما أن الماسونية في فرنسا قد تعرضت للاضطهاد على يد لويس الخامس عشر Louis xv، الذي اصدر منشورًا سنة 1151هـ/1737م يمنع من خلاله مواطنيه من الانخراط فيها، وصدمتها الحوادث السياسية وزعزعت أركانها سنة 1228هـ/1814م[3]، فإن هذا يعزز اعتقادنا بأنها قد تكون اهتمت بالجزائر في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي لأنها كانت تمثل لها الحقل الخصيب لتجديد نشاطها ونشر أفكارها.

ويبقى الشيء المؤكد هو أن أول نشاط ماسوني لا غبار عليه على أرض الجزائر كان في دالي إبراهيم بضواحي العاصمة سنة 1245هـ/1831م-1246هـ/1832م، وقد قام به مجموعة من العسكريين الكورسيكيين المنخرطين في الجيش الفرنسي، والتابعين لمحفل سيرنوس الكورسيكي[4].

وقد تطور نشاط الماسونية في الجزائر انطلاقا من تأسيس المحافل، إذ بعد أن كان في عام 1246هـ/1832م يوجد محفل واحد في الجزائر العاصمة ولا يتجاوز عدد منخرطيه 79 فردًا تعدى هذا

---

(1) Xavier Yacono, **Un Siècle de Franc- maçonnerie Algérienne (1785-1884)**, Maisonneuve et Larose, Paris, 1969, p.15

(2) أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص.55.

(3) جرجي زيدان، **تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم**، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط.1، 1982، ص، ص.93، 131

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، ص.410.

العدد إلى 10 محافل سنة 1249هـ/1845م، وبلغ عدد المنخرطين 460 فردًا، وبعدها انتشرت المحافل في كل أنحاء الجزائر وازداد عدد المنخرطين[1].

عملت الماسونية من خلال تلك المحافل على كسب ودّ الجزائريين وجذبهم إلى صفوفها، فكانت تقدم نفسها على أنها دين الأديان، وأنها دين الحرية والتسامح، وأنها تدعو إلى الأخوة الإنسانية ولا تحاسب العضو فيها على قناعته حول الأديان، بل إنها تمنع في اجتماعاتها النقاش في المسائل الدينية منعًا باتًا[2]، وقدم بعض أعضائها مشاريع لتسهيل إدخال الجزائريين فيها، نذكر منها مشروع العقيد طاردو Tardo الذي اقترح فيه أن لا يطلب من المترشح الأهلي للعضوية سوى معرفة اللغتين العربية والفرنسية، فإذا أصبح عددهم كبيرًا يُكَوّنُونَ محفلاً خاصًا بهم ولكن تحت إشراف محفل بيليزير Belisaire، وهو الفرع الرئيس في الجزائر لمحفل الشرف الفرنسي[3]. وكان الماسوني المسلم يوسف المملوك يخاطب الجزائريين باسم الإسلام والإنسانية وحرية المعتقد والمدنية، وهو الخطاب الذي كرسته الماسونية في الجزائر[4].

وليس من الغرابة بمكان أن تستميل الماسونية بمثل هذه المبادئ والشعارات التي رفعتها بعض الجزائريين إلى صفوفها[5]، بما فيهم الأمير عبد القادر الذي أشارت بعض الدراسات إلى أنه انتمى إلى هذا التيار، إذ قال سعيد الجزائري: (وكان الأمير الجزائري قد انتسب إلى الجمعية الماسونية أثناء زيارته الطويلة لمصر على يد الأمير حليم باشا)[6]، وقال جورجي زيدان: (دخلت الماسونية الرمزية[7] إلى دمشق بمساعي الطيب الذكر المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري)[8]، ويذكر شارل روبار أجرون Charles Robert Ageron أن الأمير عبد القادر قَبِلَ يوم 18 جوان عام 1278هـ/1864م مباركة

---

[1] أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص.37.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، ص.408.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، ص–ص.412–413

[4] أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص.57.

[5] أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص.128.

[6] سعيد الجزائري، **الماسونية**، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط.3، 1996، ص.120.

[7] يقصد بمصطلح الماسونية الرمزية، تاريخ الماسونية الحديث الذي يبدأ من سنة 1131هـ/1717م، وقد قيل لها رمزية لأن الأدوات التي تستعمل فيها تختص بالبناء العملي، وقد كان البناؤون العمليون يستعملونها في البناء فلما انتقل موضوع هذه الجمعية من صناعة البناء إلى الفضيلة والعلم حافظوا على أدوات البناء وعلى كثير من القوانين الأساسية القديمة لكنهم جعلوا مدلولاتها رمزية يرمزون بها عن أدوات العمران البشري كالفضيلة والاستقامة والبروما شاكل. يراجع: جرجي زيدان، **المرجع السابق**، ص.75.

[8] جرجي زيدان، **المرجع نفسه**، ص.143.

منحه درجة من درجات الماسونية وهي R∵ L∵ التي تعني Respectable Loge في المحفل الشرقي O∵ التي تعني Orient[1]. أما عبد المجيد همو يعتقد أن الأمير عبد القادر انتسب إلى الماسونية قبل انتهاء ثورته واستسلامه للفرنسيين، وأن الضباط الفرنسيين لما أسروه وعلموا أنه كان ماسونيا تعاطفوا معه، وذهبوا به إلى باريس حتى تغلغلت في شرايينه الماسونية، أطلقوه إلى بلاد الشام التي فتح فيها أول محفل ماسوني[2].

ونحن بدورنا لا نستبعد أن يكون الأمير عبد القادر قد انتسب إلى الماسونية وهو لا يزال في الجزائر يقود المقاومة ضد المحتل الفرنسي، ونعتقد أن انتسابه هذا تم على يد الجاسوس الفرنسي ليون روش Léon Roches[3]، الذي قال عنه أبو القاسم سعد الله (وكان الجاسوس ليون روش ماسونيا أيضا)[4].

وكان روش Roches قد التحق بجيش الأمير عبد القادر سنة 1251هـ/1837م، وادعى أنه أسلم فقربه الأمير عبد القادر إليه وجعل منه كاتبا ومستشارًا له، وآمنه على أسراره، وكان يأخذه معه أينما ذهب، وينفق عليه من بيت مال المسلمين، ومنحه وسام الريشة اعترافًا له بالمجهود الذي بذله مع جيش الأمير في معركة عين ماضي ضد التجانيين[5]، وهذا ما يعزز من اعتقادنا من أن يكون ليون روش Léon Roches قد أثر في الأمير عبد القادر بأفكاره ومبادئه الماسونية، وجعله ينتسب لهذه الحركة.

وعلى رأي أحميدة عميراوي (إذا حدث وأن مال شخص ما إلى السلطة الفرنسية فذلك الميل يعد عملاً فرديًا معزولاً وإذا كانت من محاسبة لا تكون إلا لذلك الشخص من دون أسرته أو قبيلته أو

---

[1] Charles Robert Ageron, « Abd El- Kader et La première résistance Algérienne », **in Les Africains**, T.1, Jeune Afrique, Paris, 1977, p.30

[2] عبد المجيد همو، **الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ؟ ومن خدمت ؟**، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، 2009، ص.456.

[3] ولد بمدينة غرونوبل Grenoble الفرنسية سنة 1224هـ/1809م، من أبوين فرنسيين، وتوفي في نفس المدينة سنة 1319هـ/1901م، بدأ حياته في الجيش الفرنسي وأرسلته المخابرات العسكرية لكي يتجسس على الأمير عبد القادر عدة سنوات، فادعى أنه اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى عمر، وتزوج من مسلمة وألف كتابا سجل فيه مغامراته في القيروان ومصر والحجاز للحصول على فتوى من علماء المسلمين ضد حركة الجهاد في الجزائر، كما تولى الشؤون القنصلية لبلاده في عدة بلدان كالمغرب وتونس. للمزيد من المعلومات عن حياة هذا الجاسوس وعن مهمته في الجزائر يراجع: يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847**، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة- الجزائر، ط.خ، 2007

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.6، ص.417

[5] يوسف مناصرية، **المرجع السابق**، ص-ص.28-31

جيله)[1]، وهذا ما ينطبق على الأمير عبد القادر في قضية انتسابه للماسونية، فإذا حدث وتأكد لنا أنه انتسب بالفعل إلى هذه الحركة، فذلك يعد عملاً فرديا ومعزولاً منه لا يمثل موقف الطريقة القادرية التي يمثلها، ولا موقف التيار الصوفي الذي ينتمي إليه، إذ أن موقف هذا الأخير من الماسونية لا يمكن عزله عن موقف الأغلبية المطلقة من الجزائريين الذين ظلوا متحفظين من هذه الحركة، ورفضوا الانتساب إليها والانخراط فيها، لاسيما بعد أن ثبت لهم زيف شعاراتها ومبادئها.

ولم يتعد عدد الجزائريين الذين انخرطوا في المحافل الماسونية سنة 1270هـ/1865م 19 فردًا في كل من قسنطينة وبجاية وعنابة وباتنة وجيجل وسطيف[2]، وقد يكونون كلهم أو على الأقل أغلبيتهم من يهود الجزائر.

وبالرغم من وجود قواسم مشتركة بين بعض المضامين لكل من الطرق الصوفية والماسونية، من ذلك أن نهج كل منها سكوني غيبي. وأن كلا منهما تستعمل كلمة الإخوان وتطبق نفس المناسك على كل منخرط جديد في صفها، كما أن خطابهما الظاهري واحد وهو الدعوة إلى خدمة الإنسانية والتعايش السلمي[3]، إلا أن أتباع الطرق الصوفية هنا في الجزائر وخاصة الزعماء منهم، لم يحدث وأن انتسبوا إلى الحركة الماسونية حسب علمنا، عدا الأمير عبد القادر الذي تحوم حوله الشكوك.

وقد يكون السبب وراء عزوف أتباع الطرق الصوفية أو التيار الصوفي عن الانخراط في الماسونية، هو أن هؤلاء الطرقيين غالبًا ما يريدون أن يكونوا هم القادة، وهم المتبوعين لا تابعين، وهم المنسوب إليهم لا منسوبين لغيرهم، كما أن لهؤلاء أسرارهم الخاصة بهم وبطرقهم، ولا يمكن لهم أن يتقاسموها مع غيرهم، وهذه الأسرار تفرض عليهم أن يظلوا أحرارًا غير مقيدين ولا مربوطين إلا بتعاليم ومبادئ طرقهم الصوفية.

وكما أنّ من غير المعقول، أن ينخرط أتباع التيار الصوفي في تلك المحافل الماسونية، وهم يشاهدونها وهي تمجد الاستعمار[4]، وتسانده وتدعوه إلى جلب الأهالي البرابرة المتعصبين ـ حسب

---

[1] أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.128.

[2] Xavier Yacono, **Op.cit**, p-p.254-255

[3] أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.129.

[4] في سنة 1262هـ/1848م-1263هـ/1849م قام محفل بيلزير Belsair، بنشاط في صالح الاستعمار، وقد اعتبر المحفل الجنود الفرنسيين الذين سقطوا أمام أسوار قسنطينة في الحملتين 1250هـ/1836م، 1251هـ/1837م، جنودًا سقطوا من أجل الشرف ومن أجل سعادة فرنسا، وهم شجعان يجب الاعتراف بجميلهم. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.6، ص.411.

الوصف الماسوني ـ إلى الحضارة وإدماجهم فيها، كما كانت تساعده وتساهم في حملاته العسكرية التوسعية، التي يقودها ويشارك فيها ضباط ينتسب أغلبيتهم لهذه المحافل.

وقد عرض أحميدة عميراوي أهم أسماء هؤلاء الضباط الماسونيين على النحو الآتي[1]:

الاسم	الرتبة	الوظيفة في الجزائر
الدوق دومال Duc d'Aumale	أمير	قائد جيش وحاكم
برتهلمي Berthelémy	ضابط	قائد جيش
بوايي Boyer	جنرال	حكم غرب الجزائر
روندون Rondan	جنرال	وزير
بيجو Bugeaud	جنرال	حاكم عام
بيليسيي Pellissier	نقيب	وكيل مدني
دي ميشال Baron Louis Desmichels	جنرال	حاكم على قطاع الغرب
شاسلو– لوبا Chasseloup	/	وزير
كافانياك E- Cavaignac	جنرال	حاكم عام
نابليون جيروم Jirome	مارشال	حاكم

ويبدو واضحا وجليًا أن مع هذه المعاملة العنصرية للأهالي من قبل هذه المحافل، لم يكن بإمكان أتباع التيار الصوفي، ولا بإمكان غيرهم من أغلبية الشعب الجزائري أن ينخرطوا في الماسونية. ونعتقد أن أبو القاسم سعد الله كان محقا حين تساءل قائلا: (فكيف، مع هذا الأسلوب من المعاملة، سيدخل الجزائريون في المحفل الماسوني ؟)[2].

لكن حين لاحظ الماسونيون أن أتباع التيار الصوفي كانوا يبتعدون عنهم، كما لاحظوا أنهم الفئة الأكثر شعبية بين الأهالي، ولهم نفوذ كبير وواسع في أوساطهم، ويحضون بتقدير واحترام كبير بينهم، وأوامرهم مطاعة عندهم، راحوا يزيفون الحقائق ويدّعون أن هؤلاء الطرقيين هم من أتباع الماسونية، لأن الطرق الصوفية التي ينتمون إليها ما هي إلا شكل من أشكال الماسونية، ويطلق عليها اسم الماسونية العربية.

---

[1] أحميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص–ص.58–59

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، ص.412

وقد ذكرت مجلة الماسونية الإفريقية التي ظهرت سنة 1263هـ/1849م، أن الماسونية قد انتشرت في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، معتبرة بعض الطرق الصوفية شكلاً من أشكال الماسونية، وأن الإخوان في هذه الطرق هم أعضاء في الماسونية العربية، لأن الماسونية هي دين كل العصور وكل البلدان. كما ذكرت هذه المجلة أن هناك تشابه بين بعض ألفاظ الماسونية العربية ـ أي الطرق الصوفية ـ وبعض ألفاظ الماسونية الأوروبية، فمثلاً هناك تشابه لفظي بين كلمة الورد عن الصوفية أورْدَرْ الفرنسية والانجليزية، وقالت إن الكلمتان تستعملان في نفس المعنى، وهو ما يتلقاه المريد في الطرق الصوفية وفي الماسونية، وكذلك كلمة إخوان في الصوفية وكلمة كوان Cwan في الانجليزية التي تعني الأخ، وهي تعطى للعضو الأجنبي في الماسونية[1].

وربما فعل الماسونيون الشيء ذاته مع الأمير عبد القادر، فاستغلوا علاقته ومراسلاته[2] مع بعض زعمائهم، وزعموا أنه ينتسب للماسونية. يقول أبو القاسم سعد الله:(لذلك يمكننا القول إن اسم الأمير قد استعمل منذ حوالي 1864م بطريقة مغلفة لتجنيد الأعضاء في الماسونية. فالغرب كان واعيًا والشرق كان مغفلاً)[3]. وقد يتساءل القارئ، كيف لنا ـ الباحث ـ أن نطرح هكذا احتمال وقد سبق أن لم نستبعد فرضية انتماء الأمير عبد القادر للماسونية ؟

نقول أن السبب الذي دفع بنا إلى طرح هذا الاحتمال هو وجود كتابات ينفي أصحابها انتماء الأمير عبد القادر للماسونية، وكمثال عن هذه الكتابات ما ورد عن أحميدة عميراوي من أن الأمير عبد القادر تعامل مع رواد التيارات الفكرية بما فيها الماسونية كإنسان كمسلم مسالم، لا كمتعصب سفاك للدماء، وتعامل معهم لأنهم كانوا من دعاة خدمة الإنسانية، ولم يتعامل معهم تبنيا وقناعة بمبادئ هذا التيار الماسوني أو ذاك[4].

ونعتقد أن الماسونيين كانوا يهدفون من كل هذا التزييف والتحريف للحقائق، تغليط الجزائريين وجعلهم يقتدون بهؤلاء المتصوفة، الذين هم قدوتهم في تلك الفترة فينخرطون في المحافل الماسونية، إلا أن هدفهم هذا لم يتحقق لأن أغلب الجزائريين وفي مقدمتهم أتباع التيار الصوفي، ظلوا متحفظين من المحافل الماسونية، فكانوا ينظرون إليها بنوع من الشك والريبة، سيما وأنهم لاحظوا تناقضًا كبيرًا بين

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.6، ص-ص.414-415

[2] من بين هذه المراسلات نذكر رسالته إلى رؤساء وأعضاء الجمعية الفخيمة الفرنماسونية. ينظر: **ملحق رقم (14).**

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.6، ص.422

[4] أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص-ص.129-130

أفكارهم وأفعالهم، أي تناقض تام بين ما تدعوا إليه الماسونية النظرية، وما تقوم به الماسونية التطبيقية أو العملية.

3- موقفه من مشروع الجامعة الإسلامية:

بعد أن اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني سدة الحكم في الدولة العثمانية وعرش الخلافة الإسلامية سنة 1290هـ/1876م، اهتم بفكرة الجامعة الإسلامية لكونها الوسيلة الوحيدة لتدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمي العالم بما فيهم الإيرانيين[1]، وقد قال في هذا الشأن (عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بتأسف عليه، وإذا أردنا أن نفوت الفرصة على الانجليز وعلى الروس فإننا نرى فائدة تقارب إسلامي في هذا الأمر)[2].

ولتجسيد مشروع الجامعة الإسلامية على أرض الواقع، عمل السلطان عبد الحميد الثاني على استقطاب الطرق الصوفية وكسب ولائها وتأييدها له، واتخذ من حركة التصوف في العالم الإسلامي وسيلة للدعاية لهذا المشروع، واستطاع أن ينشئ رابطة بين عاصمة الخلافة، وبين تكايا ومراكز تجمع الطرق الصوفية في كل البلاد الإسلامية، وقام بإنشاء لجنة استشارية مركزية مكلفة بشؤون الجامعة الإسلامية، مقرها العاصمة اسطنبول، ومكونة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية[3].

وقد كانت لهذه اللجنة المركزية عدة فروع منتشرة على أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، إلا أن الفروع التي روجت لمشروع الجامعة الإسلامية بين أتباع التيار الصوفي في شمال إفريقيا بصفة عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة ثلاثة وهي فرع مكة المكرمة تحت إشراف شريف مكة، ومهمته نشر مفهوم الجامعة الإسلامية في موسم الحج بين الحجاج، وفرع بغداد الذي يقوم بالترويج لمشروع الجامعة الإسلامية، ولمقاومة الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا بين أتباع الطريقة القادرية الذين يتوافدون بكثرة من هذه المنطقة على بغداد لزيارة ضريح مؤسس الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد قدرت أعداد هؤلاء الوافدين في إحدى السنوات بحوالي خمسة وعشرون ألف نسمة. أما الفرع الثالث فهو الفرع الإفريقي

---

(1) علي محمد الصلابي، **السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية...**، ص.30.

(2) السلطان عبد الحميد، **مذكرات**، تقديم محمد حرب، دار القلم، دمشق- سوريا، ط.3، 1412هـ/1991م، ص.23.

(3) عيسى الحسن، **الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار**، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط.1، 2009، ص.316.

الذي يعمل في سرية تامة بشمال إفريقيا، ويقوم بتنسيق العمل بين الطرق الصوفية لمقاومة الاحتلال الفرنسي وهذه الطرق هي الشاذلية والقادرية والمدنية[1].

ويبدو أن هذه الفروع الثلاثة للجنة المركزية قد نجحت في استقطاب بعض الطرق الصوفية ذات التأثير القوي في الأوساط الشعبية هنا بالجزائر، كالطريقة القادرية والطريقة الرحمانية والطريقة الشاذلية، بالإضافة إلى الطريقة الدرقاوية والطريقة السنوسية، وهذا ما أقلق سلطة الاحتلال الفرنسي وجعلها تصاب بنوع من الهستيريا، فراحت تصدر تصريحات متضاربة ومتناقضة ضد أتباع هذه الطرق المنخرطة في مشروع الجامعة الإسلامية، فكانت تصفهم في بعض الأحيان (بأنهم جهلة وبرابرة وليس في الإمكان أن تكون هناك مناشدة جدية لآرائهم عن الجامعة الإسلامية)[2]، وفي أحيان أخرى تتحدث مخابراتها عن قوة هؤلاء، وقدراتهم على تجنيد عدد كبير من المتطوعين لإنشاء جيش منظم بمقدوره أن يقف في وجه أي قوة أجنبية[3].

وقد زاد قلق السلطة الفرنسية أكثر مما كان عليه عندما عجزت مخابراتها عن كشف وسائل التنظيم للطرق الصوفية الناشطة لصالح مشروع الجامعة الإسلامية، وهذا ما جعل هذه السلطة تحاول إضعاف هيبة السلطان عبد الحميد الثاني في نفوس الجزائريين، وتحاول أيضا ضرب سياسة الجامعة الإسلامية، وذلك بانتهاجها أسلوب الترهيب والترغيب مع أتباع التيار الصوفي، كأن تقوم بمنعهم من أداء فريضة الحج بحجة انتشار وباء مجهول الهوية بالبقاع المقدسة، أو تقوم بإغراء بعض شيوخ الطرق الصوفية بالمال والمركز لمساندتها والوقوف معها ضد دعاة الجامعة الإسلامية[4]، مثلما فعلت مع شيوخ الطريقة التجانية الذين راح أحدهم يدعي أن المكائد التي تقوم بها الجامعة الإسلامية ـ على حد تعبيره ـ في المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا، إنما يحركها شيخ الطريقة المدنية ظافر المدني المقرب من السلطان عبد الحميد الثاني والمعدود ضمن حاشيته[5].

لكن رغم التضييق الذي مارسته السلطة الفرنسية على الطرق الصوفية الناشطة لصالح الجامعة الإسلامية، فإن هذه الطرق كان لها وسائل اتصالاتها، هناك طريق الحج رغم القيود عليه، وهناك الرسائل

---

[1] علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط.5، 1429هـ/2008م، ص–ص.457–458

[2] قيصر أ. فرح، **السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي**، نقله إلى العربية محمد م. الأرناؤوط، تقديم خالد إرن، جداول للنشر والتوزيع، الكويت، ط.1، 2012م، ص.227

[3] عيسى الحسن، **المرجع السابق**، ص.317

[4] علي محمد الصلابي، **السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية...**، ص.37

[5] قيصر أ. فرح، **المرجع السابق**، ص–ص.1227–228

المرموزة والشخصيات المتنكرة[1]، وهناك بعض شيوخها الناقمين والثائرين على فرنسا داخل الجزائر كالشيخ بوعمامة الذي تجاوب مع مبادئ ومنهج الجامعة الإسلامية، وكان يدعو أحبابه ومريديه وأتباعه إلى الوحدة بين مختلف أتباع الطرق الصوفية[2]. ومن بين وسائل الاتصال أيضا التي استخدمتها هذه الطرق، المهاجرين الجزائريين[3]، الذين أظهروا حماسًا كبيرًا لمشروع الجامعة الإسلامية، لاسيما المقيمين منهم في اسطنبول، وكانت فرنسا قلقة للغاية من نشاطهم[4].

ويبدو أن الطرق الصوفية الداعمة والداعية لمشروع الجامعة الإسلامية بعد أن استخدمت وسائل الاتصال السالفة الذكر، نجحت في فك الحصار المفروض عليها من قبل السلطة الفرنسية، وتمكنت من استقطاب طرق صوفية أخرى إلى صفها، وهذا ما أربك ضابط الشؤون الأهلية لويس رين Louis Rinn، وجعله يقول في إحدى كتاباته أن زعماء الطرق الصوفية ــ أو الجمعيات السرية كما سماها ــ الذين كانت مقاومتهم في البداية محتشمة وغير منظمة، فإنها سرعان ما تطورت وأصبحت منظمة تنظيمًا محكمًا، وشملت العالم الإسلامي برمته، كما أن هؤلاء الزعماء حاولوا توحيد الروابط الروحية بين الأمة الإسلامية، وتوصلوا إلى إنشاء جامعة إسلامية أصبحت تهدد مصالح الشعوب الأوروبية في إفريقيا وآسيا، وهذه الجامعة تكمن قوتها ووسيلة تحريكها وتنفيذها في الطرق الصوفية التي لها تأثير كبير على الجماهير[5].

غير أن أبو القاسم سعد الله يرى أن حركة الجامعة الإسلامية كانت تتجاوب إلى حد كبير مع رجال من أمثال بوعمامة الجزائري وعرابي المصري والمهدي السوداني، إلا أن علاقتها بالطرق الصوفية التي كانت نشيطة عندئذ مبالغ فيها[6].

لكن سواء كان أبو القاسم سعد الله صائبًا أو مخطئًا فيما ذهب إليه، فإننا نعتقد أن أغلب ــ إن لم نقل كل ـ الطرق الصوفية ذات النزعة الثورية ضد المحتل الأجنبي، قد تجاوبت مع مشروع الجامعة الإسلامية، وذلك لوجود بعض القواسم المشتركة بين الأهداف الثورية لهذه الطرق، وأهداف الجامعة الإسلامية، وهذه القواسم المشتركة يمكن أن لخصها في النقاط التالية:

- تحرير الشعوب الإسلامية المستعمرة من قبل الدول الأوروبية كالشعب الجزائري.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، ص.508.

(2) محمد الأمين بلغيث، **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص.80.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، ص.508.

(4) قيصر أ. فرح، **المرجع السابق**، ص.231.

(5) Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p-p.5-6

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.5، ص.508.

- إيقاف الدول الاستعمارية الأوروبية عند حدها وإفشال كل مشاريعها ومخططاتها الاستعمارية في العالم الإسلامي برمته.
- مواجهة أعداء الإسلام المثقفين بالثقافة الغربية الذين توغلوا في المراكز الإدارية والسياسية الحساسة في أجهزة الدول الإسلامية، وإيقافهم عند حدهم، عندما يجدون أن هناك سدًا إسلاميا ضخمًا وقويًا يقف أمامهم.
- إثبات أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية، يحسب لها حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري والعقدي الأوروبي النصراني.
- إعادة الهيبة للمسلمين على الساحة الدولية حتى يكون لهم تأثير على السياسية العالمية.

مما تقدم يتضح أن التيار الصوفي لم يكن على موقف واحد من مشروع الجامعة الإسلامية، إذ أن هناك طرق أيدت وساندت هذا المشروع، واستجابت لدعوة الداعين إليه، وتأتي في مقدمة هذه الطرق تلك التي ثارت في وجه الاستعمار الفرنسي وقاومته لمدة من الزمن كالقادرية والدرقاوية والرحمانية والسنوسية والشيخية البوعمامية، بينما وقفت ضد هذا المشروع طرق أخرى لاسيما تلك التي كانت تربطها علاقة ود وصداقة بالمحتل الفرنسي، كالطريقة التجانية، بل إن هذه الأخيرة كانت عين فرنسا على تلك الطرق التي تدعو وتروج لمشروع الجامعة الإسلامية في شمال إفريقيا كالطريقة السنوسية.

وهناك أدلة على أن الطريقة التجانية قد تواطأت مع السلطة الفرنسية ضد بعض الطرق الصوفية الداعية لمشروع الجامعة الإسلامية، ففي سنة 1297هـ/1883م حرر الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد التجاني رسالة إلى بعض أحباب طريقته من أولاد الصافي وأولاد سيدي إبراهيم، الذين التحقوا بثورة الشيخ بوعمامة يدعوهم إلى التراجع والعودة والانسحاب من الثورة، وأن لا يتبعوا الشيخ بوعمامة وأتباعه الذين وصفهم بأهل الفساد[1]، ونحن نعلم أن الشيخ بوعمامة كان يقود في تلك الفترة ثورة ضد المحتل الفرنسي، وكان يدعو أتباعه ومريديه إلى الوحدة بين مختلف الطرق الصوفية خدمة لمشروع الجامعة الإسلامية.

وفي 21 ماي 1309هـ/1895م حرر السيد محمد العروسي شيخ الطريقة التجانية بقمار، رسالة إلى قائد المكتب العربي بتقرت، يطلعه فيها بأنه تلقى جوابه في شأن ما بلغه من طرابلس من معلومات تتعلق بشيخ الطريقة السنوسية، وأنه سيعمل ما في وسعه للبحث عن أخبار هذا الشيخ وتحديد وجهته

[1] ينظر: **ملحق رقم (12).**

وإبلاغها له. وإن كان محمد العروسي يعتقد أن الشيخ السنوسي قد يتوجه إلى منطقة التوارق نظرًا لما تشهده تلك المنطقة من اضطرابات (توترات)[1].

وبتاريخ 30 ماي 1309هـ/1895م حرر المسمى محمد بن سعود ـ أحد أحباب الطريقة التجانيةـ رسالة إلى شيخ الطريقة التجانية بقمار السيد محمد العروسي، يخبره فيها أن أحد الطلاب والمسمى عبد القادر بركينه قد قدم بالأمس من غدامس، وأخبره بأن سي المهدي ابن الشيخ السنوسي مولى زاوية جغبوب خرج من المحل المذكور بصحبة خمسمائة رجل منهم أربعون عالمًا متوجهون إلى ناحية الشرق، ولا يعلم أين سيذهبون بالضبط[2].

4- موقفه من التيار السلفي الوهابي:

الحديث عن موقف التيار الصوفي من التيار السلفي الوهابي ليس بالأمر السهل أو اليسير كما قد يعتقد بعض الباحثين لكون المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها لم تتحدث عن هذا الموضوع، والمعلومات بشأنه إن وجدت في مصادر ومراجع أخرى لم يسعفنا الحظ أن نطلع عليها لسبب أو آخر، فمن المحتمل جدًا أن تكون قليلة وشحيحة وتحتاج إلى كثير من التركيز ومزيد من الوقت، حتى يقف الباحث على حقيقتها بشكل أدق وبصورة واضحة ولا يصدر أحكامًا جزافية.

والسبب الذي يدفع بنا إلى الأخذ بهذا الاحتمال هو أن الحركة الوهابية التي ينسب إليها التيار السلفي الحديث والمعاصر، قد كانت منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وطيلة أربعة عقود الأولى من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي في حروب ومعارك ضد الزعامات المحلية من أمراء وشيوخ القبائل والعشائر في منطقة الخليج العربي، وضد العثمانيين[3]، مما شغلها عن نشر أفكارها ومبادئها في العالم الإسلامي، أو على الأقل في العالم العربي خلال تلك الفترة.

كما أن الضربات القوية والموجعة التي وجهها محمد علي باشا والي مصر لهذه الحركة في الفترة الممتدة من 1225هـ/1811م إلى 1254هـ/1840م جعلت دورها السياسي والإصلاحي والديني يتأثر ويتراجع كثيرًا، وهذا ما غيبها بدرجة كبيرة عن مسرح الأحداث، وعن المشهد السياسي في العالم الإسلامي والعربي طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وجعل معظم الطرق الصوفية لا توليها

---

[1] ينظر: **ملحق رقم (15).**

[2] ينظر: **ملحق رقم (16).**

[3] للمزيد من المعلومات عن الحركة الوهابية وعن معاركها في الخليج العربي، وكفاحها من أجل العراق وسوريا. يراجع: لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، دار الفارابي، بيروت– لبنان، ط.9، 2007م، ص–ص.90–95

أي أهمية، فلم تدخل معها لا في صراع سياسي، ولا في صراع عقائدي أو فقهي أو مذهبي أو إيديولوجي واضح وجلي يمكن أن نبني عليه حكمًا قطعيًا وجازمًا بشأن هذه المسألة.

بالإضافة إلى ما تقدم، فإنه لا يوجد ما يوحي أو يدل على أن التيار السلفي الوهابي قد وجد له مكانًا بين مختلف التيارات الأخرى في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، لكن ذلك لا يعني أنه لم يكن هناك من الجزائريين من كان يحمل أو يتقاسم مع هذا التيار بعض أفكاره ومبادئه، ففي أواخر القرن السالف الذكر ظهر في الجزائر نخبة من العلماء الذين حملوا بعض الأفكار الإصلاحية الشبيهة أو القريبة من أفكار التيار السلفي الوهابي، لكن لا ندعي أن لهؤلاء العلماء أو المصلحين علاقة بهذا التيار، أو أنهم تأثروا بمنهجه الإصلاحي، لأن الصدفة قد تكون لعبت دورًا في أن يتقاسم الطرفان بعض الأفكار.

ومن هؤلاء العلماء المصلحين نذكر الشيخ عبد القادر المجاوي (1262هـ/1848م-1327هـ/1913م) الذي عرف برسالته الشهيرة (إرشاد المتعلمين) التي نشرت في القاهرة سنة 1291هـ/1877م، وتخرج على يديه الشيخ حمدان لونيسي الذي سيصبح فيما بعد أستاذًا لعبد الحميد بن باديس[1]، والشيخ أبو القاسم الحفناوي (1266هـ/1852م-1357هـ/1942م) المفتي المالكي وصاحب الكتاب الشهير (تعريف الخلف برجال السلف) الصادر في الجزائر على جزأين، الأول سنة 1319هـ/1905 والثاني سنة 1321هـ/1907م، وقد درس في الجامع الكبير بالعاصمة مساهمًا بذلك في توضيح صورة الماضي في أذهان الجزائريين وخاصة في المحافظة على التراث الثقافي. ونذكر أيضا الشيخ مصطفى بن خوجة (1279هـ/1865م-1329هـ/1915م) الذي اهتم كثيرًا بشؤون المرأة الجزائرية، وبنشر أعمال المفكرين المسلمين وتحقيقها، وهو صاحب كتاب (الاكتراث في حقوق الإناث) الصادر في

---

(1) هو عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن باديس، وأمه هي زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول. ولد بقسنطينة سنة 1303هـ/1889م، وكانت أسرته مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وهي أسرة تاريخية عريقة، يعد رائد الحركة الإصلاحية وإمام السلفية في الجزائر، وأحد أقطاب العلم والمعرفة في العالم الإسلامي برمته. من أشهر أعماله العلمية تفسير القرآن الكريم، ومن أشهر أعماله الإصلاحية تأسيسه رفقة أخرين جمعية العلماء المسلمين سنة 1345هـ/1931م. توفي رحمه الله سنة 1354هـ/1940م، ودفن بمقبرة العائلة بحي مزيان في الضاحية الغربية لمدينة قسنطينة. للمزيد يراجع: عبد الكريم بوصفصاف، **الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (نموذجا)**، دار مداد يونيفار سيتي براس، قسنطينة-الجزائر، ط.1، 2009، ج.1، ص-ص.190-199

الجزائر سنة 1311هـ/1897م، كما لا يفوتنا أن نذكر الشيخ عبد الحليم بن سماية (1280هـ/1866م-1347هـ/1933م) رائد الاتجاه السلفي في الجزائر[1].

وحسب علمنا فإن أتباع التيار الصوفي وقياداته، لم يبدوا أي موقف واضح في تلك الفترة اتجاه هؤلاء المصلحين، وقد يكون السبب في ذلك هو استخفافهم بجهودهم الإصلاحية، واعتقادهم أن نشاطهم الدعوي لا يغدو أن يكون إلا زوبعة في مهب الريح، وأن أفكارهم لا تتعدى عقولهم وأماكن جلوسهم، ولن يجدوا أذانًا صاغية خارج دائرة جلسائهم الذين هم في غالب الأحيان من أقاربهم وتلاميذتهم، كما أن هؤلاء المصلحين أنفسهم لم يجاهروا في ذلك الوقت بأي عداء ضد الطرق الصوفية، أو ضد زعمائها، وهذا ما جنبهم عناء الدخول في صراع ضد أتباع التيار الصوفي.

وقد شهد العالم الإسلامي، والعالم العربي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي، ظهور عدة مصلحين بارزين نذكر منهم جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده[2]، ومحمد رشيد رضا[3]، ومصطفى كامل[4]، وكانوا كلهم يسعون إلى وحدة الأمة الإسلامية، وإحياء السنة النبوية الشريفة والعقيدة الإسلامية الصحيحة، والسلوكات والأخلاق الحميدة الخالصة من كل شوائب العادات والتقاليد البالية، كما كانوا يسعون أيضا إلى بعث النهضة الأدبية والفكرية، وطرد الغزاة الصليبيين من أوطانهم

---

[1] كمال عجالي، **<u>الفكر الإصلاحي في الجزائر (الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد)</u>**، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي- الجزائر، ط.1، 1426هـ/2005م، ص.39.

[2] ولد بدلتا مصر سنة 1263هـ/1849م، وتوفي عام 1319هـ/1905م، وهو من علماء المسلمين المعاصرين الدعاة إلى الإصلاح، اتصل بجمال الدين الأفغاني، حرر جريدة (الوقائع المصرية)، له (رسالة التوحيد) وهي عبارة عن دروس في الدين الإسلامي ألقاها على طلاب المدرسة السلطانية في بيروت سنة 1299هـ/1885م، وطبعت سنة 1311هـ/1897م، وأعتبر محمد عبده اكبر مصلح مسلم في الفترة المعاصرة. يراجع: عبد الكريم بوصفصاف، **<u>جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945</u>**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، هـ.ص.54.

[3] ولد في القلمون بلبنان سنة 1279هـ/1865م، وتوفي عام 1349هـ/1935م، من علماء الدين الإسلامي، صاحب مجلة (المنار) الأسبوعية التي صدرت في القاهرة سنة 1312هـ/1898م، وهو من اكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده ومؤرخ سيرته بعد وفاته، وهو الذي نشر كتبه وفسر تعاليمه. عرف بالدعوة إلى الإصلاح، ونشر تفسير القرآن الكريم على منهج أستاذه محمد عبده. يراجع: محمد طهاري، **<u>مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده</u>**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط.3، 1999، ص-ص.136-149 ؛ عبد الكريم بوصفصاف، **<u>جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...</u>**، هـ.ص.54.

[4] ولد في القاهرة بمصر سنة 1288هـ/1874م، كان حقوقيا، كون حلقة من الشباب الوطنيين وهو لا يزال تلميذًا سنة 1305هـ/1891م، ذهب بعدها إلى فرنسا لإكمال تعليمه، وفي عام 1312هـ/1898م فتح مدرسة وطنية في القاهرة، ترأس هيئة تحرير صحيفة (اللواء) وصار يكتب فيها ضد السياسة البريطانية في مصر، وهو من دعاة الجامعة الإسلامية. توفي سنة 1322هـ/1908م بعد أن أصيب بمرض السل وهو في الرابعة والثلاثين من عمره. يراجع: لوتسكي، **<u>المرجع السابق</u>**، ص-ص.267-271

المحتلة، وكانوا في مجملهم من دعاة الجامعة الإسلامية كما أشارت إلى ذلك بعض المراجع[1]، لذلك كان ينظر لنشاطهم من قبل بعض المسلمين وربما غير المسلمين أيضا على أنه يأتي في إطار الترويج لمشرع الجامعة الإسلامية، ولهذا نعتقد أن موقف التيار الصوفي من هؤلاء كان من جنس موقفه من مشروع الجامعة الإسلامية، أي أن الطرق الصوفية التي تجاوبت مع مشروع الجامعة الإسلامية تكون قد تجاوبت مع دعوتهم وساندتهم وأيدتهم، لاسيما وأنهم لم يناصبوا هذه الطرق العداء ولم يحاربوها، أما الطرق الصوفية التي وقفت ضد مشروع الجامعة الإسلامية وقاومته، تكون قد وقفت ضد هؤلاء وحاولت التصدي لدعوتهم اعتقادًا منها أنهم بمثابة أبواق في يد السلطان العثماني، ينفخ فيها لكسب الرأي العام الإسلامي والعربي من أجل تجسيد مشاريعه الوهمية ــ على حد اعتقادهم ــ التي يأتي في مقدمتها مشروع الجامعة الإسلامية.

لكن إن كان موقف التيار الصوفي من المصلحين غامض في بعض الحالات ومنقسم على نفسه بين متجاوب ومعارض في حالات أخرى كما رأينا، فإن السؤال الذي بقي مطروحًا وسنحاول أن نجيب عليه هو: ما موقف هذا التيار من التيار السلفي الوهابي ؟

نعتقد أن موقف التيار الصوفي، أو موقف أغلب الطرق الصوفية الممثلة له من التيار السلفي الوهابي كان الرفض لأفكار هذا الأخير ومعاداته لأن الحركة الوهابية المتزعمة للتيار السلفي والممثلة له، كانت ولا تزال تؤمن بضرورة العودة بالإسلام إلى منابعه الأصلية القرآن والسنة، ولتحقيق هذا كله كانت تدعو إلى محاربة البدع المضلة، وزيارة القبور واتخاذها أعيادًا أي أمكنة للعبادة، والاستشفاع بالأولياء والإيمان بالخرافات، وتقديس بعض الجمادات والنبتات، كما دعت إلى محاربة ما أحدثه المتصوفة من طقوس رأت الحركة أنها تمثل مظاهر الشرك والوثنية، كحلقات الذكر وما يصاحبها من رقص وطرب، والاعتقاد في قدرة الأولياء على الإتيان بالخوارق والمعجزات، والاستغاثة بهم لجلب نفعٍ أو دفع ضررٍ[2].

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للقرن الثالث عشر الهجري، راسل الوهابيون حكام الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، وحكام الدولة الحسينية بتونس يطلبون منهم الانضمام إلى دعوتهم،

---

[1] من بين المراجع التي أشارت إلى أن هؤلاء المصلحين كانوا من دعاة وأنصار الجامعة الإسلامية بل إن بعضهم من مؤسسيها نذكر: عبد الكريم بوصفصاف، **<u>جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...</u>**، ص.72 ؛ عمر عبد العزيز عمر، **<u>تاريخ المشرق العربي 1516-1922</u>**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ت، ص.335 ؛ لوتسكي، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.269.

[2] هشام سوادي هاشم، **<u>تاريخ العرب الحديث 1516-1918</u>**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان- المملكة الأردنية الهاشمية، ط.1، 1431هـ/2010م، ص.213.

ومحاربة المذهب الشيعي والمتصوفة والطرق الصوفية، لكونهم مشركين قبوريين أي عبدة قبور[1]، ونحن نعلم أن كل الطرق الصوفية في الجزائر لها أصول أو فروع في هاتين الدولتين، أو على الأقل في إحداهما، وهذا ما يعني بالضرورة أن هذه الطرق وجدت نفسها مجبرة على مواجهة الحركة الوهابية، والوقوف ضد دعوتها حتى تحافظ على كيانها، لاسيما وأن الوهابيون كانوا مصممين وعاقدين العزم على اجتثاث التصوف بجميع أنواعه ومظاهره من العالم الإسلامي برمته.

وما يجعلنا نعتقد أكثر أن أغلب الطرق الصوفية في الجزائر وقفت ضد الحركة الوهابية، ورفضت دعوتها، هو أن هذه الحركة تعرضت في تلك الفترة لكثير من التشويه بسبب تلك الفتاوي التي استصدرها الانجليز والفرنسيون من علماء السوء تنص كلها على فساد الدعوة الوهابية، وتتهمها بالخروج عن الدين والملة وابتداع دين جديد يخالف ما اعتادوا عليه، كما أن أطراف كثيرة قاومتها كالسلطة العثمانية، والمشايخ الذين يتمسكون بالنفوذ الذي يعطيهم إياه العامة وأهل الجهالة، ويريدون المحافظة على ما هم عليه من البدع والخرافات ضانين أنها من الدين[2].

أما فيما يتعلق بالطريقة السنوسية فإننا نعتقد أنها تأثرت ببعض أفكار ومبادئ الحركة الوهابية واقتبستها، لكنها لم تكن على وفاق إيديولوجي وسياسي معها، واعتقادنا هذا نابع من كون الشيخ محمد بن علي السنوسي يقال أنه (تأثر بالمذهب الوهابي عندما ذهب لأداء فريضة الحج وعمل بعد عودته إلى بلاده على نشره. واخذ بعد ذلك يؤسس طريقته الخاصة في بلاد المغرب وفيها شيء كثير من الآراء الوهابية من ضرورة الرجوع إلى الإسلام الأول في بساطته الأولى وتنقيته من البدع، وإن كانت تقوم على أساس آخر من التصوف، وهو ما كان ينكره المذهب الوهابي)[3].

كما أن الطريقة السنوسية وضعت يدها في يد السلطة العثمانية التي تعتبر العدو اللدود للحركة الوهابية، وتحالفت معها واعترفت بالخلافة والخليفة، ودعا أئمتها على منابر المساجد أيام الجمعة للخليفة العثماني، وكانت تؤمن المسالك والمعابر في المناطق التي تسيطر عليها لعمال وموظفي الدولة العثمانية الذين كانوا يقومون بجمع الضرائب، وبدورها اعترفت الدولة العثمانية بهذه الطريقة في فرمان رسمي

---

(1) محمد قويدري بن الطاهر، « الشيخ محمد بن عزوز البرجي (نور الصحراء) ومدرسته الصوفية ودورها العلمي والجهادي »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة-الجزائر، ط.1، 2015، ص-ص.304-305

(2) عيسى الحسن، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط.3، 2013، ص.625

(3) عمر عبد العزيز عمر، **المرجع السابق**، ص.218

أصدره السلطان عبد الحميد الأول عام 1270هـ/1856م، وكان الاتصال بين الخليفة العثماني وشيخ الطريقة السنوسية يتم من وقت لآخر عن طريق تبادل الرسل بينهما[1]. وقد تجاوبت السنوسية مع مشروع الجامعة الإسلامية الذي دعا إليه السلطان عبد الحميد الثاني، وروجت له بين أتباعها ومريديها أينما وجدوا[2]، وقد حدث هذا التقارب بين الطرفين، وبهذا الشكل المعبر عن مدى قوة العلاقة بينهما في الوقت الذي كانت فيه الحركة الوهابية في حالة عداء وصراع[3]، مع السلطة العثمانية.

لكن إن كنا طرحنا وجهة نظرنا فيما يتعلق بموقف التيار الصوفي من التيار السلفي الوهابي على النحو الذي تقدم، فهذا لا يعني أنه لا يوجد من طرح الموضوع من زاوية مغايرة أو قريبة من طرحنا، فعلى سبيل المثال لا الحصر الغالي غربي يعتقد أن موقف التيار الصوفي من التيار السلفي الوهابي قد فصل فيه حينما ظهرت الحركة الوهابية إلى الوجود وراح مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه يحاربون البدع والخرافات، ويرفضون كل وساطة بين العبد وربه، ويدعون إلى فتح باب الاجتهاد على مصرعية أمام المؤهلين شرعًا للخوض فيه، وهذا ما أدخل الحركة في صدام مع الطرق الصوفية التي كانت تدعوا مريديها وأتباعها إلى التسليم وقبول الواقع والتزهد والتطلع إلى الآخرة، وادخلها أيضا في مواجهة شرسة وقوية مع السلطة العثمانية، ومع جزء كبير من الرأي العام الإسلامي[4].

أما عن السبب الذي جعلنا نخالف وجهة النظر هاته، هو أن صاحبها ـ حسب اعتقادنا ـ أصدر حكمًا عامًا وشاملاً يجعل من جميع الطرق الصوفية دون استثناء وكأنها على موقف واحد من الحركة الوهابية، رغم أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه معلوماته، ولم يأتي بشواهد تاريخية تعزز ما ذهب إليه وتعطي المصداقية للحكم الذي أصدره حتى لا يقال أنه حكم جزافي بعيد كل البعد عن الواقع والحقيقة التاريخية.

---

[1] نقولا زياده، **إفريقيات (دراسات في المغرب العربي والسودان العربي)**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن– بريطانيا، ط.1، 1991، ص.252.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.263.

[3] للمزيد من المعلومات عن الصراع الذي كان دائرًا بين الحركة الوهابية والدولة العثمانية. يراجع: ج. ج. لوريمر، **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج**، جمع وتعليق محمد بن سليمان الخضيري، دار غارنت للنشر، المملكة المتحدة، ط.1، 1422هـ/2001م ؛ فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرًا (مطلع العهد العثماني– أواسط القرن التاسع عشر)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط.1، 2007، ص–ص.518–523

[4] الغالي غربي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288–1916م**، ص.137.

وخلاصة القول أن أغلب الطرق الممثلة للتيار الصوفي خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كانت تكن العداء التام للتيار السلفي الوهابي ويظهر ذلك جليًا خلال الثلث الأول من القرن الموالي لهذا القرن حيث تعرض رائد الإصلاح الوطني وإمام السلفية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله إلى الطعن في شخصيته، وتشويه سمعته، واتهامه بالكفر والزندقة والخروج عن الملة المحمدية من قبل أتباع التيار الصوفي الذين بلغ الحد ببعضهم إلى محاولة اغتياله[1].

[1] محمد طه الحاجري، **جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة– مصر، 1968م، ص.139 ؛ وللمزيد من المعلومات عن محاولة الاغتيال التي تعرض لها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله من قبل أتباع الطريقة العلوية. يراجع: أحمد حماني، **صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس**، دار البعث، قسنطينة– الجزائر، ط.1، 1405هـ/1984م، جـ.1، ص.64

ثانيا- دوره الاجتماعي والثقافي والديني:

إذا حاولنا أن نبحث عن إسهامات التيار الصوفي في المجال الاجتماعي والثقافي والديني للجزائريين خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، فمن المؤكد أننا سنبدأ أولا بطرح السؤال التالي: هل كان للتيار الصوفي دور في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية للجزائريين خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي كما كان له دور في الحياة السياسية ؟

بتأكيد أننا سنجد الإجابة التي تقول كما أن للتيار الصوفي خلال ذلك القرن حضور قوي في مختلف الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر، وعاشها الجزائريون عن قرب وتفاعلوا معها، فقد كان له أيضا آنذاك دور كبير في تفعيل وتنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية للمواطن الجزائري، هذه الحياة التي عمل المحتل الفرنسي كل ما في وسعه لإيقاف عجلتها، والدفع بها خارج ركب الحضارة الإنسانية. إلا أن هذه الإجابة تجعلنا نتساءل مرة أخرى كيف وبما ساهم التيار الصوفي في تفعيل وتنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في تلك الفترة ؟

وللإجابة على هذا السؤال سنحاول أن نتطرق إلى دور التيار الصوفي في كل جانب من جوانب الحياة على حدى.

1- دوره الاجتماعي:

عمل التصوف الإسلامي على توطيد العلاقة بين الإنسان وخالقه، وأوضح أن السلوك السوي ينسجم فيه باطن المحبة الإلهية مع ظاهر العمل الخيري، وأن السلوك الصحي هو سلوك بعيد عن الاعتداء على الآخرين، وما المجاهدة وتقنياتها المختلفة سوى طريقة توصل في نهاية المطاف إلى إطلاق الإرادة وتحرير الرغبات وبذلك يبلغ الإنسان مرتبته التي تحتوي على المحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الإنسان والأشياء وبين الإنسان والعالم(1). وبما أن التيار الصوفي في الجزائر جزء من التصوف الإسلامي فهو لم يكن في يوم من الأيام معزولاً عن أي جانب من جوانب الحياة، فقد لعب دورًا اجتماعيا مهمًا في تاريخ الجزائر لاسيما خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، لأن شيوخه وأتباعه لم يكونوا بمعزل عن مجتمعهم ولا عن مشاكلهم، فكان من أهم أدوارهم الاجتماعية خلال ذلك القرن أنه لم يكتف بإزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين فئات المجتمع وشرائح السكان، ويقرب بين الفقير والغني، والعالم والأمي، والشريف وغيره، ويألف بينهم جميعًا في إطار قوله تعالى:﴿ **إِنَّ**

(1) خير الدين شترة، **المرجع السابق**، ج.1، ص-ص.222-223

أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1]، بل أدى أيضا دور المؤسسة القضائية التي عملت على فض النزاعات وإنهاء وتقليل الخلافات والمشاكل بين السكان أفرادًا وجماعات[2]، وذلك بفضل مكانة شيوخه ومقدميهم ووكلائهم، وبذلك تمتع هؤلاء السكان بالاستقرار والأمن النفسي والخلقي، واتخذوا من أولئك الشيوخ قادة لهم بدلاً من الحكام المدنيين وقضاتهم الرسميين الذين لا يشبعون رغباتهم ولا يرتاحون لسلوكاتهم وأحكامهم[3].

وكمثال على ذلك أواخر العهد العثماني وبداية العهد الاستعماري، مقدم الطريقة الرحمانية في جبال جرجرة سيدي علي بن عيسى[4]، الذي كان يقطن بقرية فرومة[5]، ويتردد على الأسواق المتواجدة في نطاق حدود نفوذه ليقوم بدور القاضي في مختلف النزاعات التجارية، وقد كانت أحكامه نافذة على الجميع ومقبولة من طرفهم نظرًا لقوة كلماته التي يظن أتباعه أنها مقدسة وأنها تلحق لعنة الله تعالى بمن لا يمتثل لها وينفذها[6].

ولا غرابة في أن أحكام هؤلاء الطرقيين أحكام نهائية نافذة غير قابلة للطعن، ولا تحتاج إلى تفسير أو استفسار بما أن الطرق الصوفية ترى في مشايخها أنهم العالمون بالحقيقة المدركون لها والوارثون للنبي صلى الله عليه وسلم، فهم ليسوا بحاجة إلى من يعلمهم الفقه، وإنما يأخذون أحكامهم مباشرة من الكتاب ومن أنبياء الله ورسله الذين يتصلون بهم حسب المقام والحال الذي يكونون عليه[7]، وقد قدمتهم للناس على هذا الأساس، لذلك كانوا ينظرون إلى هؤلاء الشيوخ كنفوس عزيزة عند الله، وأنهم من المقدسين وعلى

---

(1) سورة الحجرات، الآية:13.

(2) الأمير بوغداده، **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا) 1185هـ/1771م-1235هـ/1837م**، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة- الجزائر، 2009م، ص.141

(3) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج.1، ص-ص.237-238

(4) خليفة مؤسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمان الأزهري على إدارة الزاوية الرحمانية بعد وفاة هذا الأخير.

(5) قرية صغيرة تقع في ضواحي مدينة الأخضرية ولاية البويرة، وتوجد الأخضرية على بعد خمسة وسبعين كيلومتر شرقي مدينة الجزائر العاصمة.

(6) فندلين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص.21

كان لسيدي علي بن عيسى قدرة كبيرة في التأثير على الآخرين حتى وإن لم يكونوا من أتباعه أو من ديانته، فها هو أحد الأسرى المسيحيين الذي وقع في يد مجاهدي المقاومة الوطنية عند بداية الاحتلال، يصف حالة البؤس واليأس التي كان عليها عند أسره لدرجة أنه فقد الأمل في الحياة، لكنه بمجرد أن التقى بسيدي علي بن عيسى عاد له الأمل في الحياة، وهذا ما جعله يصف هذا الشيخ بالتقي الجليل حينما يقول: « وكان منظر هذا الشيخ التقي الجليل قد ترك في نفوسنا منذ أول وهلة أثرًا بالغًا، وأحيا أملنا في النجاة بعد أن يئسنا منها ». فندلين شلوصر، **المصدر نفسه**، ص.20

(7) ساعد خميس، « الفقه والتصوف »، **سيرتا**، العدد11، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1998م، ص.21

اتصال عميق بالقوى الروحانية، وكل ما يأتون به ويعملونه من الأقوال والأفعال هو سر خفي ينبغي على كل مسلم مؤمن من أن ينحني أمامه في صمت[1].

وقد ازداد لجوء الجزائريين إلى أتباع التيار الصوفي من أجل فك نزاعاتهم وحل خصوماتهم، سواء كانت بين الأفراد أو بين القبائل والأعراش بعد أن سعت سلطة الاحتلال الفرنسي إلى استبدال القوانين الإسلامية في المجال القضائي، بالقوانين الفرنسية، فقد أصدرت سنة 1255هـ/1841م أمرًا يتضمن التنظيم القضائي في الجزائر، انتزعت بموجبه من القضاة المسلمين البث في الأمور الجزائية، وأصبح القضاء الإسلامي مقتصر على الأحوال الشخصية، وحتى هذه الأخيرة حاولت سلطة الاحتلال الفرنسي إخضاعها للقوانين الفرنسية وإلغاء الاحتكام للشريعة الإسلامية من خلال قانون سناتوس كونسيلت Senatus Consulte[2].

وأمام هذا الوضع وفي ظل هذه الظروف أصبح شيوخ الطرق الصوفية وزواياهم ملجأ للأفراد والقبائل من أجل حل خصوماتهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت الزاوية القاسمية بالهامل بمثابة المحكمة بالنسبة لسكان المنطقة في تلك الفترة، فقد ساهمت في فض النزاعات والخصومات على الأرض والتحكيم بين المتنازعين في القبيلة والتدخل لدى السلطة الحاكمة لرفع مظلمة، ودفع مغرم على فرد أو جماعة[3]، كما كان شيخها يتولى الفصل في مختلف القضايا بما فيها الأحوال الشخصية والجنايات[4].

وحددت الطرق الصوفية عقوبات لكل نوع من أنواع الحوادث كالمشاجرات، والخصومات، والاعتداء بالسب أو الضرب، والأدوات المستعملة في الضرب وما يترتب على ذلك الاعتداء من عاهات أو موت، كما تعرضت للزنا وما في حكمه، وحددت عقوبة ذلك، وعقوبة من يقف بباب الغير، أو يزاحم

---

(1) ساعد خميس، **المرجع السابق**، ص.12.

(2) عبد الله سليمان، **شرح قانون العقوبات الجزائري**، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، ط.1، د.ت، جـ.1، ص.43.

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962**، دار الخليل للنشر والتوزيع، المسيلة- الجزائر، ط.1، 1431هـ/2010م، ص.267.

(4) Leon Lehraux, **Bou Saada Ville de Bonheur**, Editions Oflac, Alger, 1952, p.82

كانت الزاوية تتولى أيضا عقود الزواج والطلاق، وتقبض الغرامات المالية والديات، وتفصل في النزاعات حسب أحكام الفقه المالكي الذي كان يمثل المرجعية الفقهية في المغرب الإسلامي، وفي عمق المجتمع الجزائري، وبواسطته يتم تنظيم العلاقات الاجتماعية. عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص.268.

النساء أو يختلط بهن وعلى أساس هذه العقوبات كان شيوخ هذه الطرق يصدرون أحكامهم، بل قد جعلت من هذه العقوبات جزءًا من القانون الذي ينظم الحياة الطلابية داخل الزوايا التي تشرف عليها[1].

ورغم أن للطرق الصوفية نظام إداري شبيه بالنظم الإدارية لحكومات ذلك العهد، لاسيما ما يتعلق بالمناصب[2]، إلا أن المناصب القضائية تختلف عن بعضها البعض عند الطرفين، فالطرق الصوفية لم تكن بحاجة إلى توظيف مساعدين قضائيين كالعدول والكتاب والشواش مثلما هو الحال عليه في المؤسسات القضائية التابعة لتلك الحكومات إذ أنه يكفي أن يكون شيخ الطريقة أو مريدها متواجد أثناء فصله في النزاعات والخلافات في منطقة نفوذ الطريقة، فيكون جميع سكانها بمثابة مساعديه، ورهن إشارته ليقوموا بكل ما يطلبه منهم[3]، ويتضح ذلك من خلال الحادثة التي وقعت لعلي رضا آفندي بن حمدان خوجة في جبال جرجرة حينما رافق والده من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة سنة 1246هـ/1832م، فبينما كان يتجول في أسواق بلاد القبائل إذ به أمام سارق بغلته ـ الذي تعرف عليه ـ وهو يقوله له (حاكمتني على الطريقة الفرنسية، واليوم سأحاكمك على الطريقة القبائلية)[4]، وفي الحين وجد نفسه محاطا بعدد غفير من رجال القبائل الذين أرادوا الانتقام منه لو لا تدخل الشيخ المكلف من قبل مقدم الطريقة الرحمانية بالمنطقة سيدي علي بن عيسى بمرافقتهما، وقد أخذ هذا الشيخ يصيح بأعلى صوته (آه يا عرب، آه يا قبائل... إن الهلاك لمن يرفع يديه على هؤلاء الرجال، لتعلموا أنهم جاؤوا من عند الشيخ بن عيسى، وهم تحت حمايتي وفي حالة ما إذا تطاولتم وأخذتم منهم شعرة فإننا سنأخذ منكم أكثر من ذلك) وكرر الشيخ مرة ثانية (أنه في حالة ما إذا وضعتم أيديكم على هؤلاء الرجال... فإن كل سكان الجبل الذين ترونهم أمامكم، سيرتمون عليكم ويقضون عليكم جميعًا)، وإذا بهؤلاء الرجال ينسحبون واحدًا تلو الآخر حتى بقى السارق بمفرده[5].

هنا يتجلى لنا الدور الفعال الذي لعبه التيار الصوفي عن طريق شيوخه ومريديه في تعويض المؤسسات الرسمية، بل وحتى الحكومات لاسيما في المناطق الريفية والجبلية والصحراوية المنعزلة أين كان شيخ الطريقة يحتمي بالقبيلة وهذه الأخيرة تحتمي به، مما أعطاه نفوذًا أوسع من نفوذ شيخ القبيلة

---

(1) العيد مسعود، **المرجع السابق**، ص.25.

(2) العيد مسعود، **المرجع نفسه**، ص.19.

(3) الأمير بوغداده، **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني...**، ص.143.

(4) علي رضا بن حمدان خوجة، **وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال 1832م**، تعريب أحميدة عميراوي، مراجعة إبراهيم بحاز، المكتبة الجامعية، غريان– ليبيا، ط.1، 2003، ص.45.

(5) علي رضا بن حمدان خوجة، **المصدر السابق**، ص.46.

ذاته، وحتى من نفوذ السلطة الحاكمة ـ على حد تعبير أحميدة عميراوي[1] ـ وساعده على إصلاح ذات البين بين الناس، والفصل بينهم في النزاعات بطرق وإجراءات قضائية تفتقد لها المؤسسات القضائية الرسمية في المدن.

ولم يقتصر دور التيار الصوفي على الفصل في الخصومات بين المتنازعين فحسب، بل تعداه إلى مجالات اجتماعية أخرى ككفالة اليتامى والأرامل من خلال إيوائهم والتكفل بهم وبحاجاتهم، وكذلك تقديم الخدمات الاجتماعية كالإيواء والإطعام واللباس والمساعدات المالية للفقراء والمساكين، والمشردين والمعوقين خاصة فئة المتخلفين ذهنيا[2]، لاسيما وأن من الآثار السلبية للاحتلال الفرنسي كثرة هذه الفئات في المجتمع الجزائري، وذلك بسبب عدم توقف الثورات الشعبية طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وأيضا بسبب كثرة الأمراض التي كانت تصيب أفراد المجتمع الجزائري لانعدام الرعاية الصحية وتدهور المعيشة للمواطنين بسبب انتشار المجاعات من حين لآخر[3].

وقد أولى التيار الصوفي اهتماما كبيرًا بعابري السبيل والضيوف، فخصصت زواياه لهؤلاء بيوتًا للمبيت وقاعات للإطعام، وأماكن للوضوء وللعلم لمن أراد التعلم، كما تكفلت هذه الزوايا بعائلات المجاهدين والثوار، مثلما فعلت الزاوية القاسمية بالهامل التي تكفلت بعائلات آل المقراني بعد القضاء على ثورتهم، وخصصت لهم مساكن بجوارها في حي لازال يعرف باسمهم (حي المقارنة أو أولاد مقران) وقد قدر عدد هذه العائلات بحوالي ثمانين عائلة[4].

---

(1) أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص-ص.83-84

(2) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص-ص.272-273

(3) للمزيد من المعلومات عن الواقع الصحي للجزائريين، وعن أنواع الأمراض والأوبئة الفتاكة المنتشرة بينهم خلال ذلك القرن. يراجع: فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871**، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013

(4) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص.273

كما كان التيار الصوفي يسعى دومًا إلى تشجيع وتنظيم التعاون بين الأهالي بشكل دوري ودائم فيما يعرف بنظام التويزة، حيث يتعاون الناس فيها بشكل طوعي للقيام بأعمال ذات منفعة عامة دون مقابل، مثل الاشتراك في الحصاد أو بناء المساجد والزوايا، أو ترميمها وترميم بعض السدود، والاهتمام بالفقارة[1]، ومحاربة العقارب والأفاعي، وتنظيف المساجد والأماكن العامة واستقبال الضيوف والزوار عند الزيارات الموسمية والتناوب في خدمة الفقراء وعابري السبيل وتوفير الأمن وحراسة الأملاك العامة والخاصة وحماية القوافل[2].

وقد عمل التيار الصوفي في إعمار الأرض وربط مناطق الصحراء الكبرى ببعضها البعض، بحيث أصبحت زواياه ملاجئ عمرانية هامة لا نظير لها في قلب الصحراء، خاصة للرحالة والمسافرين والتجار. كما أسس هذا التيار واحات في أنحاء مختلفة من الصحراء، وحفر الآبار لاسيما على طرق القوافل، وأمن السبل فاستتب الأمن والاستقرار في ربوع تلك المناطق، واستطاع أن يجعل من القبائل التي اشتهرت بالنهب وقطع الطرق، هي القبائل المسؤولة عن الأمن في المفاوز الصحراوية[3]. كما ساهم ولو نسبيا في التقليل من البطالة التي كانت منتشرة في أوساط الجزائريين بنسب كبيرة جدًا، وذلك من خلال تكليف بعض الأشخاص القادرين على العمل بمهمة الإشراف على البساتين، والاعتناء بالزوار والضيوف نظير مبلغ معين من المال، أو مقابل مادي رمزي[4].

واهتم التيار الصوفي بالاحتفال بالمناسبات الدينية التي تتمثل في رأس السنة الهجرية، وليلة القدر والمولد النبوي الشريف، وليلة الإسراء والمعراج، وكان يحييها بالذكر والعبادة والصدقات على اختلاف أنواعها، حتى يذكر الناس بها وتبقى حية في نفوسهم، وفي موسم الحج يسهر على توفير المال لبعض الحجاج، ويكلف بعض أتباعه بمرافقتهم إلى البقاع المقدسة[5].

---

(1) هي ساقية ماء، تأخذ مياهها في البداية من تحت الأرض قبل أن تظهر على السطح عندما يسمح بذلك مستوى انخفاض الأرض، مما يجعلها دائمة الجريان، وعند إخراج المياه على سطح الأرض من الفقارة، توزع بحسب المساهمين فيها، فتقسم مياهها في عدة سواقي بحسب ملكية كل شخص لينتهي الماء بالماجن المبني من المادة الطينية وعادة ما يأخذ شكلا مستطيلاً تزيد مساحته أو تنقص حسب كمية الماء، وهو موجه للأغراض الشخصية. يراجع: محمد الصالح حوتية، **آل كنته**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط.1، 2008م، ص–ص.75.79.

(2) محمد بن السويسي، **العمارة الدينية في منطقة توات (تمنطيط) نموذجًا، من القرن 6هـ إلى 13هـ/ 12م إلى 19م**، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007–2008، ص.111.

(3) جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة– مصر، 1975، ص.319.

(4) خير الدين شتره، **المرجع السابق**، جـ.1، ص263

(5) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص–ص.275–277

وبما أن الوقف يعد أحد الأدوات الاقتصادية المهمة التي تبناها التيار الصوفي في إعادة ترتيب علاقات المجتمع، فقد حققت أوقافه تكافلاً اجتماعيًا فريدًا من نوعه، ذلك لأن أصحاب رؤوس الأموال سخروا هذه الأموال التي أوقفوها على مختلف مؤسسات التيار الصوفي لسد حاجات المعوزين من أفراد المجتمع[1]، فكفلوا لهم بذلك حياة كريمة وحفظوا عليهم إنسانيتهم وعزتهم من غير إراقة ماء وجوههم في سؤال الناس، وساهمت تلك الأوقاف في تكوين البنية القاعدية وتنميتها وتطويرها من خلال استصلاح الأراضي وبناء السدود وقنوات المياه، وحل بعض المشكلات الاجتماعية كالمرض والفقر والجهل، وحل مشكل السكن بالنسبة لأولئك الذين لم يجدوا سكنًا، ولا يستطيعون توفيره[2].

2- دوره الثقافي:

يدرك أغلب الباحثين أن إهمال السلطة في الجزائر للثقافة بوجه عام وللعلم والتعليم بوجه خاص خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، لم يبدأ مع استيلاء الاحتلال الفرنسي على الحكم فيها، وإنما حدث ذلك على عهد الأتراك العثمانيين الذين لم يولوا هذا الجانب أي أهمية، ولم يخصصوا لا وزارة ولا إدارة للتعليم وأصلاً لم تكن لهم أي سياسة تعليمية[3]، إلا أن عزل اللغة العربية كمركز للحضارة الإسلامية، وكإحدى مقومات الثقافة العربية الإسلامية بدأ مع بداية الغزو الفرنسي للجزائر، وتطورت الوسائل والأساليب والإجراءات ضد اللغة العربية مع إحكام المحتل قبضته على المرافق الحيوية في البلاد[4].

فقد وضعت إدارة الاحتلال يدها على الأوقاف الإسلامية، وصادراتها، وقضت على دورها وهي التي كانت المورد الأساسي للتعليم، وهدَّمت أغلب المؤسسات الدينية والتعليمية التابعة لها، لاسيما المساجد والمدارس[5]، فَأُهْمِلَ التعليم الوطني وانحصر نشاطه في بعض المساجد والزوايا الواقعة في

---

[1] عبد العزيز شهبي، **المرجع السابق**، ص.56.

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص-ص.297-299.

[3] أبو القاسم سعد الله، « لوحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني »، **سلسلة الملتقيات**، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، عنابة 14-15 جوان 2009، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2011م، ص.18.

[4] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، جـ.5، ص.160.

[5] عبد الحميد زوزو، **الثقافة والتعليمان الحر والرسمي في العهد الفرنسي**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص.13.

المناطق النائية أو الجبلية والصحراوية البعيدة عن مراكز الاحتلال[1]، بل حتى الزوايا الصوفية التي كانت أحد شرايين الثقافة والتعليم ومعقلاً من معاقل اللغة العربية امتدت إليها يد السلطة الفرنسية المتغطرسة، فأوقفتها عن مهامها التعليمية وعن عملية نشر اللغة العربية بين الأهالي[2].

لكن التيار الصوفي الذي كان يشرف على أغلب المؤسسات التعليمية لاسيما في المناطق النائية كالأرياف والجبال والبوادي، لم يستسلم للأمر الواقع وبقي يناضل بكل ما أوتي من قوة من أجل أن يظل التعليم منتشرًا بين الجزائريين، واستطاع أن يجعل الجزائر تحافظ على تقاليدها العربية، الأمازيغية الإسلامية في التعليم والثقافة، فالمساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية كانت منتشرة في كثير من المناطق والتعاليم الدينية متوفرة، ولم تزل الزوايا بالقرى جامعة للمشايخ والطلبة وكلهم يبذلون جهودهم في الإلمام بالعلوم ونشرها بين الجماهير، فهناك الدروس الدينية وحلقات الذكر والمدائح الدينية وانتشار الأوراد الصوفية وغيرها، وبهذا الشكل ما استولى الجهل على الجزائر، وما انقطعت بالجزائر مسيرة التعليم وما انعدمت المدارس، ولا قلت العناية باللغة العربية وعلومها وآدابها[3].

يقول كمال بوشامة (في ظل تلك الزوايا المتعددة وتحت الإدارة المستنيرة لتلك الوجوه النيرة، تم الدفاع عن اللغة العربية بأقصى طاقة ممكنة وتواصل تعليمها وسط الجماهير برغم المحاولات الكبيرة للاستلاب وحملات النفي)[4].

وقد أدى اهتمام التيار الصوفي بتعليم وتثقيف الجزائريين إلى ازدياد تشبث الناس بالتصوف، لكونهم ينظرون إليه على أنه مؤسس على الكتاب والسنة، قائم على سلوك الأنبياء والأصفياء[5]، وهو المؤسسة الوحيدة المتبقية من النظم القديمة القائمة خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، بعد أن قضى الاحتلال على كل شيء، وانحلت عرى الدولة والجيش، وتفككت أوصال المجتمع بسبب الحروب، والتشريد، والتهجير، وشلت وظائف المؤسسات الدينية والتعليمية، وصودرت الأوقاف

---

[1] إبراهيم مهديد، **القطاع الوهراني ما بين 1850 و1919 (دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية)**، منشورات دار الأديب، وهران- الجزائر، 2006، ص.19.

[2] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، جـ.5، ص.160.

[3] إبراهيم مياسي، **لمحات... من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص.212.

[4] كمال بوشامة، **الجزائر أرض عقيدة وثقافة**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص.153.

[5] يقال: « التصوف مبني على ثمان خصال: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة والغربي، ولبس الصوف، والسياحة، والفقر». يراجع: إبراهيم مياسي، **لمحات... من جهاد الشعب الجزائري**، ص.212.

الإسلامية، لكن الزوايا الصوفية ظلت قائمة في المناطق النائية كالأرياف والجبال والصحاري، تؤدي دورها الديني والتعليمي والجهادي[1].

وقد شجع تشبث الجزائريين بالتصوف أتباع التيار الصوفي على مواصلة بذل المجهود من أجل نشر التعليم عبر مناطق مختلفة من الوطن، لاسيما بعد أن تغاضت سلطة الاحتلال سنة 1274هـ/1860 عن بعض الزوايا الصوفية، وتركتها تعلم اللغة العربية وآدابها لطلبتها[2]، ومن هذه الزوايا نذكر الزاوية القاسمية بالهامل التي اعتبرها كثير من المؤرخين والباحثين منارة علمية، ومعلمًا أساسيا في تاريخ التعليم العربي في الجزائر، ساهمت في الحفاظ عليه، وأعطته دفعة قوية بعد أن كاد يختفي بسبب محاصرة ومحاربة المحتل الفرنسي له[3]، ونذكر أيضا الزاوية العثمانية بطولقة قرب بسكرة، وزاوية ابن أبي داود في بلاد القبائل أو زواوة[4].

بقيت هذه الزوايا وغيرها الملجأ الوحيد والأخير لتعليم الأهالي في الجزائر، فقال ليون بيكي Lyon Biké عضو لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي جاءت للاطلاع على أحوال الجزائريين سنة 1305هـ/1891م (إن التعليم في الجزائر الآن [1305هـ/1891م] قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم والزوايا، حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره، وهي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة)[5].

وقد أثمرت جهود الزوايا الصوفية، والتيار الصوفي بشكل عام نتائج جيدة قد لا نجد لها مثيلاً، وذلك بالحفاظ على الهوية والشخصية الوطنية وثوابتها الأساسية: الدين، اللغة، العادات، والتقاليد، وكذلك بتكوين أجيال عديدة من المتعلمين المتنورين المحافظين[6]، المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية الذين ساعدتهم الروح العصامية والتحدي على الوصول إلى درجة راقية من العلم، نذكر منهم أبو القاسم الحفناوي (1269هـ/1852م-1360هـ/1943م) صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف[7]، حميدة بن الطيب الجزائري (1288هـ/1871م-1362هـ/1944م) من كبار مدرسي الحرم المدني، فقيه وقاض

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.2، 2005م، ص.25.

(2) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج.5، ص.161.

(3) محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، المطبعة التعاونية، دمشق- سوريا، ط.1، 1964، ج.1، ص.34.

(4) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج.5، ص.161.

(5) نقلا عن: رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 1981، ص.12.

(6) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص.164.

(7) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج.5، ص.162.

وأديب وشاعر، محمد الصغير المختار الجلالي (توفي سنة 1337هـ/1920م) شيخ زاوية أولاد جلال بالقرب من بسكرة[1].

وبفضل الإنتاج العلمي الغزير لأتباع التيار الصوفي، واهتمام شيوخ الزوايا الصوفية وطلابها بالتأليف وجمع الكتب عن طريق شرائها أو نسخها ونقلها، وما إلى ذلك من وسائل الاقتناء[2]، أصبحت مكتبات هذه الزوايا بمثابة مخازن، ودواوين لمختلف الكتب والمخطوطات العلمية في شتى أنواع العلوم والفنون والمعارف[3]. ففي أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي كانت مكتبة الزاوية القاسمية بالهامل تظم مجموعة من المخطوطات، تقدر بنحو ألف مجلد، نشرت فهرسة بعضها سنة 1311هـ/1897م بعناية المستشرق رينيه باسييه René Passier[4]، وكذلك الزاوية العثمانية بطولقة، كانت لها مكتبة ثرية ومتنوعة بمختلف الكتب والمخطوطات، وقد أسسها علي بن عثمان الذي تولى مشيخة الزاوية من 1256هـ/1842م إلى 1310هـ/1896م[5].

وقد أبت بعض هذه الزوايا، لاسيما تلك التي تتمتع بسمعة طيبة، وتتجاوز شهرتها القطر الجزائري كالزاوية القاسمية بالهامل إلا أن تجعل من برنامج التعليم فيها شبيه أو مستنسخ عن ما هو موجود أو معمول به في جامع الزيتونة والقرويين وأمثالهما، فهناك مراحل ومستويات من الابتدائي إلى الدروس العالية، وهناك دورات انتقالية، والعلوم المتداولة هي علوم الشريعة، واللغة العربية وآدابها، بالإضافة إلى علم الفلك والحساب والمنطق، والكتب المقررة تكاد تكون واحدة[6].

وهذا ما مكن بعض الطلبة المتخرجين من هذه الزوايا، من الهجرة في طلب العلم خارج الجزائر، فقصدوا الزيتونة أو القرويين، ومنهم من قصد الأزهر الشريف أو بلاد الشام والحجاز، وقد استطاعوا

---

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص- ص354-357

(2) من بين وسائل الاقتناء التكفل بطبع ونشر بعض الكتب، كما فعل شيوخ الزاوية القاسمية بالهامل، أين تكفلوا بطبع ونشر عدة كتب، أهمها المنح الربانية لباش تارزي القسنطيني، طبع في تونس عام 1304هـ/1890م، والزهر الباسم للقاسمي الذي طبع هو الأخر في تونس عام 1305هـ/1891م. يراجع: منير القاسمي الحسني، **زاوية الهامل التاريخ المصور**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة- الجزائر، 2007، ص.65

(3) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.238

(4) منير القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص.65

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.3، ص.215

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.3، ص.222

بعزيمتهم أن ينالوا مبتغاهم، ويبلغوا درجات راقية من العلم، ويعودوا بعد ذلك إلى الجزائر ليساهموا بدورهم في تحرير وتنوير عقول إخوانهم الجزائريين[1].

وبالرغم من المجهودات الجبارة التي بذلتها الزوايا الصوفية من أجل النهوض بالتعليم العربي الإسلامي، وتطويره ونشره بين الأهالي، في الوقت الذي كان فيه الجهل يسيطر ويهيمن على عقول أغلب الجزائريين، إلا أنه ظل تعليمًا تقليديا يقتصر على العلوم الشرعية والإنسانية، واللغة العربية وآدابها، وبأساليب عتيقة ومناهج متخلفة، لا تتلاءم مع التطورات الحديثة التي صحبت النهضة الأوروبية الحديثة. يقول عبد الله ركيبي (بقي نوع آخر من التعليم وهو الخاص بالزوايا، والذي يرجع إليه الفضل في الحفاظ على اللغة العربية وعلومها، وهو تعليم كان يسير على المناهج القديمة التي تعطي الأولوية لعلوم اللسان والدين... وتتلخص طرق هذا النوع من التعليم في تحفيظ القرآن وقراءته ثم حفظ المتون ـ متون النحو والصرف ــ والفقه والتوحيد)[2].

وعلى رأي أبو القاسم سعد الله، فالأوروبيون وظفوا علمهم في الحياة العلمية، وكان المتعلمون منهم رغم قلة عددهم علماء في مختلف العلوم التطبيقية، كالكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة، بينما لم يوظف الجزائريون علمهم إلا في الدين والأدب، رغم أن التعليم كان شائعًا بين أغلبهم، (وقد ثبت في الميدان الفرق بين علمنا وعلمهم عند المواجهة التي حدثت بين الاحتلال والمقاومة)[3].

لكن إن كنا أسهبنا في الحديث عن دور الزوايا الصوفية في التعليم، فهذا لا يعني أنها المؤسسة الصوفية الوحيدة التي كان لها دور في هذا المجال بل هناك مؤسسات صوفية أخرى ساهمت هي الأخرى في تعليم وتثقيف الجزائريين في تلك الفترة، لكن بدرجة أقل من الزوايا، إذ أن دورها كان يقتصر إما على تحضير وتهيئة الفرد لولوج تلك الزوايا، أو أن دورها لا يعدو أن يكون إلا دور توعوي وتثقيفي، وهذه المؤسسات هي الكتاتيب والمساجد.

فبالنسبة للكتاتيب فهي عبارة عن مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال، وقد تكون في بعض الأحيان بيوت منفردة[4]، بسيطة المظهر والمبنى، قليلة الإمكانيات المادية لكون أغلب مؤسسيها الذين هم من حفظة القرآن الكريم، ينتمون إلى الطبقة الفقيرة جدًا والكادحة، وقد أسسوها لكسب لقمة

(1) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، جـ.5، ص.162.

(2) عبد الله ركيبي، **الشعر الديني الجزائري الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص.30.

(3) أبو القاسم سعد الله، « لمحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني »، ص.21.

(4) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.212.

العيش من خلال تحفيظ القرآن الكريم فيها للأطفال وترتيله لهم[1]، ولكونها عمل من أعمال البر والإحسان التي تقربهم إلى الله عزّ وجل، وأيضا لتجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضاءهم والاحتفاظ بطهارتها ونقاوتها[2].

وقد انتشرت هذه الكتاتيب في جميع المدن والقرى الجزائرية بصورة لا نظير لها[3]، لاسيما في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كأسلوب ووسيلة للحفاظ على الشخصية الوطنية، ومقاومة سياسة التجهيل والفرنسة، وسياسة التنصير والتمسيح التي كانت تتبعها إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر[4].

ورغم انعدام الظروف الصحية في أغلب هذه الكتاتيب بسبب ضيقها، وقلة التهوية فيها، بالإضافة إلى كونها معتمة، وكان الأطفال يحشرون فيها حشرًا دون مراعاة أدنى قواعد الصحة، والنار توقد لتدفئتهم بدون انتظام، وقليل من العناية كانت تعطى لمياه شربهم وحماماتهم، إلا أنها كانت تؤدي وظيفة المدرسة الابتدائية، فهي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وتعلمهم مبادئ العلوم والقراءة والكتابة، وتثقفهم ثقافة عربية إسلامية، وتربيهم تربية إسلامية، وتعطيهم رصيدًا من المعارف[5]، التي تساعدهم على الانتقال إلى مراحل أعلى من التعليم، وفي مؤسسات أرقى من الكتاتيب وهي الزوايا.

أما عن طريقة التدريس في الكتاتيب، فقد كانت تتم بالشكل التالي: يجلس الأطفال ذكورًا وإناثا من مختلف الأعمار على الأرض فوق الحصائر والسجاجيد، ويلتفون حول معلمهم أو مؤدبهم في شكل دوائر نصفية، فيملي عليهم آيات أو بعض السور القصيرة من القرآن الكريم، ويقومون بتدوينها بأقلام من القصب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق على ألواحهم الخشبية، ثم يتدربون على قراءتها قراءة أولية، وبعدها يتلونها ويقرؤونها بأصوات جَهُورِّية حتى إذا حفظوها يقومون بمحوها في صباح اليوم الموالي، ويكتبون غيره وهكذا بصفة دورية ودائمة، حتى يتسنى لهم حفظ كل سور وأحزاب القرآن الكريم وعادة ما كان التعليم يتم في الصباح من الخامسة والسادسة حتى العاشرة، وفي المساء من الساعة الثالثة

---

(1) عبد النور خيثر وآخرون، **<u>منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954</u>**، سلسة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، المطبعة الرسمية، الجزائر، 2007، ص.80.

(2) يحي بوعزيز، **<u>موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب</u>**، ج.1، ص.212.

(3) أحمد توفيق المدني، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.90.

(4) يحي بوعزيز، **<u>موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب</u>**، ج.1، ص.212.

(5) أبو القاسم سعد الله، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي</u>**، ج.1، ص–ص.278–279

عشر إلى السابعة والثامنة عشر، مع راحة في الوسط قبل صلاة العصر[1]، ومن النادر أن لا يلتحق الأطفال وهم في السنوات الأولى من عمرهم، بأحد الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم أو جزء منه، وتعلم القراءة والكتابة[2].

وفيما يتعلق بالمساجد فهي الأخرى لا تقل أهمية عن الزوايا والكتاتيب في مجال التعليم والثقافة، بل في بعض الأحيان، وفي بعض المناطق تكاد تتصدر الطليعة برفقة الزوايا في هذا الميدان، فهي من المؤسسات الدينية التعليمية والثقافية التي أدت دورًا ايجابيا وبارزًا في الحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية من التفسخ والذوبان والانصهار في ركب الحضارة الغربية العلمانية، التي جاء بها المحتل الفرنسي وعمل كل ما في وسعه لغرسها في نفوس وعقول الجزائريين، رغم أنها مجردة من كل الأخلاق الدينية والإنسانية، ومن جميع الأعراف البشرية.

ففي هذه المساجد كانت تعطى الدروس التعليمية لطلبة العلم، وتلقى دروس الوعظ والإرشاد[3]، وخطب الجمعة والأعياد على جموع المصلين باختلاف أعمارهم ومستوياتهم، وفيها كانت تقام وتُحيا المناسبات الدينية كالاحتفاء بليلة القدر، والمولد النبوي الشريف وغيرهما. فقد كانت ملتقًا للعباد ومجمعًا للأعيان، ومنشطة للحياة العلمية والاجتماعية[4]، وهي قلب الزوايا الصوفية وابرز هياكلها، ومحور أنشطتها الداخلية، والمركز الذي يجتمع فيه كل المقيمين بها أثناء أدائهم للصلوات المفروضة، وهي تتوسط الزوايا لما تحتله من أهمية كبرى في حياتها الروحية والدينية والعلمية، وتحتضن طلبتها في البداية قبل أن تتوسع، وتبقى كذلك إلى أن تكتمل مرافقها، فتنتقل المهام التي كانت تؤدى في هذه المساجد كالتدريس مثلاً إلى المرافق الجديدة للزوايا، ويقتصر دور المساجد بعد ذلك على أداء الصلوات المفروضة فيها، وإقامة الشعائر الدينية التي تشتهر بكثرة الحضور من الناس[5]، وقد كانت هذه المساجد بقببها

---

(1) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص–ص.212-213

(2) جمال قنان، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، دار هومة، الجزائر، 2007، ص.14

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص.146

(4) سعيدي مزيان، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر1867-1892**، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2009م، ص389

يرى أبو القاسم سعد الله أن وظيفة المساجد في ميدان التعليم قد اختلطت بوظيفة الزاوية والمدرسة أحيانا، فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وكانت بعض الزوايا مدارس. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.1، ص.279

(5) عبد المنعم القاسمي الحسني، **زاوية الهامل مسيرة قرن...**، ص.146

الجميلة الدائمة البياض بالجير هي أبرزها ما يميز الزوايا عن غيرها من الأبنية الأخرى، ويلفت إليها انتباه ونظر عابري السبيل من مسافات بعيدة[1].

ويمكن القول لو لا هذه الزوايا ومرافقها التي اضطلعت بأدوار تعليمية وتثقيفية كبيرة خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، لنجح المشروع الفرنسي القائم على سياسة التجهيل والفرنسة في الجزائر، ولفعل الجهل أفاعليه بكل الجزائريين، ولما برز عدد كبير من العلماء وشيوخ التصوف الذين ذاع صيت بعضهم في أرجاء العالم العربي، وربما الإسلامي، واضطلعوا بأدوار علمية وثقافية مختلفة، كالأمير عبد القادر والشيخ الحداد الزعيم الروحي لثورة المقراني سنة 1285هـ/1871م، وعلي بن عمر شيخ الزاوية العثمانية بطولقة، والمختار بن خليفة الجلالي شيخ زاوية أولاد جلال ببسكرة ومحمد بن أبي القاسم الهاملي مؤسس زاوية الهامل ببوسعادة ولاية المسيلة، وغيرهم من الشيوخ والعلماء الأجلاء وهم كثيرون.

3- دوره الديني:

يؤاخذ بعض الباحثين على التيار الصوفي ميله لحياة العزلة وبثه لروح الكسل والخمول، والتواكل بين الناس، ونشره للبدع والخرافات والشعوذة، وأعمال الشرك بالله كالتبرك بقبور الأولياء، وعدم الجد في أمور الدين والدنيا، وعدم الأخذ بأسباب العلم المؤسس على كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى الكريم في مواجهة أعداء الدين الإسلامي، فكان حسب اعتقادهم سببًا في تعطيل بعض الأحكام الشرعية، وسببًا في تشويه العقيدة الإسلامية وانحراف الناس عن الدين القويم لاسيما في فترة الاحتلال الفرنسي.

إلا أننا نعتقد أن أتباع التيار الصوفي وشيوخه لم يكونوا كلهم ممن انتقدهم الباحثون هنا، إذ أن جزء كبير منهم كانت لهم مواقف ايجابية، و كان لهم دور بارز في مختلف مظاهر الحياة الدينية طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ولم يكونوا في عزلة عن الناس، فقد كانوا في مقدمة الدعاة إلى شرع الله، وكانوا يبصرون الناس بما ينفعهم ويحذرونهم مما يضرهم[2].

وقد اهتموا بتحفيظ القرآن الكريم لمختلف شرائح المجتمع الجزائري، وعملوا على نشره بصورة مكثفة ومتواصلة بينهم لكي يحموه من النسيان والضياع والاندثار، فكان أغلب الجزائريين باختلاف مناطق سكناهم يحفظونه كله أو جله أو بعض أجزائه عن ظهر قلب، ويطبقون تعاليمه الدينية والدنيوية، خاصة

(1) هانوتو ولوتورنو، **منطقة القبائل الكبرى: العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري**، ترجمة مزيان الحاج أحمد قاسم، منشورات كرجا للنشر والتوزيع، تيزي وزو- الجزائر، 2013، ص.132.

(2) عبد النور خيثر وآخرون، **المرجع السابق**، ص.30.

ما تعلق منها بالأخلاق والسلوك العامة، الذاتية والجماعية[1]، وبذلوا جهودًا كبيرة وجبارة في كل الظروف والأوقات، وبمختلف الأساليب والوسائل والإمكانيات من أجل حماية الشخصية الإسلامية، والوجه العربي الإسلامي للجزائر وشعبها من سياسة الفرنسة والتنصير والكثلكة[2]، التي انتهجتها إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وكان ذلك خيرًا وبركة على هذه البلاد وشعبها المتمسك بإسلامه وعروبته[3]، وأمازيغيته وعاداته وتقاليده المستمدة في أغلبها من دينه الحنيف، وفي هذا الصدد يقول خير الدين شترة: (لا يخفى على الباحث أن الطرق الصوفية في الجزائر بمختلف أطيافها وأسمائها، وبحكم التركيبة الاجتماعية والدينية التي تتألف منها الطريقة قد لعبت دورًا بارزًا في صد الكيان الاستعماري ومحاربة وإفشال خططه الاستعمارية، خاصة ما تعلق منها بالمقومات الدينية والوطنية...)[4].

وبما أن الثقافة الروحية هي مادة التيار الصوفي عبر مختلف الأزمنة، وفي كل مراحل تاريخه، فقد اهتم بالتربية الروحية والأخلاقية وهذا ما جعله يتمتع بمكانة اجتماعية رفيعة بين الجماهير الشعبية، حيث ركز في أدبياته وسلوكياته على التربية الروحية موازاة مع التربية الأخلاقية لارتباطهما ببعضهما البعض فلا حياة روحية بدون حياة أخلاقية[5]، وهذا ما لمسناه جليًا في معظم الطرق الصوفية الممثلة لهذا التيار كالقادرية، والرحمانية والسنوسية، وما ورد في كتب الصوفية يعتبر من صلب التحوير العقلي الذي جاء التيار الصوفي ليمارسه على الشعوب الإسلامية برمتها، تسديدًا وتوجيهًا لها نحو الإصلاح كمحاربة عبادة الأوثان، وتحريم استخدام السحر واللجوء إلى الكهنة والمشعوذين[6].

ويبدو أن شيوخ التيار الصوفي الذين ينتهجون في تصوفهم سبيل الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، يدركون أن فساد العقيدة لدى المسلمين، قد أدى إلى تفسخ الأمة وفقدان فعاليتها، فعملوا كل ما في وسعهم لإصلاح عقائد الناس لأن ذلك من متطلبات نهضتهم التي ستساعدهم على التحرر من

---

(1) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.236.

(2) للمزيد من المعلومات عن سياسة الفرنسة والتنصير، وعن محاربة فرنسا للثقافة العربية الإسلامية ومحاولتها تشويه التاريخ الجزائري يراجع: صالح بن نبيلي فركوس، **الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق.م – 1962م)**، المعارف للطباعة، د.ب، 2015، ص–ص.180–186

(3) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.240.

(4) خير الدين شترة، **المرجع السابق**، جـ.2، ص.282.

(5) أحلام عابد حسين البرواري، **التصوف في بلاد الشام ومصر خلال العصر الأيوبي 567–648هـ/1171–1250م**، دار دجلة ناشرون وموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية، ط.1، 2016م، ص–ص.142–143

(6) خير الدين شترة، **المرجع السابق**، جـ.2، ص.45.

الهيمنة الاستعمارية، وهذا ما قام به شيوخ الطريقة السنوسية في كل المناطق التي انتشرت فيها طريقتهم[1].

وقد كان معظم شيوخ التيار الصوفي من ذوي التأصيل الديني القائم على الشريعة الإسلامية، وإن كانوا يميلون أكثر إلى الحياة الروحية الصوفية، ومن ثم إلى التسامح الذي نلمسه في سلوكياتهم تجاه شرائح المجتمع الجزائري، ومع غير الجزائريين انطلاقا من القيم الإنسانية والروحية القائمة على التعامل الخير بين كل الناس[2]، وبفضل هذا التسامح تمكنوا من اختراق عقول وقلوب كثير من الناس، بما فيهم غير المسلمين الذين جعلوا بعضهم يعتنقون الإسلام من خلال انتسابهم لإحدى الطرق الصوفية، مثلما فعلت الصحفية الفرنسية من ذوي الأصول الروسية إيزابيل إبرهارت Isabelle Eberhart[3]، التي أسلمت على يد الشيخ محمد الهاشمي الشريف مؤسس الزاوية القادرية بوادي سوف سنة 1300هـ/1886م، واعتنقت الطريقة القادرية وأعطيت ذكر الطريقة، والسبحة، واللباس الخاص، وصامت رمضان[4].

هنا يتضح لنا أن زعماء التيار الصوفي وشيوخه، لم يكتفوا بالعمل من أجل الحفاظ على الدين الإسلامي، وإحيائه في نفوس الجزائريين فحسب، بل عملوا أيضا على نشره والدعوة له بين الأوروبيين داخل الوطن، وبين القبائل الإفريقية الوثنية خارج الوطن، فقد كانت لهم اليد الطولى في نشر فضائله وبث تعاليمه السامية، ونقله إلى مناطق نائية وثنية، وعرضه عرضًا خاليا من كل تعقيد أو تغليف، مما جعل بعض الأمم والشعوب الواقعة جنوب الصحراء، يدخلون في هذا الدين أفواجًا[5]، لدرجة أن صارت الجمعيات التبشيرية الأوروبية المنتشرة في القارة السمراء، تجد في هؤلاء الطرقيين وفي دعوتهم إلى الإسلام، خصمًا عنيدًا يصعب التغلب عليه رغم أن هذه الجمعيات تحظى بمساندة دولية، وتملك قوة

---

[1] محمود براهم، **المرجع السابق**، ص.191

[2] أحميدة عميراوي، **بحوث تاريخية**، ص.104

[3] ولدت عام 1291هـ/1877م في جنيف بسويسرا، أمها تدعى ناتالي دوموردر أما الأب فهو مجهول، تعلمت التاريخ والفلسفة والآداب وغيرها من العلوم، بالإضافة إلى اللغة الروسية والفرنسية والألمانية والإنجليزية والعربية ثم التركية والأمازيغية. عملت كصحفية لعدة جرائد في باريس قبل مجيئها إلى الجزائر التي توفيت فيها عام 1318هـ/1904م. للمزيد من المعلومات عن حياتها يراجع: سبتي معلم، **إيزابيل إبرهارت اللغز الدائم**، مطابع ش. ذ. م. م عمار قرفي وأبنائه، باتنة– الجزائر، 2012

[4] أحميدة عميراوي، **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، ص، ص.30، 41

[5] صلاح مؤيد العقبي، **المرجع السابق**، ص.84

مادية[1]. ولنا في شيوخ الطريقة القادرية، والتجانية، والسنوسية ودورهم في نشر الإسلام بين تلك القبائل الإفريقية الوثنية خير مثال على ذلك.

وكان أتباع التيار الصوفي في مقدمة العلماء الذين اضطلعوا بالمهمات الدينية كالإمامة والوعظ والخطابة والافتاء، ومن مشاهير التيار الصوفي في ذلك القرن نذكر:

- أحمد بن محمد المختار بن أحمد بن أبي بكر البكاي الكنتي، ولد سنة 1218هـ/1803م، أخذ العلم عن جده. وقد أصبح زعيمًا للطريقة القادرية في الصحراء الجزائرية منذ 1247هـ/1847م، وكان له نفوذ كبير يمتد إلى سوكوطو وبحيرة تشاد. له عدة مؤلفات منها: جذوة الأنوار في الذب عن مناصب أولياء الله الأخيار، الجرعة الصافية، الطرائف التالدة من كرامات الشيخين الوالد والوالدة. توفي سنة 1282هـ/1865م[2].
- أبو العباس أحمد بن محمد المبارك ولد سنة 1204هـ/1790م بمدينة قسنطينة، ونشأ وتربى في ميلة حيث أجداده وأخواله آل العطار، وفيها التحق بزاوية عائلته التي كانت تتبع الطريقة الحنصالية، ليأخذ علومه الأولى، ثم رجع إلى قسنطينة لمواصلة دراسته على علماء عصره، كما حضر بعض دروس علماء الزيتونة، وأخذ عن شيوخ الحجاز أثناء أدائه لفريضة الحج[3]. ولي الإفتاء للمالكية والخطابة بالجامع الكبير، وترأس الطريقة الشاذلية، له من المؤلفات: شرح الجوهر المكنون للأخضري وكتاب في شمائل الرسول ومعجزاته، وعارض عدة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. توفي بعد سنة 1265هـ/1851م[4].
- محمد السعيد بن علي الشريف ولد عام 1238هـ/1820م في يلولة من بلاد القبائل أو زواوة، باحث وفقيه، وله اهتمام بالتاريخ، أسس زاوية بشلاطة وظلت معروفة بهذا الاسم، كما عرفت أيضا باسم زاوية ابن علي الشريف، تخرج منها عدد من علماء زواوة والجنوب. من آثاره العلمية: الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، والتوسم والاستدلال على محاسن أخلاق النساء والرجال،

---

(1) محمود براهم، **المرجع السابق**، ص-ص.189-190

(2) عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر...**، ص.105

(3) عبد المجيد بن نعيمة وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركزي الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أو نوفمبر1954، الجزائر، ط.خ، د.ت، ص.55

(4) أبي القاسم محمد الحفناوي، **المصدر السابق**، ج.2، ص.77

وكتاب في التوحيد باللغة الأمازيغية، كما له كتب أخرى في السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك والعرفاء. توفي بشلاطة سنة 1314هـ/1896م[1].

- قدور بن سليمان المستغانمي ولد في حدود سنة 1258هـ/1840م بمدينة مستغانم، وبها نشأ وترعرع وأخذ العلم والتصوف، وبعدها رحل خارج المدينة في طلب العلم والمعرفة، فأخذ عن أحمد التجاني ـ الحفيد ـ ورد الطريقة التجانية، وبعدها أسس لنفسه زاوية في مستغانم على الطريقة الشاذلية، وعاش بها يقوم بتعاليمها ويمارس واجباتها كالصلاة والذكر والتأمل، ثم أضاف إليها الطريقة التجانية. وللمستغانمي تآليف عديدة فاقت العشرين تأليفا، وجلها في التصوف، منها كتاب شرح ياقوتة الصفا في حقائق المصطفى، وكتاب جلاء الرّان وتنوير الجنان فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان، وكتاب لوامع أنوار اليقين بل السيف المنير في قطع ألسنة نقص الأئمة المجتهدين. توفي سنة 1322هـ/1904م ودفن بزاويته في مستغانم[2].
- محمد المكي بن الصديق الونجلي، عالم فقيه صوفي مدرس مؤلف. ولد بخنقة سيدي ناجي الواقعة بالقرب من بسكرة، وتعلم بها على أيدي شيوخ أجلاء. أخذ الطريقة الرحمانية عن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وتولى التدريس والإمامة ببلدته، وله من المؤلفات: شرح نظم خليفة بن حسن القماري لمتن الشيخ خليل، وشرح حكم شيخه الخنقي غاية البداية في حكم البداية، وشرح منظومة شيخه المسماة غنية الفقير. توفي سنة 1311هـ/1894م[3].

مما تقدم نخلص إلى القول أن التيار الصوفي الذي كان منتشرًا في معظم المناطق الجزائرية من خلال زواياه المتواجدة في كل الأنحاء، وبما له من إلهام روحي وولاء شعبي تمكن من أن يحافظ على المقومات العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وتمكن من أن ينظم حيوات الناس وينشر الإسلام في مناطق نائية وثنية بعيدة جنوب الصحراء، غير أنه عجز عن تطوير هذا المجتمع والتفاعل به مع العوامل المحركة لعجلة التطور، حتى يتمكن بدوره من أن يحرر نفسه من الهيمنة الاستعمارية قبل نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

---

(1) عادل نويهض، **المرجع السابق**، ص-ص.472-473

(2) عبد المجيد بن نعيمة وآخرون، **المرجع السابق**، ص-ص.302-307

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر...**، ص-ص.406-407

ثالثا– مظاهر وأسباب ضعفه:

لاحظنا من خلال ما تقدم في بحثنا هذا أن التيار الصوفي كان بمثابة السلطة الحاكمة في مناطق نفوذه وانتشاره نظرًا لمكانته الروحية والمعنوية عند الناس، فهو يأمر وينهى وصلاحيات سلطته تتسع وتتقلص، وتقوى وتضعف بحسب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما تقوى وتضعف بحسب ما يملكه من مريدين وأتباع، وإمكانيات مادية مختلفة، وبحسب شخصية زعمائه وشيوخه وأعمالهم وآثارهم.

وعليه فإن المتأمل في تاريخ التيار الصوفي في الجزائر، إذا ما قارن بين الوضعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان عليها هذا التيار، قبل 1244هـ/1830م وما آل إليه مع العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي سيلمس عدة حقائق دالة على بداية ضعفه وفقدانه ـ ولو نسبيا وباختلاف طرقه ومناطق انتشاره ـ لأهميته وقيمته في الحياة العامة للجزائر. وهنا يطرح السؤال التالي:

فيما تمثلت يا ترى مظاهر ذلك الضعف وما هي أسبابه ؟

1– مظاهر الضعف:

تتمحور مظاهر ضعف التيار الصوفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي حول معطيين يبينان تراجعًا في النفوذ الذي كان يتمتع به، وهما:

1–1– تقلص نفوذه:

بعد أن استتب الأمر للاحتلال الفرنسي، قامت إدارته بالتخطيط لضرب مقومات الهوية الوطنية في محاولة منها لخلق واقع رافض للانتماء الحضاري العربي الإسلامي[1]، فقامت بهدم أغلب المساجد وأغلقت الباقي أو حولتها إلى كنائس وثكنات وإسطبلات ومستوصفات، ومقرات إدارية، فمدينة الجزائر لوحدها كان بها غداة الاحتلال الفرنسي لها سنة 1244هـ/1830م ما يزيد عن 160 مسجدًا وزاوية، ولم يبقى منها أواخر الفترة التي ندرسها سوى بضعة مساجد لا تصل حتى إلى عشرة[2].

كما قامت هذه الإدارة بتسليط العقاب على رجال الدين لاسيما شيوخ الزوايا والطرق الصوفية، الذين وقفوا في وجه المحتل وأبدوا مواقف بطولية، رافضين كل الرفض غطرسته وهمجيته، فخربت وهَدَّمَتْ

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ص.83.

(2) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.224.

زواياهم[1]، ووضعت حدا لنشاطهم الديني والثقافي، وسجنت بعضهم ونفت آخرين إلى مناطق نائية ومعزولة داخل الوطن وخارجه، وفرضت على أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة، وأرغمت بعضهم على الجوسسة لصالح السلطة الأمنية الفرنسية[2].

وحتى أولئك الشيوخ الذين التزموا الحياد ولم ينخرطوا في صفوف المقاومة الوطنية، تعرض أغلبهم ـ إن لم نقل كلهم ـ إلى التضييق والمتابعة، وأصبحوا تحت المراقبة المشددة للإدارة الفرنسية[3]، التي لاحقتهم وتابعتهم قضائيًا في كثير من الأحيان، بحجة إشرافهم وإنشائهم لمؤسسات دينية بدون ترخيص من السلطة الفرنسية، وهو ما كان سببًا في مصادرة أملاكهم الوقفية كالأراضي الزراعية والمتاجر التي كانت تمول تلك المؤسسات[4].

وبعد ثورة 1285هـ/1871م اعتقدت سلطة الاحتلال الفرنسي أن شيوخ الزوايا والطرق الصوفية قد حلوا في الأهمية عند الأوساط الشعبية الجزائرية، محل الأجواد وزعماء العشائر نتيجة ضعف هؤلاء من جراء قانون الأرض سنة 1277هـ/1863م-1287هـ/1873م وما يعرف بعهد المملكة العربية، وأن استقلال هؤلاء الشيوخ عن الإدارة الفرنسية ورفضهم العمل عندها، يعد خطرًا كبيرًا ويجعلهم محل الشك والريبة في ولائهم لها[5].

ولذلك قررت هذه السلطة مراقبتهم عن قرب، وعن كثب بالتحكم في مداخيلهم المادية، ومنعهم من التنقل أو جمع الصدقات وأموال الزيارات إلا بترخيص منها، والغرض من ذلك هو إشعارهم بتبعيتهم لها[6]، وللحصول على هذا الترخيص لابد على هؤلاء الشيوخ أن يتقدموا بطلب إلى الجهات المعنية، يذكرون فيه الهدف من الزيارة بدقة تامة، ويحددون خط السير مع التزامهم بضرورة المرور بالجزائر العاصمة[7]، وتتولى هذه الجهات بدورها النظر في هذا الطلب ثم تبدي رأيها بالموافقة أو الرفض، وغالبا ما تكون الإجابة بالرفض لاسيما إن كان صاحب الطلب من غير المقربين من السلطة، أو من المشكوك في أمرهم ونواياهم.

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ص.83.

(2) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.224.

(3) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ص.84.

(4) يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جـ.1، ص.224.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص-ص.325-326

(6) شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919**، نقله إلى العربية م. حاج مسعود وأ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، جـ.1، ص-ص.262-263

(7) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.326.

كما أن هناك أطراف أخرى قد تتدخل وتمنع السلطة من منح الترخيص، مثلما حدث مع الحاكم العام شانزي Chanzy سنة 1292هـ/1878م حينما ضغط عليه نواب الكولون ومنعوه من إعطاء الامتيازات لشيوخ الزوايا والطرق الصوفية، عدا شيخ الطريقة التجانية بزاوية تماسين الذي تقرر إعفاؤه دون غيره من هذا المنع، بدعوى أن نفوذه وتأثيره يخدم القضية الفرنسية في الجزائر وخارجها[1].

ومع هذا التضييق والتشديد ومنع جمع الزيارات كان من الطبيعي جدًا أن نجد أغلب الشيوخ، يلجئون إلى طرق وحيل خفية للإفلات من رقابة الإدارة، والقيام بعملية جمع الأموال والصدقات، وإن كانت هذه الطرق والحيل في أغلبها مكشوفة ومعلومة لدى سلطة الاحتلال، التي تغض الطرف وتتسامح في بعض الأحيان[2]، لاسيما مع من لا يثيرون حفيظتها ولا يشكلون عليها خطرًا.

وقد لعب الجواسيس دورًا كبيرًا في كشف تلك الأساليب والحيل الخفية التي كان يستعملها من يجمع الزيارات من دون ترخيص، وكمثال على ذلك نجد أن في سنة 1313هـ/1899م، قام المسمى أحمد بن الحاج إبراهيم الشابي المقيم في توزر بتونس، بإخطار الحاكم العسكري الفرنسي في خنشلة بالجزائر عن قدوم المسمى عمار بن عمارة الشابي من توزر بتونس إلى جبال ششار بخنشلة، بغرض جمع الزيارات بلا تسريح ـ بلا رخصة ـ وهذا بأمر من المسمى سي سعيد بن عمار، لأن هذا الأخير صدر في حقه أمر من قبل السلطات الفرنسية بعدم دخوله إلى عمالة قسنطينة، وهو ما جعله يرسل مكانه عمار بن عمارة الشابي[3].

أما الشيوخ الذين تربطهم علاقات جيدة بالسلطة الفرنسية، ويحسنون بها الظن ويعتقدون أنها ستوافق على طلبهم وترخص لهم بجمع الزيارات، فكانوا يتقدمون بطلبهم وينتظرون الموافقة مثلما فعل أحمد بن محمد بن أحمد التجاني شيخ زاوية عين ماضي الذي بعث برسالة سنة 1294هـ/1880م إلى الحاكم العسكري الفرنسي بالمدية، يعلمه فيها أنه طلب من الضابط السامي في الأغواط الترخيص له لبعث ثلاثة أشخاص من أحباب طريقته لكي يقوموا بجمع غلة أملاك الزاوية[4]، وكذلك فعل أحمد بن

---

(1) شارل روبير أجرون، **المرجع السابق**، جـ.1، ص–ص.563-564

(2) شارل روبير أجرون، **المرجع نفسه**، جـ.1، ص.563

(3) ينظر: **ملحق رقم (17).**

الغريب في الأمر هو أن المعلومات الواردة في هذا الإخطار تعد سرية، وتستوجب أخذ كل الحيطة والحذر عند إرسالها للجهات المعنية، وهذا حتى لا يفتضح أمر هؤلاء الجواسيس المتعاونين مع سلطة الاحتلال الفرنسي، مما قد يعرض حياتهم للخطر، إلا أن هؤلاء الجواسيس كانوا يبلغون هذه السلطة عن كل صغيرة وكبيرة عن طريق البريد العادي !. ينظر: **ملحق رقم (18).**

(4) ينظر: **ملحق رقم (19).**

عمر بن علي بن عمر أخ شيخ زاوية طولقة وتقدم بطلب إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر سنة 1302هـ/1888م، لكي يرخص لابنه لزيارة أعراش الجلفة والأغواط، ويُذَكِرُهُ بأنه وعائلته خدام الدولة الفرنسية ومحسوبين عليها[1]، ونعتقد أن في هذا التذكير نوع من الاستعطاف حتى يوافق على طلبه ولا يرفضه.

وقد ألحقت هذه السياسة الاستعمارية المتشددة اتجاه أتباع التيار الصوفي، أضرارًا مادية جسيمة ومعتبرة بأغلب شيوخ الزوايا والطرق الصوفية إلى درجة أضحى بعضهم غير قادر على تلبية متطلباته المعيشية، مما اضطره إلى رهن أملاكه، وبذلك يكون قد فقد سنده المادي الذي هو مصدر نفوذه لدى أتباعه الذين لم تعد لهم معه زيارات دورية، مما أدى بمرور الوقت إلى فتور العلاقة بين الطرفين، وتسبب في تسيب الأتباع وتشتتهم بعد ضعف الرابطة الروحية التي كانت تجمع بينهما[2].

2-1- تراجع قاعدته الشعبية:

الإحصائيات التي قدمها كل من لويس رين Louis Rinn سنة 1298هـ/1884م وديبون Depont وكوبولاني Coppolani سنة 1311هـ/1897م تشير إلى أن عقد الثمانينات والتسعينات من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي قد شهد نموًا سريعًا في عدد الزوايا والمقدمين والأتباع[3]، وهذا غير مستبعد لأن الطرق الصوفية وزواياها كانت تمثل في تلك الفترة مركزًا دينيا متكاملاً، تنبثق منها التوجيهات المؤطرة والمنظمة للحياة العامة للأهالي الذين ازدادت ثقتهم بهذه الزوايا، وازداد تمسكهم بها، وكانوا يقدمون لها الهبات والصدقات والمساعدات، وفي المقابل كانوا ينتظرون منها ومن شيوخها الحلول التي تخرجهم وتنجيهم من الأوضاع المزرية التي كانوا يعيشونها في شتى المجالات، وفي مختلف نواحي الحياة[4]، وعليه فإن هذا النمو السريع يعد منطقي وطبيعي.

إلا أن بعض الدراسات التي اهتمت بالموضوع أشارت إلى عكس ما ورد في الإحصائيات السابقة، فمثلا شارل روبير أجرون Charles Robert Ageron يقول: (ولقد أفضى إحصاء سنة [1309هـ]1895م إلى أرقام لم تقدم بصفة ملائمة: 295.189 مريد أو عضو منتظم منهم 221.141 إخوان و27.172 امرأة. وإذا نظرنا إلى عدد الرجال من الأعضاء المسجلين فإننا نحصل على نسبة

---

[1] ينظر: **ملحق رقم (06).**

[2] التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص.245

[3] Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p.549 ; Octave Depont et Xavier Coppolani, **Op.cit**, Introduction.

[4] سعيدي مزيان، **السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل...**، جـ.2، ص-ص.248-249

5.92% من عدد السكان المسلمين الإجمالي. ويمكن أن نأخذ هذه النسبة مأخذ الجد بما أنها لم تتغير إلى غاية [1353هـ]1939م بل إلى غاية [1364هـ]1950 حسب بعض المعلومات 489.000 عضو أي نسبة 5.78% من مجموع السكان. وهكذا، إذن لم تعرف حركة الإسلام الطرقي أي تطور منذ سنة [1294هـ]1880م بخلاف ما كان يظنه بعض الإداريين)[1].

بل إن لويس رين Louis Rinn ذاته أشار إلى أن دائرة تيارت (تيهرت) كانت في سنة 1265هـ/1851م تضم 2325 من الإخوان التابعين للطرق الصوفية، أما في سنة 1296هـ/1882م، فلا يوجد منهم سوى 578 إخوانيا[2]. كما أن جل المعطيات توحي أن عدد الإخوان أو الأتباع المنتمين للطرق الصوفية لابد أن يكون قد تناقص أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي، أو على الأقل خلال العقد الأخير منه.

فبانتهاء ثورة المقراني سنة 1285هـ/1871م وما أعقبها من تطبيق مجحف لقانون الأهالي التعسفي (كود الأنديجينا Code de L'indigenat) الذي استبدلت به إدارة الاحتلال الفرنسي تنظيم المكاتب العربية، مما ألحق أضرارا كبيرة لاسيما بسكان المناطق النائية والأرياف في الشرق الجزائري، وعمل على تفكيك بنيتهم الاجتماعية وهياكلهم الاقتصادية[3]، أصبح من الواضح جدًا أن التيار الصوفي لم تعد له قوة المقاومة والصلابة التي تمتع بها عدة سنين، ولم يعد يشكل خطرًا على السلطة الفرنسية، لأن الطرق الصوفية الممثلة لهذا التيار أضحت غير قادرة على الثورة الجماعية، وإذا كان بمقدور بعض هذه الطرق أن تتوحد وتثور وتتصدى للمحتل في وقت ما من الأوقات، فإنها مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، تشتت وتبعثرت جهودها وقد حل التنافس بينها محل التفاهم والتآزر والاتحاد، وتغلبت المصالح الشخصية والمادية عند أغلب شيوخها على مصالح الطريقة، وهذا ما تسبب في تشتت وتفرع معظم الطرق الكبيرة إلى عدة فروع، وأدى إلى ضعفها وتراجع قاعدتها الشعبية.

فالطريقة الرحمانية التي قادت عدة ثورات ازدادت شهرتها وتعالى صيتها وتعاظم شأنها بين الأهالي بعد ثورة 1285هـ/1871م، لكنها ما لبثت أن انقسمت بعد ذلك على نفسها وتفرعت إلى عدة فرق

---

(1) شارل روبير أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2008، ج.2، ص-ص.280-281

(2) Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p.19

(3) ناصر الدين سعيدوني، **الشرق الجزائري (بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف)**، تقديم وتعليق وترجمة ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص.140

وشيع[1]، فقد قال عنها ديبون Depont وكوبولاني Coppolani أن عدد مريدها يبلغ 160.000 منقسمين إلى ما يزيد عن 25 فرعًا، وهي قوة عظمى، لكن بما أنها لا تملك قيادة موحدة فهي أصبحت تتلاشى شيئا فشيئًا، وسينتهي أمرها إلى الزوال أجلاً أو عاجلاً[2].

كما لا ننسى أن طرق أخرى كالتجانية فضلت منذ الوهلة الأولى أن ترتمي في أحضان المحتل الفرنسي وتقف في صفه، لتلتحق بها مع أواخر ذلك القرن طرق أخرى أو بعض فروعها التي كانت بالأمس القريب تحسب على تيار المقاومة والممانعة، وهذا ما أثر سلبًا على هذه الطرق وأدى إلى تراجع قاعدتها الشعبية التي فقدت ثقتها فيها، فقد لاحظ لويس رين Louis Rinn أن الطرق الصوفية التي تحالفت مع فرنسا ظلت بدون تطور، وفقدت حيويتها وانخفض عدد أتباعها لأن الخدمات التي قدمها رؤساؤها للفرنسيين قد أضرت بهم لدى المخلصين من قومهم[3].

وكان ابن علي الشريف شيخ زاوية شلاطة القادرية[4]، قد انساق وراء الفرنسيين وخضع لهم فانحط قدره نتيجة ذلك لدرجة أن نفوذه كان يتناقص من سنة إلى أخرى، وضاعت هيبته، وتفرق أتباعه، فتضاءلت بذلك الموارد المالية التي كانت تدرها عليه صدقاتهم[5].

ولا يخفى علينا أن معظم هذه الطرق طبق عليها الحصار وضيق عليها الخناق ـ كما رأينا سابقا ـ وحرمت من مواردها المالية كالزيارات، التي تعد من أهم عوامل قوتها ونفوذها، كما تم أيضا حضر الاتصالات الدورية بين شيوخها وأتباعهم، وليس من المعقول والحال هاته أن يزداد أعداد أتباعها، لاسيما بعد أن أصبحت هذه الطرق غير قادرة على تلبية حاجيتها الخاصة، واتضح أنها عاجزة عن ايجاد الحلول التي انتظرها منها أغلب الجزائريين، مما قد يكون خيب آمالهم فيها وجعل بعضهم يصرف النظر عنها وعن الارتباط بها، ويفكر في الهجرة إلى خارج الوطن، وربما هذا ما يفسر زيادة عدد المهاجرين الذين غادروا أرض الوطن عقب ثورة 1285هـ/1871م وتفرقوا على مختلف البلدان العربية، لاسيما المشرقية منها، فعلى سبيل المثال استقبلت بلاد الشام في الفترة الممتدة من 1285هـ/1871م إلى 1314هـ/1900م عدد كبير من العائلات والأسر الجزائرية التي هاجرت من مناطق بجاية والبويرة وتيزي

---

(1) شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919**، جـ.1، ص.921.

(2) Octave Depont et Xavier Coppolani, **Op.cit**, p, p.247-412

(3) Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p.19

(4) سعيدي مزيان، **السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل...**، جـ.2، ص.250.

(5) شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871**، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2008، جـ.1، ص.806.

وزو، وكذلك من مناطق الشاوية في جبال الأوراس، وجبل سيدي رغيس وغيرها والتحقت بمن سبقها في سيل الهجرة منذ 1261هـ/1847م [(1)].

والشيء الذي لفت انتباهنا في هذه الهجرة هو أن المناطق التي هاجرت منها هذه العائلات والأسر، هي مناطق انتشار الطريقة الرحمانية والطريقة القادرية، وهذا ما يعني أن هاتين الطريقتين وهما من أكبر وأقوى الطرق الصوفية في الجزائر، وقد تزعمتا المقاومة الوطنية ضد المحتل الفرنسي خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، قد تأثرتا سلبًا من هذه الهجرة التي تسببت لا محال في تراجع أعداد أتباعهما.

ولا ننسى أن الجزائر تعرضت خلال الفترة الممتدة من 1275هـ/1861م إلى 1308هـ/1894م إلى عدة أمراض وأوبئة خطيرة ومعدية، حصدت أرواحًا كثيرة من الجزائريين، وكمثال على ذلك وباء التيفوس الذي ضرب بشدة خلال هذه الفترة وعانى منه سكان الساحل والهضاب من الشرق إلى الغرب، وصاحبه مرض الجدري الذي أصاب سكان قسنطينة ومعسكر ودلس وبني سليم في الفترة الممتدة من 1279هـ/1865م إلى 1294هـ/1877م[(2)]، ومن المؤكد أن الضحايا كانوا من أتباع الطرق الصوفية ومن غيرهم، لاسيما وأن بؤر انتشار هذه الأمراض والأوبئة غالبا ما كانت هي المناطق الريفية والنائية التي تعتبر معقلاً لهذه الطرق، وهذا ما يعني مرة أخرى أن عدد الإخوان والمريدين كان يتناقص بمرور الوقت.

ويمكن القول أن جل المعطيات التاريخية تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى أن القاعدة الشعبية للتيار الصوفي، كانت في تراجع مستمر أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وازدادت وتيرة هذا التراجع مع حلول العقد الأخير من هذا القرن، وهذا ما يعني أن هذا التيار قد دخل آنذاك مرحلة الضعف والتقهقر، وما هذه المعطيات والمؤشرات إلا مظهر من مظاهر هذا الضعف والوهن الذي أصابه.

ونحن بدورنا نرجح أن يكون هذا هو حال أغلب الطرق الصوفية في تلك الفترة لاسيما وأن الجزائر حينها كانت تشهد إرهاصات تغير العقليات، وإقبال المجتمع على تطورات جديدة لا عهد له بها، حيث لا يمكن لأتباع التيار الصوفي أن يقفوا في وجهها أو يتصدوا لها.

---

(1) سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام (صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال)**، منشورات الحضارة، الجزائر، ط.1، 2013، ص.152.

(2) فلة موساوي القشاعي، **المرجع السابق**، ص، ص.212، 262

2- أسباب الضعف:

وهي كثيرة ومتنوعة، ولا يمكن إرجاعها كلها إلى الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيشها الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي وهي عوامل خارجية، وإنما ترجع أيضا إلى خصائص تتعلق بالتيار الصوفي ذاته، بالإضافة إلى بعض المستجدات التي طرأت عليه، وهي كلها عوامل داخلية:

2-1- الأسباب الخارجية:

ونقصد بها تلك التي تخرج عن نطاق التيار الصوفي، وتعود إلى أطراف خارجية وبالدرجة الأولى إلى سلطة الاحتلال الفرنسي.

ويمكن حصر تلك الأسباب فيمايلي:

2-1-1- توظيف الطرق الصوفية وتدجينها:

لقد أدركت السلطة الفرنسية بعد مرور أربعة عقود من احتلالها للجزائر، أن رؤساء وشيوخ الطرق الصوفية قد حلوا في الأهمية محل الأجواد وزعماء العشائر، نتيجة ضعف هؤلاء من جراء قانون الأرض سنة 1277هـ/1863م-1287هـ/1873م وما يعرف بعهد المملكة العربية[1]، وأن الطرق التي تعرضت للتنكيل والاضطهاد كالطريقة الرحمانية والدرقاوية لم تتأثر كثيرا ولم تختفي من حياة الجزائريين كما كانت تنتظر وتعتقد، وهذا ما جعل جول كامبون Jules Cambon الذي عين في منصب حاكم عام للجزائر سنة 1305هـ/1891م، يقرر خلال فترة حكمه التي دامت ست سنوات ونصف، إتباع سياسة التهدئة مع الطرق المصنفة عدوة والتقرب منها، والعمل على استمالة زعمائها وشيوخها[2]، لاسيما وأن هذه السياسة قد نجحت مع بعض الطرق خلال العقد الثاني من الاحتلال.

فقد تمكنت السلطة الفرنسية من استمالة محمد الصغير التجاني شيخ الطريقة التجانية سنة 1258هـ/1844م[3]، وسي محمد بن سيدي بن عباس شيخ الزاوية القادرية بمنعة في جبال الأوراس سنة 1259هـ/1845م، الذي عينته في منصب القايد[4]، وأصبح بذلك يجمع بين وظيفتين إحداهما دينية صوفية والأخرى إدارية دنيوية، كما تمكنت أيضا من استمالة سيدي حمزة أو سي حمزة ـ كما يعرف ـ كبير أولاد سيدي الشيخ، وقلدته وظيفة خليفة سنة 1264هـ/1850م[5]، وأصبح بذلك من أوائل زعماء

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.325-26.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.327-328

(3) إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، ص-ص.102-103

(4) Abd Elhamid Zouzou, **op.cit**, T.1, p.219

(5) س. تروملي، **المصدر السابق**، ص.121

التيار الصوفي الذين يتقلدون وظيفة رسمية لدى السلطة الفرنسية، واستمالت أيضا سي عزيز بن الشيخ الحداد وقلدته وظيفة إدارية ومنحته وساما فكان يحمل السبحة في عنقه والوسام على صدره[1]، وهذا قبل أن ينقلب على هذه السلطة وينظم إلى صفوف المجاهدين أثناء ثورة المقراني سنة 1285هـ/1871م.

حاول جول كامبون Jules Cambon جاهدًا ربط علاقات ودية مع أكبر الطرق الصوفية في الجنوب الجزائري، كالطريقة الطيبية والشيخية والقادرية، فبادر منذ سنة 1305هـ/1891م إلى استضافة شيخ الزاوية الطيبية، مولاي عبد السلام وابنه مولاي العربي، كما تمكن سنة 1306هـ/1892م من التحالف مع سيدي قدور زعيم أولاد سيدي الشيخ المنشقين[2]، وتفاوض مع الشيخ بوعمامة وهو من أولاد سيدي الشيخ، وعرض الوظائف على أغلب زعماء الطرق الصوفية لاسيما الدرقاوية والرحمانية، وسلم لرؤساء هذه الطرق وغيرها برانيس وأوسمة، وحرص على إقامة احتفالات تأبينية لمن يموت منهم كالذي أقامه لسيدي أحمد التجاني والشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي[3]، وفي الكلمة التأبينية التي ألقاها في الحفل التأبيني لسيدي أحمد التجاني، نوّه بإخلاص هذا الأخير للدولة الفرنسية ووقوفه إلى جانبها، كما نوّه بالطريقة التجانية عامة التي لم ينقطع إخلاصها ــ على حد تعبيره ــ لفرنسا[4].

2-1-2- الجوسسة على الطرق الصوفية:

لقد جندت السلطة الفرنسية الجوسسة منذ وقت مبكر لتحقيق مآربها، فنشطت مخابراتها نشاطا ملحوظا لاسيما على عهد بيجو Bugeaud أين أصبحت المكاتب العربية عبارة عن خلايا جوسسة تتلقى التقارير، وتتسمع في الأسواق وغيرها من الأماكن العامة على الجزائريين وتلتقط أسرار وتحركات رجال المقاومة الوطنية، وتحاول معرفة كلمات السر عندهم وعند الطرق الصوفية[5]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل استطاعت هذه السلطة أن تزرع جواسيسها في صفوف بعض الطرق فكانوا ينقلون لها كل كبيرة وصغيرة عنها، وعن ما يدور في مجالسها.

فقد اخترقت صفوف الأمير عبد القادر وزرعت جاسوسها ليون روش Léon Roches الذي تظاهر باعتناقه للدين الإسلامي، وادعى أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر، وكان ينقل لها من

---

(1) ينظر: **ملحق رقم (38).**

(2) شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919**، جـ.1، ص.918.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.328.

(4) A.O.M (G.G.A) 16H49.

(5) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص–ص.235–236

معسكر الأمير عبد القادر أسراره العسكرية والإستراتيجية، بل وأسراره الشخصية أيضا[1]، وتمكنت أيضا من إيقاع بعض شيوخ الطرق الصوفية في زيجات الزواج من الفرنسيات اللواتي أصبحن بمثابة أعينها على هؤلاء الشيوخ، وعلى طرقهم ومريديهم.

وكان جواسيس السلطة الفرنسية ينتشرون في كل المناطق والبقاع بما في ذلك الدول المجاورة كالمغرب وتونس، وكانوا يمدونها بكل المعلومات عن تحركات أتباع الطرق الصوفية في هذه البلدان، وعن علاقاتهم بإخوانهم وأتباعهم في الجزائر، وكانت التقارير تصل بصورة دورية إلى رؤساء المكاتب العربية وممثلي السلطة الفرنسية هنا في الجزائر من قبل هؤلاء الجواسيس، الذين هم في أغلبهم من أتباع بعض الطرق الصوفية كالشابية[2].

والأرشيف الفرنسي بمدينة مارسيليا يحتفظ لنا بعدد هائل من هذه التقارير التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، التقرير الذي بعث به سنة 1313هـ/1899م المسمى أحمد بن محمد الشابي إلى الحاكم العسكري بعمالة قسنطينة، ويتضمن معلومات عن شخص يبدو أنه من أتباع الطريقة الشابية يدعى الحاج محمد بن إبراهيم الشابي، وهو من توزر الجريد بتونس، وهذه المعلومات تتحدث عن سفر هذا الشخص في تلك الفترة من مقر سكناه بتوزر إلى وادي سوف في الجنوب الجزائري، بقصد أخذ الزيارات وإعطاء الأوراد، وبعد ذلك يتوجه إلى جبال ششار في خنشلة، وإلى عرش النمامشة في تبسة لذات الغرض وهو مرفوق بمقدمين وشواش ليعطوا الطريقة، ويضربون وراءه البندير ويتجمع حوله الناس، فيلقي عليهم الأخبار غير اللائقة ويخوض معهم في أمور الديانة، وقد جعل خراجًا على الأعراش المذكورة سابقا يستخلصه منهم كل سنة[3].

وهناك أيضا تقرير آخر بعث به المدعو بنجد بن الحاج الشابي مقدم الطريقة الشابية في توزر بتونس ــ كما ورد في التقرير ــ إلى الحاكم العسكري الفرنسي بعمالة قسنطينة، يطلعه فيه عن دخول نفر من توزر إلى جبل ششار في خنشلة بالجزائر، ويطلب منه أن يعتقلهم ويسجنهم كما وعده أثناء اللقاء الذي جمعهما في سوق أهراس بالجزائر. وهؤلاء النفر هم: سعيد بن عمار الشابي، محمد بن بلقاسم الشابي، بلقاسم بن حامد الشابي، بورقعة بن سعيد الشابي[4].

---

(1) يوسف مناصرية، **المرجع السابق**، ص-ص.26-27

(2) كان أتباع الطريقة الشابية الذين وظفتهم السلطة الفرنسية كجواسيس لصالحها يقدمون معلومات في بالغ الأهمية عن إخوانهم في الطريقة التي ينتمون إليها.

(3) ينظر: **ملحق رقم (21)**.

(4) ينظر: **ملحق رقم (22)**.

2-1-3- مراقبة الزوايا وتضييق الخناق عليها:

لقد تفطن خبراء الاحتلال الفرنسي منذ وقت مبكر لدور الزوايا في المقاومة الوطنية، وأدركوا أهميتها الكبرى في تأجيج الانتفاضات والثورات ضد السلطة الفرنسية، حيث كلفت اللجنة العلمية حول المقاومة الجزائرية أحد أعضائها وهو النقيب إدوارد دونوفو Edward de noveu بدراسة تنظيم الزوايا والطرقية[1]، وقد توصل في بحثه الذي نشره سنة 1259هـ/1845م بعنوان الإخوان Khouans إلى أن الزوايا هي مراكز للتآمر ـ حسب رأيه ـ وإشعال فتيل التمرد، وهي معادية للوجود الفرنسي وتحظى بكثير من الاحترام والتقدير بين الجزائريين[2]، وعليه رأت السلطة الفرنسية أن تضييق الخناق هو الوسيلة العملية للسيطرة عليها[3]، ومراقبتها وجمع أكبر قدر من المعلومات عن نشاطها الداخلي وعلاقتها بمحيطها المباشر[4].

ولتحقيق هذا الغرض طلبت هذه السلطة من جميع موظفيها المدنيين والعسكريين لاسيما ضباط المكاتب العربية، إفادها بمعلومات عن هذه الزوايا تتضمن وصف لها واثبات صورتها، وتاريخ تأسيسها وهل تؤدي أيضا دور ووظيفة المدرسة، وهل فيها مسجد للصلاة، وهل هي مؤسسة اجتماعية للاحسان وإيواء الفقراء والمحتاجين، وعابري السبيل والضيوف. وأما شيوخها فلابد من تقديم جملة من البيانات والمعلومات عنهم تمس حتى العظم والمخ، تبدأ بمعلومات شخصية مع وصف دقيق لحياتهم ومؤهلاتهم وصفاتهم، وأملاكهم بالإضافة إلى صورهم، ثم يأتي بعد ذلك الإفصاح عن تأثيرهم الديني في الداخل والخارج[5]، ويمكن أن نستشهد هنا بذلك الملف الذي عثرنا عليه في أرشيف ما وراء البحار بمرسيليا، ويخص الزاوية القاسمية بالهامل وهو يتضمن معلومات جد دقيقة عن هذه الزاوية، وعن لالا زينب التي

---

[1] محمد العربي ولد خليفة، **الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص.236.

[2] إدوارد دونوفو، **المصدر السابق**، تقديم الكتاب، ص-ص.72-73

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.287.

[4] محمد العربي ولد خليفة، **المرجع السابق**، ص.237.

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص-ص.313-314

تولت مشيختها من 1311هـ/1897م إلى 1318هـ/1904م بعد وفاة والدها المؤسس محمد بن أبي القاسم الهاملي، كما يتضمن الملف أيضا صورتين إحداهما للزاوية والأخرى للسيدة لالا زينب[1].

ولم تكتف السلطة الفرنسية بهذه الإجراءات، بل قامت بمنع الزوايا من نشر التعليم العام، وفرضت عليها برنامج ضيق لا يتعدى تحفيظ القرآن الكريم دون تفسيره، أو تعليم قواعد اللغة وأصول الدين دون فهم، وأنشأت المدارس الفرنسية في المدن ثم الأرياف لتسحب التلاميذ من الزوايا[2]، كما فرضت على مدارس الزوايا المرخص لها بالتدريس أن لا تفتح أبوابها للتلاميذ خلال أوقات الدراسة الرسمية في المدارس الابتدائية الفرنسية[3]، وأكثر من ذلك اشترط مرسوم 18 أكتوبر 1306هـ/1892م الذي أدمج تعليم الزوايا في المدارس الابتدائية الفرنسية، أن يكون لكل زاوية سجل تسجل فيه أسماء التلاميذ وعائلاتهم، ومحل إقامتهم وتاريخ ميلادهم بنفس الطريقة التي تعمل بها المدارس الفرنسية[4].

لكن أخطر ما في الأمر أن هذه السلطة أصبحت تتدخل حتى في تعيين شيوخ بعض الزوايا، دون مراعاة الشروط العلمية والدينية التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى مشيخة الزاوية[5]، وحتى أولئك الذين ينتخبهم أتباعهم أو يوصي بهم من سبقهم قبل وفاته، فلابد عليهم أن ينالوا موافقة ورضى هذه السلطة، وإلا سيصبحون من المغضوب عليهم، وقد لا يدوم بهم الحال طويلا في مناصبهم.

وعليه نجد أن إخوان الطريقة الحنصالية في قسنطينة، قد تقدموا سنة 1309هـ/1895م بطلب إلى السلطة الفرنسية لكي توافق على تعيين أحد إخوان الطريقة والمسمى ابن الشيهب أحمد بن دحمان في منصب قيم على الزاوية الحنصالية بقسنطينة، خلفًا للمسمى حبيباتني الطاهر بن الشهيب الذي بلغ به الكبر عتيًا، ونال منه المرض وأصبح غير قادر على أداء مهامه في الزاوية[6].

---

(1) A.O.M (G.G.A) 16H61.

من يشاهد تلك الصورة الفوتوغرافية التي أخذتها السلطات الفرنسية للشيخة لالا زينب وهي جالسة في محل إقامتها وتمسك بسبحة في يدها اليمنى وبمروحة في يدها اليسرى، سيدرك أن هذه المرأة العالمة الجليلة ستظل راسخة في ذهنه وتتراءى أمام بصره بحدة نظرتها وقوة حظورها ومكانتها في المجتمع، وبلباسها الجزائري التقليدي الأصيل المستمد من الدين والتراث الإسلامي والموروث الصوفي. ينظر: **ملحق رقم(37).**

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.3، ص.173.

(3) شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919**، جـ.1، ص.569.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.3، ص.176.

(5) سعيدي مزيان، **السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل...**، جـ.2، ص.182.

(6) جميلة معاشي، **الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية بقسنطينة...**، ص.129.

وفي سنة 1310هـ/1896م توفي أحمد بن الكبير بوحجاجة شيخ الزاوية الكرزازية المتواجدة في الجنوب الغربي للجزائر، فبادر خليفته عبد الرحمان بن محمد بإخطار الجنرال الفرنسي حاكم العين الصفراء بالوفاة وتوليه مشيخة الزاوية خلفا للمرحوم، وتعهد له بأن يبقى وفيًا للفرنسيين وأن يتبع سيرة سلفه وسياسته معهم[1].

وقبل وفاة محمد بن أبي القاسم الهاملي شيخ زاوية الهامل، كانت السلطات الفرنسية تلح عليه لكي يقوم بتعيين خليفته، وكانت تقصد ابن أخيه الحاج محمد بن بلقاسم، وقد رضخ لطلبها تحت الضغوط وكتب وصية بعث بها إلى رئيس المكتب العربي في بوسعادة، تنص على أن ابن أخيه الحاج محمد هو خليفته، لكن ابنته لالا زينب اعترضت على هذه الوصية بعد وفاة والدها، وقالت إن السلطات الفرنسية قد استصدرتها من والدها تحت الضغوط، وهو في حالة لا يملك معها قواه، ودخلت في نزاع مع رئيس المكتب العربي، ومع ابن عمها إلا أنها استطاعت أن تنتصر عليهما في نهاية المطاف، وتتولى هي مشيخة الزاوية التي أدارتها بنجاح إلى غاية وفاتها سنة 1318هـ/1904م[2].

وقد سبق للسلطة الفرنسية أن مارست سياسة شد الخناق على رقبة شيوخ الزوايا منذ وقت مبكر ولم تميز في ذلك بين من هو عدو ومن هو صديق، فمثلا نجدها شددت المراقبة على الشيخ الشارف ولد الجيلاني عبد الله بن طكوك الذي كان يتولى مشيخة الزاوية السنوسية بمستغانم، وقامت باعتقاله عدة مرات، وسجنته عدة سنين كانت إحداها سنة 1290هـ/1876م بعد أن استولت على كل ما هو موجود في زاويته بحجة تورطه في عملية اغتيال، وتخزينه أسلحة داخل هذه الزاوية، لتتراجع فيما بعد وتقول أنه برئ دون محاكمة[3]، وقد كانت تفعل معه كل هذا لكونه ينتمي لطريقة تعتبرها هذه السلطة عدوة لها، وتشكل خطرًا على كيانها.

لكن في الوقت ذاته نجد أن هذه السلطة قد قامت بفرض الإقامة الجبرية على حليفها من أولاد سيدي الشيخ الخليفة حمزة حامل بركة جده والشيوخ المتسلسلين منه، وقد كان موظفًا عندها على مساحات شاسعة وقبائل كثيرة، وظل في الإقامة الجبرية بوهران إلى أن توفي، مما جعل زوجته وأولاده منها يتهمون هذه السلطة بقتله غدرًا[4].

---

[1] Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, p-p.342-348 ; Octave Depont et Xavier Coppolani, **Op.cit**, p.502

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، جـ.4، ص.163.

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.325.

[4] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ.1، ص.323.

وقد فعلت الشيء نفسه مع شيوخ الزاوية التجانية في عين ماضي وهم حلفاؤها وأقرب المقربين إليها، فقد غضبت على سيدي أحمد التجاني وأخيه البشير بعد أن استقبلا في عين ماضي سنة 1283هـ/1869م زعماء ثورة أولاد سيدي الشيخ ومنهم الشيخ الأعلى، فاستدعتهما إلى العاصمة وسجنتهما هناك ثم قامت بنفيهما إلى فرنسا سنة 1284هـ/1870م وفرضت عليهما الإقامة الجبرية في مدينة بوردو، ولم تسمح لهما بالعودة إلى الجزائر إلا في سنة 1286هـ/1872م بعد أن تزوج سيدي أحمد الفرنسية أويلي بيكار Aurélie Picard. ورغم اجتهاد سيدي أحمد وتفانيه في إظهار مودته للفرنسيين وتعاونه معهم، إلا أنه ظل محل شك لدى السلطة الفرنسية التي لم تصدق براءته، فاستدعته مرة ثانية إلى مدينة الجزائر للإقامة فيها بعض الوقت، بعد أن ظهرت إشاعة مفادها أنه متورط في ثورة الشيخ بوعمامة، لكن سرعان ما ثبت لهذه السلطة أنه بريء فأطلقت سراحه[1].

2-1-4- ضغضغة وحدة الطرق المقاومة:

بعد أن تمكنت السلطة الفرنسية من التغلغل إلى عمق الخلافات التي كانت سائدة بين مختلف الطرق الصوفية، واستغلتها وفرقت بينها بعد أن سلطت بعضها على بعض، وسمحت لها ببسط نفوذها بسخاء شريطة أن تقف إلى جانبها وتروج للمشروع الفرنسي في الجزائر[2]، انتهجت سياسة جديدة ضد هذه الطرق تقوم على تفتيتها وتشتيتها، وإضعافها والاستفادة منها دون إنهاء وجودها أو مواجهتها[3]، لذلك لجأت إلى ضغضغة وحدة كل طريقة تعتقد أنها خطيرة على وجودها، بجعلها تتفرع إلى فروع، وعدم تبعية فروعها إلى قيادة موحدة أو شيخ واحد تكون سلطة القرار في يده دون غيره سواء في الحرب أو السلم. وكان ذلك هو مصير أغلب الطرق التي رفعت راية المقاومة والجهاد في وجه المحتل بمجرد أن وطأت قدماه أرض الجزائر، لاسيما القادرية والدرقاوية والرحمانية[4].

وعليه شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي نموًا سريعًا في عدد الزوايا المستقلة[5]، لاسيما التابعة للطريقة الرحمانية التي قال عنها المختصون الفرنسيون أنها قد تمزقت إلى 25 فرعا، لكل فرع شيخ مستقل لا يعترف بالآخر رغم الأصل الواحد لجميع

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص، ص.212-213، 216

(2) Abd Ehhamid Zouzou, **op.cit**, T.2, p, p.777, 779

(3) محمد الأمين بلغيث، **المرجع السابق**، ص.307.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.31.

(5) خير الدين شتره، **المرجع السابق**، ج.1، ص.390.

هذه الزوايا وهو زاوية آيت إسماعيل التي خربها الجيش الفرنسي سنة 1271هـ/1857م والمبادئ الواحدة. ومن هذه الفروع نذكر:

- فرع الهامل، وشيخه محمد بن أبي القاسم.
- فرع طولقة، وشيخه علي بن عثمان.
- فرع وادي العثمانية، وشيخه ابن الحملاوي.
- فرع أقبو، وشيخه محمد بن أبي القاسم البوجليلي.
- فرع نفطة (تونس)، وشيخه مصطفى بن عزوز البرجي.
- فرع وادي سوف، وشيخه سالم بن محمد الأعرج السالمي.
- فرع قسنطينة، وشيخه محمد السعيد باش تارزي.

إضافة إلى فروع أخرى كانت في خنقة سيدي ناجي، وخيران، وأتباع ابن طلحة في السمندو، وأتباع عمارة بوديار بالناظور[1].

2-1-5- وقوف فئة من الكتاب والمؤرخين المحليين ضد بعض الطرق:

نعتقد أن من بين الأسباب الخارجية التي أدت إلى إضعاف التيار الصوفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، هو وقوف فئة من الكتاب والمؤرخين الجزائريين في تلك الفترة ضد بعض الطرق التابعة لهذا التيار، أو ضد زعمائها وانتقادهم لأعمالهم الثورية، ونذكر من بين هؤلاء الآغا بن عودة المزاري صاحب كتاب طلوع سعد السعود، الذي وقف ضد الأمير عبد القادر وانتقد مقاومته[2].

كما نذكر أيضا الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الشقراوي الراشدي، صاحب الكُتيب الصغير(القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط) الذي اتخذ موقفا سلبيا من الشيخ بوعمامة ومن ثورته واعتبر ما قام به هذا الأخير مجرد مناورة من أجل بلوغ الرياسة والسيادة لا أكثر، كما وصفه بالسفيه الجاهل الخارج عن تعاليم الدين الإسلامي، وحمله المسؤولية الكاملة عن كل المصائب التي ابتليت بها الجهة الغربية بسبب ثورته على الفرنسيين[3].

---

[1] Octave Depont et Xavier Coppolani, **Op.cit**, p.247

[2] أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، **القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.1، 1991، ص-ص.18-26

[3] الآغا بن عودة المزاري، **المصدر السابق**، ج.2، ص-ص.210-217

لاشك أن مؤلفات هؤلاء المؤرخين التي أبدو فيها مواقفهم السلبية من بعض زعماء التيار الصوفي وتيار المقاومة الوطنية، قد أثرت في عقول وأفكار من اطلع عليها في تلك الفترة، أو على الأقل جزء منهم وجعلتهم يَتَبَنَّوْنَهَا، أو يقررون النأي بأنفسهم عن الانخراط في الطرق التي يمثلها أولئك الزعماء.

كما أن مواقف هؤلاء المؤرخين جعلت بعض الباحثين المعاصرين يتساءلون لصالح من كتبوا مؤلفاتهم ورسائلهم ؟ فعلى سبيل المثال يتساءل محمد الأمين بلغيث لصالح من كتب الشقراني رسالته بهذه اللغة وبهذا الأسلوب الذي يحط من شأن أبناء جلدته ؟[1]

ويمكننا أن نجيب محمد الأمين بلغيث ونقول أن الشقراني كتب رسالته بالدرجة الأولى لأتباع الشيخ بوعمامة، وللشعب الجزائري حتى يثبط عزائمهم وينفرهم من الشيخ ومن مقاومته وطريقته الشيخية البوعمامية، وهذا يخدم في المقام الأول مصلحة الاحتلال الفرنسي.

2-2- الأسباب الداخلية:

والمراد بها تلك الأسباب التي تتعلق بالتيار الصوفي ذاته، أي أنه هو المسؤول عنها بالدرجة الأولى دون أن يكون لأي طرف خارجي دورًا فيها، ويمكن حصرها فيمايلي:

2-2-1- تضارب الآراء والمصالح داخل الطريقة الواحدة:

تعد الخلافات والمشاحنات التي كانت تحدث بين شيوخ الطريقة الواحدة نتيجة تضارب آرائهم واختلاف مصالحهم الشخصية، أحد الأسباب الرئيسة التي ساهمت بشكل كبير في إضعاف هذه الطرق وتراجع دورها الريادي، وكمثال على هذه الخلافات والنزاعات التي كانت تحدث بين هؤلاء الشيوخ ما حدث بين شيخي الطريقة التجانية محمد البشير شيخ زاوية عين ماضي ومحمد لعروسي شيخ زاوية قمار وذلك عندما طالب الأول بنقل جثمان أخيه الشيخ أحمد التجاني الذي توفي سنة 1311هت/1897م بقمار ودفن بزاويتها، غير أن الشيخ محمد لعروسي رفض هذا الطلب وعارض بشدة هذا الاقتراح، وقد سانده في موقفه هذا أحباب الطريقة في قمار، وأبناء الحاج علي شيخ زاوية تماسين التجانية الذين قاموا بدورهم بارسال جواب إلى الشيخ محمد البشير ينصحونه فيه بضرورة العدول عن رأيه لما فيه من أضرار كثيرة ستعود عليه وعلى الطريقة بنتائج سلبية[2].

وقد امتد هذا الخلاف بين الطرفين إلى بقية أفراد العائلة، حيث تدخلت بنات سيدي أحمد التجاني وبنات سيدي محمد التجاني وعلى رأسهن لالا عويش، ولالا حلوم واتهمن صراحة في رسالة بعثن بها إلى

---

[1] محمد الأمين بلغيث، __المرجع السابق__، ص.77

[2] ينظر: **ملحق رقم (23).**

قائد المكتب العربي بتقرت السيدة أوريلي بيكار Aurélie Picard أرملة المرحوم سيدي أحمد التجاني بأنها هي من تقف وراء هذه القضية[1]، كما أن محمد لعروسي بعث بدوره برسالة إلى هذا القائد يتهم فيها المدام ـ كما ورد في الرسالة ـ التي لم يذكر اسمها إلا أنه يقصد أوريلي بيكار Aurélie Picard أنها من تقف وراء هذه الفتنة وليس الشيخ محمد البشير[2]، أما السيدة أوريلي بيكار Aurélie Picard فقد بعثت برسالة إلى لالا عويش ولالا حلوم تبرئ فيها نفسها مما نسب أو ينسب إليها، وتقول أن الشيخ محمد البشير هو المتصرف بهذا الشأن[3].

وقد أخذ الخلاف بين الطرفين في هذه القضية منعطفا آخر حيث رفع كل طرف دعوى إلى السلطات الفرنسية يدعوها إلى التدخل والوقوف إلى جانبه[4]، وعلى ما يبدو أن السلطات الفرنسية تدخلت لصالح محمد البشير وأمرت محمد لعروسي بأن يسهل مهمته، ويسمح له بنقل جثمان أخيه[5]، وبالفعل فقد قام محمد البشير بنقل جثمان سيدي أحمد التجاني من زاوية قمار إلى زاوية عين ماضي دون أي مشاكل تذكر[6].

ونعتقد أن أرملة المرحوم سيدي أحمد التجاني السيدة أوريلي بيكار Aurélie Picard كان لها دور في هذه المسألة وذلك لسببين، أولهما أنها عاتبت من بعثت إليهما بجوابها ونقصد هنا لالا عويش ولالا حلوم على عدم مراعاتهما أحوال أولاد وبنات المرحوم الذين يذرفون الدموع على وفاة والدهم، وهم لا قدرة لهم على الذهاب دائما إلى وادي سوف لزيارة قبره، وبذلك هم أولى من أي أحد بجبر خواطرهم. ثانيهما انه من غير المعقول أن يتصرف سيدي محمد البشير هذا التصرف دون أن يستشير أرملة أخيه ويأخذ برأيها، كما لا نتصور أن تتدخل السلطات الفرنسية في هذا الأمر، وتوافق على طلب محمد البشير وتنحاز إلى صفه، وتطلب من الشيخ محمد لعروسي أن يسهل له مهمته، ويسمح له بنقل جثمان أخيه دون أن تستشير في ذلك أرملة المرحوم ذات الأصول الفرنسية أوريلي بيكار Aurélie Picard.

وفي الوقت ذاته الذي حدث فيه النزاع بين شيوخ الطريقة التجانية، نشب خلاف آخر في زاوية الهامل الرحمانية ببوسعادة على إثر وفاة شيخها محمد بن أبي القاسم الهاملي بين لالا زينب بنت الشيخ

---

[1] ينظر: **ملحق رقم (24).**

[2] ينظر: **ملحق رقم (25).**

[3] ينظر: **ملحق رقم (26).**

[4] ينظر: **ملحق رقم (27).**

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.163.

[6] ينظر: **ملحق رقم (28).**

المرحوم وابن عمها الحاج محمد بن بلقاسم، وهذا الخلاف كان على منصب مشيخة الزاوية حيث كان كل واحد منهما يدعي أحقيته بهذا المنصب، وقد امتد هذا الخلاف إلى أتباع الزاوية[1]، مما جعلها تمر بمرحلة انتقالية كادت أن تؤدي بها إلى الانقسام على نفسها والتفرع إلى زوايا صغيرة.

قد أصبح بعض الشيوخ لا يقدمون المساعدة لمن يستنجد أو يستغيث بهم، حتى وإن كان من أتباع طريقتهم إلا عن طريق المقايضة، وهذا ما لاحظناه واستنتجناه من ذلك الجواب الذي بعث به الشيخ معمر بن علي التجاني شيخ زاوية تماسين سنة 1298هـ/1884م إلى سيدي محمد بن المطماطية شيخ الزاوية التجانية بقسنطينة، حيث يبدو أن هذا الأخير وقع في ضائقة مالية، فطلب العون من الشيخ معمر بن علي التجاني، غير أن هذا الأخير اشترط عليه أن تكون الإعانة التي سيقدمها له موثقة بعقد يسمح له بالاستيلاء على الزاوية في حالة ما لم يتمكن محمد بن المطماطية من تسديد ما عليه من مستحقات، ويصبح هذا الأخير ومن بعده ورثته مسيرين للزاوية فحسب لا متصرفين في شؤونها[2].

نعتقد أن الشيخ معمر بن علي التجاني أراد أن يستحوذ على زاوية قسنطينة ويجعلها تابعة روحيا وسياسيا وإداريا واقتصاديا لزاوية تماسين وفرعا لها، حتى وإن كان تظاهر في رسالته أنه لا يهدف إلى الاستيلاء على هذه الزاوية، ولا على أحبابها أو مداخيلها من الزيارات، لأنه لو لم يكن يهدف إلى ما ذكرناه هنا لما اشترط على محمد بن المطماطيه مثل هذا الشرط الذي سيصبح بلا معنى ولا قيمة إن كان لا يجسد على أرض الواقع.

2-2-2- الانحراف عن مبادئ الطريقة وتعاليم الدين الإسلامي:

في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، آل أمر أغلب الطرق والزوايا إلى شيوخ انحرفوا بها عن مبادئ الطريقة التي يمثلونها وعن تعاليم الدين الإسلامي، واتصفوا بأوصاف الربوبية فهم الذين يهبون ويمنحون ويرزقون، وهم الذين يمنعون ويقبضون ويبسطون، وهم منبع كل خير ومصدر كل شرٍ[3]، وأصبحوا يحصرون الولاية في من كان على شاكلتهم ومن ذريتهم ولو كان حظه من التعليم قليلا أو منعدمًا، وهذا ما جعلهم يترفعون عن التكاليف الشرعية، ويرخصون لأتباعهم في اتباع أهوائهم، ويضمنون الجنة لمن صَدَقَ في خدمتهم، فقد شاع عن شيخ الطريقة الحنصلية أنه سوّغ

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص.163.

(2) ينظر: **ملحق رقم (29).**

(3) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص.376.

لأتباعه الملاهي وتمتيع النفس بما تشتهي، كما شاع عن شيوخ آخرين أنهم قالوا لمن رضوا عنه من أتباعهم (إذا تعرضت للنار يتعرض لها فخذي)[1].

وبالتأكيد أن مثل هذه الممارسات التي لا تمد للإسلام بأي صلة، نفرت من الطرق والطرقيين أغلب الناس لاسيما ذوي العقول النيّرة الذين عملوا بدورهم على محاربة الطرقية المنحرفة، وحذروا العامة من خطورتها وخطورة الانتماء إليها.

2-2-3- انتشار الخرافات والبدع والشعوذة بين الأتباع:

نعتقد أن بعض الطقوس الدينية والممارسات والعادات السيئة التي انتشرت في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وكان أتباع التيار الصوفي أحد أسبابها قد ساهمت بشكل كبير في إضعاف هذا التيار، وأدت إلى تراجع قاعدته الشعبية لاسيما وأنها مخالفة للشرع ومنافية للمنطق كزيارة القبور والأضرحة والتبرك بأصحابها، أو ذبح النذر وتعليق التمائم وادعاء بعضهم القدرة على التنبؤ بالغيب وإشفاء المرضى من جميع الأمراض بغض النظر عن كونها جسدية أو نفسية، ولا غرابة إن قلنا أن من هؤلاء من كان ولا يزال في نظرنا من رجال القلم والسيف، إذ أنهم حملوا على عاتقهم لواء نشر العلم والتعليم بين أبناء الشعب الجزائري في أحلك الظروف، كما حملوا راية الجهاد ضد المحتل الغاشم وإن كنا سنذكر بعضهم فإننا لا نحط من شأنهم ولا ننقص من أعمالهم الجليلة شيئا، لأنه مهما قيل عنهم أو عن أفعالهم فهم في آخر المطاف ـ حسب اعتقادنا ـ قد صدقوا النيّة لله واخلصوا للدين والوطن، لكن ذلك لا يمنعنا من أن نكون موضوعيين ونلتزم بالأمانة العلمية وهذا ما يقتضيه علينا الواجب كباحثين، فنشير إلى ما قيل أنهم قد أخطئوا فيه إن لم يكن ذلك قد نسب إليهم أو لفق لهم بهتانا وزورًا من قبل سلطات الاحتلال أو من منافسيهم أو معارضيهم من بني جلدتهم.

ومن هؤلاء الطرقيين نذكر الشيخ بوبغلة الذي قيل أنه نصب خيمة في سوق سور الغزلان، وكان يقوم بكتابة التمائم[2]، ويداوي المرضى، ويمارس مهنة التنجيم[3]. وكذلك الثائرة والزعيمة المشهورة لالا فاطمة نسومر مقدمة زاوية ورجة الرحمانية بمنطقة جرجرة التي قيل عنها أنها كانت تدعي المعرفة بالغيبيات[4]. أما سي الصادق بن الحاج زعيم ثورة 1272هـ/1858م فقد ذكر لأتباعه في الرسائل التي

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، **المرجع السابق**، ص-ص.254-256

[2] جمع تميمة وهي ما يعلق على الإنسان لدفع الآفات عنه وأكثر ما تعلق على الرضع. للمزيد يراجع: مبارك بن محمد الميلي، **المرجع نفسه**، ص.157

[3] سعيدي مزيان، **قضايا ودراسات تاريخية**، ج.2، ص.30

[4] يحي بوعزيز ، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ص.102

بعث بها إليهم يحثهم فيها على الجهاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تراءى له في المنام، وأمره بمواصلة عمل الشيخ بوزيان وأخبرهم أن الحجارة سوف تتحول إلى رصاص أثناء المعركة والتراب سيتحول إلى بارود والملائكة سوف تحارب إلى جانب المؤمنين[1]. وقيل عن الشيخ محمد أمزيان بن عبد الرحمان زعيم ثورة الأوراس سنة 1293هـ/1879م أنه كانت له خوارق لا تتآتى إلا لأمثاله من الطرقيين كاستنطاقه للبرمة مما جعل أتباعه يلقبونه بالشيخ بوبرمة[2].

وقد كان الشيخ بوعمامة يزور قبور الأولياء والصالحين ليتبرك بهم اعتقادا منه أن لهم القدرة على ترجيح الكفة لصالحه، وهزم قوات الاحتلال الفرنسي[3]. وفي إحدى الزوايا بمنطقة القبائل وهي زاوية أودريس التي سبق الحديث عنها في هذا البحث يؤتى بالمريض إلى شيخ الزاوية الذي يعطيه ماءًا مُرقى ليشرب منه ثم يرش به وجهه وبعد ذلك يطلب منه أن يطوف سبع مرات حول الضريح المتواجد بهذه الزاوية ليشفى من مرضه[4].

مع العلم أن أغلب أولئك الذين كانوا يزورون القبور والأضرحة ويتبركون بها، يجهلون حقيقة أصحابها لأنه لو كانوا يعلمونها لما فعلوا ذلك، فمن أصحاب هذه القبور والأضرحة من لم يكن في يوم من الأيام لا ولي ولا عالما ولا شيخ طريقة أو زاوية، ولا يعلم أكان صالحا أو فاسدا في حياته، بل قد يكون جاهلا أو مجنونا، كصاحب الضريح الموجود خارج مدينة قسنطينة بمنطقة آدكال الذي يعرف بضريح سيدي مدين، هذا الأخير الذي قال عنه عبد الكريم الفكون أنه كان في حياته شخصا مجنونًا، يتعرض للناس ويخدشهم بأظافره وينهشهم بأسنانه ويضربهم، إلا أن أهله وأقاربه أظهروه للناس على أنه من الصالحين طمعا في جلب الدنيا من أجله، ولما مات دفن بهذا المكان وأُقيم عليه جامع يعرف بجامع سيدي مدين وهو مزار للناس يتبركون به ويعتقدون فيه الخير والشر[5].

---

(1) عبد الحميد زوزو، **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**، جـ1، ص153.

(2) عبد الحميد زوزو، **ثورة ابن جار الله (بوبرمة) بالأوراس سنة 1979**، ص63.

(3) عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة**، ص-ص57-58.

(4) محمد أكلي حديبي، **المرجع السابق**، ص35.

(5) عبد الكريم الفكون، **المصدر السابق**، ص-ص177-178.

وكان بعض الطرقيين يوهمون مرضاهم بأن لهم القدرة على علاج مرضهم من خلال تقديم حرزًا[1] لهم يتلاءم وذلك المرض[2]، وإن كان المريض متعدد الأمراض فيقدمون له حرزًا يشفي جميع الأمراض مهما كانت نوعيتها[3]، ويطلبون منه لف هذا الحرز بقطعة قماش ذات لون معين أو جلد حيوان كأن يكون جلد ذئب، أو يلفه بمعدن معين وغالبا ما يكون هذا المعدن هو النحاس، ثم يقوم بتعليقه في رقبته أو يحمله معه في ثيابه، أو يضعه تحت وسادته ولا يتخلى عنه أبدًا، فإذا رحل هذا المريض إلى مكان آخر أو سافر أخذ معه هذا الحرز، وبالتأكيد هذا شيء مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية وهو ما يدل على انحراف هؤلاء الطرقيين عن الدين الإسلامي عن علم أو عن جهل منهم.

2-2-4- فشل المقاومة:

بما أن أغلب الثورات التي اندلعت خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي كانت بقيادة أتباع التيار الصوفي فإن هؤلاء قد تحملوا وحُمِّلُوا النتائج السلبية المترتبة عنها بعد فشلها، لكونهم منحوا الناس باسم الدين الوعود تلوى الأخرى، هذه الوعود التي ذهبت أدراج الرياح بعد أن منيوا بهزائم أمام قوات الاحتلال الفرنسي وهذا ما جعل أغلب الناس يفقدون الثقة فيهم[4]، ويعاتبونهم عن هذا الفشل، كما هجاهم بعض الشعراء بمرارة وعنف.

وكمثال عن هذا الهجاء هذه الأبيات التي قال فيها صاحبها:

سـيء حظك يا شيـخ بن عــراب
لمـــاذا اختفيت أيــها الـــــولي ؟
لمـــــــاذا كنـت تقــول لنـــا:
النصارى لن يطلعو إلى جبالنا
وأخيرا، أخضعوها حتى آيت يني ؟[5]

---

[1] وهو ورقة أحيانا وأحيانا أخرى قصاصة ورقية مكتوب عليها بعض العبارات والجمل أو الكلمات غير المفهومة ولا المقروءة لصعوبة فك طلاسمها إلا من قبل من كتبها، وقد تتخلل هذه العبارات والجمل بعض الأشكال الهندسية كالنجمة السداسية أو نجمة داوود عليه السلام التي يرمز بها للديانة اليهودية، أو بعض الجداول التي تتضمن أرقام وحروف. ينظر: **ملحق رقم (30).**

[2] ينظر: **ملحق رقم (31).**

[3] ينظر: **ملحق رقم (32).**

صدق مالك بن نبي حين قال: (ومن الطبيعي أن استغلال سذاجة الناس تفسح المجال أمام حيل تضحك اليوم الطفل، لكنها في ذلك العصر تركت أثرا بعيدا في بساطة أولئك القوم). يراجع: مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، ط.6، 1430هـ/2009م، ص.181.

[4] هانوتو ولوتورنو، **المصدر السابق**، ص.152.

[5] هانوتو ولوتورنو، **المصدر نفسه**، ص.153.

2-2-5- الزواج بالفرنسيات:

نعتقد أن زواج بعض شيوخ الطرق الصوفية أو أحد أفراد عائلتهم من الفرنسيات أدى بشكل أو بآخر إلى إضعاف الطريقة التي ينتمي إليها هؤلاء، وإلى تراجع قاعدتها الشعبية فقد تزوج حمزة بن بوبكر آغا جبل عمور وهو من أسرة أولاد سيدي الشيخ بفرنسية اسمها فيري Feret وهي بنت لقائد مشاة فرنسي كان في حالة تقاعد[1]، وتزوج أحمد التجاني من الفرنسية أوريلي بيكار Aurélie Picard التي كان والدها ضابط في الدرك الفرنسي[2]، وقد غيرت نمط الحياة في الزاوية التيجانية بعين ماضي تمامًا، وبنى لها أحمد التجاني أو بنت لنفسها قصر كوردان على بعض الكيلومترات من عين ماضي، وكان هذا القصر على الطراز الأوروبي من حيث الأثاث والمأكل والمشرب والمتنزهات[3]، وكان الضيوف الفرنسيون ينزلون فيه كما ينزلون في أي قصر أوروبي[4].

ونعتقد أن زواج أحمد التجاني بهذه الفتاة الفرنسية وما أدخلته هذه الأخيرة من تعديلات على نمط الحياة في الزاوية الأم، كان أحد الأسباب التي حرمته من تولي مشيخة الطريقة بعد وفاة شيخها محمد العيد بن الحاج علي الينبوعي، شيخ زاوية تيماسين سنة 1289هـ/1875م، رغم أن المعتقد العام هو أن الوراثة للبركة متبادلة بين عائلة سيدي أحمد التجاني في عين ماضي وعائلة الحاج علي الينبوعي في تيماسين، وهو ما جعل أيضا أحباب الطريقة يقبلون ويرضون بتولي الشيخ محمد الصغير بن الحاج علي للمشيخة بعد أخيه محمد العيد بدلا من أحمد التجاني دون إبداء أي اعتراض أو رفض منهم، لكن ذلك لم يمنع من حدوث شرخ بين الزاويتين والعائلتين ظهرت آثاره جليا بعد وفاة أحمد التجاني سنة 1311هـ/1897م إثر الخلاف الذي حدث بين الزاويتين على مكان دفنه.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، هـ.ص.105.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.311-312

تتحدث بعد الروايات على أن السيد أحمد التجاني قد تزوج بأوريلي بيكار (Aurélie Picard) حينما كان في بوردو بفرنسا، وقد وافقت على هذا الزواج كنيسة بوردو وباركته، وكذلك باركه الكاردينال لافيجري (Lavigerie) في الجزائر، بينما هناك من يعتقد أن هذا الزواج قد تم على سنة الله ورسوله، وأن المفتي الحنفي هو الذي حرر العقد بعد رجوع الزوجين من فرنسا سنة 1286هـ/1872م. يراجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.213-214، وللاطلاع على نسخة عقد الزواج الذي حرره المفتي الحنفي ينظر: **ملحق رقم (20).**

(3) ينظر: **ملحق رقم (39)، ملحق رقم(40).**

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.4، ص-ص.230-214

الخاتمة

لقد حاولنا على مدى فصول هذا البحث، أن نتتبع مراحل تطور أهم تيار ديني في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، ألا وهو التيار الصوفي الذي كان يحتل إلى جانب السلطة المشهد العام على جميع الأصعدة، لاسيما الصعيد السياسي والاجتماعي، كما حاولنا أن نبرز أهم طرقه وفروعها، وأماكن انتشارها، وأن نركز على علاقته بالسلطة وموقفه منها ومن بعض قضايا عصره، وأنهينا البحث بتوضيح ما آل إليه أمر هذا التيار أواخر ذلك القرن.

وبعد العرض والتحليل لكل ذلك أمكننا تسجيل الاستنتاجات التالية:

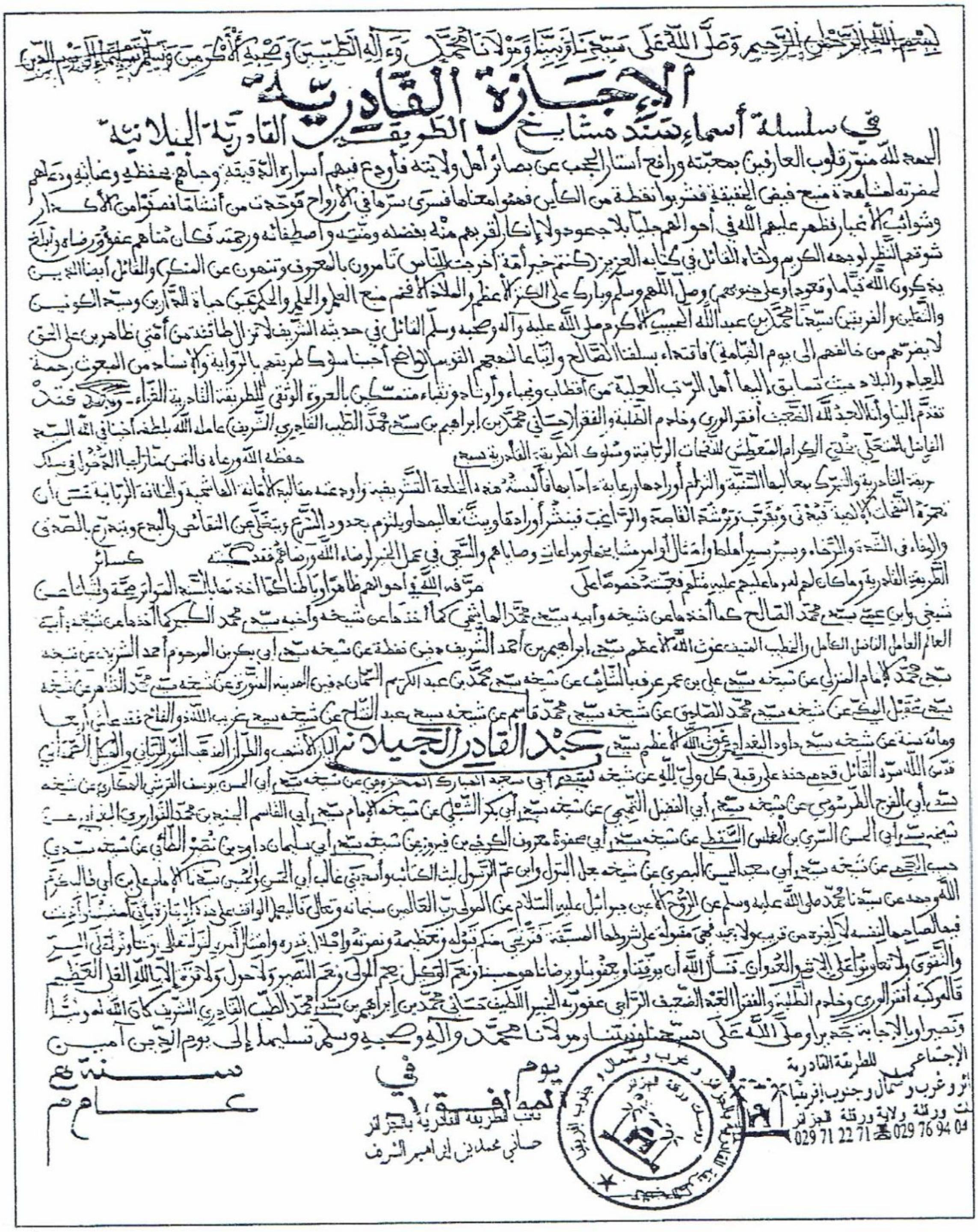
- إن الطرق الممثلة للتيار الصوفي في الفترة التي يغطيها هذا البحث لم تكن جزائرية الأصل والمنبع وإنما وردت إلى الجزائر إما من المشرق أو المغرب الأقصى، بواسطة جزائريين أو غيرهم أدخلوا مبادئها وأورادها إلى البلاد وبذلك أسسوا طرقا فرعية نسبوها إلى أنفسهم أو نُسبت إليهم، حيث سُمِّيَتْ بأسمائهم، وعُدَّتْ امتدادا للطرق الأصلية، عدا الطريقة التجانية التي هي جزائرية الأصل والمنشأ، وهذا ما يبرز تفاعل الجزائريين وتفتحهم الحضاري على جل التيارات الدينية والمذهبية التي تبرز في المشرق أو المغرب.
- أنّ كون أغلب هذه الطرق لم تكن جزائرية الأصل والمنشأ، قد أثر في موقفها وفي طبيعة علاقتها بالسلطة الحاكمة هنا في الجزائر، سواء قبل سنة 1244هـ/1830م أو بعدها، إذ أن موقفها من هذه السلطة كثيرا ما كان يعكس موقف شيوخها بالزاوية الأم في بلد المنشأ، الذين يعكسون بدورهم موقف سلطة بلدهم من السلطة الحاكمة هنا في الجزائر.
- إن اِضطراب الوضع السياسي في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي دفع بأغلب أتباع التيار الصوفي إلى التفاعل مع هذا الوضع والانخراط فيه، بدلا من الاعتكاف والتفرغ للعبادة والزهد كما تقتضيه قواعد التصوف.
- إن النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، يعد بحق العصر الذهبي للتيار الصوفي الذي ازدهر نتيجة اعتبارات عديدة لعل في مقدمتها رعاية السلطة العثمانية وتبنيها له قبل سقوطها عام 1244هـ/1830م انطلاقا من توجهاتها الدينية القائمة على نصرة الدين الإسلامي لذا عملت على تشجيع التصوف باعتباره أحد التيارات الدينية الإسلامية التي حظيت بقبول العامة نتيجة لظروف العصر والتحديات الداخلية والخارجية.

- إن الانتماء للتيار الصوفي خلال ذلك القرن لم يكن هروبا من واقع الحياة فحسب، بل أيضا كان محاولة لمواجهة الحياة المتقلبة والمتغيرة، ومن هذا المنطلق استطاع كثير من أتباع هذا التيار الجمع بين جهاد النفس وجهاد العدو، ولم يكن تفرغهم للعبادة وحدها، بل كان لبعضهم مشاركته الميدانية ضد السلطة الحاكمة قبل عام 1244هـ/1830م وبعده، وضحى كثير منهم بحياته، فضلا عن مساهماتهم في استنهاض الهمم وشحد نفوس الجزائريين للجهاد، وقد أُنِيطَ ببعضهم مهام القيادة كالأمير عبد القادر.
- إن التيار الصوفي اكتسب خلال ذلك القرن مكانة هامة في المجتمع الجزائري نتيجة الخدمات التي قدمها له، فهو رفع لواء الجهاد ودخل معترك الصراع الحضاري والثقافي ضد المحتل الفرنسي، بترسيخ القيم الحضارية والأبعاد الروحية والدينية للشعب الجزائري، وسعى إلى تكوين أجيال متشبعة بالأخلاق الإسلامية ومتمسكة بالآداب والفضائل السامية، وفتح الطريق أمام طلبة العلم والمعرفة لينهلوا من مختلف العلوم والمعارف، فواجه بذلك مشروع المحتل الفرنسي الرامي إلى القضاء على مقومات الشعب الجزائري من دين ولغة وثقافة.
- إن التيار الصوفي في تلك الفترة ومن خلال منشآته ومؤسساته لاسيما الزوايا ساهم بقدر كبير في تنشيط الحياة الدينية وإثراء الحركة الفكرية، ففي هذه الزوايا كانت تعقد حلقات الدروس في مختلف العلوم لاسيما الدينية، واليها يأوي ويلجأ من انقطعت بهم السبل، فكانت بذلك أماكن للعلم والعبادة والتكافل الاجتماعي، ومنها تخرج عدد كبير من العلماء وشيوخ التصوف الذين ذاع صيت بعضهم في أرجاء العالم الإسلامي.
- إن التيار الصوفي شكل على مدار عدّة عقود من ذلك القرن العدو الحقيقي والفعلي للسلطة الفرنسية، مما جعلها تركز اهتمامها على مراقبة أتباعه والانشغال بالقضاء عليهم أو استمالتهم إلى صفها تدريجيا باعتبارهم مصدر خطر حقيقي على وجودها وتواجدها في الجزائر.
- إن التيار الصوفي كان إلى غاية أواخر العقد السابع من ذلك القرن يشكل قوة بشرية واقتصادية، له وزنه وأهميته في الجزائر، وهذا ما جعل الاستعمار الفرنسي يعمل على كسب بعض شيوخه وأتباعه وتوظيفهم لصالحه والاستفادة من قوتهم.
- إن التيار الصوفي، رغم تلقيه لضربات قوية وموجعة من قبل السلطة إلا أنه استطاع أن يحافظ على كيانه ووجوده، بسبب ما لمسه فيه أتباعه من إمكانيات تساعدهم على الهروب من الواقع المتردي، ولما فيه من وسيلة ضمنية للتعبير عن عدم رضاهم عن الحكم السائد.

- إن التيار الصوفي المتميز بتكوينه المتماسك وبحرصه الشديد على المحافظة على تراثه بوصفه كلا متكاملا، لأنه يعد الوسيلة الوحيدة التي يعبر بها عن وجوده وعلى تماسكه، فإن قاعدته الشعبية خضعت من ناحية أخرى لعوامل التغير التي اعترت حياتها أواخر ذلك القرن، فاستجابت لهذا التغير ووعته سواء كان تغيرًا سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا.
- إن موقف التيار الصوفي من بعض القضايا التي أثرناها في هذا البحث، كثيرا ما عبر عن موقف مشائخه أكثر مما عبر عن وجهة نظر أتباعه الذين غالبا ما كان موقفهم منسجما مع تطلعات وآمال جل الجزائريين ومناهضا لموقف بعض الشيوخ المخالفين، وهذا ما يدل على أن نفوذ بعض الطرقيين الذين راهنت السلطة الاستعمارية على توظيفهم لصالحها كثيرًا ما كان غير مجدي.
- إن تعاون بعض أتباع التيار الصوفي مع السلطة الفرنسية وتأييدهم لها، وكذا انخراط بعضهم في سياسة نشر البدع والخرافات والانحرافات التي روجت لها هذه السلطة كثيرًا، وعملت على بثها في أوساط الجزائريين، جعلت هذا التيار يدفع الثمن غاليا من خلال بروز بوادر ضعفه وتراجعه أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، لاسيما خلال العقد الأخير من هذا القرن.

الملاحق

ملحق رقم (01): الإجازة القادرية



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله الطيبين وصحبه الأكرمين وسلم تسليما إلى يوم الدين

الإجازة القادرية

في سلسلة أسماء سند مشايخ الطريقة القادرية الجيلانية

الحمد لله منور قلوب العارفين بمحبته ورافع أستار الحجب عن بصائر أهل ولايته فأودع فيهم أسرار الحقيقة وحباهم بحفظه وعنايته ودعاهم لحضرته لمشاهدة منبع فيض الحقيقة فشربوا نقطة من الكأس فهموا معناها فسرى سرها في الأرواح فوجدت من أنشاها فصفوا من الأكدار وشوائب الأغيار فظهر عليهم الله في أحوالهم جليا بلا جحود ولا إنكار قربهم منه بفضله ومنته واصطفائه ورحمته فكان منهم عفوه ورضاه وابلاغ شوقهم النظر لوجهه الكريم ولقائه القائل في كتابه العزيز (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) والقائل أيضا الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) وصل اللهم وسلم وبارك على الكنز الأعظم والملاذ الأفخم منبع العلم والحلم والحكم عين حياة الدارين وسيد الكونين والثقلين والفريقين سيدنا محمد بن عبد الله الحبيب الأكرم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم القائل في حديثه الشريف لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة) فاقتداء بسلفنا الصالح واتباعا لنهجهم القويم الواضح أحببنا سلوك طريقتهم بالرواية والإسناد من المبعوث رحمة للعباد والبلاد حيث تسابق إليها أهل الرتب العلية من أقطاب ونجباء وأوتاد ونقباء متمسكين بالعروة الوثقى للطريقة القادرية الغراء ... فقد تقدم إلينا وأنا العبد لله الضعيف أفقر الورى وخادم الطلبة والفقراء حساني محمد بن ابراهيم بن سيدي محمد الطيب القادري الشريف عامله الله بلطفه الخفي الفاضل المتحلي بخلق الكرام المتعطش للنفحات الربانية وسلوك الطريقة القادرية سيدي ... حفظه الله ورعاه فالتمس منا أن نأذن له في سلك ربقة القادرية والتبرك بمعالمها السنية والترنم بأورادها ورعاية آدابها فألبسته هذه الخلعة الشريفة وأودعته هذه الأمانة الهاشمية والخلافة الربانية حتى أن تمرة النفحات الإلهية تتحقق وتقرب ... الفاضحة والرتب ... فينشر أورادها ويلتزم بحدود الشرع ويتخلى عن النقائص والبدع ويتدرع بالصدق والوفاء في الشدة والرخاء ... في عمل الخير لرضاء الله ورضاهم فقد كتب له ... كسائر الطريقة القادرية وما كان لهم وما عليهم ... في أحوالهم ظاهرا وباطنا كما أخذ هذا بالسند المتواتر صحة ... خصوصا على شيخي وابن عمي سيدي محمد الصالح كما أخذها عن شيخه وأبيه سيدي محمد الهاشمي كما أخذها عن شيخه وأخيه سيدي محمد الكبير كما أخذها عن شيخه وأبيه العالم العامل الفاضل الكامل والقطب المنيف غوث الله الأعظم سيدي ابراهيم بن أحمد الشريف دفين نفطة عن شيخه سيدي أبي بكر بن المرحوم أحمد الشريف عن شيخه سيدي محمد الإمام المنزلي عن شيخه سيدي علي بن عمر عرف بالشايب عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم السمان دفين المدينة المنورة عن شيخه سيدي ... عن شيخه سيدي ... المكي عن شيخه سيدي محمد الصادق عن شيخه سيدي محمد قاسم عن شيخه سيدي عبد الفتاح عن شيخه سيدي ... ذو الفلاح ... وماية سنة عن شيخه سيدي داود البغدادي عن ... الأعظم سيدي

عبد القادر الجيلاني

... الأنسب والطراز المذهب النور الرباني والهيكل الصمداني قدس الله سره القائل قدمي هذه على رقبة كل ولي لله عن شيخه سيدي أبي سعيد المبارك المخزومي عن شيخه سيدي أبي الحسن يوسف القرشي الهكاري عن شيخه سيدي أبي الفرج الطرسوسي عن شيخه سيدي أبي الفضل التميمي عن شيخه سيدي أبي بكر الشبلي عن شيخه الإمام سيدي أبي القاسم الجنيد بن محمد القواريري البغدادي عن شيخه سيدي أبي الحسن السري بن المغلس السقطي عن شيخه سيدي أبي محفوظ معروف الكرخي بن فيروز عن شيخه سيدي أبي سليمان داود بن نصير الطائي عن شيخه سيدي حبيب العجمي عن شيخه سيدي أبي سعيد الحسن البصري عن شيخه بعل البتول وابن عم الرسول ليث الكتائب وأسد بني غالب أبي الحسن والحسين سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين جبرائيل عليه السلام عن المولى رب العالمين سبحانه وتعالى ... على هذه الإجازة ... فيعمل صاحبها لنفسه لا لغيره من قريب ولا بعيد فهي مقبولة على شروطها المسبقة ... ونصرته وإجلال قدره وامتثال أمره لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. نسأل الله أن يوفقنا ويعفو عنا ويرضى عنا هو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قاله وكتبه أفقر الورى وخادم الطلبة والفقراء العبد الضعيف الراجي عفو ربه الخبير اللطيف حساني محمد بن إبراهيم بن سيدي محمد الطيب القادري الشريف كان الله له وليا ونصيرا وبالإجابة جديرا وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين آمين

في يوم ... سنة ... عام ...

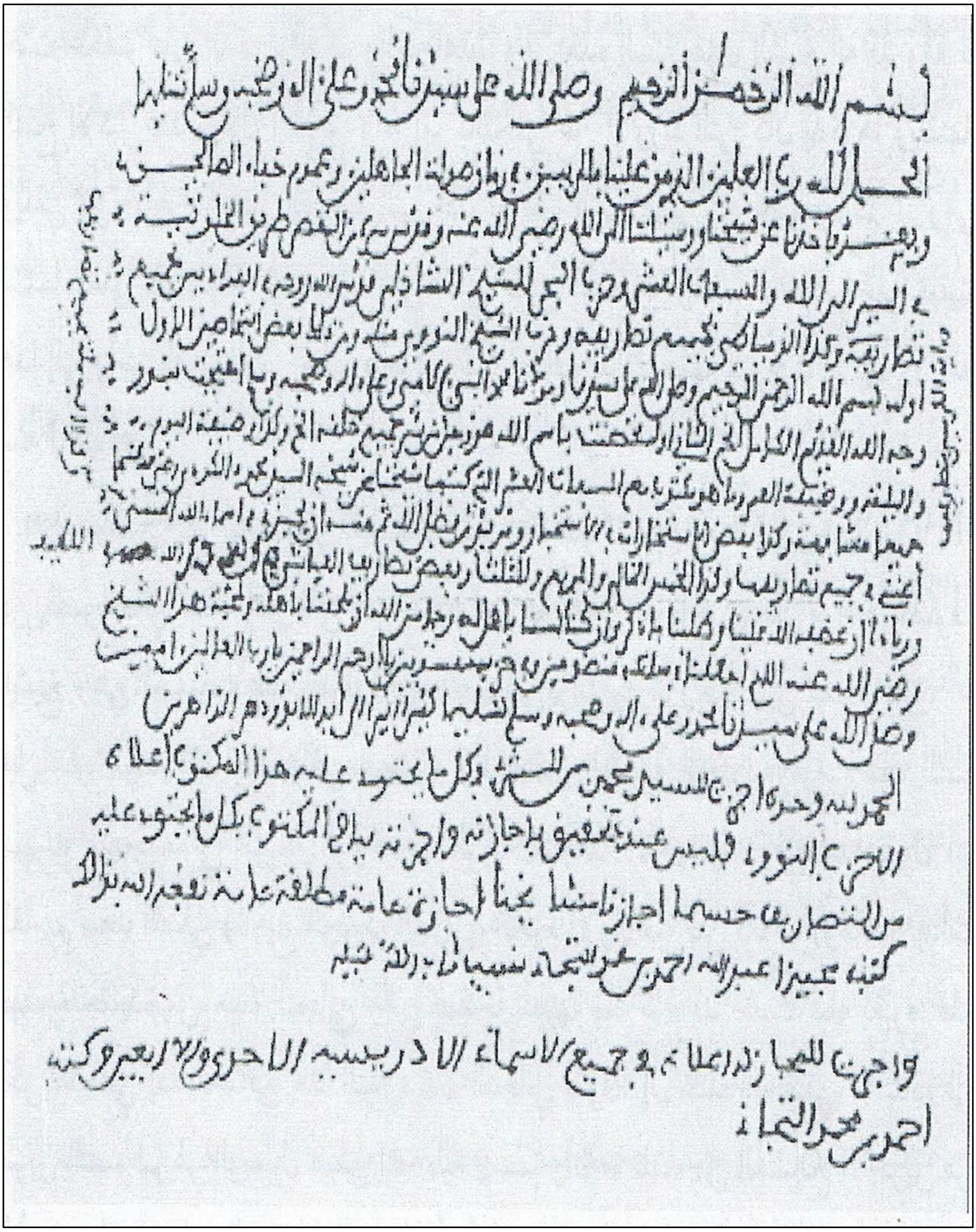
بموافقة

نائب الطريقة القادرية بالجزائر

حساني محمد بن إبراهيم الشريف

المصدر: أحميدة عميراوي، **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، ص.87

ملحق رقم (02): نص إجازة الشيخ أبي العباس التجاني لتلميذه محمد بن المشري



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

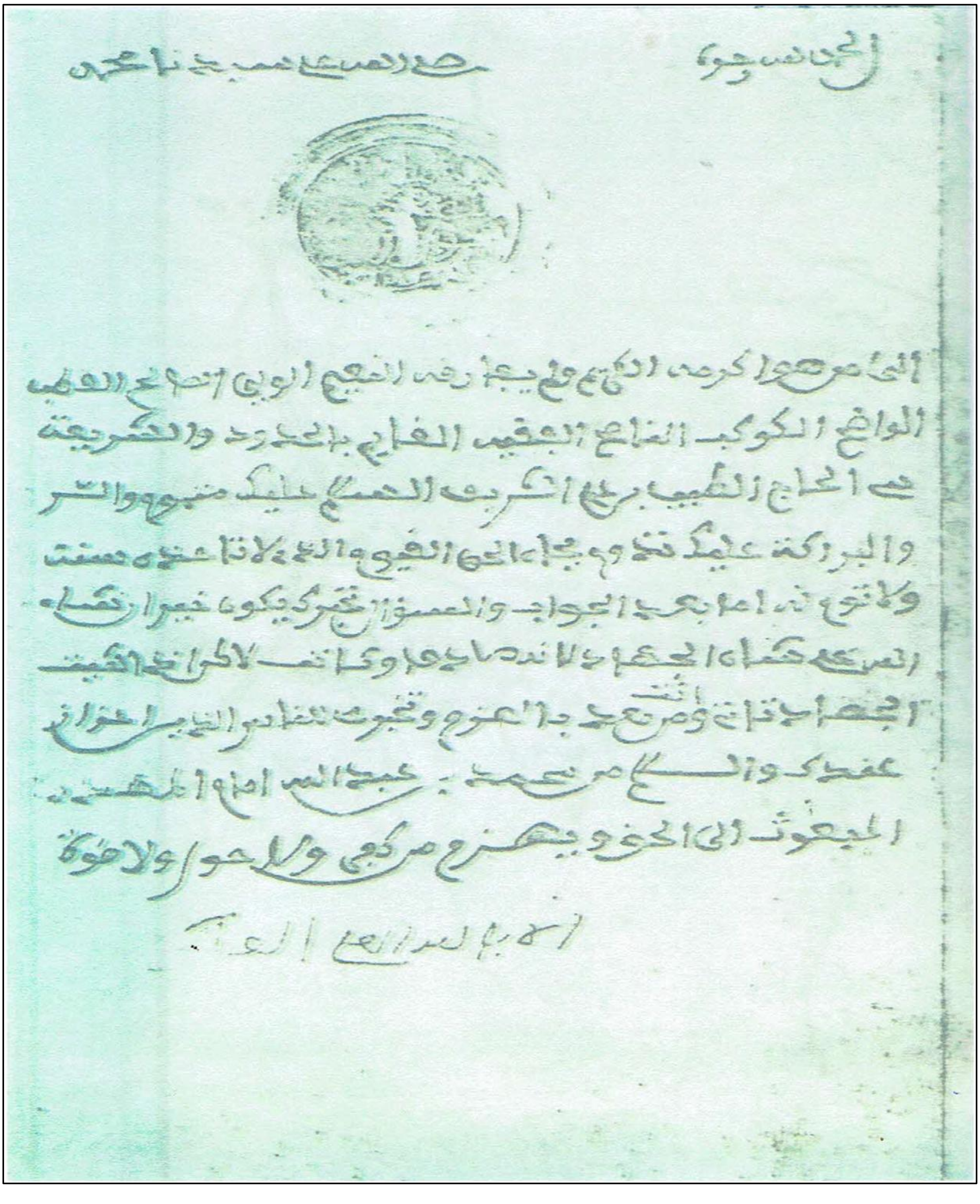
الحمد لله وحده أجزت للسيد محمد بن المشري وكل ما يحتوي عليه هذا المكتوب أعلاه

كتبه ... عبد الله أحمد بن محمد التجاني ...

وأجزت ... أحمد بن محمد التجاني

المصدر: عبد الباقي مفتاح، **<u>أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه</u>**، ص.97

ملحق رقم (03): نموذج من الرسائل التي وجهها محمد بن عبد الرحمان أمزيان (بوبرمة) إلى مختلف القبائل للثورة والجهاد


الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا محمد

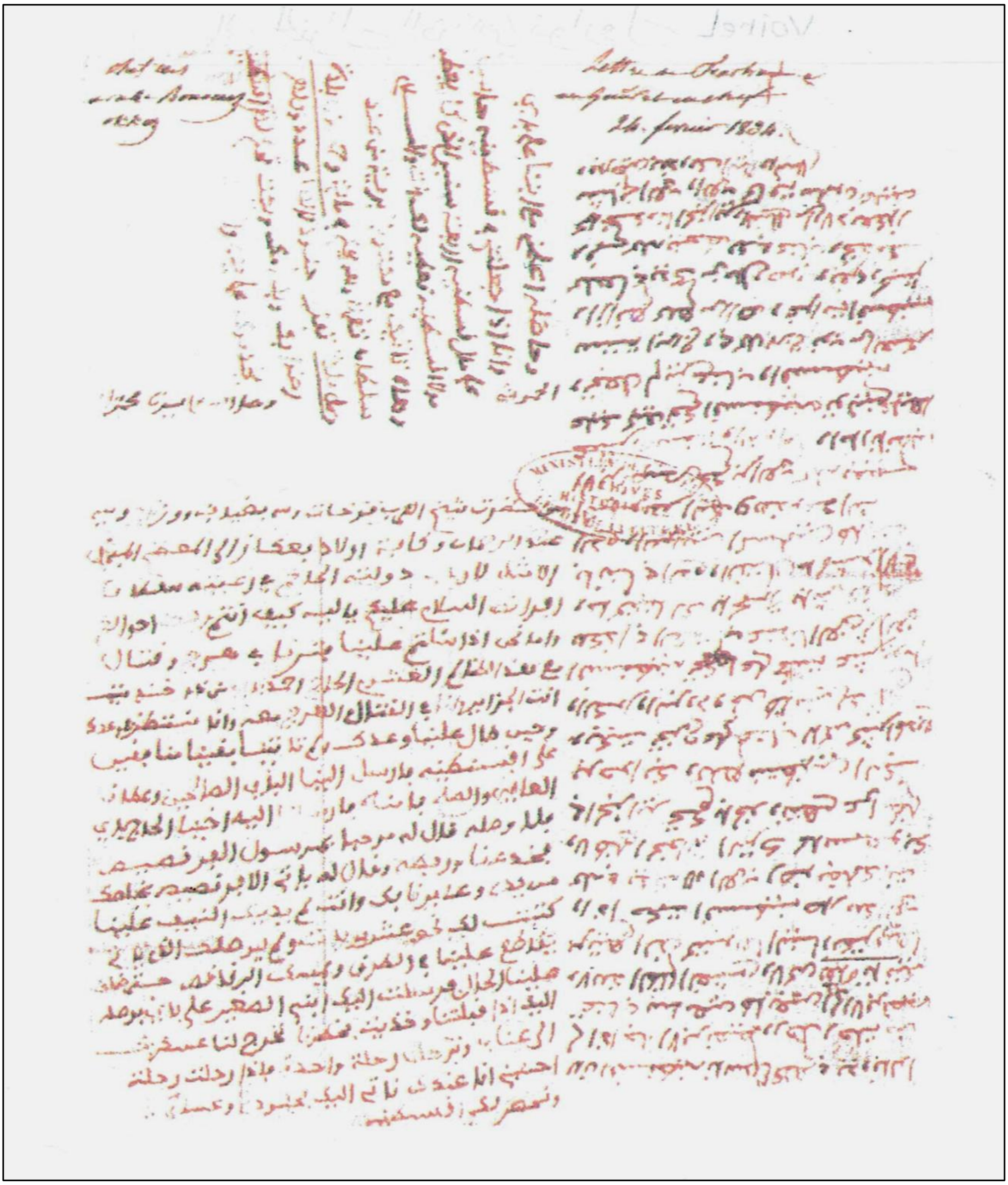
الى من هو [illegible] الكريم [illegible] الفقيه الولي الصالح القطب
الواضح الكوكب الناصع الفقيه الفاهم بالحدود والشريعة
سي الحاج الطيب [illegible] الشريف السلام عليك [illegible]
والبركة عليكم [illegible]
[illegible] الجواب [illegible] يكون خيرا [illegible]
[illegible] الجهاد [illegible]
[illegible]
عندكم والسلام من محمد بن عبد الله [illegible] المهدي
المبعوث الى الخلق [illegible]

[illegible]

المصدر: A.O.M (G.G.A) 2H32

ملحق رقم (04): رسالة بلون الدم من فرحات بن سعيد وأولاد بوعكاز

إلى الجنرال الفرنسي فوارول Voirel



المصدر: عبد الحميد زوزو، **<u>محطات في تاريخ الجزائر...</u>**، ص.128

ملحق رقم (05): الورقة الأولى من مخطوط وصايا الشيخ الحداد



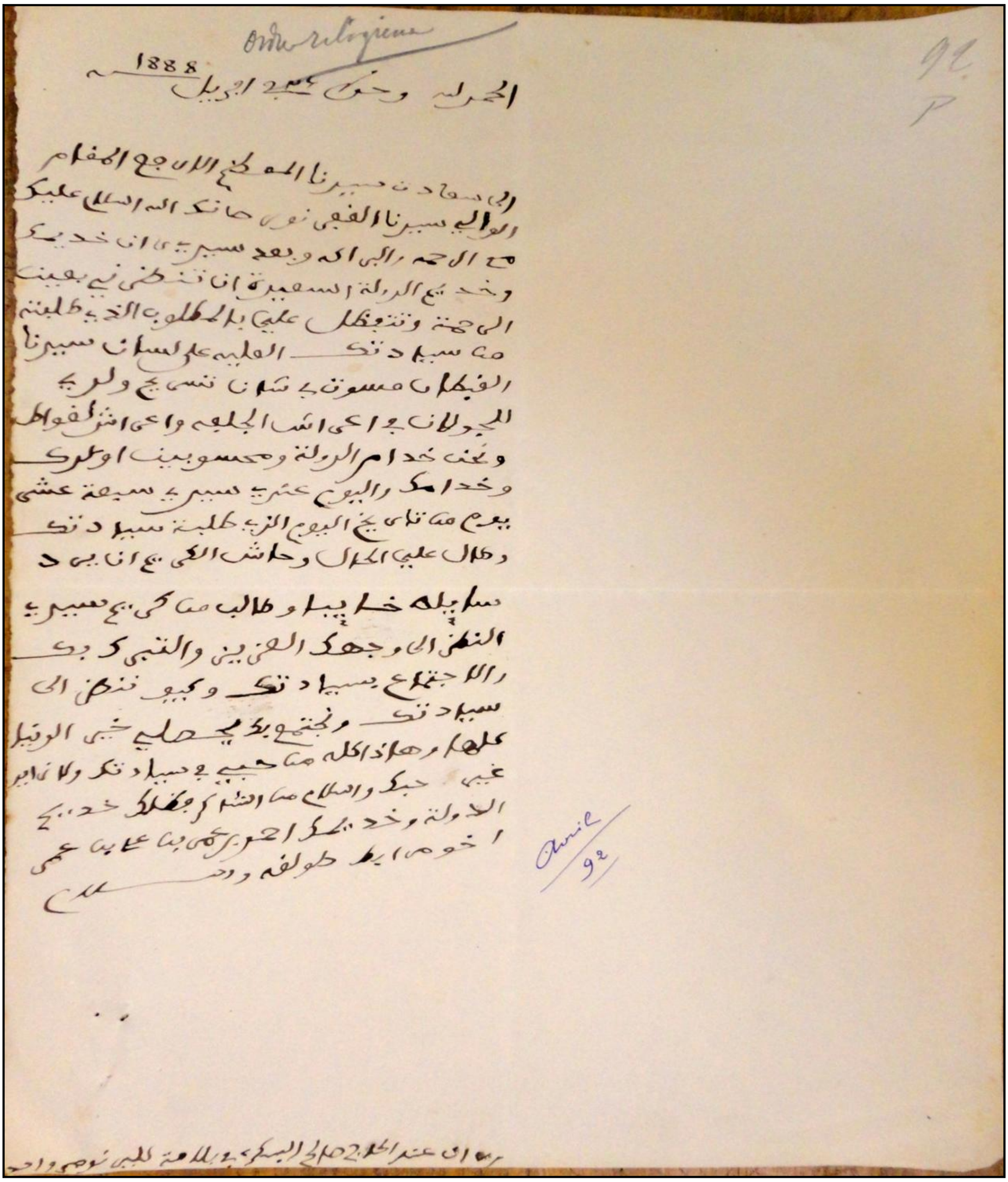
بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إعلام

للواقفين على كتابنا هذا من العلماء والفقهاء والإخوان وغيرهم وكبراء الأعراش
وعامتهم السلام عليكم غاية السلام ولكافة التحية والإكرام إن كنتم بخير فالحمد لله
وبعد نخبركم بوفاة أبينا وشيخنا السيد محمد أمزيان بن الحداد تغمده الله تعالى برحمته
وقد عمر ثلاثة وثمانين سنة واشتهرت الطريقة الرحمانية على يده وباسمه في القبائل بعد
وفاة شيخه رضي الله تعالى عنه بجبال جرجرة منذ أربعين سنة بلا شك وقد توفي قدس الله تعالى
روحه ونفعنا ببركاته وبركات أشياخه آمين ليلة الثلاثاء أول ليلة من شهر ربيع الأول
الأنور بمولد سيد البشر صلى الله عليه وسلم من عام التاريخ تسعين ومائتين وألف وذلك
خارج السجن بعدما طلبنا الإذن بإخراجه عشية يوم الاثنين من حاكم البلد وقبل منا طلبنا
واستكثرنا خيره وصار [?] بعد ما أخرجناه من السجن إلى قسنطينة ولما وصل رحمه الله
إلى الدار التي أعدت لنزوله بها مكث رضي الله تعالى عنه فيها قدر ساعة ونصف وتوفي
رحمه الله تعالى عليه وقت العشاء الأخيرة وكانت وفاته رحمه الله تعالى غريبة وقد مرض [?]
على الشهادتين والخاتمة الحسنى والحمد لله على حياته مستسلما لكل بلاء وقد استمر صابرا
على بلاء ومدة مرضه اثنا عشر يوما وبعد ذلك دفن بمقبرة المسلمين بقسنطينة عشية
يوم الثلاثاء وأحسنوا به علماء البلد وخاصتهم وعامتهم وقد حضروا فيه بما يناسب
أمثاله من حضورهم للصلاة عليه وتشييع جنازته بالذكر والدعاء والقرآن جزاهم الله تعالى
خيرا وأجزل لهم ثوابا وأجرا وربح لهم في المآل على ذلك أعني وعلمهم [?] بقول الله الجليل
في محكم التنزيل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، وذلك بعدما أتانا عن منا على أن نرسله إلى
مقبرة أسلافنا بقرية صدوق من بلاد القبائل في ضريح أجداده كما أوصانا رحمه الله تعالى
بذلك فلما ذكر الحاكم الجنرال الكبير عجز عن إرساله لتلك المقبرة بالقبائل وأصبح الأمر لنا
بدفنه في هذا الوقت بقسنطينة ولا شك أن اعتراضه هذا عن إرسال الجنازة إلى
مقبرة الأهل والأقارب ليس منه وإنما هو من بعض الحساد الجارين بالأخبار الكاذبة في
الدولة ورعيتها فلما امتثلنا الأمر وأتانا حتى [?] الوارد على سمعهم ونسأل
المسامحة من الله سبحانه بفضله وكرمه ومن الحكام فينقل إلى صدوق لمقبرة أجداده
كما أوصانا رضي الله تعالى عنه بحول الله سبحانه وقوته إنه على ما يشاء قدير

المصدر: يحي بوعزيز، **وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز**، ص.67

ملحق رقم (06): رسالة أحمد بن عمر بن علي بن عمر أخ شيخ زاوية طولقة الرحمانية إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر من أجل الترخيص لولده لزيارة أعراش الجلفة والأغواط


Ordre religieux

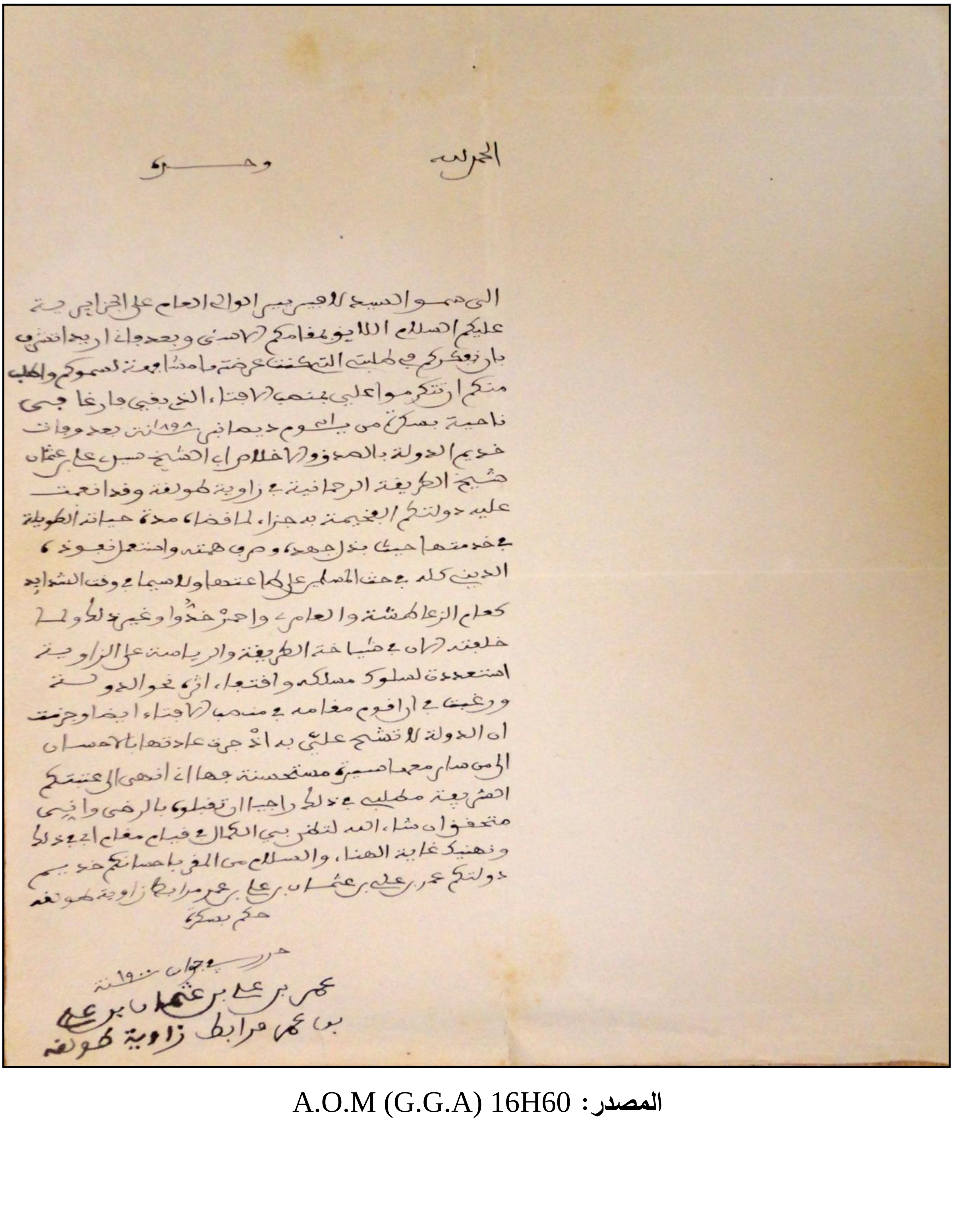
الحمد لله وحده [illegible] ابريل سنة 1888

إلى سعادة سيدنا المعظم الارفع المقام
الوالي سيدنا الكبير غوفرنور جانرال السلام عليكم
مع الرحمة والبركة وبعد سيدي انا خديمك
وخديم الدولة السعيدة انا نشتكي في بعض
الحاجة ونتفضل علي بالمطلوب الذي طلبته
من سيادتك العلية على لسان سيدنا
القبطان مسيو [illegible] شان نسرح ولدي
للجولان في اعراش الجلفة واعراش الاغواط
ونحن خدام الدولة ومحسوبين اولادك
وخدامك واليوم عشرة [illegible] سبعة عشر
يوم من تاريخ اليوم الذي طلبت سيادتك
وطال علي الحال وحاشا الكرم ان يرد
سائله خائبا وطالب [illegible] سيدي
النظر الى وجهك العزيز والتبرك بك
والاجتماع بسيادتك وكيف نذهب الى
سيادتك ونجتمع بك [illegible]
عليها وهذا كله من حبي في سيادتك ولا [illegible]
غير حبك والسلام من الشاكر لفضلك خديم
الدولة وخديمكم احمد بن عمر بن علي بن عمر
اخو شيخ طولقة والسلام

Avril 92

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H60

ملحق رقم (07): رسالة عمر بن علي بن عثمان بن علي بن عمر شيخ الزاوية العثمانية بطولقة إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر يطلب منه تعيينه في منصب الإفتاء بناحية بسكرة خلفًا لوالده الذي خدم فرنسا بإخلاص (كما ورد في الرسالة)



الحمد لله وحده

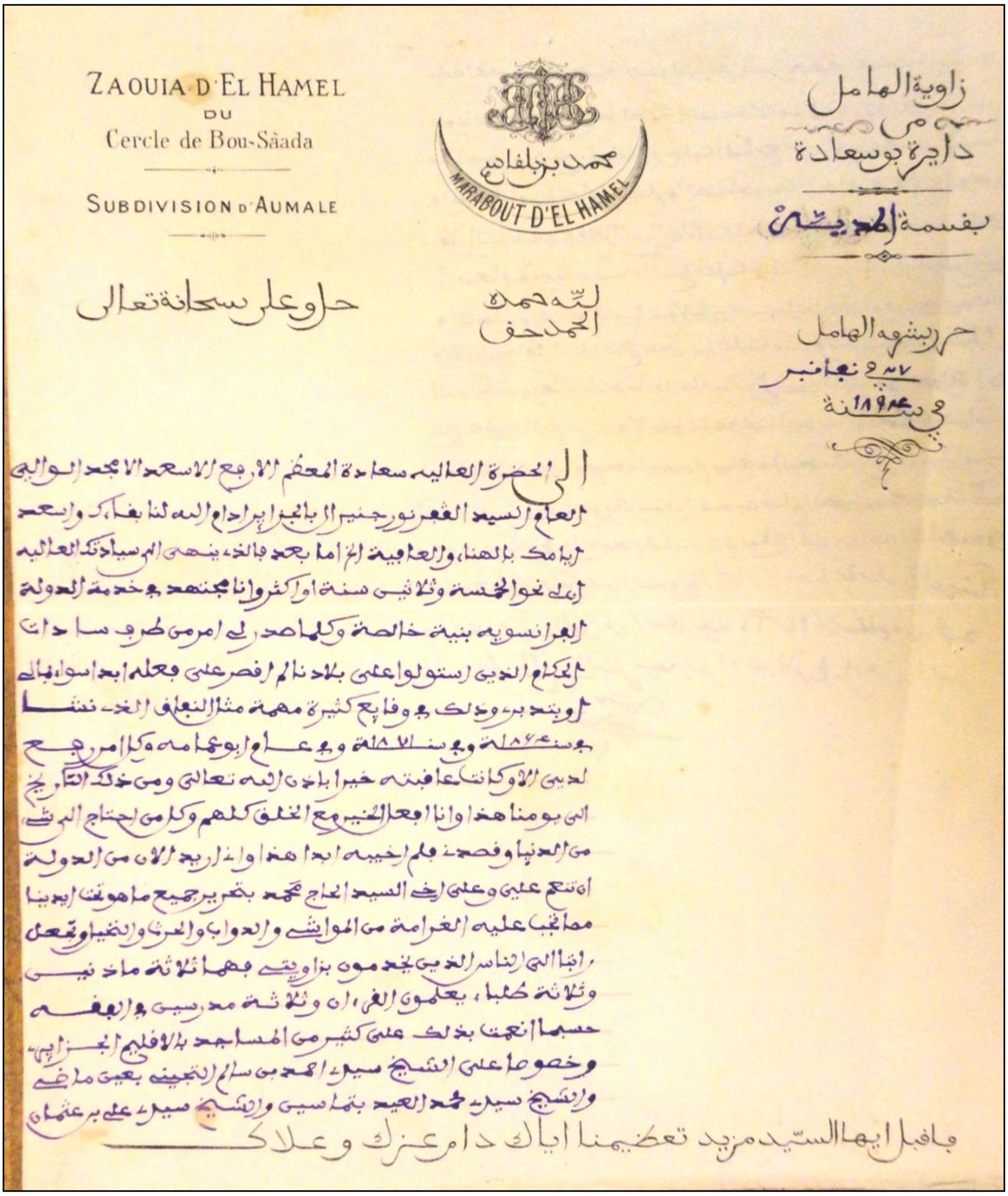
الى سمو السيد الامير ميسي اجوال الحاكم العام على الجزائر تحية
عليكم السلام اللايق بمقامكم الاسنى وبعد فاني اريد انشرف
بان نذكركم في طلبتي التي كنت عرضتها امدا بعثته لسموكم واطلب
منكم ان تتكرموا علي بمنصب الافتاء الذي بقي فارغا في
ناحية بسكرة من يوم ديسمبر ١٨٩٨ سنة بعد وفاة
خديم الدولة بالصدق والاخلاص الشيخ سي علي بن عثمان
شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية طولقة وقد انعمت
عليه دولتكم الفخيمة بجزاء لما قضاه مدة حياته الطويلة
في خدمتها حيث بذل جهده وصرف همته واستعمل نفوذه في
الدين كله في حث المسلمين على طاعتها ولاسيما في وقت الشدايد
كعام الزعاطشة والعامري واحمر خدو وغير ذلك ولما
خلفته الان في مشيخة الطريقة والرياسة على الزاوية
استعددت لسلوك مسلكه واقتفاء اثره نحو الدولة
ورغبت في ان اقوم مقامه في منصب الافتاء ايضا وجزمت
ان الدولة لا تشح علي به اذ جرت عادتها بالاحسان
لمن سار معها سيرة مستحسنة فها انا انهي الى عتبتكم
الشريفة مطلبي في ذلك راجيا ان تقبلوه بالرضى واني
متحقق ان شاء الله لتلقي الكمال في قيام مقامي في ذلك
ونهنيك غاية الهناء والسلام من المقر باحسانكم خديم
دولتكم عمر بن علي بن عثمان بن علي بن عمر مرابط زاوية طولقة
حكم بسكرة

حرر في جوان سنة ١٩٠٠

عمر بن علي بن عثمان بن علي
بن عمر مرابط زاوية طولقة

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H60

ملحق رقم (08): رسالة محمد بن أبي القاسم الهاملي شيخ زاوية الهامل إلى الحاكم العام الفرنسي بمدينة الجزائر سنة 1312هـ/1894م


ZAOUIA D'EL HAMEL
DU
Cercle de Bou-Sâada
SUBDIVISION D'AUMALE

محمد بن بلقاسم
MARABOUT D'EL HAMEL

زاوية الهامل
من
دايرة بوسعادة
بقسمة المدية

حرر بشوه الهامل
في ٢٧ جانفير
في سنة ١٨٩٤

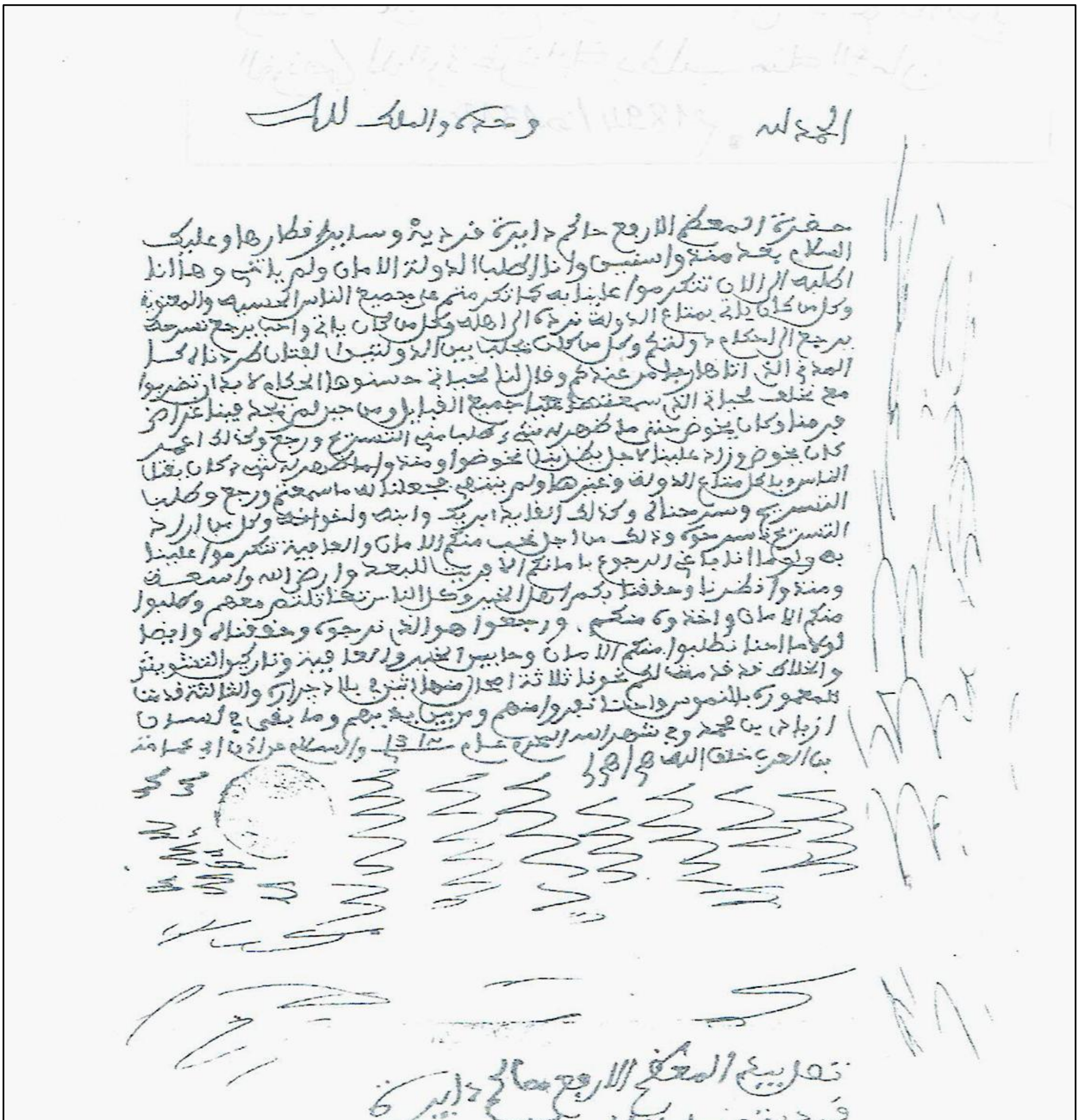
حاو على سبحانه تعالى

لله وحده
الحمد حق

الى الحضرة العاليه سعادة المعظم الارفع الاسعد الامجد الوالي
العام السيد القفرنور جنيرال بالجزاير ادام الله لنا بقاءك واسعد
ايامك بالهنا والعافية الخ اما بعد فالذي ينهى الى سيادتك العاليه
انك نحو الخمسة وثلاثين سنة او اكثر وانا مجتهد في خدمة الدولة
الفرانسويه بنية خالصة وكلما صدر لي امر من طرف سادات
الحكام الذين استولوا على بلادنا لم اقصر على فعله ابدا سواء بالي
او بيد بري وذلك في وقايع كثيرة مهمة مثل التعلق الذي نشا
في سنة ١٨٦٤ وفي سنة ١٨٧١ وفي عام ابو عمامه وكل امر وقع
لدين الا وكانت عاقبته خيرا باذن الله تعالى ومن ذلك التاريخ
الى يومنا هذا وانا افعل الخير مع الخلق كلهم وكل من احتاج الى شيء
من الدنيا وقصدني فلم اخيبه ابدا هذا واذا اريد الان من الدولة
ان تنعم علي وعلى ابني السيد الحاج محمد بتحرير جميع ما هو تحت ايدينا
مما يجب عليه الغرامة من المواشي والدواب والحرث والنخيل وتجعل
ابنا الى الناس الذين يخدمون بزاويتي فيها ثلاثة مادنيين
وثلاثة طلباء يعلمون القران وثلاثة مدرسين في الفقه
حسبما انعمت بذلك على كثير من المساجد بالاقليم الجزايري
وخصوصا على الشيخ سيدي احمد بن سالم التجيني بعين ماضي
والشيخ سيدي محمد العيد بتماسين والشيخ سيدي علي بن عثمان
فاقبل ايها السيد مزيد تعظيمنا اياك دام عزك وعلاك

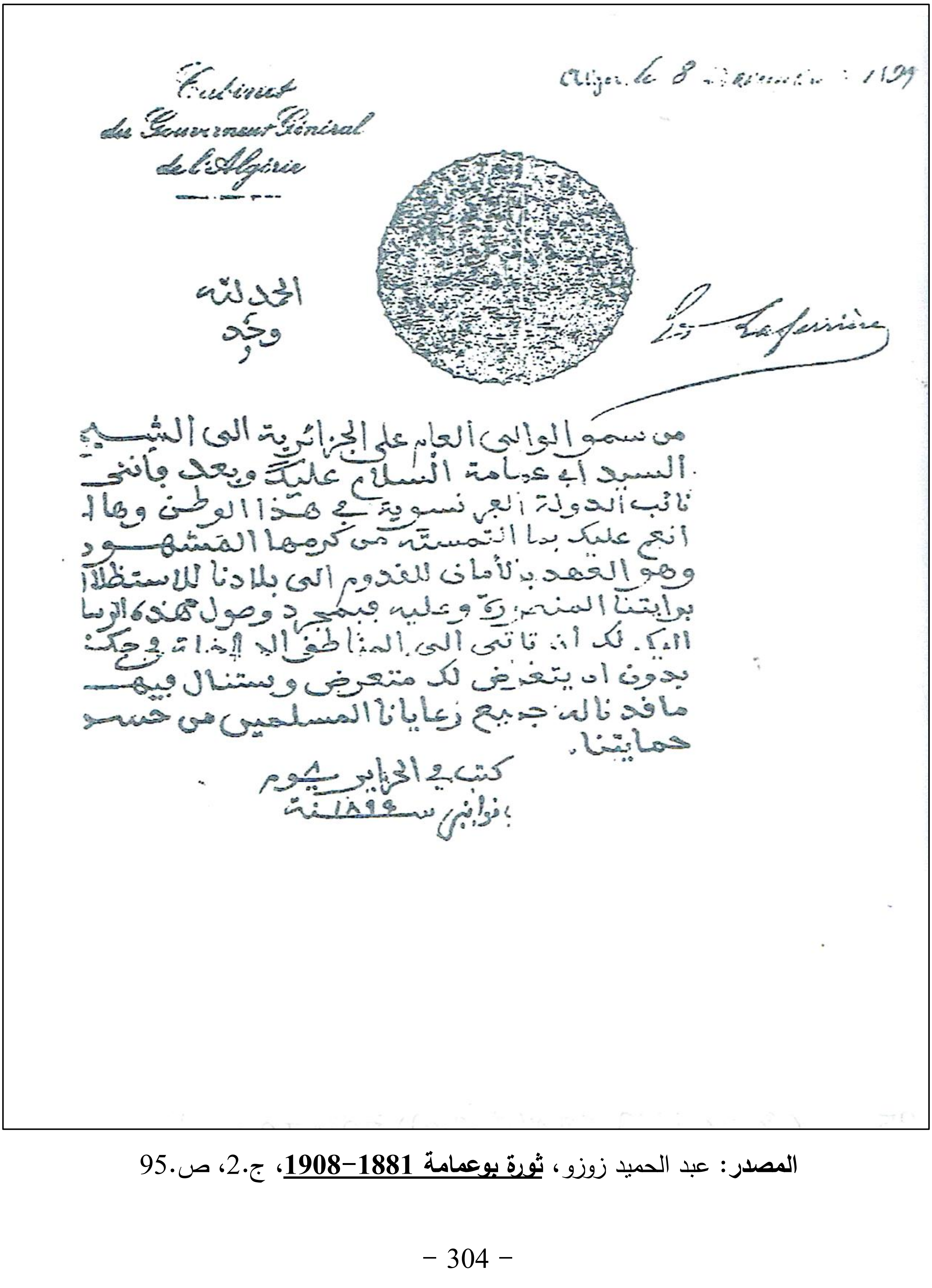
المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H61

ملحق رقم (09): رسالة من الشيخ بوعمامة إلى الحاكم العسكري الفرنسي لدائرة غرداية يطلب منه الأمان 1312هـ/1894م


الحمد لله وحده والملك لله

المصدر: A.O.M (G.G.A) 30H79

ملحق رقم (10): نسخة عن الأمان الذي أرسله الحاكم العام بالجزائر إلى الشيخ بوعمامة سنة 1317هـ/1899م



Cabinet du Gouvernement Général de l'Algérie

Alger, le 8 Novembre 1899

الحمد لله وحده

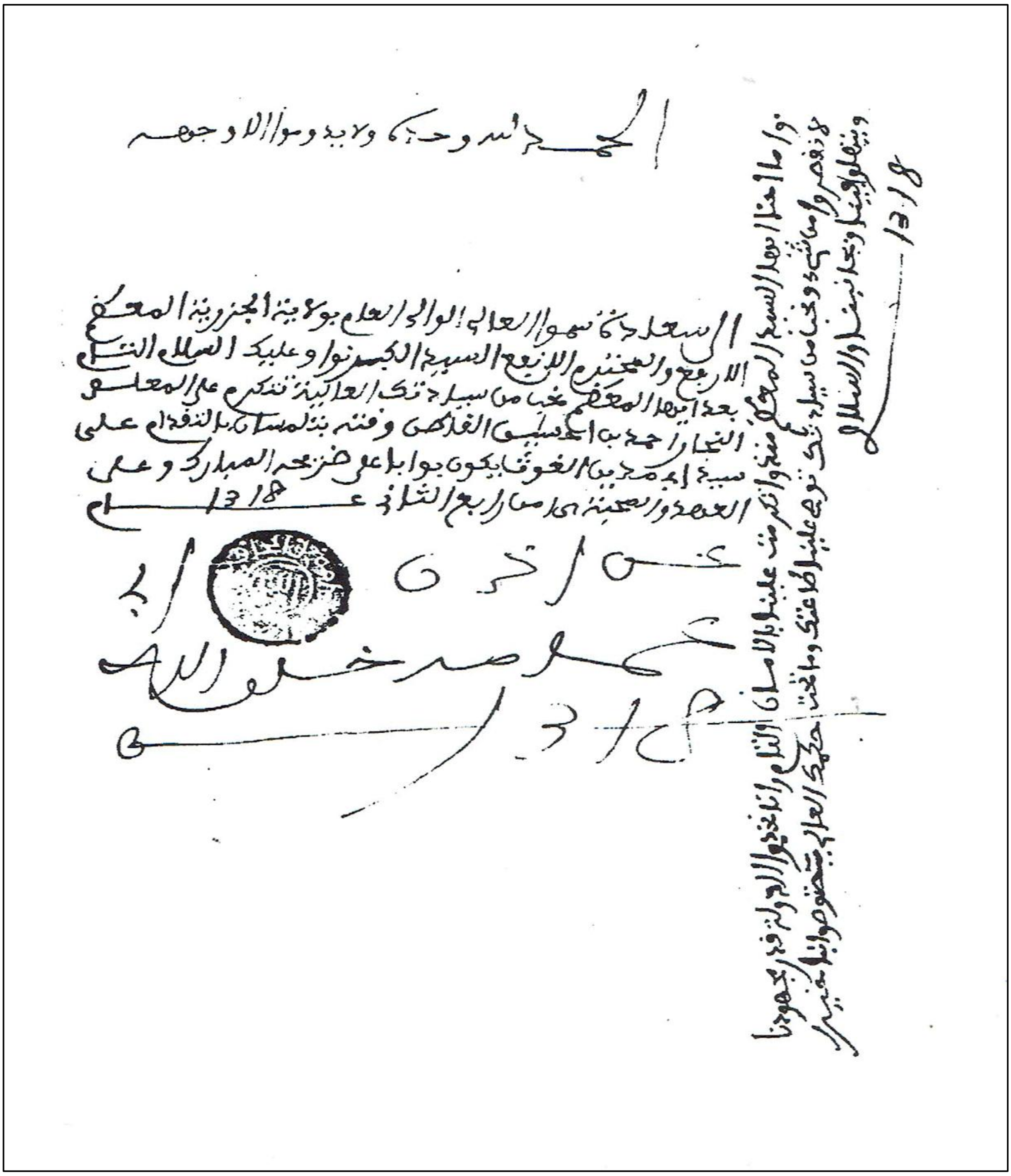
Laferrière

من سمو الوالي العام على الجزائرية الى الشيخ
السيد أبي عمامة السلام عليك وبعد فانني
نائب الدولة الفرنسوية في هذا الوطن وها انا
انعم عليك بما التمسته من كرمها المشهود
وهو العهد بالأمان للقدوم الى بلادنا للاستظلال
برايتنا المنصورة وعليه فبمجرد وصول هذه الرسا
اليك. لك أن تاتي الى المناطق الإدارية في حكمنا
بدون ان يتعرض لك متعرض وستنال فيها
ما قد ناله جميع رعايانا المسلمين من حسن
حمايتنا.

كتب في الجزائر يوم 8 نوفمبر سنة 1899

المصدر: عبد الحميد زوزو، **<u>ثورة بوعمامة 1881-1908</u>**، ج.2، ص.95.

ملحق رقم (11): نسخة عن الرسالة التي رد بها الشيخ بوعمامة على الحاكم العام الفرنسي بالجزائر بعد أن منحه الأمان



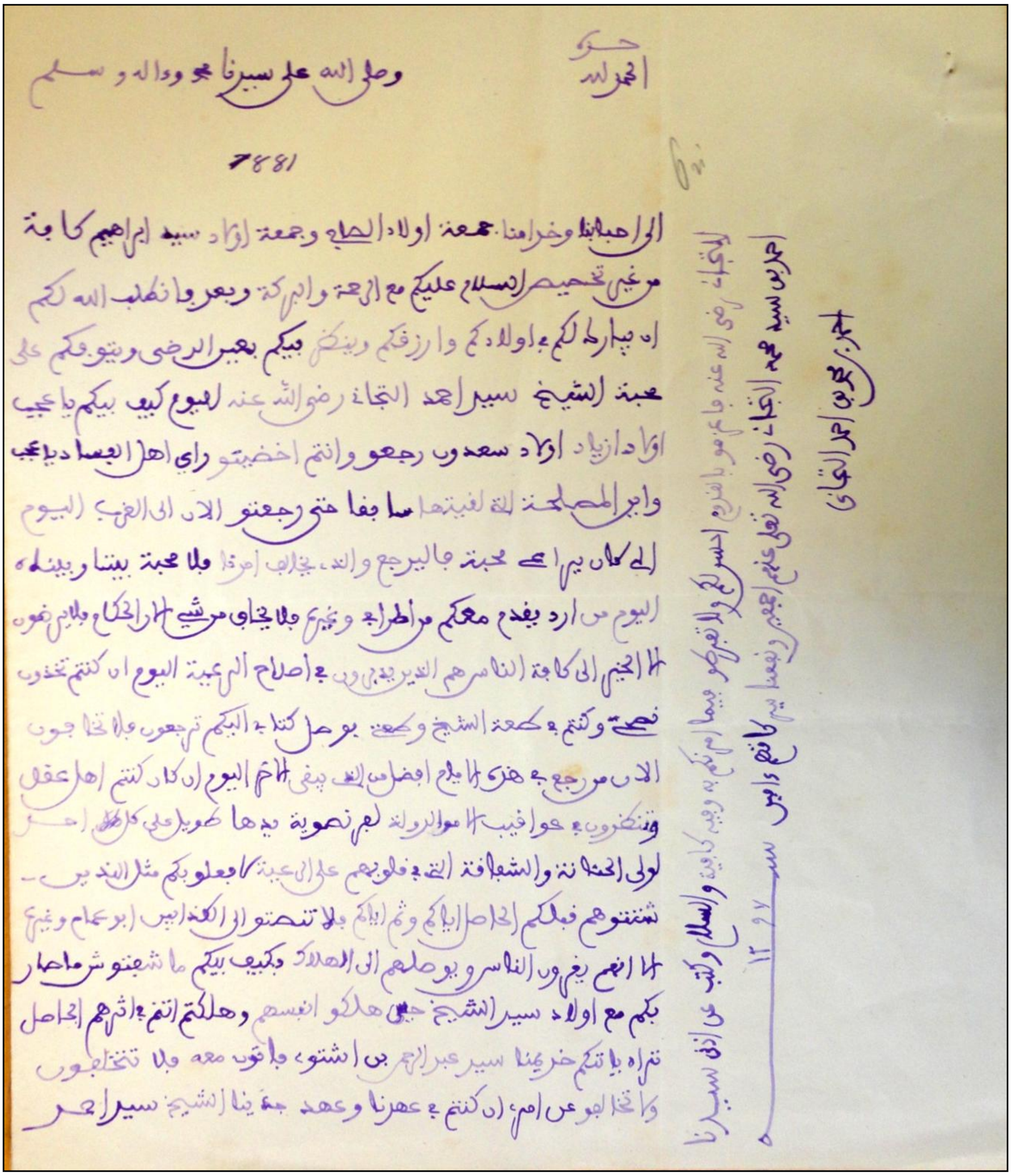
الحمد لله وحده ولا يدوم الا وجهه

الى سعادة سمو العالي الوالي العام بولاية الجزائرية المعظم

1318

المصدر: A.O.M (G.G.A) 30H80

ملحق رقم (12): رسالة الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد التجاني إلى بعض أحبابه الذين التحقوا بثورة الشيخ بوعمامة



الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

7881

الى احبابنا وخدامنا جماعة اولاد الحاج وجماعة اولاد سيد ابراهيم كافة
من غير تخصيص السلام عليكم مع الرحمة والبركة وبعد فانطلب الله لكم
ان يبارك لكم في اولادكم وارزاقكم ويبتكر بيكم بعيد الرضى ويثبتكم على
محبة الشيخ سيدي احمد التجاني رضي الله عنه اليوم كيف بيكم يا عجب
اولاد زياد اولاد سعدون رجعوا وانتم اخطيتو راي اهل العقل ديا عجب
وابن المصلحة التي لقيتها سابقا حتى رجعتو الان الى الغرب اليوم
الي كان يرا في محبة فاليرجع والذي يخالف امرنا فلا محبة بيننا وبينه
اليوم من اراد يقدم معكم من الطرايف ويجري فلا يخاف من شي من الحكام فلا يزال...
...الى كافة الناس هم الذين يجرون في اصلاح الرعية اليوم ان كنتم تخدون
نصحي وكنتم في طاعة الشيخ وطاعتي يوصل كتابي اليكم ترجعون فلا تخافون
الان من رجع في هذه الايام افضل من الذي يبقى الى اليوم ان كان كنتم اهل عقل
وتنظرون في عواقب الامور الدولة لم تصوبة يدها طويل على كل احد
لولا الخيانة والشيطانة التي في قلوبهم على الرعية لا فعلوا بكم مثل الذين
شتتوهم قبلكم الحاصل اياكم ثم اياكم فلا تنصتوا الى الكذابين ابو عمامة وغيره
لانهم يغرون الناس ويوصلهم الى الهلاك فكيف بيكم ما شفتو شي ما صار
بكم مع اولاد سيدي الشيخ حين هلكو انفسهم وهلكتم انتم في اثرهم الحاصل
نراه يا تيكم خديمنا سيدي عبد الرحمن بن اشتوي فاتوب معه فلا تتخلفون
ولا تخالفوا عن امري ان كنتم في عهدنا وعهد جدنا الشيخ سيدي احمد

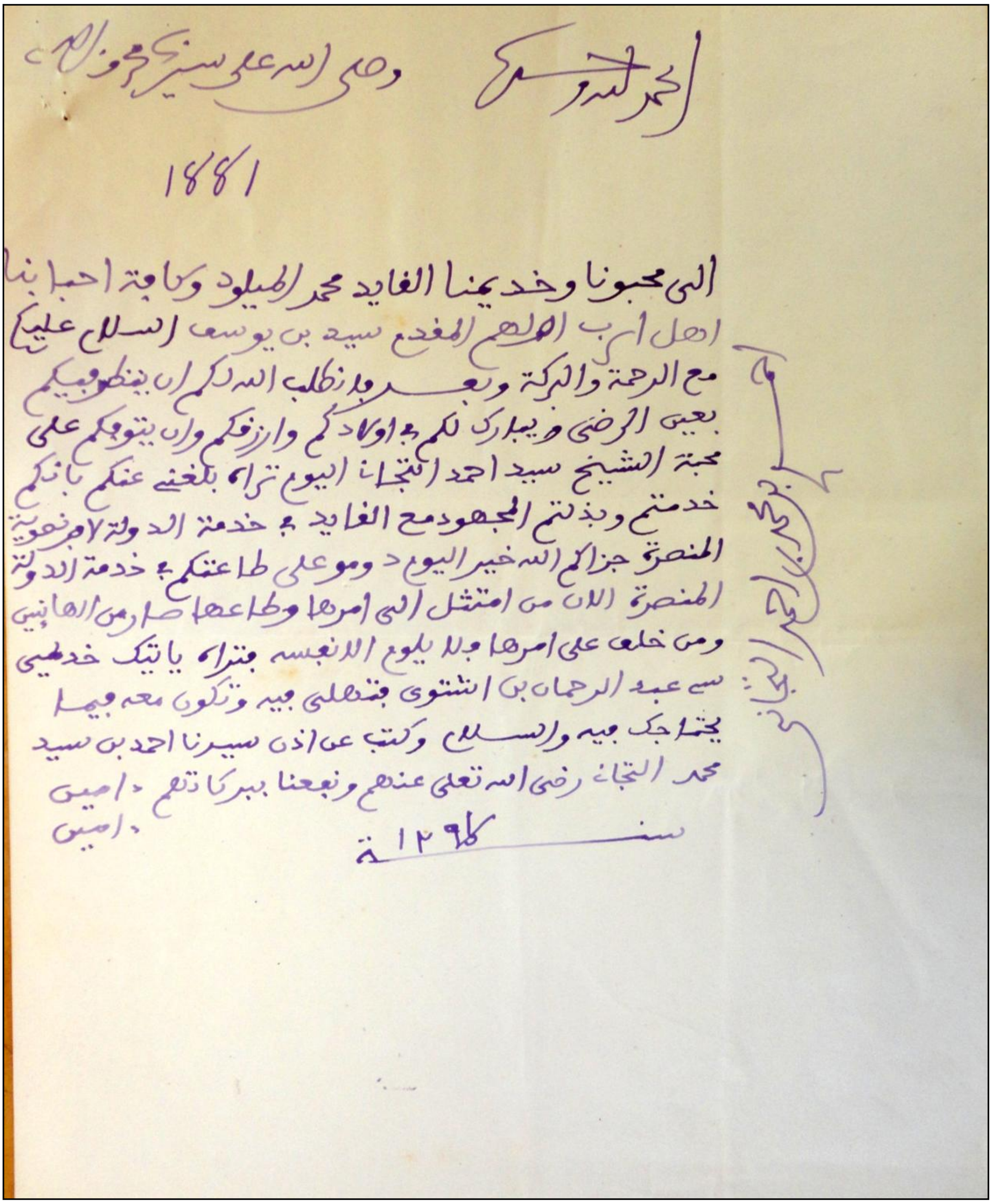
احمد بن محمد بن احمد التجاني

الى احمد بن سيدي محمد التجاني رضي الله تعالى عنهم اجمعين ونفعنا بهم امين كافة في 7 ربيع الاول 1297

التجاني رضي الله عنه فاجرى معه في الفرع الحسن ولا تعرضوهم فيما امرتم به وفيه كفاية والسلام وكتب عن اذن سيدنا

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H44

ملحق رقم (13): رسالة الشيخ أحمد بن محمد أحمد التجاني إلى أحبابه يهنئهم ويشكرهم على إخلاصهم لفرنسا


الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

1881

الى محبوبنا وخديمنا القايد محمد المبلود وكافة احبابنا
اهل اب المقدم سيد بن يوسف السلام عليكم
مع الرحمة والبركة وبعد فاطلب الله لكم ان ينظر فيكم
بعين الرضى ويبارك لكم في اولادكم وارزاقكم وان يثبتكم على
محبة الشيخ سيد احمد التجاني اليوم تراه بلغني عنكم بانكم
خدمتم وبذلتم المجهود مع القايد في خدمة الدولة الفرنسوية
المنصورة جزاكم الله خيرا اليوم وهو على طاعتكم في خدمة الدولة
المنصورة الان من امتثل الى امرها وطاعها صار من الهانيين
ومن خلف على امرها فلا يلوم الا نفسه وتراه ياتيك خديمي
سي عبد الرحمان بن الشتوي فتتفاهم فيه وتكون معه فيما
يحتاجك فيه والسلام وكتب عن اذن سيدنا احمد بن سيد
محمد التجاني رضي الله تعلى عنهم ونفعنا ببركاتهم امين
امين
سنة 1298

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H44

ملحق رقم (14): رسالة بخط الأمير عبد القادر إلى رؤساء وأعضاء الجمعية الفخيمة الفرنماسونية

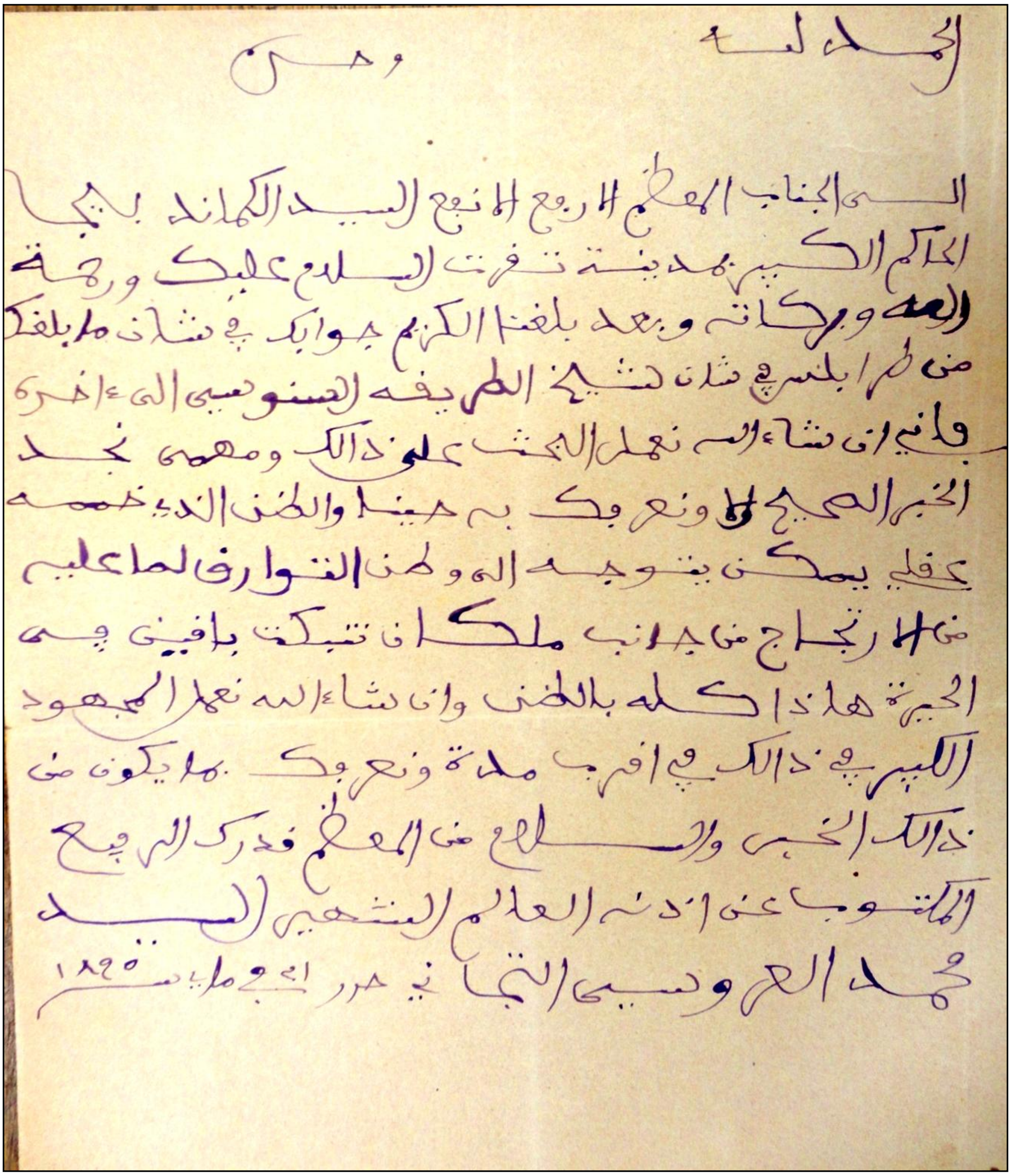
الحمد لله وحده(٥٧)

ايها السادة المحترمين (كذا) رؤساء واعضاء الجمعية الفخيمة الفرنماسونية الموقرين حفظهم الله تعالى

بعد ابلاغ حضراتكم اكمل شوق واوفر اعتبار صادر عن خلوص قلبي . اقول انني بينما انا اتغزل بما سلف من اقوالكم الفخيمة واتامل كيف أن صانع العالم العظيم لايمنح لعباده انعاماته جميعها دفعة واحدة بل شيئا فشيئا لتدوم لذاة (كذا) البشر ويتواصل الشكر غير منقطع نحوه تعالى ، حظيت بكتاب حضراتكم الكريم الصادر عن محبة غير مشكوك بها مع الزهرة الكلية السمو التي تفوق بطيبها الرمزي رايحة

المصدر: الحسيني الحسيني معدي، **موسوعة الماسونية**، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، 2012، ص.651

ملحق رقم (15): رسالة السيد محمد العروسي شيخ الطريقة التجانية بقمار إلى قائد المكتب العربي بتقرت وتتعلق بأخبار الشيخ السنوسي

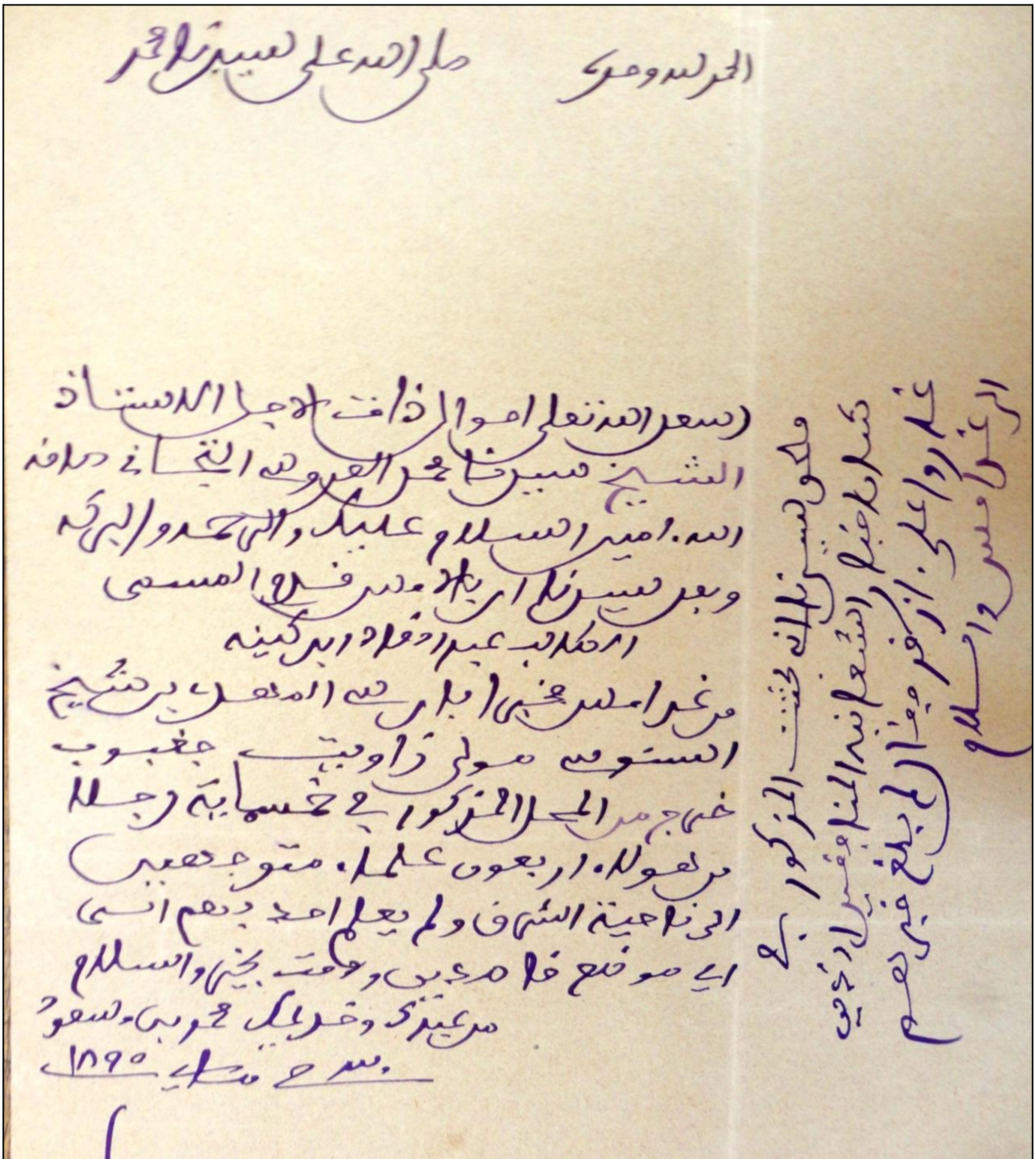


الحمد لله وحده

الى الجناب المعظم الارفع الانفع السيد الكماندا بلنجا
الحاكم الكبير بمدينة تقرت السلام عليك ورحمة
الله وبركاته وبعد بلغنا الكريم جوابك في شان ما بلغك
من طرابلس في شان شيخ الطريقه السنوسي الى اخره
فانني ان شاء الله نعمل البحث على ذالك ومهما نجد
الخبر الصحيح لا ونعرفك به حينا والظن الذي خمنه
عقلي يمكن بتوجه اليه ولكن التوارق لما عليه
من الارتجاج من جانب ملكا ان تتبكت بافيني في
الجبرة هاذا كله بالظن وان شاء الله نعمل المجهود
الكبير في ذالك في اقرب مدة ونعرفك بما يكون من
ذالك الخبر والسلام من المعظم قدرك الرفيع
المكتوب عن اذنه العالم الشهير السيد
محمد العروسي التجاني حرر في 2 مايو سنة ١٨٩٥

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H2

ملحق رقم (16): رسالة أحد أحباب الطريقة التجانية إلى شيخ الطريقة بقمار السيد محمد العروسي وتخص أخبار المهدي بن الشيخ السنوسي



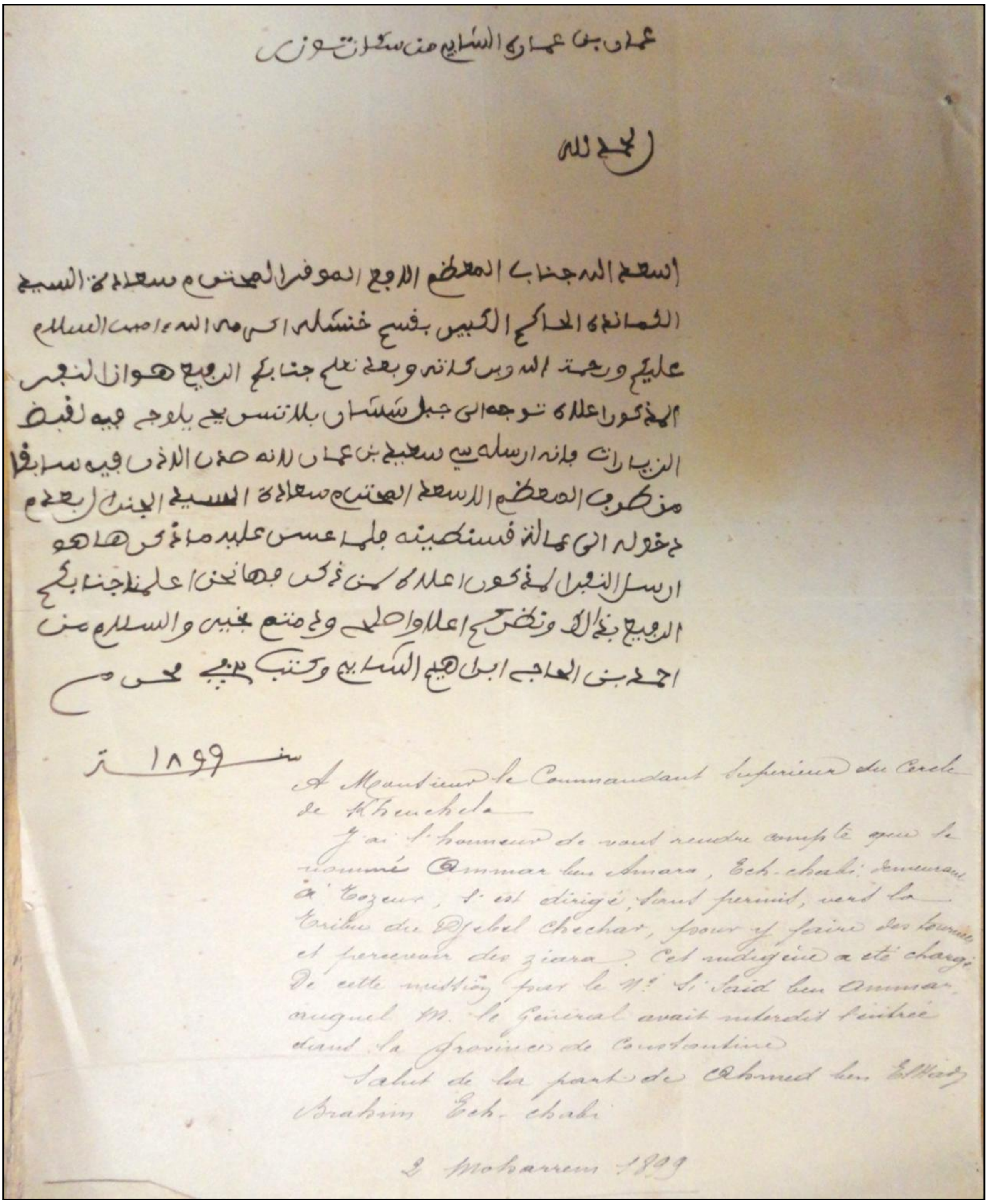
الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد

يسعد الله تعالى احوال ذات الاجل الاستاذ
الشيخ سيدنا محمد العروسي التجاني دام
الله. امين السلام عليك والحمد والبركة
وبعد نعلم سيدنا ان [illegible] المسمى
الطالب عبد [illegible] ابن كنينه
من غدامس مخبر اخبار سي المهدي بن الشيخ
السنوسي مولى زاوية جغبوب
خرج من المحل المذكور في خمساية رجل
من هولاء اربعون عالم. متوجهين
الى ناحية الشرق ولم يعلم احد منهم الى
اي موضع فلا مدة وقت لحين والسلام
من عبدكم وخديمكم محمد بن السعود
بتاريخ 2 [illegible] 1895

[illegible]

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H2

ملحق رقم (17): رسالة أحمد بن الحاج إبراهيم الشابي إلى قائد المكتب العربي بخنشلة يعلمه فيها بدخول نفر من توزر إلى جبل ششار بغرض جمع الزيارات



عمار بن عمارة الشابي من سكان توزر

الحمد لله

أسعد الله جناب المعظم الأرفع الموقر المحترم سعادة السيد
القمندان الحاكم الكبير بقسم خنشلة أكرمه الله وأدام السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد نعلم جنابكم الرفيع هو أن النفر
المذكور أعلاه توجه إلى جبل ششار بلا تنسيح بلا وجه فيه لقبض
الزيارات وأنه أرسله سي سعيد بن عمار لأنه صدر الإذن فيه سابقا
من طرف المعظم الأسعد المحترم سعادة السيد الجنرال بعدم
دخوله إلى عمالة قسنطينة فلما عسس عليه ما ذكر هاهو
أرسل النفر المذكور إعلاما لمن ذكر فها نحن أعلمنا جنابكم
الرفيع بذلك ونطلب من علاكم [illegible] والسلام من
أحمد بن الحاج ابراهيم الشابي وكتب [illegible] محرم
سنة ١٨٩٩

A Monsieur le Commandant Supérieur du Cercle
de Khenchela

J'ai l'honneur de vous rendre compte que le
nommé Ammar ben Amara, Ech-chabi, demeurant
à Tozeur, s'est dirigé, sans permis, vers la
tribu du Djebel Chechar, pour y faire des tournées
et percevoir des ziara. Cet indigène a été chargé
de cette mission par le Nd Si Saïd ben Ammar,
auquel M. le Général avait interdit l'entrée
dans la province de Constantine.

Salut de la part de Ahmed ben El Hadj
Brahim Ech-chabi

2 Moharrem 1899

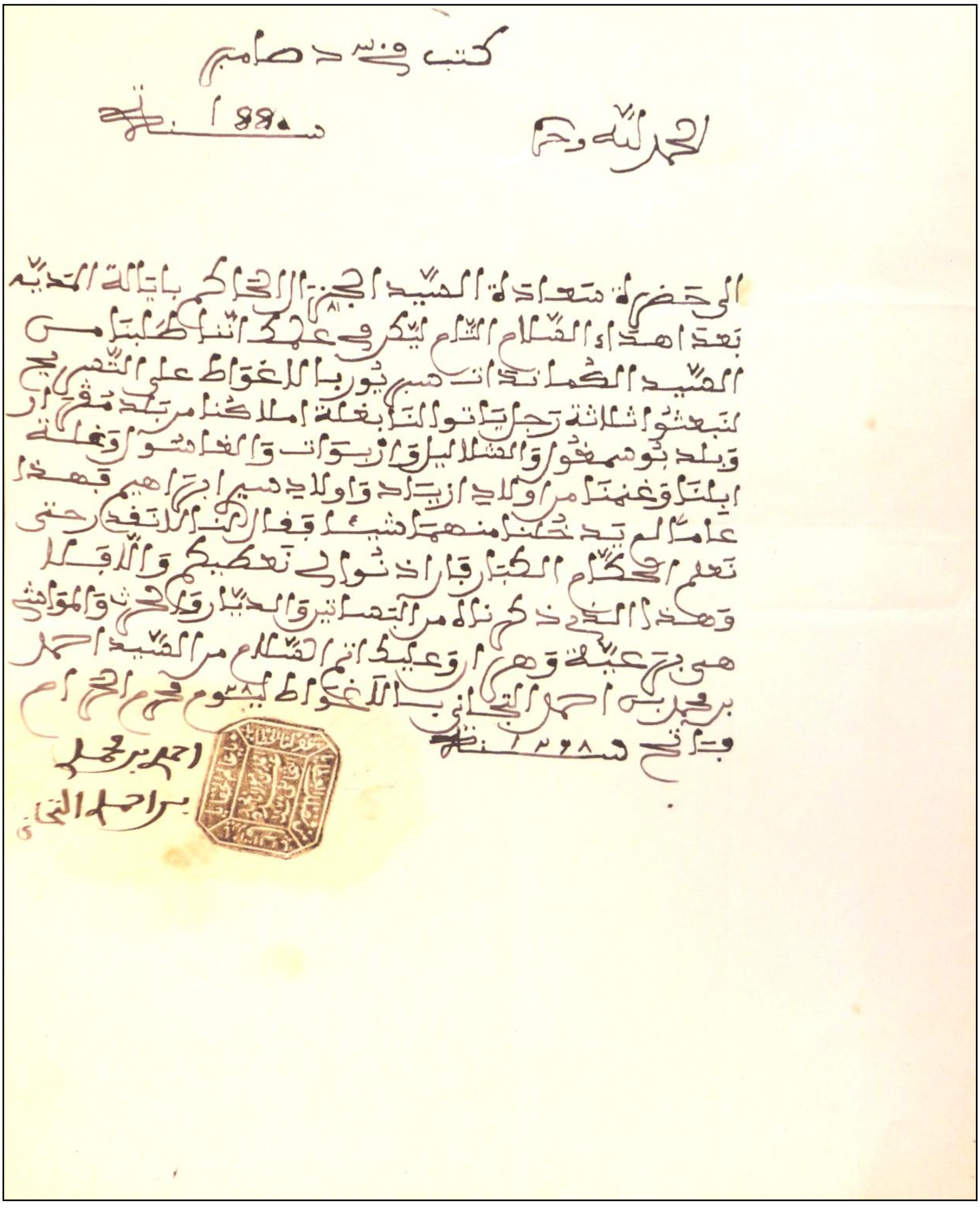
المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H3

ملحق رقم (18): صورة للظرف البريدي الذي أرسل فيه أحمد بن الحاج إبراهيم الشابي رسالته إلى قائد المكتب العربي بخنشلة



المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H3

ملحق رقم (19): رسالة أحمد بن محمد بن أحمد التجاني إلى قائد المكتب العربي بالمدية يعلمه فيها أنه طلب من الضابط السامي في الأغواط الترخيص له لجمع غلة أملاك الزاوية التجانية



كتب في 5 دسامبر

سنة 1880

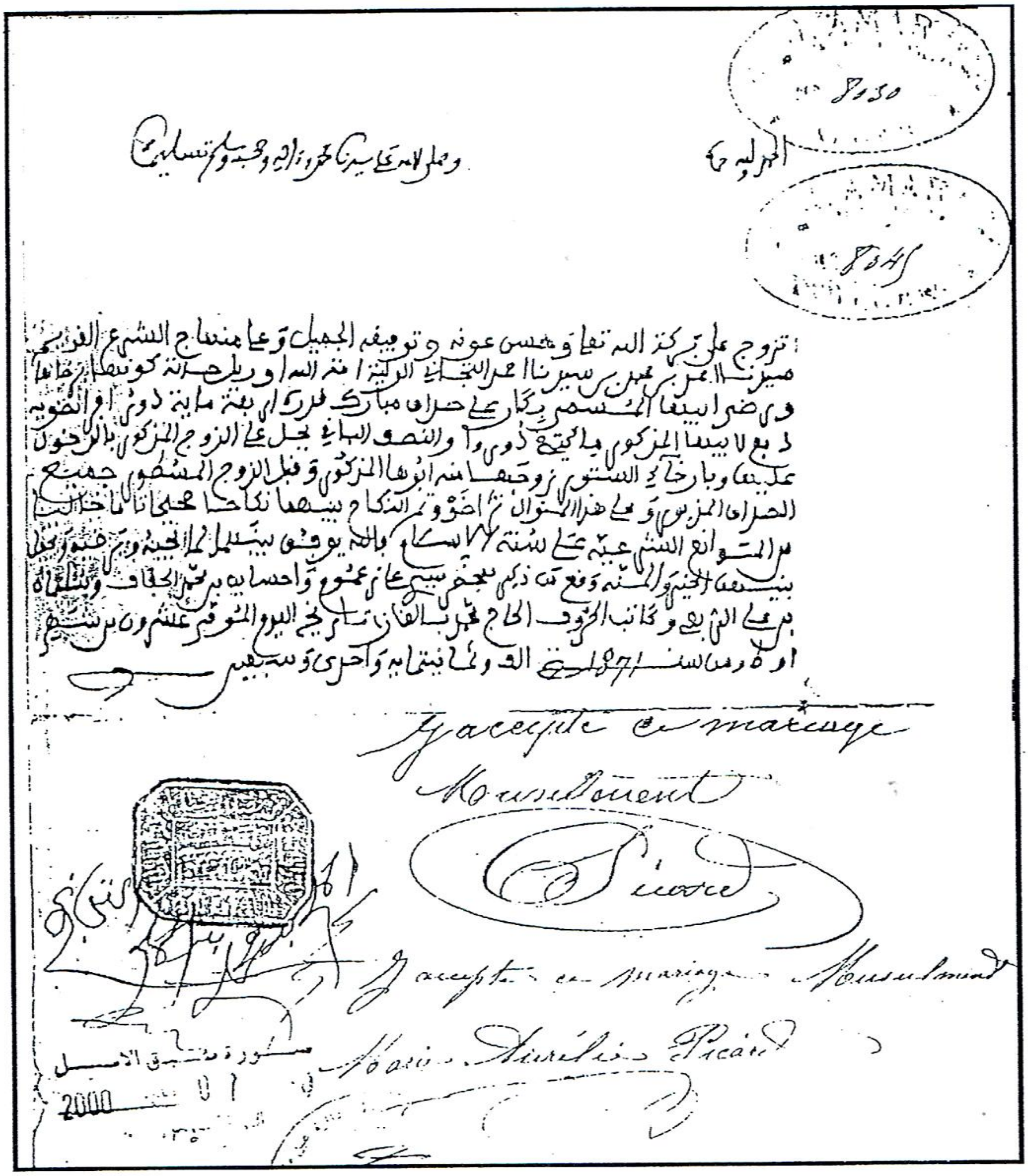
الحمد لله وحده

الى حضرة سعادة السيد الاجل الحاكم بايالة المدية
بعد اهداء السلام التام نذكر في علمكم اننا طلبنا من
السيد الكماندان سبيور بالاغواط على التصريح
لنبعثوا ثلاثة رجال ياتونا بغلة املاكنا من بلد مقرار
وبلد بوسمغون والشلالة وازبوات والغاسول وغلة
ابلنا وغنمنا من اولاد زياد واولاد سيدي ابراهيم فهذا
عاما لم ناخذ منهم شيئا فقال لنا الا تنفذ حتى
تعلم الحكام الكبار فاذ توالي تعطيكم والاقبال
وهذا الذي ذكرناه من التمار والدبار والحرث والمواشي
هي من عينه وهو ا وعليكم اتم السلام من السيد احمد
بن محمد بن احمد التجاني بالاغواط يوم ... الحجة الحرام
وتاريخ سنة 1298

احمد بن محمد بن احمد التجاني

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H46

ملحق رقم (20): صورة عن عقد الزواج الذي حرره المفتي الحنفي لأحمد بن محمد بن أحمد التجاني وأوريلي بيكار Aurélie Picard



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

تزوج على بركة الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل وعلى منهاج الشرع القويم

سيدنا أحمد بن محمد بن سيدنا أحمد التجاني [illegible]

[illegible] المسماة بيكار على صداق مبارك قدره [illegible] مائة دورو [illegible]

[illegible] والنصف الباقي يحل على الزوج المذكور [illegible]

[illegible] زوجها منه أبوها المذكور وقبل الزوج المذكور جميع

الصداق المذكور [illegible] نكاحا صحيحا [illegible]

من الموانع الشرعية على سنة الإسلام والله يوفق بينهما [illegible]

[illegible]

J'accepte en mariage Musulment

Picard

J'accepte en mariage Musulmant

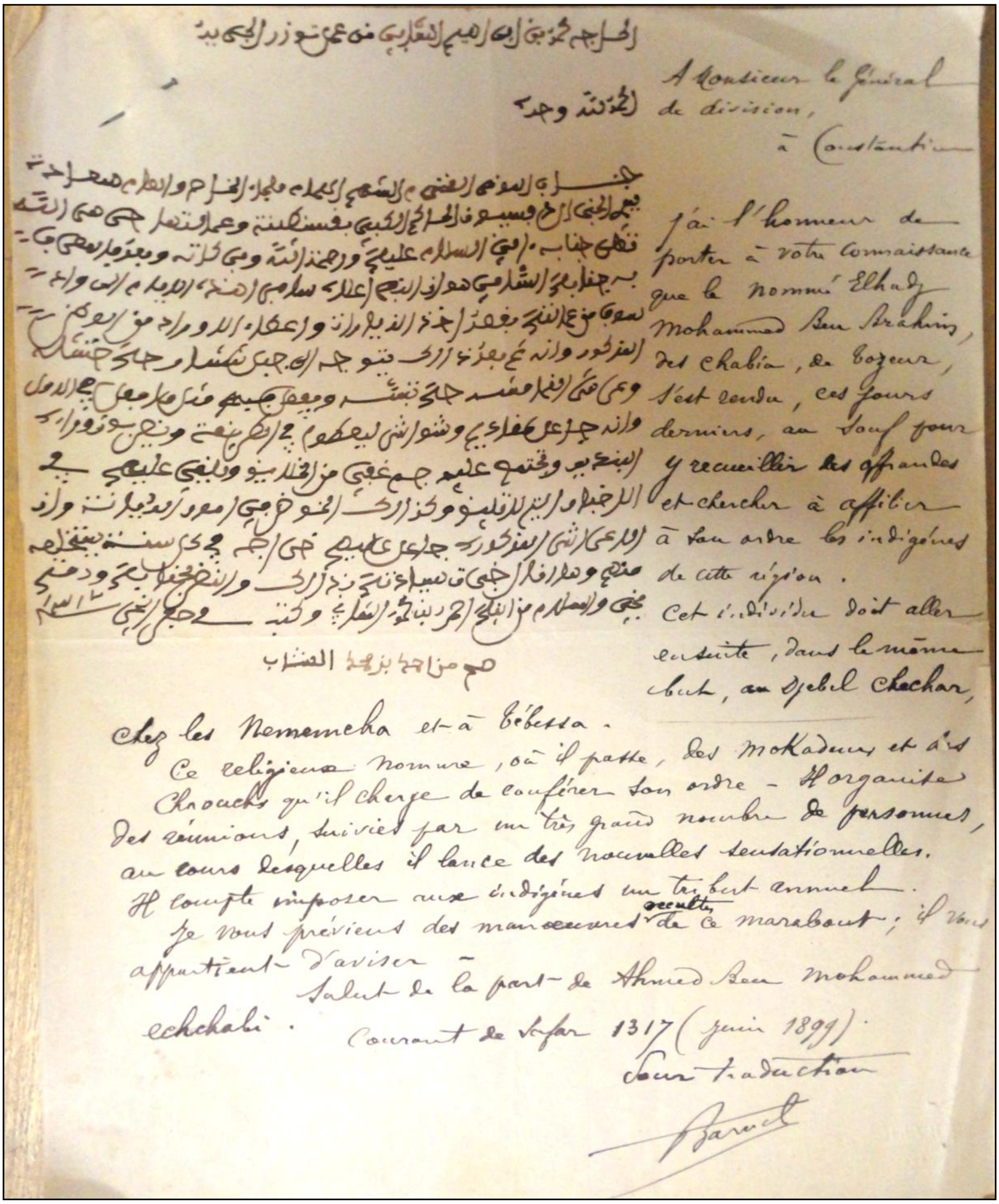
Marie Aurélie Picard

مصورة طبق الأصل

2000

المصدر: محمد الحافظ التجاني، **<u>الانتصاف في رد الافتراء على السادة التجانية</u>**، الزاوية التجانية، تماسين– الجزائر، 12 ربيع الأول 1429هـ، ص.36.

ملحق رقم (21): التقرير الذي بعث به المسمى أحمد بن محمد الشابي من توزر بتونس إلى السلطة العسكرية الفرنسية بقسنطينة سنة 1317هـ/1899م



الحاج محمد بن ابراهيم الشابي من عمل توزر الجريدة

الحمد لله وحده

صح من احمد بن محمد الشابي

A Monsieur le Général
de division,
à Constantine

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que le nommé Elhadj Mohammed Ben Brahim, des Chabia, de Tozeur, s'est rendu, ces jours derniers, au Souf pour y recueillir les offrandes et chercher à affilier à son ordre les indigènes de cette région.

Cet individu doit aller ensuite, dans le même but, au Djebel Chechar, chez les Nememcha et à Tébessa.

Ce religieux nomme, où il passe, des Mokadems et des Chaouchs qu'il charge de conférer son ordre. Il organise des réunions, suivies par un très grand nombre de personnes, au cours desquelles il lance des nouvelles sensationnelles.

Il compte imposer aux indigènes un tribut annuel.

Je vous préviens des manœuvres occultes de ce marabout; il vous appartient d'aviser.

Salut de la part de Ahmed Ben Mohammed Echchabi.

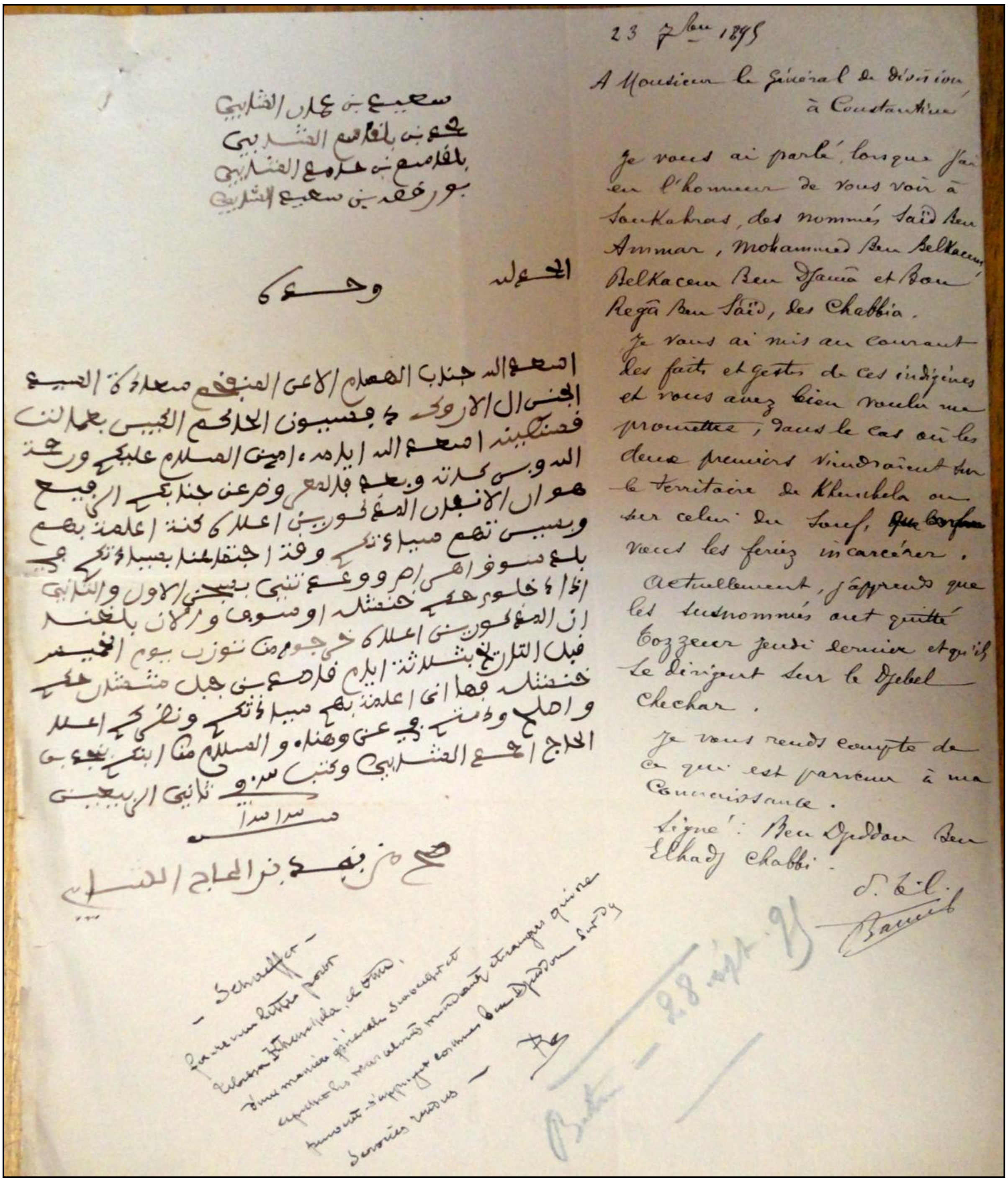
Courant de Safar 1317 (juin 1899)

Pour traduction

Barret

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H3

ملحق رقم (22): التقرير الذي بعث به مقدم الطريقة الشابية في توزر بتونس، المدعو بنجد بن الحاج أحمد الشابي إلى السلطة العسكرية الفرنسية بقسنطينة سنة 1313هـ/1895م



23 7bre 1895

A Monsieur le Général de division à Constantine

Je vous ai parlé, lorsque j'ai eu l'honneur de vous voir à Souk-Ahras, des nommés Saïd ben Ammar, Mohammed ben Belkacem, Belkacem ben Djama et Bou Regâ ben Saïd, des Chabbia.

Je vous ai mis au courant des faits et gestes de ces indigènes et vous avez bien voulu me promettre, dans le cas où les deux premiers viendraient sur le territoire de Khenchela ou sur celui du Souf, vous les feriez incarcérer.

Actuellement, j'apprends que les susnommés ont quitté Tozzeur jeudi dernier et qu'ils se dirigent sur le Djebel Chechar.

Je vous rends compte de ce qui est parvenu à ma connaissance.

Signé: Ben Djeddou ben Elhadj Chabbi.

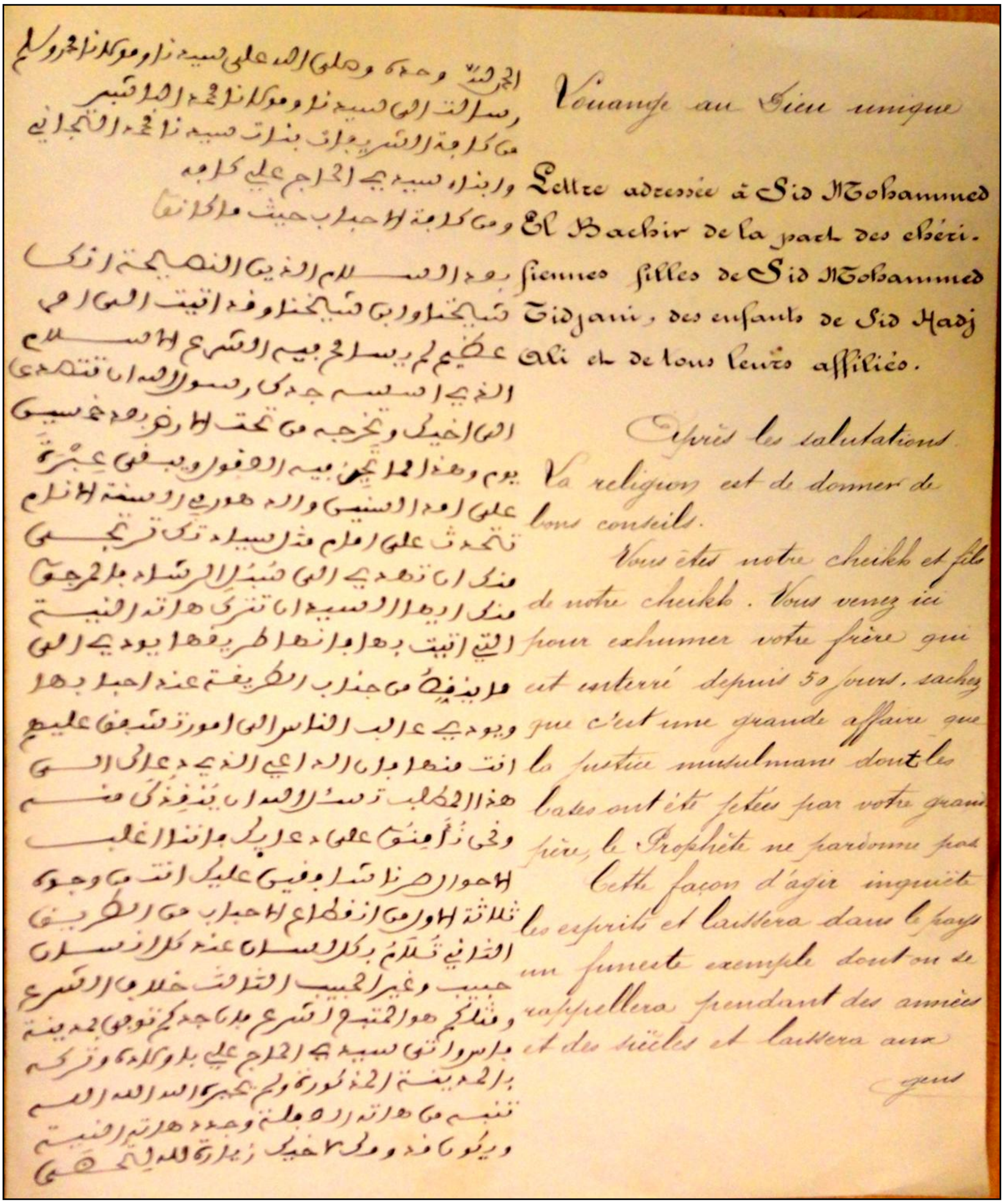
سعيد بن عمار الشابي
محمد بن بلقاسم الشابي
بلقاسم بن جامع الشابي
بورقعة بن سعيد الشابي

الحمد لله وحده

صح من بنجد بن الحاج الشابي

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H3

ملحق رقم (23): رسالة بنات محمد التجاني وأبناء الحاج علي التماسيني إلى محمد البشير شيخ زاوية عين ماضي



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم
رسالة إلى سيدنا ومولانا محمد البشير
من كافة الشريفات بنات سيدنا محمد التجاني
وأبناء سيدي الحاج علي كافة
ومن كافة الأحباب حيث ما كانوا
بعد السلام الذي النصيحة أنك
شيخنا وابن شيخنا وقد أتيت إلى أمر
عظيم لم يسامح فيه الشرع الإسلامي
الذي أسسه جدك رسول الله أن تتعدى
إلى أخيك وتخرجه من تحت الأرض بعد خمسين
يوم وهذا مما يجري فيه القول ويبقى عبرة
على أهل السنين والله هو في دسيسة الأنام
تتحدث على أمام مثل سيادتك ترتجي
منك أن تهدي إلى سبيل الرشاد بالرجوع
منك أيها السيد أن تترك هاته النية
التي أتيت بها وأنها طريقها يؤدي إلى
ما ينفك من جناب الطريقة عند أحبابها
ويؤدي غالب الناس إلى أمور تشق عليهم
أنت منها وأن الداعي الذي دعاك إلى
هذا المطلب نسأل الله أن ينفذك منه
ونحن نأمنك على دعائك وأننا أغلب
الأحوال صرنا نشاوفي عليك أنت من وجوه
ثلاثة الأول من انقطاع الأحباب من الطريقة
الثاني تكلم بكل لسان عند كل إنسان
حبيب وغير حبيب الثالث خلاف الشرع
وقلتكم هو المتبوع الشرع ما جدكم توفي بمدينة
وأسرواتي سيدي الحاج علي بلا ولاده وتركه
بالمدينة المذكورة ولم يحركوا إلا الله التي
تنبع من هاته الدولة وجدد هاته النية
ويكونا قد وصل لأخيك زيارة الله أن يحقق

Louange au Dieu unique

Lettre adressée à Sid Mohammed El Bachir de la part des chérifiennes filles de Sid Mohammed Tidjani, des enfants de Sid Hadj Ali et de tous leurs affiliés.

Après les salutations.

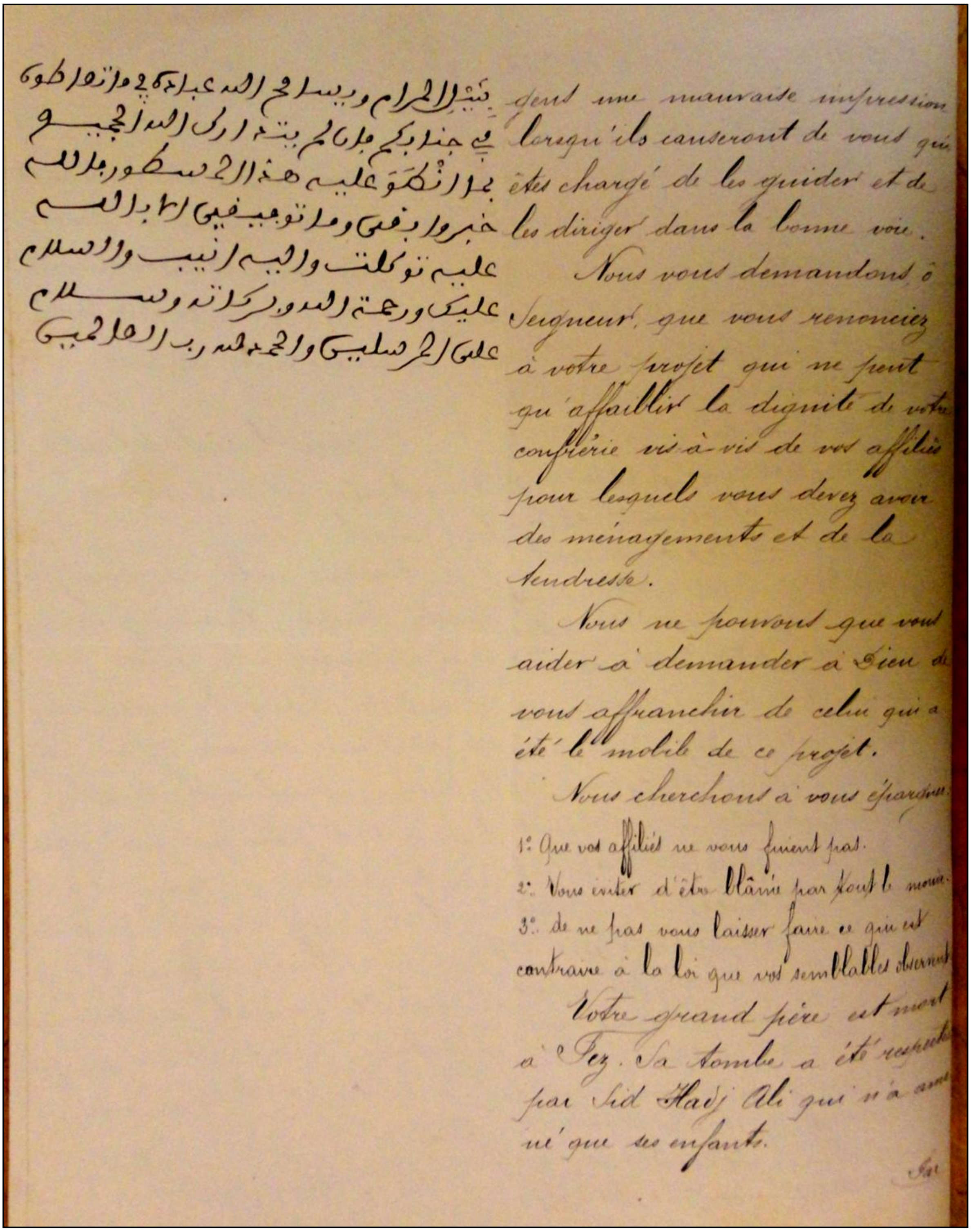
La religion est de donner de bons conseils.

Vous êtes notre cheikh et fils de notre cheikh. Vous venez ici pour exhumer votre frère qui est enterré depuis 50 jours. sachez que c'est une grande affaire que la justice musulmane dont les bases ont été jetées par votre grand père, le Prophète ne pardonne pas.

Cette façon d'agir inquiète les esprits et laissera dans le pays un funeste exemple dont on se rappellera pendant des années et des siècles et laissera aux gens

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (23): تابع



بيت الحرام ويسامح الله عبادكم في ما تهاونوا
في جنابكم ولا لم يبق الا رحمكم الله الجميع
بما انكرتم عليه هذا المسطور ولا الله
خبروا بفعل وما توفيقي الا بالله
عليه توكلت واليه انيب والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين

gent une mauvaise impression lorsqu'ils causeront de vous qui êtes chargé de les guider et de les diriger dans la bonne voie.

Nous vous demandons ô Seigneur, que vous renonciez à votre projet qui ne peut qu'affaiblir la dignité de votre confrérie vis-à-vis de vos affiliés pour lesquels vous devez avoir des ménagements et de la tendresse.

Nous ne pouvons que vous aider à demander à Dieu de vous affranchir de celui qui a été le mobile de ce projet.

Nous cherchons à vous épargner.

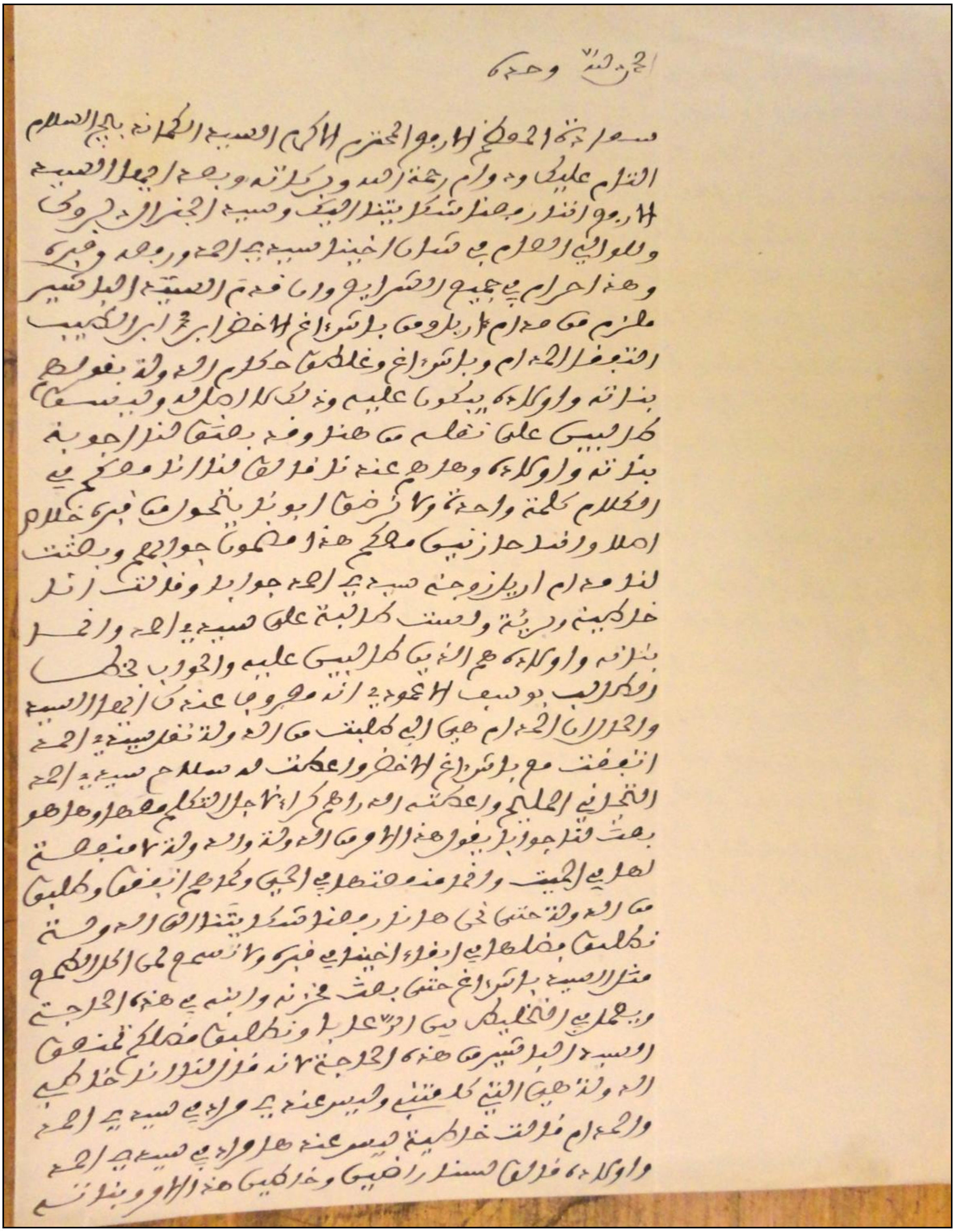
1°. Que vos affiliés ne vous fuient pas.
2°. Vous éviter d'être blâmé par tout le monde.
3°. de ne pas vous laisser faire ce qui est contraire à la loi que vos semblables observent.

Votre grand père est mort à Fez. Sa tombe a été respectée par Sid Hadj Ali qui n'a aimé que ses enfants.

Sa

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (24): رسالة بنات أحمد التجاني وبنات محمد التجاني إلى قائد المكتب العربي بتقرت



الحمد لله وحده

سعادة [illegible] المحترم الأكرم السيد الكماندة بعد السلام
التام عليك ودوام رحمة الله وبركاته وبعد أيها السيد
[illegible] وسيدي الجنرال [illegible]
والوالي العام في شأن أخينا سيدي أحمد [illegible]
[illegible]
[illegible] باشاغا الأخضر [illegible]
[illegible]
بناته وأولاده [illegible] عليهم وذلك [illegible]
[illegible] على [illegible]
بناته وأولاده [illegible]
الكلام كلمة واحدة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على سيدي [illegible]
بناته وأولاده [illegible] عليهم والجواب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] باشاغا الأخضر [illegible]
التجاني [illegible]
[illegible] الدولة والدولة [illegible]
[illegible]
من الدولة [illegible]
[illegible]
[illegible] باشاغا [illegible]
[illegible]
[illegible] هذه الحاجة [illegible]
الدولة [illegible]
[illegible]
وأولاده [illegible]
[illegible]

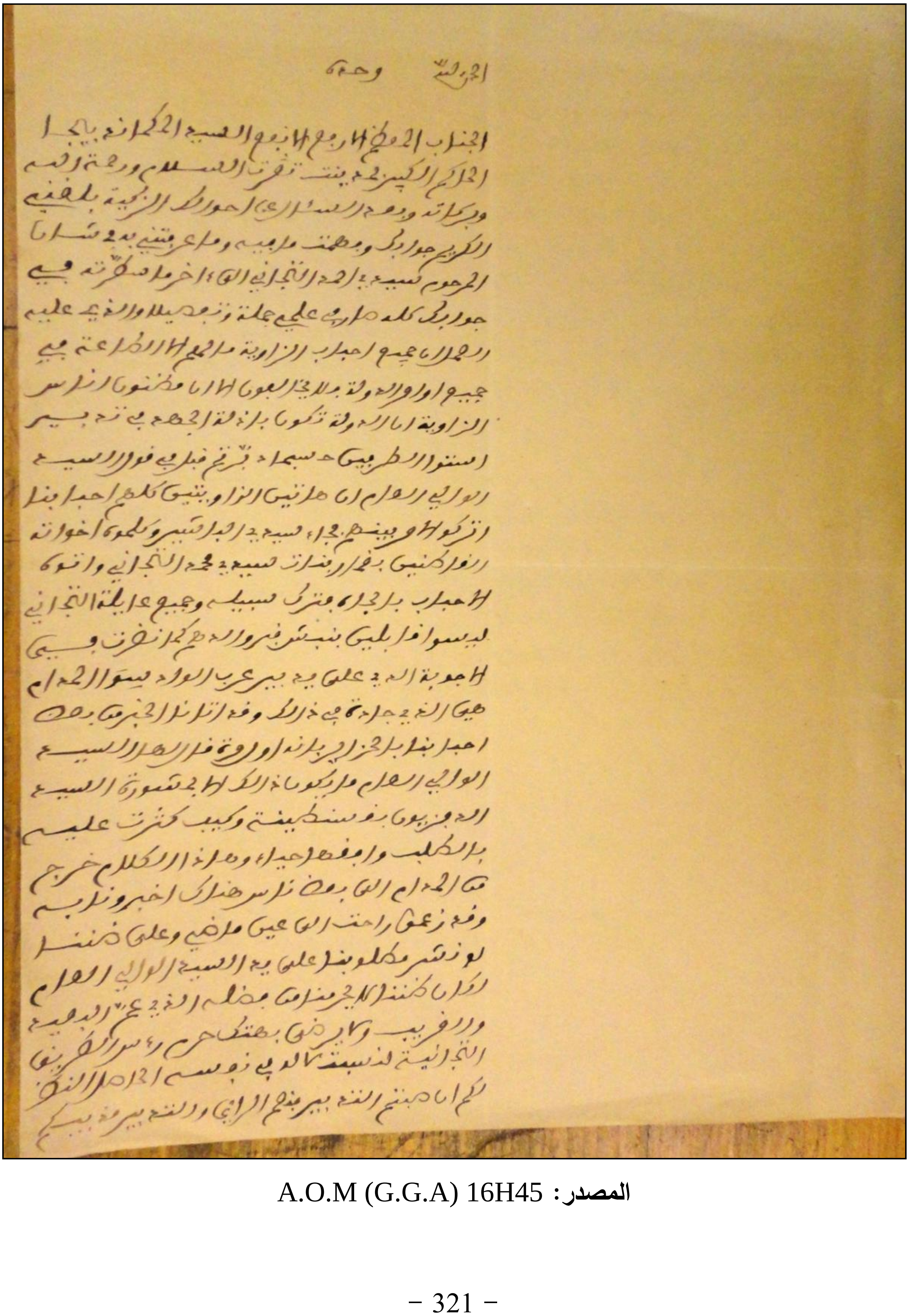
المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (24): تابع

فالحال ايضا فالقاضي الذي هذا الامر وكلهم اهل السوء
الامر على الدولة بنطلبوا من فضل الدولة تعين محلا في
اخينا يبقى في موضعه ولا تغيروه من مكانه وهي اهل
الفضل والكرم وانا كونت الدولة بريئة من هذا الامر
ويقال مثل هو كلام الذي يتسبب والرفض ونحن اخواته والسند
راضين بحكمه وتحويله من مكانه بنطلب الدولة
تعين محلا فيه وتخلي بيننا وبين القاضي في حكمه وهو
ادى الامر الى الحرام وهذا عند الشرع ونحن نطلبوا
الشرع مع من تعدى للتحويل وهو لا يبقى عندنا شيء
من ارزاقنا واما قول الذي الاغا اذا الرشي الحزين
متاع سيدي احمد ذلك خبر صحيح لا شك فيه سمعناه
من خدامه ابو جمعة هو الذي خرج جميع ذلك على يده
اخبرنا بجميع ذلك من جهة من فعله تنفروا في حقنا
بلا نفع طلبنا لكم متحيرين بكم تكونوا في عوننا وتحدثوا
الدولة بكلامنا هذا وبجميع ما قلناه لكم ولا ترضوا
لنا الهرجة وانا عبيدكم وان جميع الناس الوطن
في حزن وكرب عظيم لهذا الامر وهذا هو جواب السؤال
يصلك تنظره وعليكم الف سلام من عند سيدي
احمد التجاني وكرامة بنا ... والسلام من السيد
حليمة والسيد ... وكرامة جميلة الزاوية
كتب في رمضان في يوم اربعة عشر 1815 لسنة انتهى

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (25): رسالة محمد لعروسي شيخ زاوية قمار التجانية إلى قائد المكتب العربي بتقرت

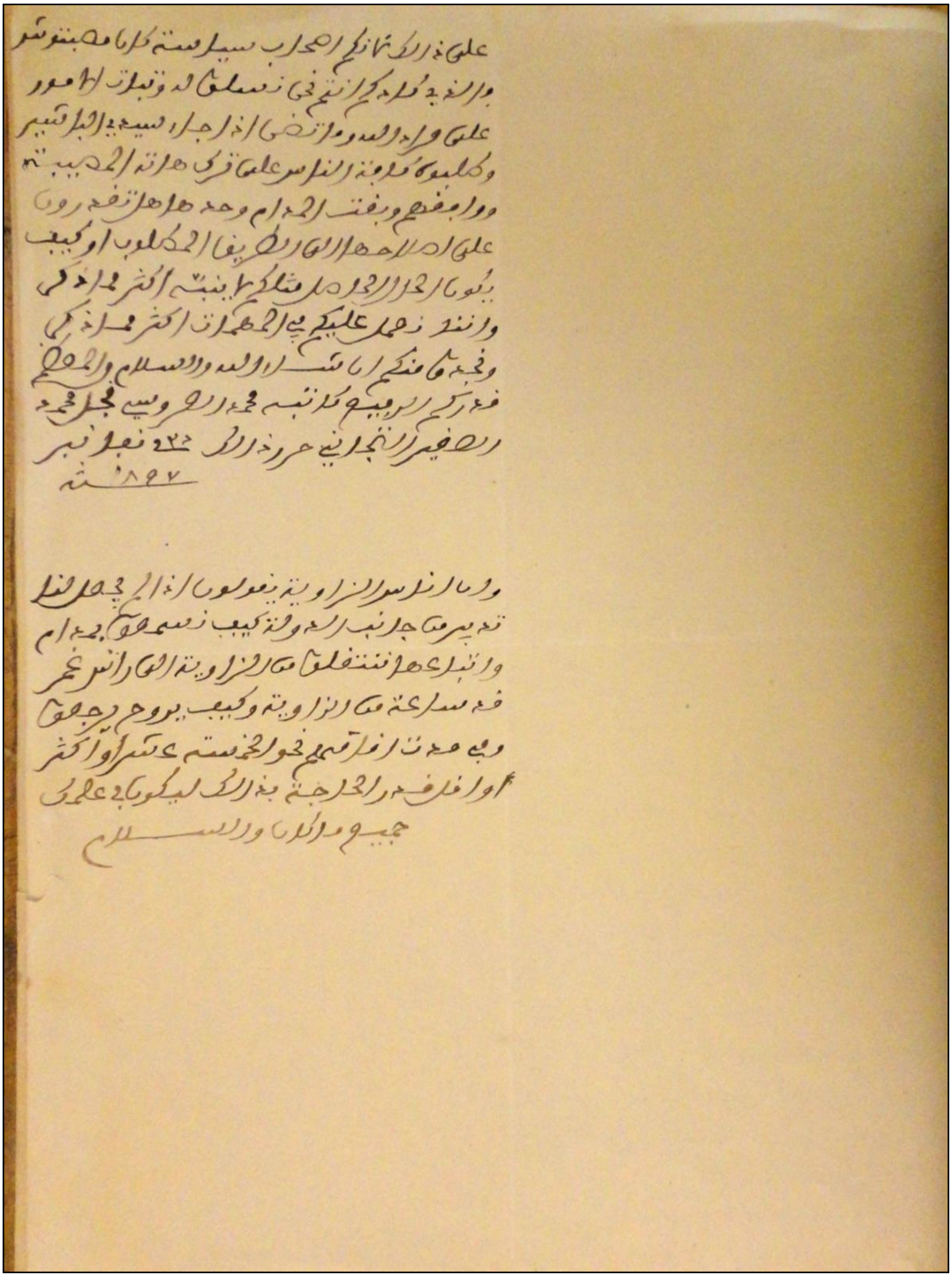


الحمد لله وحده

الجناب [illegible] والسيد الحكام [illegible]
الحاكم الكبير [illegible] تقرت السلام ورحمة الله
وبركاته وبعد السؤال عن احوالك الزكية بلغني
الكريم جوابك وفهمت ما فيه وما عرفتني به في شان
المرحوم سيدي احمد التجاني الذي [illegible] في
جوابك كله [illegible] على جملة وتفصيلا والذي عليه
الحال ان جميع احباب الزاوية ما لهم الا الطاعة في
جميع اوامر الدولة [illegible] ان ناس
الزاوية ان الدولة [illegible]
[illegible] قبل في قول السيد
الوالي العام [illegible] كلهم احبابنا
[illegible] سيدي البشير وكلموا اخوانه
[illegible] سيدي محمد التجاني [illegible]
الاحباب [illegible] وجميع عايلة التجاني
ليسوا [illegible] كما نعرف وفي
الاجوبة الذي على يد [illegible] الحكام
[illegible] في ذلك وقد اتانا الخبر من بعض
احبابنا بالجزاير [illegible] السيد
الوالي العام [illegible] السيد
[illegible] بقسنطينة وكيف كثرت عليه
بالطلب [illegible] وهذا الكلام خرج
من الحكام [illegible] ناس هناك اخبرونا به
[illegible] وعلى ذلك
لو [illegible] علي يد السيد الوالي العام
[illegible]
[illegible]
التجانية [illegible]
[illegible]
[illegible]

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (25): تابع

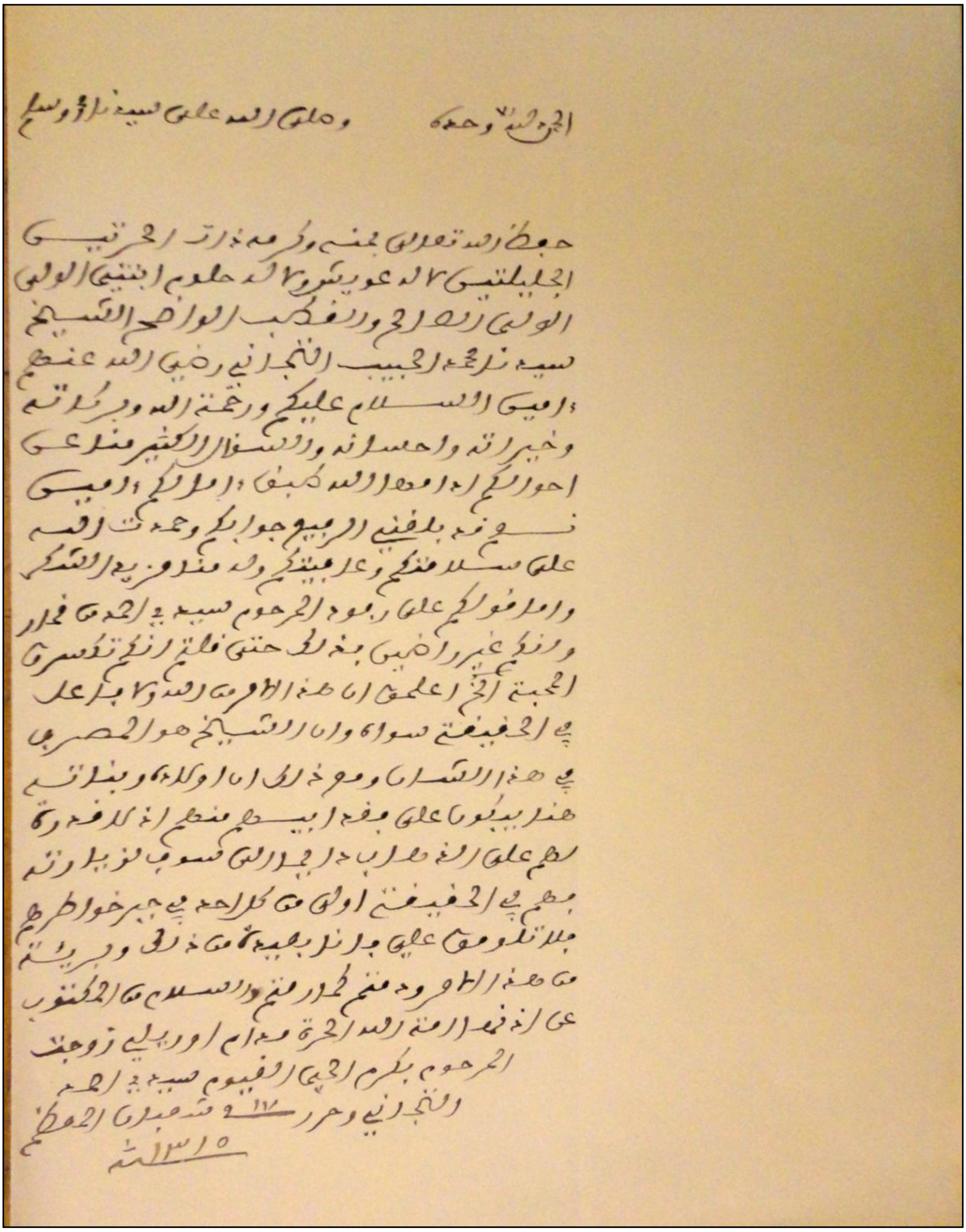

على ذلك ثانيا المحارب سياسة كما هي بتونس
والغرب ولاحظكم انتم في تسليك الله وتبديل الامور
على وزن العدو وان نفي اذا جاء سيدي البشير
وكلموه كماوقة الناس على ترك هذه الحديبة
وادفعهم وبعث الجدام وحد هاهنا تفرح روح
على اصلاح هذا الطريق المطلوب او كيف
يكون الحال الحال هل فيكم ابنبته اكثر من حاذق
وانتم نحمل عليكم في الحمرات اكثر من ذلك
وخيرها منكم ان شاء الله والسلام والمطلع
فيه ركن الوديع كاتبه محمد الاحرى وسي محمد
الصغير البجائي حرر ذلك ٢٢ نوفمبر
سنة ١٨٩٧

وان الناس الزاوية يقولون اذا اليوم حل النار
تم بين ما جانب الدولة كيف نعمل في جدام
وانتم هذا تنتقلوا من الزاوية الغاز انس عمر
في مسافة من الزاوية وكيف يروح رجال
وفي حدث ان قلت فيهم نحو الخمسة عشر او اكثر
او اقل فيه الحاجة بذلك ليكون على علم في
جميع ما ذكر والسلام

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (26): رسالة السيدة أوريلي بيكار Aurélie Picard

إلى بنات الشيخ محمد التجاني (لالا عويشَ ولالا حلوم)

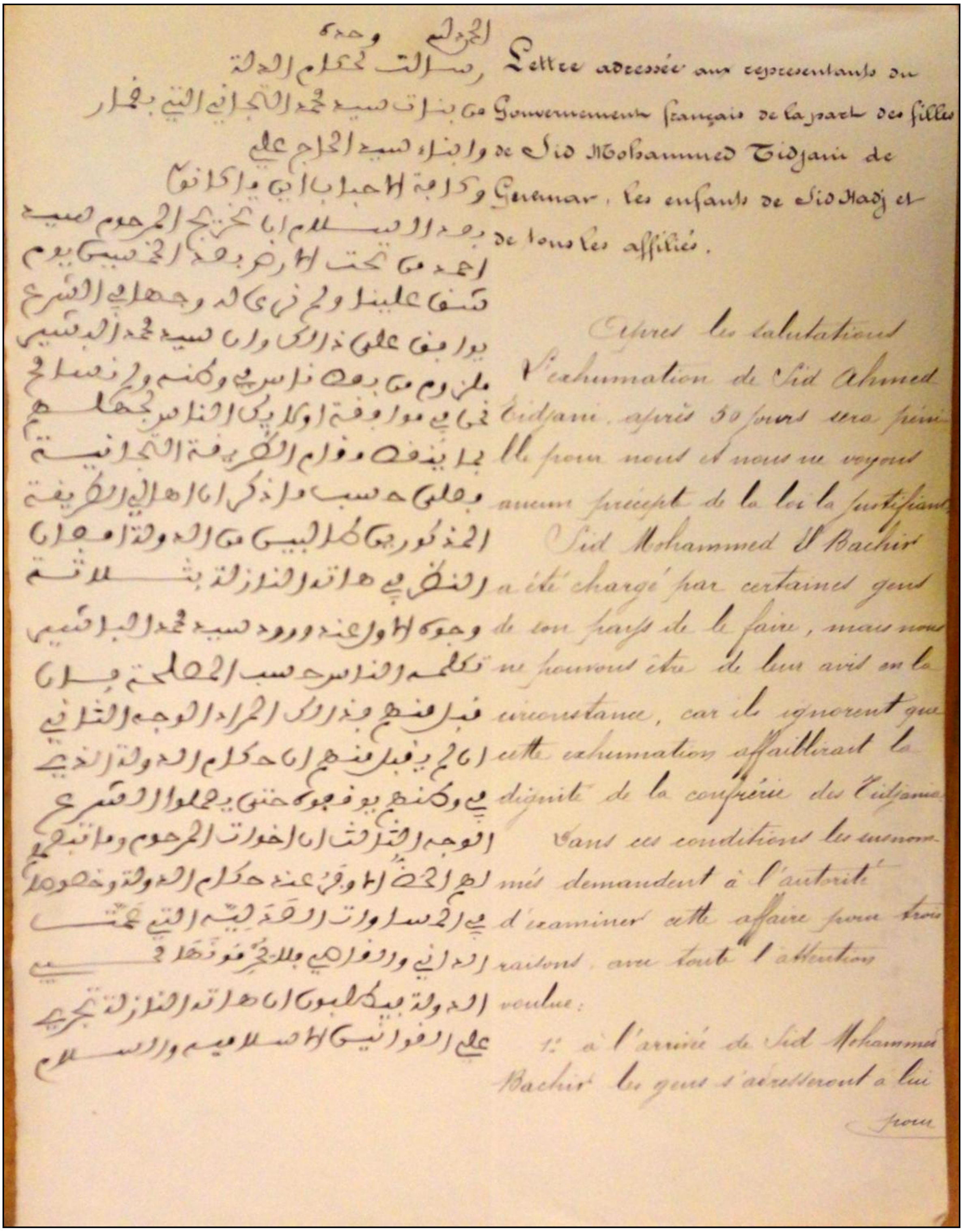


الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه ذات الحرتين
الجليلتين لالة عويشة ولالة حلوم ابنتي الولي
الولي الصالح والقطب الواضح الشيخ
سيدنا محمد الحبيب التجاني رضي الله عنه
آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وخيراته واحسانه والسؤال الكثير منا عن
احوالكم ادام الله لطفه امالكم امين
[illegible] بلغني الرقيم جوابكم وحمدت الله
على سلامتكم وعافيتكم والله منا وزيد الشكر
واما قولكم على رجوع المرحوم سيدي احمد من قمار
وانكم غير راضيين بذلك حتى قلتم انكم تكسروا
المحبة اخي اعلموا ان هذا الامر من الله ولا بد على
في الحقيقة سواء وان الشيخ هو المتصرف
في هذا الشأن ومع ذلك ان اولاده وبناته
هذا يبكوا على فقد ابيهم فضلا انكم لا فرق
لكم على الغير حاشا ان حال [illegible] فسوف نزيد [illegible]
بكم في الحقيقة اولى من كل احد في جبر خواطركم
فلا تلوموا علي فان [illegible] من ذلك وبرية
من هذا الامر ومنكم [illegible] والسلام من المكتوب
عن اذن [illegible] امة الله الحرة مدام اوريلي زوجة
المرحوم بكرم الحي القيوم سيدي احمد
التجاني وحرر في 17 شعبان المعظم
سنة 1315

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (27): رسالة بنات محمد التجاني وأبناء الحاج علي التماسيني إلى السلطات الفرنسية



Lettre adressée aux représentants du Gouvernement français de la part des filles de Sid Mohammed Tidjani de Guemar, les enfants de Sid Hadj et de tous les affiliés.

Après les salutations

L'exhumation de Sid Ahmed Tidjani, après 50 jours sera pénible pour nous et nous ne voyons aucun précepte de la loi la justifiant. Sid Mohammed El Bachir a été chargé par certaines gens de son pays de le faire, mais nous ne pouvons être de leur avis en la circonstance, car ils ignorent que cette exhumation affaiblirait la dignité de la confrérie des Tidjania.

Dans ces conditions les susnommés demandent à l'autorité d'examiner cette affaire pour trois raisons avec toute l'attention voulue:

1° à l'arrivée de Sid Mohammed Bachir les gens s'adresseront à lui pour

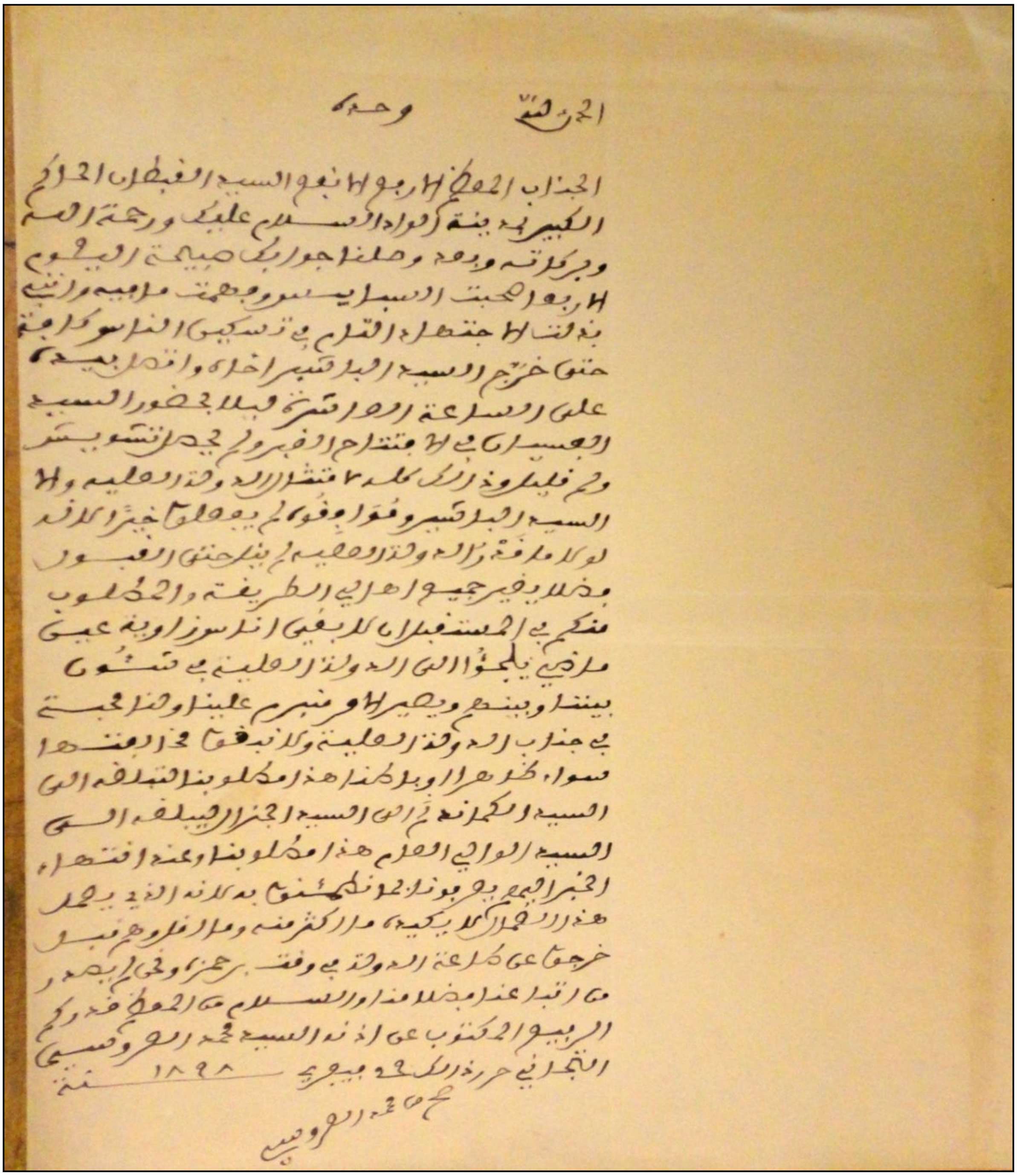
الحمد لله وحده

رسالت لحكام الدولة من بنات سيد محمد التجاني التي بڤمار وابناء سيد الحاج علي وكافة الاحباب اين ما كانوا

بعد السلام اما تخريج المرحوم سيد احمد من تحت الارض بعد الخمسين يوم شق علينا ولم نرى له وجها في الشرع يوافق على ذالك وان سيد محمد البشير ملزوم من بعض ناس في وطنهم ولم نستطع نحن في موافقة اولائك الناس لجهلهم بما ينقص مقام الطريقة التجانية وعلى حسب ما ذكر ان اهالي الطريقة المذكورين طالبين من الدولة امعان النظر في هاته النازلة بثلاثة وجوه الاول عند ورود سيد محمد البشير تكلمه الناس حسب المصلحة فان قبل منهم فذالك المراد الوجه الثاني ان لم يقبل منهم ان حكام الدولة الذي في وطنهم يوقفوه حتى يحملوا الشرع الوجه الثالث ان اخوات المرحوم وما تبعهم لهم الحق الا وقف عند حكام الدولة وخصوصا في المساوات الحقيقية التي تمنح الداني والقاصي بلا تمييز فوثقنا في الدولة يطلبون ان هاته النازلة تجري على القوانين الاسلامية والسلام

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (28): رسالة محمد لعروسي شيخ الزاوية التجانية بقمار إلى قائد المكتب العربي بالواد يطلعه فيها بنبأ نقل محمد البشير لجثمان أخيه أحمد بن محمد بن أحمد التجاني إلى عين ماضي من دون مشاكل



الحمد لله وحده

الجناب المعظم الارفع الانفع السيد القبطان الحاكم
الكبير في بنة [illegible] السلام عليك ورحمة الله
وبركاته وبعد وصلنا جوابك صبيحة اليوم
الاربعاء [illegible] وفهمت ما فيه وانني
بذلت الاجتهاد التام في تسكين الناس كافة
حتى خرج السيد البشير اخاه وانفصل بيده
على الساعة العاشرة قبل حضور السيد
[illegible] في الافتتاح [illegible] لم يحدث تشويش
ولا قليل وذلك كله لافتقار الدولة العلية ولا
السيد البشير وقوا [illegible] يحصلوا خيرا لانه
لولا [illegible] الدولة العلية لم [illegible] حتى [illegible]
بذلك يفرح جميع اهالي الطريقة والمطلوب
منكم في المستقبل ان لا يبقى [illegible] زاوية عين
ماضي يلجوا الى الدولة العلية في تشويش
بيننا وبينهم ويصير لا [illegible] علينا ولنا محبة
في جناب الدولة العلية ولا نبقوا [illegible]
سواء ظاهرا وباطنا هذا مطلوبنا التبلغه الى
السيد الكمندة ثم الى السيد الجنرال يبلغه الى
السيد الوالي العام هذا مطلوبنا وعند انتهاء
الخبر [illegible] لانه الذي يحمل
هذا الحمل [illegible] ما اكثر منه وما [illegible] قبل
خرجوا عن طاعة الدولة في وقت [illegible]
[illegible] والسلام من المعظم قدركم
[illegible] المكتوب عن اذنه السيد محمد العروسي
التجاني حرر [illegible] سنة ١٨٩٨

محمد العروسي

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

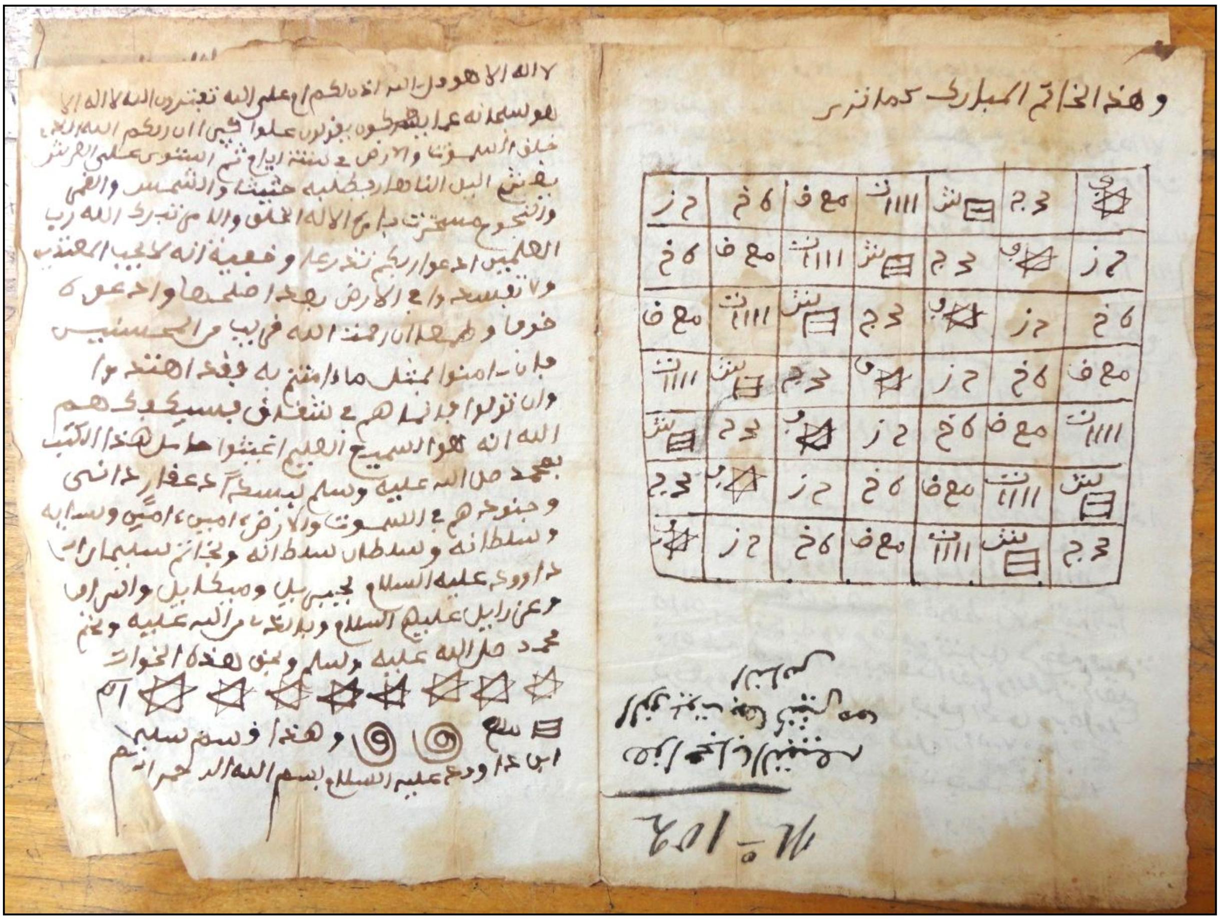
ملحق رقم (29): رسالة معمر بن علي التجاني شيخ زاوية تماسين إلى محمد بن المطماطية شيخ الزاوية التجانية بقسنطينة سنة 1298هـ/1884م


الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

في 6 رمضان المعظم سنة 1298

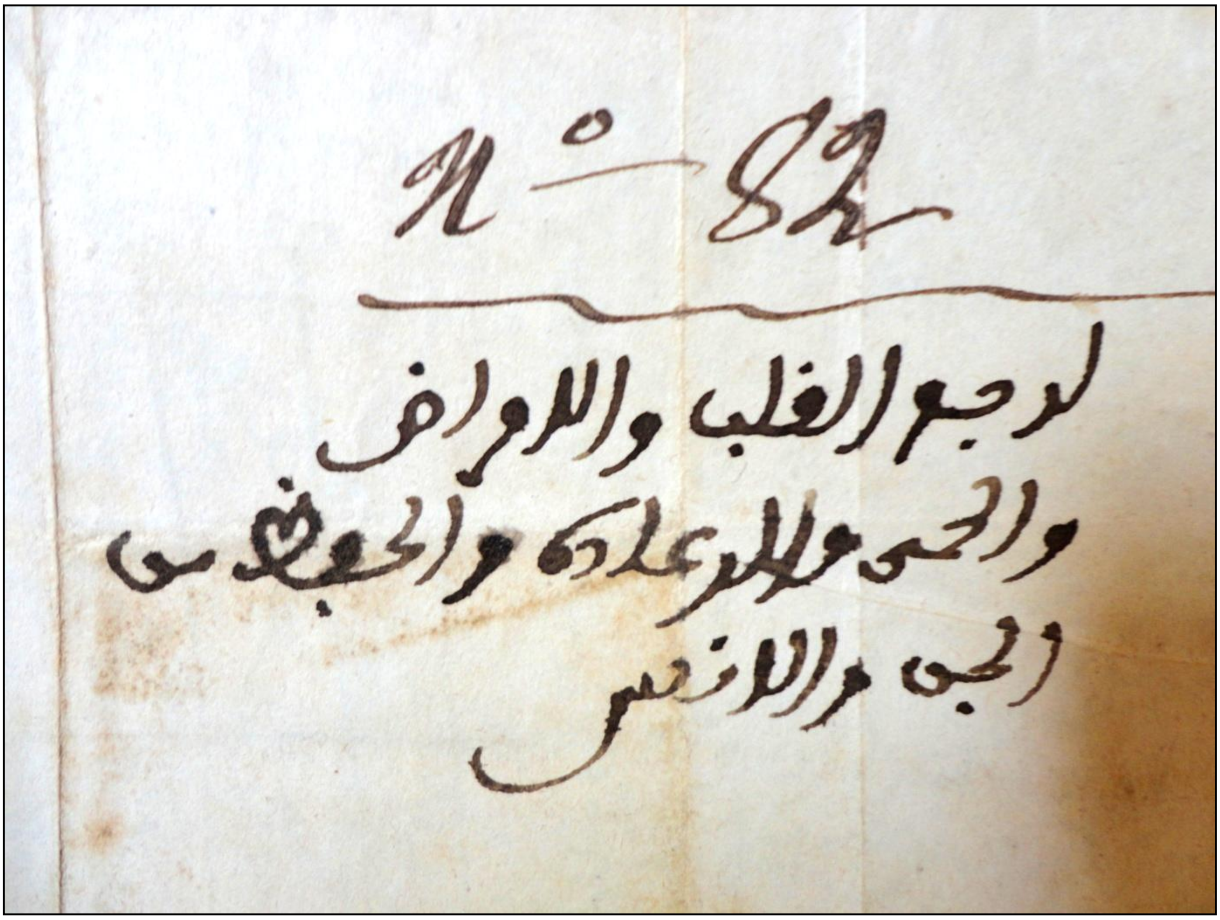
المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H45

ملحق رقم (30): صورة عن أحد الحروز



المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H1

ملحق رقم (31): صورة لواجهة حرز يشفي من آلام القلب والحمى والرعادة ويحفظ من الجن والإنس


N° 82

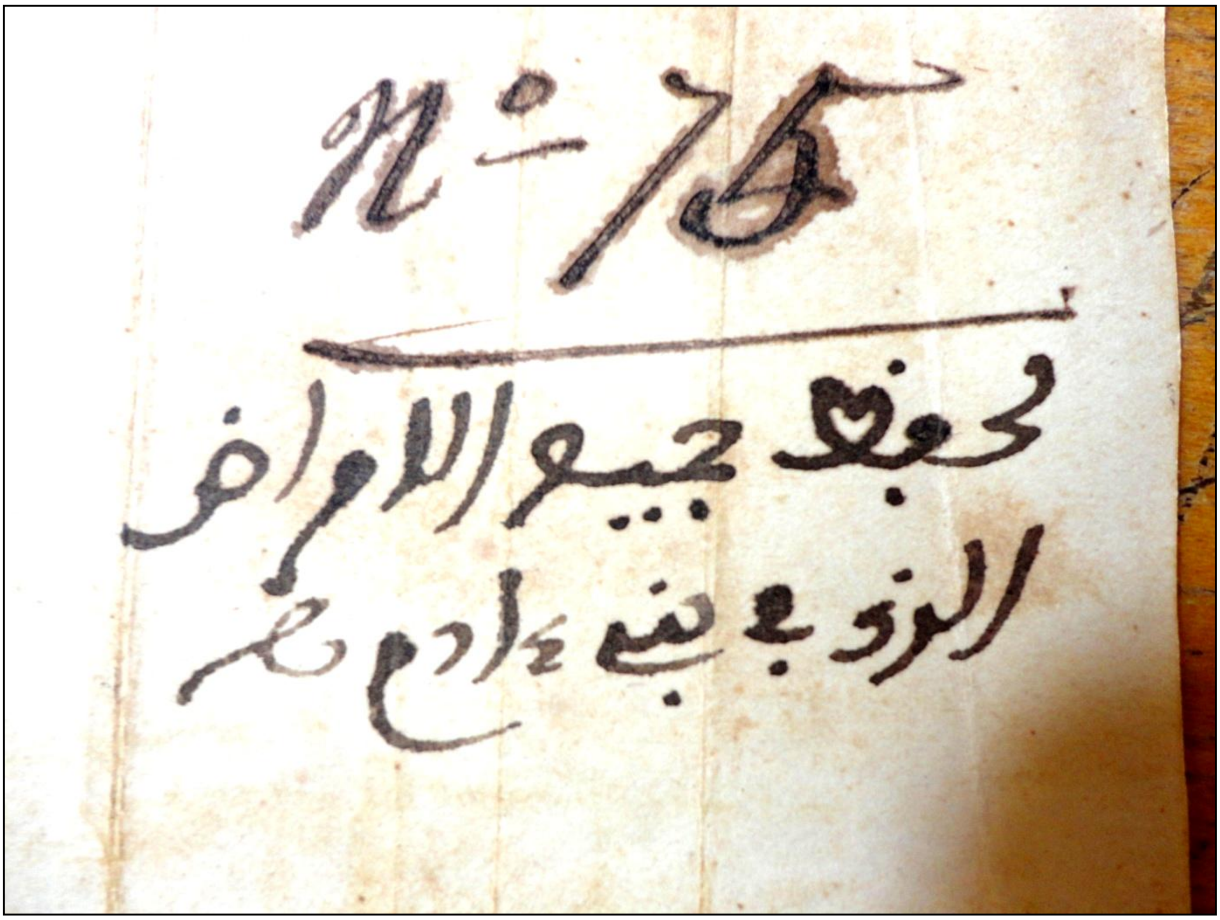
لوجع الغلب واللوارف

والحمى والرعادة والحفظ من

الجن والانس

المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H1

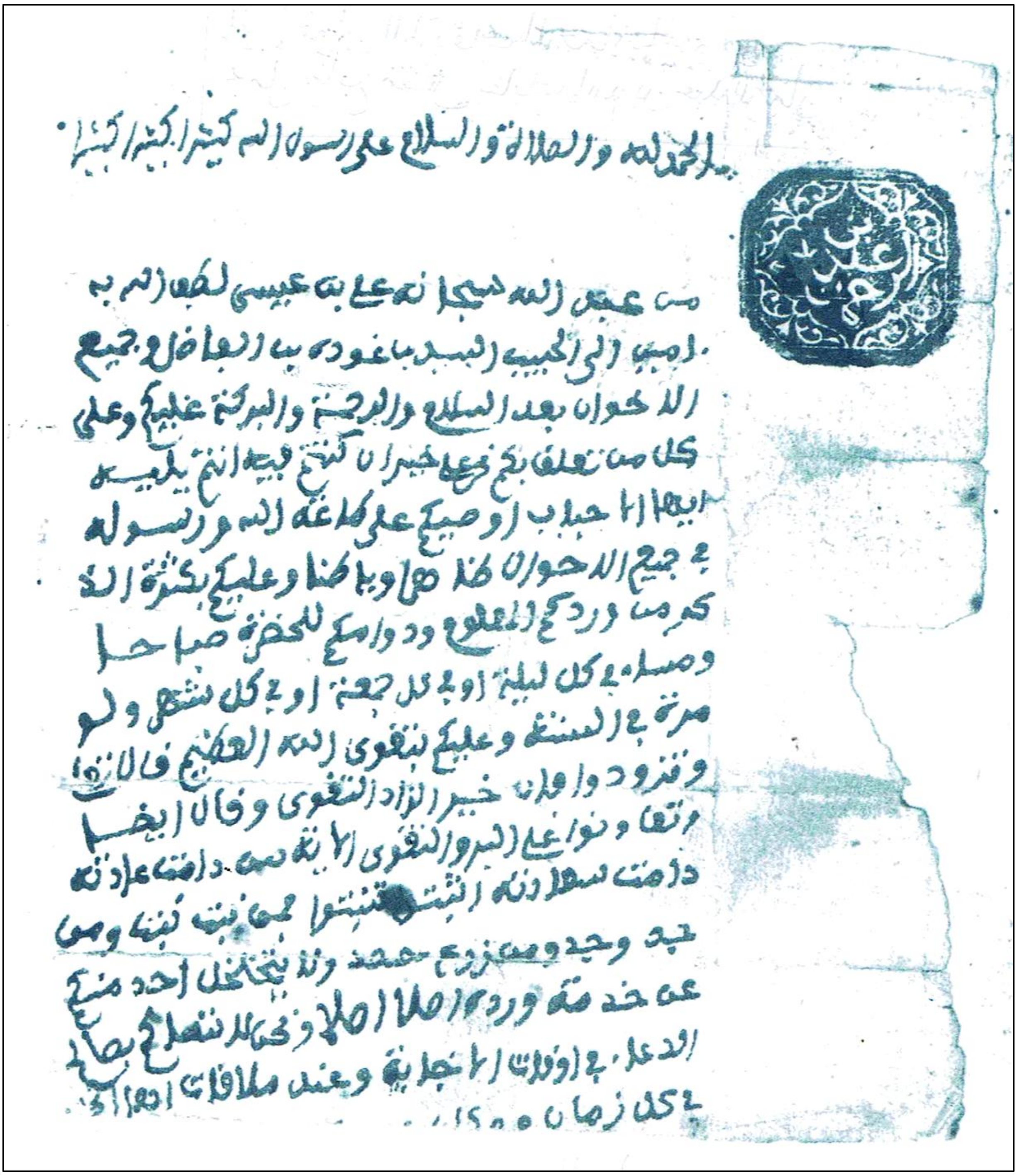
ملحق رقم (32): صورة لواجهة حرز يحفظ بني آدم من جميع الأمراض



المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H1

ملحق رقم (33): رسالة الشيخ علي بن عيسى المغربي إلى إخوان الطريقة الرحمانية

وهي تحمل طابع نقش عليه اسم بن عبد الرحمان



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله كثيرا كثيرا

من عبد الله سبحانه علي بن عيسى لطف الله به
امين الى الحبيب السيد باغوده بن الفاضل وجميع
الاخوان بعد السلام والرحمة والبركة عليكم وعلى
كل من تعلق بكم [illegible] خيرا ان كنتم فيه انتم [illegible]
ايها الاحباب اوصيكم على طاعة الله ورسوله
في جميع الاحوال ظاهرا وباطنا وعليكم بكثرة الذ
كر من وردكم المعلوم ودوامكم للحضرة صلاحا
وصلاة في كل ليلة او في كل جمعة او في كل شهر ولو
مرة في السنة وعليكم بتقوى الله العظيم فان الله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقال ايضا
وتعاونوا على البر والتقوى الآية من داومت عادته
داومت سعادته [illegible]
[illegible] وجد ومن زرع حصد ولا يتخلف احد منكم
عن خدمته ورده اصلا اصلا ونحن لا ننساكم بصالح
الدعاء في اوقات الاجابة وعند ملاقات اهل الله
في كل زمان [illegible] ١٢٥٥

المصدر: محمد فؤاد، **المرجع السابق**، ص.21

ملحق رقم (34): صورة لزاوية الهامل ببوسعادة



المصدر: منير القاسمي الحسني، **<u>المرجع السابق</u>**، ص.12

ملحق رقم (35): صورة لضريح سيدي إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني الواقع بوسط مدينة آريس ولاية باتنة (جبال الأوراس) وهو محاط بقبور قديمة جدا تكاد تختفي شواهدها.



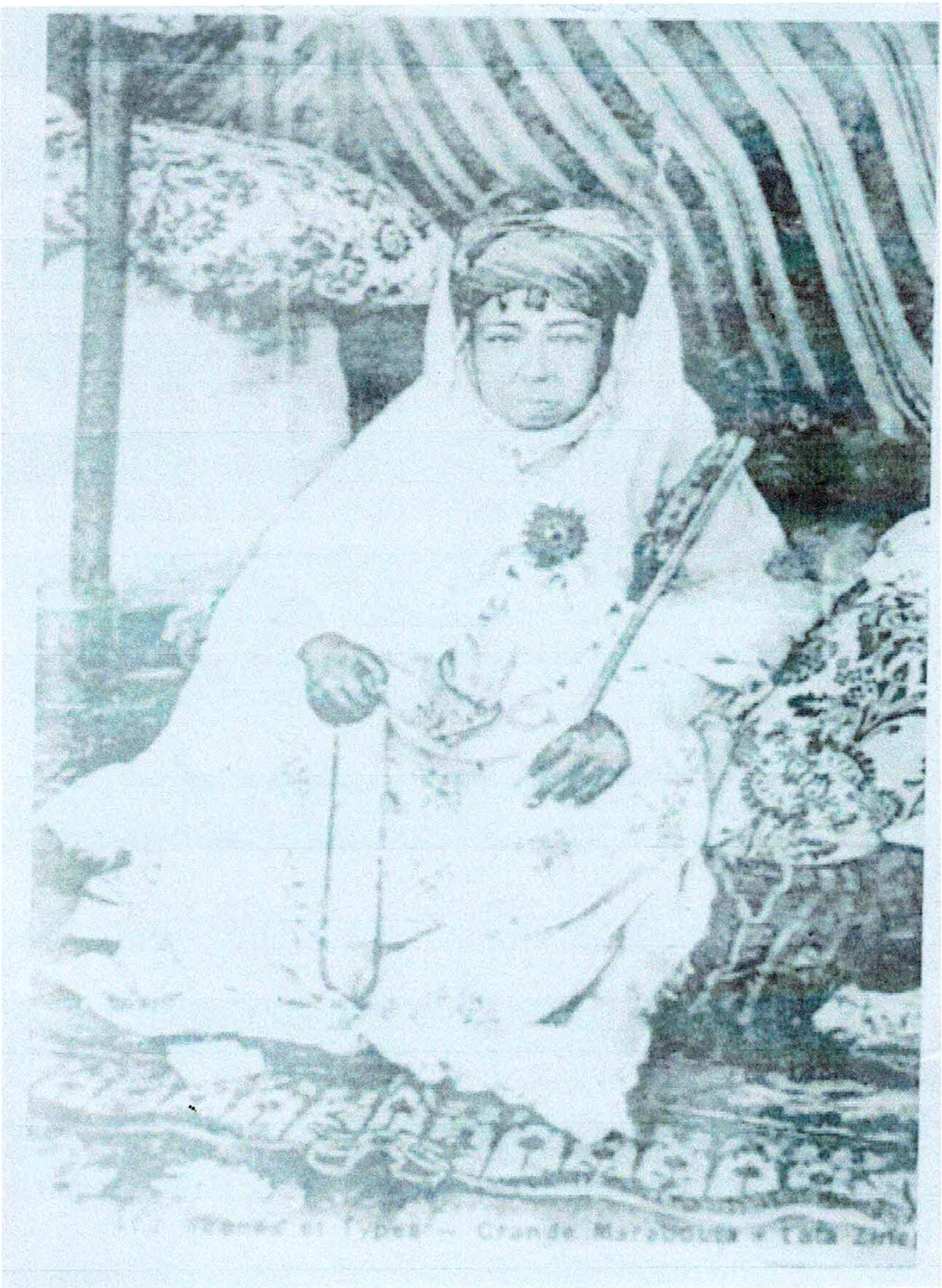
المصدر: صورة من التقاط الباحث الأمير بوغداده.

ملحق رقم (36): صورة لمؤسس الزاوية الرحمانية بالهامل الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي الشريف الإدريسي



المصدر: منير القاسمي الحسني، **المرجع السابق**، ص.20

ملحق رقم (37): صورة للشيخة لالا زينب بنت الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي



المصدر: A.O.M (G.G.A) 16H61

ملحق رقم (38): صورة لـ: سي عزيز بن الشيخ الحداد وهو يحمل سبحة في عنقه ووسام فرنسي على صدره



المصدر: Charles- André Julien, **Histoire de L'Algérie Contemporaine**, Presses universitaires de France, Paris, 1964, T01, P.384

ملحق رقم (39): صورة للسيدة أوريلي بيكار Aurélie Picard زوجة أحمد بن محمد بن أحمد التجاني وهي في قصرها بعين ماضي (قصر كوردان)



المصدر: المركز الثقافي الإسلامي للزاوية التجانية بقمار ولاية الوادي.

ملحق رقم (40): قصر كوردان



المصدر: المركز الثقافي الإسلامي للزاوية التجانية بقمار ولاية الوادي.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- القرآن الكريم

1- الوثائق الأرشيفية:

1-1- الارشيف الوطني الجزائري (أ. و. ج):

- و. م. ش، ع. 1-6، و. 19-27 ف.
- و. م. ش، ع. 18، و. 135-136 ف.
- و. م. ش، ع. 84-85-86، و. 6-13 ف.

1-2- وثائق المكتبة القاسمية بزاوية الهامل (و. م. ق):

- باش تارزي (عبد الرحمان)، رسالة في الدفاع عن الطريقة الرحمانية.
- الهاملي (محمد ابي القاسم)، رسالة.

1-3- أرشيف ما وراء البحار بأكس- آن- بروفانس- (فرنسا) (A.O.M):

- A.O.M (G.G.A) F80-498, F80-499, F80-501, F80-502, F80-506.
- A.O.M (G.G.A) 2H32, 16H1, 16H2, 16H3, 16H44, 16H46, 16H49, 16H60, 16H61, 30H79, 30H80.
- A.O.M (G.G.A) 10KK31.

2- المخطوطات:

- الأزهري (محمد بن عبد الرحمان)، **دفتر الدفاتر**، مخطوط، المكتبة القاسمية، زاوية الهامل، بوسعادة ـ الجزائر.
- الجعدي (محمد)، **مناقب الشيخ بن عبد الرحمان الأزهري**، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم945.
- الناصري (محمد بن أحمد أبو راس)، **عجائب الأسفار**، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم1632.
- الهواري (أبو حسن علي بن محمد بن أبي القاسم)، **مناقب الشيخ أبي سعيد بن خلف بن يحي الباجي**، مخطوط ضمن مجموع، دار الكتب التونسية، تونس، رقم4520.

3- الكتب المطبوعة:

3-1- باللغة العربية:

- الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مطبعة السعادة، القاهرة- مصر، 1971، مج.1، ج.1.
- باش تارزي (مصطفى)، **المنح الربانية في شرح المنظومة الرحمانية**، تقديم محمد سي يوسف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو- الجزائر، 2011م.
- برادة (علي حرازم)، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، وبهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعد الفوتي الكدوي، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1988، ج.1.
- البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي الخطيب)، **تاريخ بغداد**، مطبعة السعادة، القاهرة- مصر، 1349هـ، ج.8.
- البغدادي (إسماعيل باشا)، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1992، ج.2.
- بيرنت (يوهان كارل)، **الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- ترولمي (س)، **الفرنسيون في الصحراء**، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- تشرشل (شارلز هنري)، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، 2009.
- بن التهامي (مصطفى)، **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، 2009.
- الجبرتي (عبد الرحمن بن حسن)، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم عن طبعة بولاق، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط.1، 1998، ج.1.
- الجرجاني (الشريف علي بن محمد)، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1983م.

- الجزائري (الأمير عبد القادر)، **كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**، حققه عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، ط.1، 1426هـ/2005م، جـ.1.
- ـــــــــــــــــــ، **مذكرات**، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.7، 2010.
- الجزائري (محمد بن الأمير عبد القادر)، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، عني به داود بخاري ورابح قادري، دار الوعي، الجزائر، ط.2، 2015.
- الجزائري (محمد بن ميمون)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- بن الجوزي (أبو فرج عبد الرحمان)، **تلبيس إبليس**، تحقيق الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط.3، 1409هـ/1989م.
- ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1965م.
- الحفناوي (أبي القاسم محمد)، **تعريف الخلف برجال السلف**، دراسة وتحقيق خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1433هـ/2012م.
- الحنبلي (ابن رجب)، **جامع العلوم والحكم**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط.3، 1417هـ/1996م.
- بن خلدون (أبو زكرياء يحي بن محمد)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، جـ.1.
- ـــــــــــــــــــ، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، نشره الأب غناطيوس عبده، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، د.ت.
- ـــــــــــــــــــ، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة- مصر، ط.1، 1425هـ/2004م.
- بن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، د.ت، جـ.1.

- خوجة (حمدان بن عثمان)، **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على أيالة الجزائر)**، عربه وقدم له وعلق عليه وفهرسه محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، 1972.
- خوجة (علي رضا بن حمدان)، **وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال 1832م**، تعريب أحميدة عميراوي، مراجعة إبراهيم بحاز، المكتبة الجامعية، غريان– ليبيا، ط.1، 2003.
- دوتي (إدموند)، **الصلحاء– مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- دونوفو (إدوارد)، **الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2003.
- دينيزن (أ. ف)، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- الراشدي (أحمد بن عبد الرحمان الشقراني)، **القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.1، 1991.
- الراشدي (أحمد بن محمد علي بن سحنون)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة– الجزائر، 1973م.
- بن زروق (أبو العباس أحمد بن أحمد)، **قواعد التصوف**، تحقيق محمد زهري البحار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة– مصر، ط.3، 1396هـ/1976م.
- الزهار (أحمد الشريف)، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- الزياني (محمد بن يوسف)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1389هـ/1978م.
- السبكي (عبد الوهاب)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، 1413هـ/1992م.
- سكيرج (أحمد)، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، المكتبة الشعبية، بيروت– لبنان، 1988م.
- السلطان (عبد الحميد)، **مذكرات**، تقديم محمد حرب، دار القلم، دمشق– سوريا، ط.3، 1412هـ/1991م.

- السهرودي (عبد القاهر بن عبد الله)، **عوارف المعارف**، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط.1، 1966.
- شلوصر (فندلين)، **قسنطينة أيام أحمد باي (1832–1837)**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- الشهرالستاني (أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت– لبنان، د.ت.
- بن صاحب الصلاة (عبد الملك)، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للنشر، بيروت، ط.1، 1383هـ/1964م.
- الضبي (أحمد بن يحي)، **بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس (علمائها وذوي النباهة فيمن دخل إليها وخرج)**، مطبعة روجس، مدريد– إسبانيا، 1884م، جـ.1.
- الطوسي (أبو نصر السّراج)، **اللمع**، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1380هـ/1960م.
- ابن عربي، **ديوان ابن عربي**، شرح وتقديم نواف الجراح، دار صادر، بيروت– لبنان، 1999م.
- بن عزوز (محمد المكي)، **رسائل بن عزوز**، جمع وتحقيق علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية، دمشق– سوريا، ط.1، 1984م.
- العنتري (محمد صالح)، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
- ـــــــــــــــ، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.
- الغبريني (بن أحمد)، **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- الغزالي (أبو حامد)، **أيها الولد المحب**، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، مطبعة الشحمي، تونس، د.ت.
- الفاسي (الحسن بن محمد الوزان)، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط.2، 1983م.

- فايست (أوجين)، **تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792م-1837م)**، ترجمة صالح نور، تقديم عبد الرحمان شيبان، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1432هـ/2010م.
- بن فرحون (برهان الدين إبراهيم)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، مطبعة السعادة، مصر، ط.1، 1329هـ.
- الفكون (عبد الكريم)، **منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.1، 1408هـ/1987م.
- فيرو (شارل)، **تاريخ جيجلي**، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ/2010م.
- القسنطيني (أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفد)، **أنس الفقير وعز الحقير**، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط- المغرب، 1996م.
- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان)، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، شرح هوامشها زكريا الأنصاري، مطبعة محمد علي صبحي وأولاده، القاهرة- مصر، 1367هـ/1957م.
- الكلاباذي (أبو بكر محمد)، **التعريف لمذهب أهل التصوف**، تحقيق محمود أمين النواري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة- مصر، ط.2، 1980م.
- الكلونيل (اسكوت)، **مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- لوريمر (ج. ج)، **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج**، جمع وتعليق محمد بن سليمان الخضيري، دار غارنت للنشر، المملكة المتحدة، ط.1، 1422هـ/2001م.
- الماريشال (ماكماهون)، **فتح الجزائر**، ترجمة حامد مصطفى، بغداد- العراق، د.ت.
- مبارك (أحمد)، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المدرسة العلمية للدراسات العلمية، الجزائر، 1952.
- المحاسبي (الحارث بن أسد)، **الرعاية لحقوق الله**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، القاهرة- مصر، ط.2، 1970م.
- ــــــــــــــــ، **العقل وفهم القرآن**، قدم له وحقق نصوصه، حسين القوتلي، دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط.3، 1982م.

- بن مريم (محمد بن محمد المديوني التلمساني)، **البستاني في التعريف بالعلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- المزاري (الآغا بن عودة)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.1، 1990.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.
- هانوتو ولوتورنو، **منطقة القبائل الكبرى: العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري**، ترجمة مزيان الحاج أحمد قاسم، منشورات كرجا للنشر والتوزيع، تيزي وزو– الجزائر، 2013.
- الهجويري (أبو الحسن علي بن عثمان)، **كشف المحجوب**، دراسة وتحقيق وترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 1980.
- الوهراني (مسلم بن عبد القادر)، **أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

3-2- باللغة الأجنبية:

- Al-Ibyari (Abd Al-Hadi Ibn Ridwan), **Comprendre Le Soufisme**, Traduite par M. Arnaud, présentation de Abderrahmane Rebahi, Livres Editions, Alger, 2012.
- Ben Gana (Bouaziz), **Une Famille de grands chefs sahariens les Bengana**, E. Soubiron, Alger, 1930.
- Cordier (Edouard- Henri), **Napoléon III et L'Algérie**, Ancienne Imprimerie V. Heintz, Alger, 1937.
- Daumas (Eugène), **Mœurs et coutumes de L'Algérie**, Sindbad, Paris, 1988.
- Delmas de Grammont (Henri), **Histoire D'Alger sous la Domination Turque 1515-1830**, présentation de lemnouar Merouche, Edition Bouchene, 2002.
- Depont (Octave) et Coppolani (Xavier), **Les Confréries religieuses musulmanes en Algérie**, Adolphe Jourdan, Alger, 1897.
- Déporter (Le Commandant), **La question du Touat au Sahra algérien**, Fontana, Alger, 1891.
- Deveyrier (Henri), **Exploration du Sahra**, Paris, 1905.
- Dumas (Eugéne) et Fabar (Michel), **La Grand Kabylie: Etude Historique**, Ed Hachette, Paris, 1847.
- Duveyrier (Henri), **La Confrérie de sidi Mohammed ben Ali Es- Senousi et so, domaine géographique en L'année 1300 de L'hégire = 1883 de notre ere**, Edition de la Sociéte Géographie, Paris, 1884.
- Duveyrier (Henri), **Les Touarg du Nord (Exploration du Sahara**), Challamel Ainé, Paris, 1864.
- Enfantin (Pére), **La Colonisation de L'Algérie**, Bertrand, Paris, 1843.
- Fawtier (P), **L'autonomie Algérienne République et Fédérale**, Constantine, Mars 1871.
- Garrot (Henri), **Histoire Générale de L'Algérie**, imp. P. Crescenzo Voutes, Alger, 1910.
- Graulle (E), **Insurrection de bou- Amama (Avril 1881**), Charled-Lavauzelle, Paris, 1905.
- Herillon (General), **Insurrection surenue dans le sud de la province de Constantine en 1849- Relation siege de Zaatcha**, Libraire Militaire, Paris, 1862.

- Khodja (Hamdan), **Le Miroir**, introduction d'A. Djeghloul, La Bibliothèque Arabe, Sindbad, Paris, 1985.
- Lacroix (N), **Les Derkaoua d'hier et d'aujourd'hui**, imp. V. Heintz, Alger, 1902.
- Lehraux (Leon), **Bou Saada Ville de Bonheur**, Editions Oflac, Alger, 1952.
- Marçais (George), **Telemcen**, liberairie renouard holourens, Paris, 1950.
- Martinieres et Lacroix, **Document pour servir a l'étude du nord oust africain- gouvernement général de L'Algérie**, A. Jourdan, Alger, 1897.
- Masqueray (E), **Note concernant les Aoulad- Daoud du Mont Aurès**, A. Jourdan, Alger, 1879.
- Piesse (L), **Itinéraire de L'Algérie**, Hachette, Paris, 1885.
- Richard (Charles), **Etude sur L'insurrection du Dahra (1845-1846**), Alger, 1846.
- Rinn (Louis), **Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie**, Imp. Jourdan, Alger, 1891.
- Rinn (Louis), **Marabouts et khouan étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan, Alger, 1884.
- Robin (Nil Joseph), **Histoire du cherif Boubaghla**, Jourdan, Alger, 1884.
- Trumelet (Comeille), **L'Algérie l'légendaire: en pèlerinage ça et la aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'Islam - tell et Sahara**, Jourdan, Alger, 1892.
- Vayssettes (Eugéne), **Histoire de Constantine sous la Domination Tuque de 1517-1837**, présentation de ouarda siari, Editions Bouchene, Tengour, 2002.
- Yacono (Xavier), **Un Siècle de Franc- maçonnerie Algérienne (1785-1884**), Maisonneuve et Larose, Paris, 1969.

ثانيا: المراجع:

1- باللغة العربية:

- الأبياري (عبد الهادي ابن رضوان نجا)، **فن التصوف**، عربي- فرنسي، الترجمة الفرنسية للسيد أرنو، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2012.
- أرباب (أحمد عبد القادر)، **تاريخ دارفور عبر العصور**، الخرطوم- السودان، 1998.
- الأزمي (أحمد)، **الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، 1421هـ/2000م، جـ.1.
- إلهي ظهير (إحسان)، **التصوف المنشأ والمصادر**، إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان، د.ت.
- أندري جوليان (شارل)، **تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871**، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2008م.
- أوصديق (الطاهر)، **ثورة 1871**، ترجمة: جناح مسعود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، 1989.
- بالحميسي (مولاي)، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 1981.
- براهم (محمود)، **العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدًا ومجاهدًا 1788-1859**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- البرواري (أحلام عابد حسين)، **التصوف في بلاد الشام ومصر خلال العصر الأيوبي 567-648هـ/1171-1250م**، دار دجلة ناشرون وموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية، ط.1، 2016م.
- بسيوني (إبراهيم)، **نشأة التصوف الإسلامي**، دار المعارف، مصر، 1969.
- بطاش (علي)، **لمحة عن تاريخ منطقة القبائل (حياة الشيخ الحداد وثورة 1871)**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 2010م.
- البكاري (عبد السلام محمد)، **العقيدة- الشريعة- التصوف عند الإمام الجنيد**، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط.1، 1429هـ/2008م.
- بكر (علاء)، **مختصر تاريخ التصوف**، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر، ط.1، 2012.
- بل (ألفرد)، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.3، 1987.

- بلحيا (بودواية)، **التصوف في بلاد المغرب العربي**، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران– الجزائر، ط.1، 2009.
- بلغيث (محمد الأمين)، **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- بوداود (عبيد)، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13 – ق15م) دراسة في التاريخ السوسيو ـ ثقافي**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران– الجزائر، 2003.
- بوشامة (كمال)، **الجزائر أرض عقيدة وثقافة**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- بوالصفصاف (عبد الكريم)، **الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (نموذجا)**، دار مداد يونيفار سيتي براس، قسنطينة– الجزائر، ط.1، 2009م.
- ـــــــــــــ، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931–1945**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- بوعزيز (يحي)، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، 2009م.
- ـــــــــــــ، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة– الجزائر، ط.1، 1400هـ/1980م.
- ـــــــــــــ، **ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)**، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- ـــــــــــــ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون– الجزائر، 1999م.
- ـــــــــــــ، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2009م، جـ.1.
- ـــــــــــــ، **وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- بوغداده (الأمير)، **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا) 1185هـ/1771م–1235هـ/1837م**، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة– الجزائر، 2009م.

- بونابي (الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين**، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2004م.
- بيات (فاضل)، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حضرًا (مطلع العهد العثماني ــ أواسط القرن التاسع عشر)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط.1، 2007.
- التجاني (ابن بابا الشنقيطي العلوي)، **منية المريد في الطريقة التجانية**، مكتبة السعادة، تونس، د.ت.
- التجاني (محمد الحافظ)، **الانتصاف في رد الافتراء على السادة التجانية**، الزاوية التجانية، تماسين- الجزائر، 12 ربيع الاول 1429هـ.
- تركي (رابح)، **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 1981م.
- تسيهر (أجناس جولد)، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة وتعليق محمد يوسف وآخرون، دار الكتاب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ط.2، د.ت.
- التفتازاني (أبو الوفا الغنيمي)، **ابن عطاء الله السكندري وتصوفه**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ط.2، 1969م.
- ـــــــــــــــــــــ، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الثقافة، القاهرة- مصر، 1979م
- تيبرماسين (عبد الرحمان)، **سي الصادق بن الحاج الانتفاضة الكبرى 1844-1859**، مؤسسة الانجازات الفنية والجرافيكس، باتنة- الجزائر، ط.1، د.ت.
- تيران (ايفون)، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880)**، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة والإشراف مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- التيشيتي (سيدي عبيدة ابن أنبوحة الشنقيطي)، **ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية**، مصر، د.ت.
- الجزار (أحمد محمود إسماعيل)، **الفكر المصري المعاصر والتصوف**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، 1428هـ/2008م.
- الجزائري (سعيد)، **الماسونية**، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط.3، 1996.

- جورجي (زيدان)، **تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم**، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط.1، 1982.
- جيتينز (إيان)، **فك الشفرة الماسونية (أسرار الرمز المفقود)**، ترجمة غادة عرب، مراجعة منذر الحايك، دار صفحات للنشر والتوزيع، دمشق– سوريا، 2013.
- الجيلالي (عبد الرحمان)، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة، الجزائر، 2009.
- ـــــــــــــــــ، **تاريخ المدن الثلاث الجزائر – المدية – مليانة في موسمها الألفي 360–1370هـ/970–1971م**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2007.
- الحاجري (محمد طه)، **جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة– مصر، 1968م.
- حديبي (محند أكلي)، **أودريس الزاوية العامرة**، ترجمة عبد القادر بوزيدة، منشورات زرياب، الجزائر، د.ت.
- حرب (أديب)، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808–1847**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1983.
- حرز الله (محمد العربي)، **أولاد جلال أصالة – حضارة وتاريخ**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- ـــــــــــــــــ، **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830–1930)**، دار السبيل، الجزائر، 2009م.
- الحسن (عيسى)، **الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار**، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط.1، 2009م.
- ـــــــــــــــــ، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط.3، 2013م.
- الحسني (عبد المنعم القاسمي)، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية)**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة– الجزائر، ط.1، 1427هـ.
- ـــــــــــــــــ، **الشيخ الديسي محمد بن عبد الرحمان سيرة ومسيرة**، دار النعمان للطباعة والنشر، د.ب، د.ت.

- ـــــــــــــــــــــــــ، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1434هـ/2013م.
- ـــــــــــــــــــــــــ، **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862-1962**، دار الخليل للنشر والتوزيع، المسيلة- الجزائر، ط.1، 1431هـ/2010م.
- الحسني (علي الرضا)، **زاوية علي بن عمر طولقة**، الدار الحسينية للكتاب، 1423هـ/2002م.
- الحسني (محمد بن محمد الحجوجي)، **تيسير الأماني لقراء شهدة الجاني**، المطبعة البلدية الفاسية بالمكينة، المغرب، 1338هـ.
- الحسني (منير القاسمي)، **زاوية الهامل التاريخ المصور**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة- الجزائر، 1428هـ/2007م.
- حلمي (محمد مصطفى)، **الحياة الروحية في الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ط.2، 1945م.
- حماني (أحمد)، **صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس**، دار البعث، قسنطينة- الجزائر، ط.1، 1405هـ/1984م.
- بن حمدة (عبد المجيد)، **المدارس الكلامية بإفريقية**، مطبعة دار العرب، تونس، ط.1، 1986.
- حمودي (عبد الله)، **الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة**، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط.4، 2010م.
- حوتية (محمد الصالح)، **آل كنته**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط.1، 2008م.
- ـــــــــــــــــــــــــ، **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
- الخالدي (سهيل)، **الجزائر وبلاد الشام (صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال)**، منشورات الحضارة، الجزائر، ط.1، 2013م.
- خفاجي (محمد عبد المنعم)، **الأدب في التراث الصوفي**، دار غريب، القاهرة- مصر، 1938م.
- خليفي (عبد القادر)، **الطريقة الشيخية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، د.ت.
- ـــــــــــــــــــــــــ، **المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- خميسي (حميدي)، **نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الأوسط (اتجاهاته، مدارسه، أعلامه)**، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط.1، 2011.

- خميسي (ساعد)، **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2002.
- خنوف (علي)، **تاريخ منطقة جيجل قديمًا وحديثًا**، منشورات الأنيس، الجزائر، ط.1، د.ت.
- خيثر (عبد النور) وآخرون، **منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، سلسة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المطبعة الرسمية، الجزائر، 2007م.
- خير (فارس محمد)، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط.2، 1979م.
- دبوز (محمد علي)، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، المطبعة التعاونية، دمشق- سوريا، ط.1، 1964م.
- الدجاني (أحمد)، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان، بيروت- لبنان، ط.1، 1967م.
- درمنجهام (سبنسر)، **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة، بيروت- لبنان، ط.1، 1997م.
- درنيقة (محمد أحمد)، **الطريقة الشاذلية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، 2009م.
- ـــــــــــــــ، **الطريقة القادرية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، 2009م.
- ديركي (هيفرو) ومحمد علي، **فهرست أعلام الفلاسفة والمتصوفة**، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، ط.1، 2010م.
- الراشد (فهد سالم خليل)، **الرباط والمرابطة (تغيرات دلالية ومقاربة صوفية فروسية لمسار الأمير عبد القادر الحسني الجزائري)**، تقديم زعيم خنشلاوي، دار الجائزة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1432هـ/2011م.
- ركيبي (عبد الله)، **الشعر الديني الجزائري الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- روبير أجرون (شارل)، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919**، نقله إلى العربية م. حاج مسعود وأ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

- ـــــــــــــــ، **تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2008.
- الزبيري (محمد العربي)، **مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، ط.1، 2014م.
- زغلول (سعد)، **تاريخ المغرب**، مطبعة أطلس، القاهرة– مصر، 1979.
- زوزو (عبد الحميد)، **محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)**، دار هومة، الجزائر، 2004م.
- ـــــــــــــــ، **ثورة بوعمامة 1881–1908**، موفم للنشر، الجزائر، 2010م.
- ـــــــــــــــ، **ثورة الأوراس سنة 1879**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- ـــــــــــــــ، **ثورة ابن جار الله (بويرمة) بالأوراس سنة 1879**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- ـــــــــــــــ، **الثقافة والتعليمان الحر والرسمي في العهد الفرنسي**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م.
- زيادة (نقولا)، **إفريقيات (دراسات في المغرب العربي والسودان العربي)**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن– بريطانيا، ط.1، 1991م.
- الزين (سميح عاطف)، **الصوفية في نظر الإسلام (دراسة وتحليل)**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط.3، د.ت.
- سامح (كمال الدين)، **العمارة الإسلامية في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991.
- سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.1، 1426هـ/2005م.
- ـــــــــــــــ، **أفكار جامحة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط.2، 2005م.
- ـــــــــــــــ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860–1900**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.6، 2009م.
- ـــــــــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، ط.6، 2009م.
- ـــــــــــــــ، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1986م.

- ــــــــــــــــ، **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**، عالم المعرفة، الجزائر، ط.خ، 2009م.
- سعدي (عثمان)، **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، ط.1، 2011م.
- السعدي (موسى)، **صفحات ونصوص مختارة من طي النسيان**، دار الخلدونية، الجزائر، ط.1، 1432هـ/2011م.
- سعيدوني (ناصر الدين) وبوعبدلي (المهدي)، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- سعيدوني (ناصر الدين)، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ط.2.
- ــــــــــــــــ، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 2000.
- ــــــــــــــــ، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.
- ــــــــــــــــ، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.1، 2001م.
- ــــــــــــــــ، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 2009.
- ــــــــــــــــ، **الشرق الجزائري (بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف)**، تقديم وتعليق وترجمة ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- سعيدي (مزيان)، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871هـ-1914م)**، دار سنجاق الدين للنشر والتوزيع، د.ب، ط.1، 1431هـ/2010م، ج.2.
- ــــــــــــــــ، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر1867-1892**، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2009م.
- ــــــــــــــــ، **قضايا ودراسات تاريخية**، مطبعة النجاح، الجزائر، 1434هـ/2013م.
- سليمان (عبد الله)، **شرح قانون العقوبات الجزائري**، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، ط.1، د.ت.

- السنوسي (أحمد الشريف الأطرش)، **تاريخ الجزائر في خمسة قرون**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د.ب، د.ت، جـ1.
- سوادي (هشام هاشم)، **تاريخ العرب الحديث 1516-1918**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان- المملكة الأردنية الهاشمية، ط.1، 1431هـ/2010م.
- سي يوسف (محمد)، **مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي- ثورة بويغلة**، دار الأمل، الجزائر، 2000م.
- سيد أحمد (عبد الحكيم خليل)، **المعتقدات الشعبية في الطقوس والشعائر الصوفية ــ دراسة ميدانية للطريقة الجازولية الحسينية الشاذلية ــ**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2012م.
- الشافعي (حسن) والعجمي أبو اليزيد، **في التصوف الإسلامي**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة- مصر، ط.1، 1284هـ/2007م.
- شغيب (محمد المهدي بن علي)، **أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)**، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، 1400هـ/1980م.
- شكري (محمد فؤاد)، **السنوسية دين ودولة**، دار الفكر، د.ب، 1948.
- شهبي (عبد العزيز)، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ـ الجزائر، د.ت.
- شويتام (أرزقي)، **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط.1، 2009.
- ــــــــــــ، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط.1، 2012.
- شيمل (آنا ماري)، **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمَل، كولونيا (ألمانيا)- بغداد، ط.1، 2006ك.
- الصلابي (علي محمد)، **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة- مصر، ط.1، 1426هـ/2005م، جـ1.
- ــــــــــــ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط.5، 1429هـ/2008م.
- ــــــــــــ، **صفحات من التاريخ الإسلامي**، دار ابن حزم، القاهرة- مصر، ط.1، 2009.

- ـــــــــــــــــ، **السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية**، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ط.1، 1431هـ/2010م.
- الصيد (سليمان)، **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- صيد (عبد الحليم)، **أبحاث في تاريخ الزيبان**، مطبعة سوف، الوادي– الجزائر، ط.1، 2000م.
- طعمة (نبيل)، **جدلية التصوف مع هو**، مركز الناقد الثقافي، دمشق– الجمهورية العربية السورية، د.ت.
- طهاري (محمد)، **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 1999.
- عاشور (سعيد عبد الفتاح)، **السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة**، دار الكتاب المصري، مصر، 1968م.
- عباد (صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
- بن عبد الحكم (محمد)، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، المطبعة الرحمانية، مصر، 1346هـ/1927م.
- عبد العزيز عمر (عمر)، **تاريخ المشرق العربي 1516–1912**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، د.ت.
- بن عبد الله (عبد العزيز)، **معلمة التصوف الإسلامي**، دار المعرفة، الرباط– المغرب، ط.1، 2001، جـ.2.
- عبد المجيد (محمد عبد المجيد)، **الصوفية في ضوء الكتاب والسنة المحمدية**، مراجعة يوسف البدري، دار الاعتصام، القاهرة– مصر، د.ت.
- عبد المنعم (سعد)، **من تاريخ كفاح الجزائر (حروب قطاع وهران – العين الصفراء)**، دار القدس العربي، وهران– الجزائر، 2013.
- عبيد (مصطفى)، **الفكر الاستعماري السانسيموني في مصر والجزائر 1833–1870م**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/2013م.
- عثماني (مسعود)، **أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، 2008.
- عجالي (كمال)، **الفكر الإصلاحي في الجزائر (الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد)**، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي– الجزائر، ط.1، 1426هـ/2005م.

- بن عجيبة (أحمد)، **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة– مصر، 1331هـ، جـ.1.
- العجيلي (التليلي)، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881–1939)**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس1، تونس، 1992م.
- عرجون (محمد الصادق إبراهيم)، **التصوف في الإسلام منابعه وأطواره**، عني به حسن السماحي سويدان، دار وحي القلم، بيروت– لبنان، ط.1، 142هـ/2004م.
- العسلي (بسام)، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط.1، 1400هـ/1980م.
- ـــــــــــ، **محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية**، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط.2، 1403هـ/1983م.
- العقبي (صلاح مؤيد)، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، الجزائر، ط.خ، 2009م.
- العكريمي (حسن)، **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2008م.
- بن علي (عبد القادر بن عبد الملك)، **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية**، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق– سوريا، 1386هـ/1966م، جـ.1.
- عمار (علي سامي)، **أبو الحسن الشاذلي**، دار التأليف، القاهرة– مصر، ط.1، 1961، جـ.2.
- العمري (محمد العربي بن السايح الشرقي)، **بغية المستفيد لشرح منية المريد**، دار الفكر، د.ب، 1973.
- عمورة (عمار)، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة– الجزائر، ط.1، 2002م.
- عميراوي (أحميدة) وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2009م.
- عميراوي (أحميدة)، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827–1840)**، دار البعث، قسنطينة– الجزائر، ط.1، 1987م.
- ـــــــــــ، **فواصل من الفكر والتاريخ**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة– الجزائر، 2002م.

- ــــــــــــــــــ، **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، ط.2، 1425هـ/2004م.
- ــــــــــــــــــ، **من تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ط.2، 1425هـ/2004م.
- ــــــــــــــــــ، **السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838–1858)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 1425هـ/2004م.
- ــــــــــــــــــ، **بحوث تاريخية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، ط.2، 2006م.
- ــــــــــــــــــ، **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، د.ت.
- عوض (صالح)، **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962**، مطبعة دحلب، الجزائر، ط.2، 1992.
- غربي (الغالي)، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288–1916**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.2، 2011.
- غطاس (عائشة)، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830 (مقاربة اجتماعية– اقتصادية)**، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة– الجزائر، 2012.
- غنى (قاسم)، **تاريخ التصوف في الإسلام**، ترجمة عن الفارسية صادق نشأت، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1970م.
- فراد (محمد أرزقي)، **جزائريات صنعن التاريخ**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.2، 2006م.
- فرج (محمد الصغير)، **تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954**، تعريب موسى زمولي، مطبوعات ثالة، الجزائر، 2007م.
- ــــــــــــــــــ، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- فركوس (صالح)، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830–1925)**، مديرية النشر لجامعة قالمة، الجزائر، 2010م.

- ـــــــــــــ، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830 ـ 1962)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- الجزائر، 2012م.
- ـــــــ، **الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق.م ـ 1962م)**، المعارف للطباعة، د.ب، 2015.
- فروخ (عمر)، **التصوف في الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1401هـ/1981م.
- فؤاد (محمد)، **وثائق تاريخية من المكتبة القاسمية**، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، ط.1، 1434هـ/2013م.
- قاسم (جمال زكريا)، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة- مصر، 1975م.
- قاسم (عبد الحكيم عبد الغني)، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، 1989-1991م.
- قنان (جمال)، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2007م.
- قيصر (أ. فرح)، **السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي**، نقله إلى العربية محمد م. الأرناؤوط، تقديم خالد إرن، جداول للنشر والتوزيع، الكويت، ط.1، 2012م.
- كحول (عباس)، **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة ـ الجزائر، ط.1، 2013.
- ـــــــــــــ، **قراءة في مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844م ـ 1859م**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة ـ الجزائر، ط.1، 2015.
- لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط.9، 2007م.
- ماسينيون وعبد الرازق (مصطفى)، **التصوف**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، ط.1، 1984م.
- بن مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة- مصر، 1930.
- المدني (أحمد توفيق)، **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

- مراد (سعيد)، **التصوف الإسلامي رياضة روحية خالصة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط.1 2007.
- مريوش (أحمد) وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ط.خ، 2007.
- معاشي (جميلة)، **الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية بقسنطينة من خلال سجل مراسلات لجنة الشؤون الدينية (1885 ـــ 1904م)**، منشورات بونة للبحوث والدراسات،عنابة ـ الجزائر، ط.1، 1433هـ، 2012م.
- ـــــــــــ، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م.
- معلم (سبتي)، **إيزابيل إبرهارت اللغز الدائم**، مطابع ش. ذ. م. م عمار قرفي وأبنائه، باتنة– الجزائر، 2012م.
- المغربي (عبد القادر)، **جمال الدين الأفغاني (ذكريات وأحاديث)**، دار المعارف، جمهورية مصر العربية، ط.3، د.ت.
- مغنية (محمد جواد)، **معالم الفلسفة الإسلامية (نظرات في التصوف والكرامات)**، دار ومكتبة الهلال، بيروت– لبنان، ط.5، 1986م.
- مفتاح (عبد الباقي)، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط.1، 2009.
- ـــــــــــ، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، تقديم محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط.1، 2009م.
- ـــــــــــ، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وإنتشار طريقته**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط.1، 2009م.
- مقلاتي (عبد الله)، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830–1962**، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013.
- ـــــــــــ، **المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1954)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م.

- مناصرية (يوسف)، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847**، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة- الجزائر، ط.خ، 2007.
- منسي (محمود صالح)، **مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناند دي لسيبس**، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، د.ت.
- منصور (أحمد صبحي)، **تاريخ المصريين (العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت.
- منور (العربي)، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، دار المعرفة، الجزائر، د.ت.
- المنوفي (أبو الفيض)، **المدخل إلى التصوف الإسلامي**، الدار القومية، القاهرة- مصر، د.ت.
- مهديد (إبراهيم)، **القطاع الوهراني ما بين 1850 و1919 (دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية)**، منشورات دار الأديب، وهران- الجزائر، 2006م.
- الموسوي (ضياء مجيد)، **غاية التصوف وأدوات المتصوف**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م.
- مياسي (إبراهيم)، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومة، الجزائر، 2005م.
- ــــــــــــ، **لمحات... من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- ــــــــــــ، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- الميلي (مبارك بن محمد)، **رسالة الشرك ومظاهره**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط.5، 1421هـ/2000م.
- بن نبي (مالك)، **مذكرات شاهد للقرن**، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، ط.6، 1430هـ/2009م.
- بن نادر (الطيب)، **الجزائر حضارة وتاريخ**، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2008م.
- النجار (عامر)، **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها (الرفاعي- الجيلاني- البدوي- الشاذلي- الدسوقي)**، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط.5، 1992م.
- نسيب (محمد)، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر، د.ت.
- النشار (علي سامي)، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط.9، 1995، جـ.1.

- نوريس، **<u>الإسلام في البلقان</u>**، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة– مصر، ط.1، 1998م.
- نيكلسون (ر. أ)، **<u>الصوفية في الإسلام</u>**، ترجمه وعلق عليه نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط.2، 1422هـ/2002م.
- الهاشمي (كمال دحومان)، **<u>أشراف الجزائر (دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري)</u>**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة– الجزائر، طبعة مزيدة ومنقحة، 1434هـ/2013م.
- هلال (عمار)، **<u>الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء</u>**، الجزائر، 1988م.
- همو (عبد المجيد)، **<u>الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ؟ ومن خدمت ؟</u>**، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق– سوريا، 2009.
- وجدي (محمد فريد)، **<u>دائرة معارف القرن العشرين</u>**، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط.3، د.ت، مج.3.
- الوكيل (عبد الرحمان)، **<u>هذه هي الصوفية</u>**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط.4، 1984م.
- ولد خليفة (محمد العربي)، **<u>الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم</u>**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

2- باللغة الأجنبية:

- Abun- Nasr (J. M), **The Tijaniyya: Asufi order in the modern - 1 World**, Oxford université press, London, New Yourk, Toronto, 1965.
- AGeron (Charles- Robert), **Les Algériens musulmans et la France 1871-1919**, Presses Universitaires de France, Paris, 1968, T.1.
- André Julien (Charles), **Histoire de L'Algérie Contemporaine**, Presses universitaires de France, Paris, 1964, T01.
- Battache (Ali), **Aparçu historique sur la kabylie (La vie de Cheikh el Haddad et L'insurrection de 1871**), Editions Elamel, Alger, S. D.
- Carette et Rozet (M), **Algérie**, éd. Bouslama, Tunis, 2é. Edition, 1980.
- Carret (Jaques), **Le marabout et les confréries religieuses musulman en Algérie**, Imprimerie officielle, Alger, 1950.
- Chih (Rachida), **Le soufisme au quotidien**, sindbad, Actes sud, 2000.
- Filali (Kamel), **L'Algérie mystique: des marabouts Fondateurs aux khwân insurgés**, Publisud, Paris, 2002.
- Gouilly (A), **L'Islam dans L'Afrique occidentale Française**, Paris, 1952.
- Merad (Ali), **Le Réformisme Musulman en Algérie (1925-1940) essai d'histoire religieuse et sociale**, Mouton, France, 1967.
- Ould El Hocine (Mohamed Chérif), **De La Resistance A Laguerre D'Indépendance (1830-1954)**, Casbah- Edition, Alger, 2010.
- Temimi (Abd Eljalil), **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837**), Tunis, 1978.
- Zouzou (Abd elhamid), **L'Aurés au temps de La Fronce Coloniale (Evolution politique economique et sociale 1837-1939**), Edition Distribution Houma, Alger, 2[e] Edition, 2002.

ثالثا– المقالات:

1– باللغة العربية:

- ب. ف، « من الثورات الشعبية– ثورة الزعاطشة– »، **<u>مجلة الجيش</u>**، العدد 407، مديرية الاتصال والإعلام والتوجيه، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، صفر 1418هـ/ جوان 1977م.
- بودواية (مبخوت)، « الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف المجاهد »، **<u>مجلة حولية المؤرخ</u>**، العدد الأول، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2003.
- البوعبدلي (المهدي)، « الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي »، **<u>الأصالة</u>**، العدد8، الجزائر، ماي/جوان 1972.
- ـــــــــــــ، « دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين »، **<u>مجلة الأصالة</u>**، العدد44، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، أفريل 1977.
- بوعزيز (يحي)، « ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد »، **<u>مجلة الأصالة</u>**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م.
- ـــــــــــــ، « الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 »، **<u>مجلة الأصالة</u>**، السنة الثالثة، العدد 14 و15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الثاني– جمادى الأولى– جمادى الثانية– رجب 1393هـ/ ماي– جوان– جويلية– أوت 1973م.
- ـــــــــــــ، « أضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة والشيخ بوزيان بالزيبان عام 1849 »، **<u>مجلة الثقافة</u>**، العدد32، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، إبريل– ماي 1976.
- ـــــــــــــ، « نماذج من مقاومة سكان الواحات »، **<u>مجلة الأصالة</u>**، العدد41، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977.
- ـــــــــــــ، « انتفاضة سكان الأوراس عام 1878 »، **<u>مجلة الأصالة</u>**، السنة السابعة، العدد 61/60، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، رمضان– شوال 1398هـ/ أوت– سبتمبر1978م.
- ـــــــــــــ، « أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864–1881) »، **<u>مجلة الدراسات التاريخية</u>**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م.
- بوغداده (الأمير)، « دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13 هجري/19 ميلادي »، **<u>مجلة علوم الإنسان والمجتمع</u>**، العدد15، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة– الجزائر، جوان 2015.

- جعنيط (عيسى)، « مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن19- ثورة الزعاطشة 1849- أسبابها، تطوراتها »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م.
- حداد (مصطفى)، « انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري والمناطق المجاورة 1876 »، **مجلة الثقافة**، السنة الرابعة عشر، العدد81، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، شعبان- رمضان 1404هـ/ مايو- يونيو 1984م.
- حمانة (البخاري)، « بعض أسباب فشل ثورة الزعاطشة »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م.
- حموتن (حسن)، « لالا فاطمة نسومر 1830-1863 »، **الأصالة**، العدد16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، سبتمبر- أكتوبر 1973.
- حوتية (محمد)، « مخطوطات إقليم توات »، **مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية**، جامعة القاهرة، مصر، ديسمبر 2001.
- الخالدي (سهيل)، « مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان أنموذجا »، **مجلة أفكار وآفاق**، جامعة الجزائر02، عدد03، الجزائر، 2012.
- راشد (أحمد إسماعيل)، « المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي »، **البيان**، مجلد3، العدد4، جامعة آل البيت، عمان- الأردن، 1423هـ/2002م.
- زبادية (عبد القادر)، « وثيقتان عن ثورتي الأوراس لسنتي 1859-60-1879 »، **مجلة الأصالة**، السنة السابعة، العدد 61/60، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، رمضان- شوال 1398هـ/ أوت- سبتمبر 1978م.
- ساعد (خميس)، « الفقه والتصوف »، **سيرتا**، العدد11، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1998م.
- سعيدوني (ناصر الدين)، « ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال »، **مجلة التاريخ**، العدد07، الجزائر، 1977.
- ــــــــــــــــ، « ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية »، **مجلة الثقافة**، عدد78، وزارة الثقافة، الجزائر، محرم- صفر 1404هـ/ نوفمبر -ديسمبر 1983م.

- سعيدي (محمد)، « التصوف وتجلياته الأخلاقية والمعرفية والسياسية في الفكر الاجتماعي العربي المعاصر»، **مجلة الحياة الثقافية**، العدد239، وزارة الثقافة، تونس، مارس 2013.
- سعيدي (مزيان)، « التأصيل التاريخي للمقاومة العسكرية لسكان منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي (1830-1851) »، **مجلة المصادر**، العدد 21، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، السداسي الأول 2010.
- سلطاني (الجيلالي)، « دور الرحمانيين في المقاومة الوطنية »، **أعمال الملتقى الوطني الثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- سي يوسف (محمد)، « ملاحظات حول كتاب بوبغلة لصاحبه الطاهر أوصديق »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد الرابع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1408هـ/1988م.
- شكيري (عمر)، « الذكرى المئوية لثورة 1871 »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني،، وزارة التعليم الأصلي، والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م.
- الطالبي (عمار)، « الشيخ ابن الحداد الصوفي الثائر»، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م.
- بن الطاهر (محمد قويدري)، « الشيخ محمد بن عزوز البرجي (نور الصحراء) ومدرسته الصوفية ودورها العلمي والجهادي »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة- الجزائر، ط.1، 2015.
- الطويل (توفيق)، « في رحاب التصوف الإسلامي »، **مجلة عالم المعرفة**، العدد 87، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الآخرة 1405هـ/مارس آذار1985م.
- عبادو (سعيد)، « لالا فاطمة نسومر 1830-1863 »، **مجلة الثقافة**، العدد 109، وزارة الثقافة، الجزائر، يوليو- أغسطس 1995.
- العربي (إسماعيل)، « الترتيبات التاكتيكية لحصار قرية الزعاطشة »، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م.
- عزوي (محمد الطاهر)، « مقاومة الأوراس خلال العهد الفرنسي في ق19 من 1837 إلى 1879 »، **مجلة التراث**، العدد01، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة- الجزائر، ذو القعدة 1406هـ/جويلية 1986م.

- عطا الله (مسعودة)، « الدور الاجتماعي والعلمي والسياسي للزوايا »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة– الجزائر، ط.1، 2015.
- علوي (أسيا) ودردوري سامية، « الزوايا في الأوراس بين الأمس واليوم– الزاوية الدردورية أنموذجا– »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة– الجزائر، ط.1، 2015.
- عميراوي (أحميدة)، « الطرق الصوفية والسياسة »، **مجلة المجلس الإسلامي الأعلى**، العدد01، الجزائر، 1998.
- غيثاوي (مولاي التهامي)، « اهتمام زوايا منطقة الصحراء بالقراءة والخطابة »، **رسالة المسجد**، العدد الثاني، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، شعبان 1428هـ/أوت 2007م.
- فرحات (عبد الوهاب)، « أبو مدين شعيب ومكانته في التصوف المغربي »، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، عدد13، الجزائر، 2003.
- قاسم (مولود)، « مغزى الإحتفال بذكرى أمجادنا »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م.
- قداش (محفوظ)، « مقاومة شعب يحركه الإيمان »، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، العدد الثاني، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع الأول 1391هـ/ ماي 1971م.
- مجاني (بوبة)، « أبو مدين شعيب وشيخه أبو يعزى »، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، عدد08، الجزائر، 2001.
- مصمودي (فوزي)، « معركة مشونش ببسكرة 1844 الخالدة »، **المجلة الخلدونية**، العدد03، الجمعية الخلدونية، بسكرة– الجزائر، 2004.
- مطمر (محمد العيد)، « الاحتلال الفرنسي للأوراس »، **أضواء الأوراس التاريخية**، عدد تجريبي، الجزائر، 2006.
- ـــــــــــــ، « مقاومة واحة العامري 1876 »، **المجلة الخلدونية**، العدد03، الجمعية الخلدونية، بسكرة– الجزائر، ديسمبر 2004.
- مياسي (إبراهيم)، « ثورة أولاد سيدي الشيخ »، **مجلة الذاكرة**، السنة الثانية، العدد الثالث، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1415هـ/ خريف 1995م.

- ـــــــــــــــ، « خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان »، **المجلة الخلدونية**، العدد03، الجمعية الخلدونية، بسكرة– الجزائر، 2004.
- الواعي (محمود)، « التسلسل الزمني للتغلغل الاستعماري الفرنسي بالأوراس »، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 187–1954**، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة– الجزائر، د.ت.
- ـــــــــــــــ، « ثورة الزعاطشة »، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 187–1954**، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة– الجزائر، د.ت.
- ـــــــــــــــ، « ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها »، **مجلة الجيش**، العدد الرابع، مديرية الإتصال والإعلام والتوجيه، الجيش الوطني الشعبي، الجمهورية الجزائرية، ذو القعدة 1417هـ/ مارس 1997م.
- ـــــــــــــــ، « نبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج وبعض معاركه الحربية ضد الاحتلال الفرنسي »، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837–1954**، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة– الجزائر، د.ت.
- يحياوي (مسعودة)، « دور الزوايا في المقاومة من خلال أرشيف المكاتب العربية (1843–1880) »، **الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة– الجزائر، ط.1، 2015.
- بن يوسف (تلمساني)، « السلطة العثمانية في مواجهة الطريقة الدرقاوية »، **حولية المؤرخ**، العددان 11–12، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، السداسي الأول 2011.

2- باللغة الأجنبية:

- Ageron (Charles- Robert), « Abd El- Kader et La première résistance Algérienne », **In La Africaine**, T.1, Jeune Afrique, Paris, 1977.
- Awad (M), « Un Fondateur de confrérie religieuse Maghrébine: Sidi Ahmed Al-Tijani (1737-1815) », **R.M.E**, n°2, Editions La Porte, 1992.
- Berbrugger (A), « un chérif kabile en 1804 », **in R.A**, Volume 3, A. Jourdan, Alger, 1858.
- Bernard (A) Et Milliot (L), « Les Qanouns kabyles dans l'ouvrage de Hanteau et le tourneux », **in R. E. I**, Lib. Orientaliste P. Geuthner, Paris, 1933.
- Boubaker (Si Hamza), « Origine de la guerre de sud- Oranais contre la France (1864-1900) », **In Revue d'histoire Maghrébine**, N°6, Tunis, 1976.
- Boyer (P), « Contribution à L'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger XVI- XIXS », **In revue de L'occident Musulman et de la Méditerranée**, N°1, Aix-en-Provence, France, 1966.
- Cour (A), « Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheikh Belgacem Er- Rahmouni El Haddad », **in R.A**, Volume 60, A. Jourdan, Alger, 1919.
- Delpech (Adrian), « Résumé historique sur le soulèvement des Derkaoua de la province d'Oran d'après la chronique d'El- Mossllem ben Mohammed Bach Deftar du bey Hassan de 1800 A 1813 (HEG- 1215 A 1558) », **in R.A**, Volume 18, A. Jourdan, Alger, 1874.
- Devoul (Albert), « Les Edifices Religieux de L'ancien Alger », **in R.A**, Volume 6, A. Jourdan, Alger, 1862.
- Feraud (L. Charles), « L'oued El- Kebir et collo », **in R.A**, Volume 3, A. Jourdan, Alger, 1858.
- ________________, « Zebouchi et Osman Bey », **in R.A**, Volume 6, A. Jourdan, Alger, 1862.
- ________________, « Un Voeu d'Hussein Bey de Constantine 1807 », **in R.A**, Volume7, A. Jourdan, Alger, 1863.
- ____________, « Exploitation des Forets de La Karasta dans La Kabilie Orientale, Sous La Domination Turque », **in R.A**, N°13, A. Jourdan, Alger, 1869.

- ________________, « Les Chérifs kabyles de 1804 et 1809 dans la province de Constantine», **in R.A**, Volume 13, A. Jourdan, Alger, 1869.
- ______________, « Les Ben- Djellab sultans de Tougourt », **in R.A**, A. Jourdan, Alger, 1880.
- ________________, « Notes Historiques sur la province de Constantine », **in R.A**, Volume 30, A. Jourdan, Alger, 1886.
- Garrot (Henri), « Le mouvement islamique », **B.S.G.A.A.N**, Imprimerie Typographique et Lithographique S. Léon, Alger, 1906.
- Luciani (D), « Un souvenir de L'insurrection de 1879 », **in R.A**, Volume 26, A. Jourdan, Alger, 1925.
- Maugin (E), « Notes sur L'histoire de Laghouat », **in R.A**, N°38, A. Jourdan, Alger, 1894.
- Provençal (Lévi), « Religion culte des saints et confréries dans le nord marocain », **Bulletins de L'enseignement public du Maroc**, Librairie Emile rose, Paris, 1926.
- Rinn (Louis), « Nos Frontieres saharienne », **in R.A**, Volume 30, A. Jourdan-, Alger, 1886.
- Robin (Nil Joseph), « Le bey Mohammed ed- Debbah », **in R.A**, N°17, Office des publications universitaires, Alger, 1873.
- __________________, « Note Historique sur la Grande Kabylie (De 1830 A 1838) », **in R.A**, Volume 20, A. Jourdan, Alger, 1876.
- __________________, « Histoire du cherif Boubaghla », **in R.A**, Volume 25, A. Jourdan, Alger, 1881.
- __________________, « Notes sur la Grande kabylie de 1838 a 1851 », **in R.A**, Volume 46, A. Jourdan, Alger, 1902.
- S…, « Notes Chronologiques pour L'Histoire de Constantine », **in R.A**, Volume 39, A. Jourdan, Alger, 1895.
- Seroka (Joseph- Adrien), « Le Sud Constantinois de 1830 à 1855 », **in R.A**, Volume 56, A. Jourdan, Alger, 1912.
- Yver (Georger), « Enfantin et L'émigration étrangère en Algérie 1838 », **in R.A**, N°59, A. Jourdan, Alger, 1918.
- __________, « Abd El Kader et le Maroc en 1838 », **in R.A**, N°60, A. Jourdan, Alger, 1919.

رابعا: الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- أطروحات الدكتوراه:

1-1- باللغة العربية:

- بن أحمد (فلاح بن إسماعيل)، **العلاقة بين التشيع والتصوف**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، شعبة العقيدة، قسم الدراسات العليا، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، 1411هـ.
- علوان (سعيد)، **التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر**، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، 2001.
- فيلالي (عبد العزيز)، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية)**، أطروحة دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995.

1-2- باللغة الأجنبية:

- Marcel (Semian), **Les Confréries Islamiques en Algérie (Rahmanya – Tijanya)**, thése de Doctorat en sciences politique et économique, Faculté de droit, Université de Paris, France, 1910.

2- رسائل ومذكرات الماجستير:

- الحسني (ماجدة القاسمي)، **الطريقة الرحمانية (أركانها وأصولها)**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 1421هـ/2000م.
- حنفوق (إسماعيل)، **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010.
- بن السويسي (محمد)، **العمارة الدينية في منطقة توات (تمنطيط) نموذجًا، من القرن 6هـ إلى 13هـ/ 12م إلى 19م**، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008.
- شرقي (محمد)، **الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي مع بعض الطرق الأخرى (1830-1881)**، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية- قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1996-1997.
- شلبي (شهرزاد)، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008-2009.

خامسا: الملتقيات:

- سعد الله (أبو القاسم)، « لمحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني »، **سلسلة الملتقيات**، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، عنابة 14-15 جوان 2009، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2011م.
- شلالي (عبد الوهاب)، « دور الطرق الصوفية في جهاد أهل تبسة في القرن 19م من خلال الكتابات العسكرية الفرنسية »، **نادي المثقفين**، المركز الثقافي الإسلامي لحبيب فارس، تبسة، الجزائر، 25 جمادى الأولى 1425هـ الموافق لـ 02 جويلية 2005.

سادسا: الموسوعات:

- الحفني (عبد المنعم)، **الموسوعة الصوفية**، دار الرشاد، القاهرة- مصر، ط.1، 1412هـ/1992م.
- معدي (الحسيني الحسيني)، **موسوعة الماسونية**، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1912.
- بن نعيمة (عبد المجيد) وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أو نوفمبر 1954، الجزائر، ط.خ، د.ت.

سابعا: القواميس والمعاجم:

- حمودي (صبحي) وأخرون، **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، المراجعة مأمون الحموي وأخرون، دار المشرق، بيوت- لبنان، ط.2، 2001.
- الشيخ (أبو عمران) وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- طرابيشي (جورج)، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط.1، 1987.
- الكتاني (محمد بن عبد الحي)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المشيخات والمسلسلات**، المطبعة الجديدة، فاس- المغرب، 1347هـ، جـ.1.
- نويهض (عادل)، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت- لبنان، ط.3، 1983.

ثامنا: المواقع الالكترونية:

- الفوزان (صالح بن فوزان بن عبد الله)، **حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين**. www.Islamway.com
- أحمد زروق، **رسالة أصول الطريق**. www.daraleman.org

فهرس الأعلام

رتبت حسب الحروف الهجائية دون اعتبار « ال » التعريف

فهرس الأماكن والبلدان

رتبت حسب الحروف الهجائية دون اعتبار « ال » التعريف

فهرس الموضوعات

ملخص الأطروحة:

يعالج موضوع البحث ظاهرة دينية اجتماعية كان لها حضور قوي في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وقد تفاعل معها المجتمع الجزائري بعد أن فعلت حياته العامة من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وهذه الظاهرة هي التصوف.

فبسبب الثورات التي قادها بعض أتباع التيار الصوفي تزعزعت سلطة الأتراك العثمانيين في الجزائر، وضعفت ثم سقطت نهائيا أمام المحتل الفرنسي سنة 1244هـ/1830م، وبفضل تضحيات أحرار هذا التيار تأخر احتلال القوات الفرنسية لكامل التراب الوطني لعدة عقود، وبفضل مجهودات زعمائه وعلمائه، ومن خلال مؤسساته التربوية التثقيفية كالمسجد والزاوية استطاع الشعب الجزائري أن يتصدى للمشروع الفرنسي التنصيري الذي قاده الكاردينال لافيجري Lavigerie وباركته الكنسية الكاثوليكية، كما استطاع هذا الشعب أن يحافظ على مقومات هويته الوطنية من دين ولغة وثقافة في إطارها وبعدها العربي، الأمازيغي، الإسلامي.

لكن بسبب أفعال وممارسات بعض أولائك المحسوبين على التيار الصوفي، تمكن المحتل الفرنسي مع أواخر ذلك القرن من أن يحقق بعض أهدافه ومشاريعه، لاسيما التوسعية منها حيث استطاع أن يمد نفوذه إلى مناطق لم يكن ليصلها لولا المساعدات التي قدمها له هؤلاء، كما تكمن من نشر ثقافة الخرافات والبدع والتواكل بين أغلب الجزائريين، مما أثر سلبا على المجتمع، وعلى التيار الصوفي ذاته الذي ضعف وتراجعت قاعدته الشعبية مع أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

Résumé de La thèse :

Ce thème de recherche traite d’un phénomène religieux et social qui a eu une forte présence en Algérie pendant le 13^{éme} siècle de l’hégire /19^{éme} siècle après J.-C. La société Algérienne a interagi avec ce phenomena après avoir activé sa vie publique sur les plans religieux, politique, socioculturels et économiques. Ce phénomène est le soufisme.

En raison des révolutions menées par certains adeptes du soufisme, l’autorité des Turcs ottomans en Algérie a été ébranlée. Elle s’est affaibli et a fini par tomber devant l’occupant français en 1244H /1830JC. Grace aux sacrifices des personnes libres de cette tendance, l’occupation de tout le territoire national par les forces françaises a été retardée de plusieurs décennies et grâce aux efforts des dirigeants et savants et grâce ases établissements éducatifs et instructifs telles, que la mosquée et la zaouïa. Le peuple Algérien a pu affronter le projet français de christianisation porté par le cardinal LAVIGERIE et béni par l’église catholique. Ce peuple a également su préserver les fondements de son identité nationale y compris la religion, la longue et la culture dans son contexte et sa dimension arabe, amazigh, islamique.

Cependant, grâce aux actions et aux aides de certains de ceux qui sont affiliés au soufisme; l’occupant français a pu, à la fin de ce siècle, atteindre certains de ses objectifs et de ses projets, en particulier, ses projets expansifs de façon qu’ il a pu occuper autres régions Algériennes. Il a aussi pu diffuser la culture des mythes, des hérésies et de la dépendance parmi les Algériens, ce qui a affecté négativement la société et la tendance soufie elle même qui a affaibli et dont la base populaire est déclinées à la fin du 13^{éme} siècle de l’hégire /19 ^{éme} siecle après J.-C.

Summary of the thesis :

The topic of the research deals with a religious and social phenomenon that had a strong presence in Algeria during the 13th century IH /19th century AD. The Algerian society interacted with it after it had done its public life in terms of religious, political, social, cultural and economic. This phenomenon is Sufism.

By dint of the revolutions led by some followers of the sufism(mystical stream), the power of the Ottoman Turks in Algeria was shaken, weakened and permanently drop out before the French colonization in 1244 IH /1830 AD. Due to the sacrifices of the freemen of this stream, the occupation of the entire national territory by the French forces was delayed for several decades. In addition to the efforts of its leaders and scholars and through its educational and cultural institutions such as the mosque and zawiya, the Algerian people were able to confront the French project of the missionary led by the cardinal Lavigerie that was blessed by the catholic church . moreover to their ability to maintain the elements of their national identity of religion, language and culture within its Arabic, Amazigh, and Islamic dimension.

As a result of the acts and practices of some of those who are envious of the sufism, the French occupier was able, by the end of that century, to achieve some of its goals and projects, especially expansionism, so he could extended its influence to areas that it wouldn't have reached without the assistance provided by these people. as well as to spread the culture of superstition, heresy and contriance between the majority of the Algerians which negatively affected the society and the sufism whose popular base awakened and declined in the late 13rd century IH. And 19rd century AD.